

بنورسول بنوطاهر

وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما
٦٤٨ - ٩٤٣ هـ / ١٢٣١ - ١٥١٧ م

دكتور محمد عبد العال احمد
جامعة القاهرة

دار المعرفة الجامعية
ب. ش. سوتيه - الإسكندرية
٤٨٢٠٦٦٢ : ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

تتضمن هذه الدراسة، تاريخ اليمن وعلاقتها الخارجية في عصر درواتي بنى رسول وبنى طاهر، وهى امتداد طبيعى لدراسى فى الماجستير عن « دولة بنى أيوب فى اليمن ». وإن اختلفت أوضاع اليمن خلال تلك الحقبة عما كانت عليه زمن الأيوبيين، فقد استقلت بلاد اليمن فى العصر موضوع الدراسة، وانقطعت تبعيتها المباشرة لمصر، وطراً تطور واضح المعالم نتيجة لذلك على الأوضاع الداخلية، كان له أعمق الأثر فى الدور المستقل لسلطين هاتين الدولتين، وخاصة فى مجال السياسة الخارجية.

وتتمثل أهمية الموضوع فى جسده، فهو يمثل حلقة من سلسلة قلبية للحلقات فى تاريخ منطقة هامة لم تحظى بنصيبها من الدراسة. وإذا كان البحث قد تناول بالدراسة الأحوال السياسية الداخلية، وعلاقات بلاد اليمن الخارجية خلال القرون الثلاثة الأخيرة من العصور الوسطى، فليس من إشك فى أن التصيد من امتداد الفترة موضوع البحث إنما يهدف إلى تغطية فترة طويلة من تاريخ اليمن السياسى، أعقبت استقلالها عن مصر الأيوبية، وانتهت بتبعيةها المباشرة للعثمانيين. فهى فترة استقلت بحكم اليمن خلالها دولتان على التوالي؛ لعبت كل منهما دوراً كبيراً فى مجال العلاقات الخارجية، تعدى حدود المنطقة.

وكان طبيعياً أن يتركز الاهتمام أولاً على دراسة الجانب التاريخى باعتباره الركيزة الأساسية التى يستقيم استيفاؤها، بسبب الفراغ الهائل الذى سببه إهمال البحث فيه، وعدم سابقة توفر دراسات حديثة يمكن أن يعول عليها. ويمكن القول بأن دراسة قطاع طويل من الجانب السياسى لتاريخ اليمن، من شأنه أن يوجه أنظار الباحثين إلى أهمية هذا الجانب، ويسلعه

على فتح مجال هذه الدراسات على مصراعيه ، ويتيح الفرص - من ناحية أخرى - لدراسة الجوانب المختلفة من تاريخ تلك البلاد ، وبوضوح التفسيرات المناسبة والصحيحة لتغيرات الجوانب الأخرى .

وقد انسمت الفترة موضوع البحث بكثرة الاضطرابات ، وتنوع الصراعات ، وانتشار الفوضى ، وافتقاد الاستقرار ، وفتت الوحدة السياسية لليمن ، الأمر الذى أدى - بطبيعة الحال - إلى اشتغال سلاطين هاتين الدولتين في حروب تكاد توصف بالاستمرار والتواصل . ولهذا فلم يكن فى الإمكان تجاهل تلك الأحداث ، أو تفادى الخوض فى متاهات الحروب الداخلية الكثيرة ، أو دراسة الحركات التى لا تكاد نحمد فترة حتى تشمل من جديد . وكان من الضرورى تسجيل تلك الحوادث المعقدة ، لأهميتها فى لميضاح الأحوال الداخلية لليمن، كقعدة لبيان الآثار المترتبة عليها فى جميع مناحى الحياة المختلفة . ومع ذلك فقد روعى عدم الخوض فى التفاصيل الدقيقة ، بهدف التركيز ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، والاقْتصار على الضرورى بالقدر الذى يسمح بتصوير الأوضاع الداخلية خلال تلك الفترة .

وفىما يتعلق بالمجال الخارجى ، فقد حاولت الدراسة توضيح الدور الخطير الذى لعبته بلاد اليمن سواء كان إيجابيا أو سلبيا ، وخاصة فى البحر الأحمر ، بحكم موقعها الهام على الطريق التجارى الرئيسى بين الشرق والغرب ، وتحكمها فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، ويمكن القول بأن دراسة هذا الجانب قد ساعد على توضيح كثير من الأسس الرئيسية للسياسة التى انتهجتها كل من مصر واليمن فى البحر الأحمر خلال عصر دولتى المماليك فى مصر ، وكشف عن جانب هام من تاريخ اليمن كان مطلوبا فى زوايا الاهمال والتسيان ، واستكمل من غير شك دراسة الفترة المقابلة لتاريخ مصر والعالم العربى أوأخر العصور الوسطى فيما بين نهاية ، الحكم الأيوبي والفتح العثماني .

ويعتبر تاريخ اليمن الاسلامي ، أكثر تواريخ الإسلام صعوبة وتعقيداً ،
ويحتاج البحث فيه إلى تكتيل الجهود وتضافرها لا براهه . فلقد تعرض
إلى الكثير من مصادره للتلف والضياع نتيجة للحروب المتصلة والقلال الداخلية
السائدة ، وكان هذا التراث يشكل هدفاً للقوى المذهبية المتصارعة في اليمن ،
سنية كانت أم زيدية أو إسماعيلية ، كل يعمل على إتلاف مادونه الآخرون .
كما كان لعدم العناية بهذا التراث وإهمال المحافظة عليه ، أو انتقال ملكية بعضه
بالوراثة إلى من ليس أهلاً بمعرفة قيمته ، أثره في ضياع الكثير منه . أما ما تبقى
فتناثر ، يصعب التعرف عليه بأكمله ، أو تجميع شتاته ، ذلك أن بعضه موجود
في البيوتات العلمية في اليمن ، ويحرص أصحابه على كتمان أمره ، ولا يسمحون
- بالاطلاع على بعضه - إلا نادراً ، خوفاً من الضياع أو المصادرة . أما مقتنيات
المكتبات العامة في اليمن ، فمن الصعب الحصول على نسخ مصورة منها ، لافتقار
تلك المكتبات لمعدات التصوير الحديثة ؛ الأمر الذي استلزم الاطلاع
عليها في أماكنها ، وتصوير ما يلزم تصويره منها ، والعمل في نفس الوقت
للحصول على ما يهم البحث من مخطوطات مصورة من المكتبات العالمية ،
بالإضافة إلى الاطلاع على مقتنيات كل من دار الكتب المصرية ومعهد
المخطوطات العربية ومكتبات جامعة القاهرة والاسكندرية ، ومكتبة بلدية
الاسكندرية من هذه المخطوطات . وهي ما أرشدتنا إليها كتب فهارس
هذه المكتبات والمؤلفات الجغرافية ، مثل كتاب كارل بروكلمان عن
(تاريخ الأدب العربي) ، وغيره ، مما سهل عملية الاستفادة من هذه المصادر
القليلة والمتناثرة

ولم أكتفِ بالاطلاع على المصادر المحفوظة بدور الكتب بمصر أو الحصول
على مصهورات من دور الكتب العالمية ، وإنما قمت برحلات ثلاث إلى بلاد اليمن ،

لم تكن قاصرة على مجرد الاستفادة الخاصة بالدراسة ، وإنما تعدت ذلك إلى الإسهام في تسهيل وتيسير الدراسات اليمنية على الباحثين .
فكانت أولى هذه الرحلات سنة ١٩٦٤ ، حيث أتيح لي خلالها الاشتراك في أعمال بعثة وزارة الثقافة والإرشاد المصرية - التي وصلت إلى صنعاء لتصوير المخطوطات اليمنية ، والقيام بترتيب وتنظيم وفهرسة وتصنيف مقتنيات الجامع الكبير بصنعاء والكتب المصادرة من مكتبات الأئمة والأفراد ، وإعدادها للاطلاع ، وانتقاء النادر منها لتصويره وإيداع تلك المصورات في دار الكتب المصرية بالقاهرة .

أما ثاني تلك الزيارات ، فكانت في سنة ١٩٧٠ ، وفي إطار بعثة الجامعات المصرية التي توجهت إلى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية لوضع أسس تجميع التراث اليمني ، والتخطيط لإقامه مكتبة قومية تضم هذا التراث في عدن . وقد زارت البعثة حسب برنامجها - بالإضافة إلى عدن عددا من مدن وقرى حضرموت حيث تنتشر المكتبات العامة والخاصة أو الموقوفة . وقد أنهت البعثة زيارتها بتقرير عن دراستها وتوصياتها لانجاز هذا المشروع .

أما ثالث الزيارات وأطولها ، فكانت أيضا لجمهورية اليمن الديمقراطية ، فبمناسبة إعارتي من جامعة الاسكندرية للعمل محاضرا للتاريخ الإسلامي بكلية التربية العليا في عدن خلال العام الجامعي ٧٢ / ١٩٧٣ ، دعيت أثناء ذلك لاستكمال دراسة مشروع تجميع التراث الذي سبق لبعثة الجامعات مجتمعة دراسته . وقد تمكنت قبل نهاية ذلك العام الدراسي من الانتهاء من إعداد دراسة المشروع على ضوء المتاعب التي واجهت التنفيذ ، والتقدم بتقرير متكامل لوزير الثقافة والسياحة اليمني عن (المراحل التنفيذية لمشروع تجميع التراث اليمني)؛ استعرضت فيه أهم توصيات البعثة وماتم تنفيذها ، وما استعرض

الانجاز الكامل من عقبات متعددة ، والمقترحات التفصيلية التي تساعد على انجاز هذا العمل الكبير ، وقد نشر هذا التقرير بالمجلد العشرين من مجلة معهد المخطوطات بالجامعة العربية (مايو ١٩٧٤) . واسترشدت به بعثة المخطوطات التي أوفدها الجامعة العربية سنة ١٩٧٦ إلى اليمن الديمقراطية ، كما كان أساسا في المجادئات الثقافية بين اليمن الجنوبي وبين الدول والهيئات العلمية المهمة بهذا المجال .

وقد أفادني هذا الاحتكاك كثيرا في التعرف على التراث اليمني في موطنه الأصلي ، أو في المكتبات العالمية ، وتمكنت من الحصول على نسخ بالميكرو فيلم لبعض ما يعصل منها بهذه الدراسة . ولم تقتصر معالجة كافة نقاط البحث على مصدر واحد ، وإنما روعي مقارنة الأصل بغيره من المصادر المعاصرة أو المتأخرة تحقيقا للنصوص وبيان مدى اتفاقها ، ومناقشة ما اختلف المؤرخون فيه ، ومحاولة التوفيق بينها أو ترجيح أحدها أو التوصل إلى رأي خاص بشأنها مع تدعيم ذلك بالأسانيد .

وإذا كان البحث قد اعتمد على العديد من المصادر اليمنية ، فقد أسهمت غيرها من المصدر والمراجع العربية والأجنبية الأخرى في استكمال وتدعيم كثير من نقاطه ، سيما ما يتعلق بدراسة العلاقات الخارجية ، ويتضح ذلك من مراجعة هوامش البحث وقائمة المصادر والمراجع المتنوعة الملاحقة به .

وبعد ، فقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وباين وخاتمة ، وقد تضمنت المقدمة بيان أهمية الموضوع ، والجهود التي بذلت فيه . وخصصت الباب

الأول لدراسة التاريخ السياسي لدولتي بني رسول وبني طاهر ، وقسمته إلى تمهيد وثلاثة فصول . أما الباب الثاني ، فقد خصصته لدراسة العلاقات الخارجية في عصر هاتين الدولتين ، وقسمته إلى فصلين . أما الخاتمة ، فقد تضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها .

والكتاب في أساسه ، كان رسالة بعنوان « اليمن فيما بين نهاية الدولة الأيوبية والفتح العثماني ، دراسة في العلاقات السياسية الخارجية ، حصلت بموجبها علي درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من كلية الآداب بجامعة الاسكندرية . وكانت تحت إشراف عالين جليلين هما :

الأستاذ الدكتور سعد زغول عبد الحميد ، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الاسكندرية وبيروت العربية والكويت .

والأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الاسكندرية وبيروت العربية ومدير معهد الدراسات الإسلامية بمديريه .

وقد حظيت برعايته وعطف كل منها ، واستفدت من علمها ومنهجها الكثير ، ولما ليها يرجع الفضل في إرشادي وتوجيهي ، ولم يبخل أي منها بعلمه ووقته وجهده ونصائحه .

ولما تمت إعاره الأستاذ الدكتور سعد زغول عبد الحميد لجامعة بيروت العربية سنة ١٩٧٣ ، ظل الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم خير ناصح ومعين ، وتولي سيادته الأمانة الفعلية ، وقام بمراجعة الرسالة في جميع مراحلها ، وظهرت بصماته واضحه فيها ، ولقي في سبيل ذلك كثيراً من المتاعب التي أثمرت هذا البحث ، الذي أرجو أن أكون قد تمكنت به من معالجة

تاريخ اليمن وعلاقتها الخارجية ، العربية والدولية، خلال فترة تاريخية هامة.
 وأن تكون هذه الدراسة جديرة باحتلال مكانتها في المكتبة العربية .

وبالله التوفيق

دكتور محمد عبد الحليم احمد
 معهد البحوث والدراسات الأفريقية

الاسكندرية في ١٢ ربيع الأول ١٤٠٠
 ٣٠ يناير ١٩٨٠

الباب الأول

التاريخ السياسي

تمهيد : أحوال اليمن الداخلية حتى نهاية الحكم الأيوبي.

الفصل الأول : قيام دولة بني رسول على عهد مؤسسها نور الدين عمر بن رسول.

الفصل الثاني : دولة بني رسول بعد نور الدين.

الفصل الثالث : دولة بني طاهر.

تمهيد

أحوال اليمن الداخلية حتى ختمها أمير الحكم الأيراني

أصبحت بلاد اليمن منذ أسلم أهلها ، تشكل جزءاً من الكيان السياسي للدولة الإسلامية . وارتبط تاريخها - منذئذ - بتاريخ تلك الدولة ، وظلت بلاد اليمن الموحدة تابعة للحكومة المركزية ، وتتابع عليها الولاية من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والدولتين الأموية والعباسية . وذكر مؤرخو اليمن ، أن اليمنيين أسلموا جميعاً في حياة الرسول (١) صلى الله عليه الصلاة والسلام ، وتلاحقت وفودهم على النبي (٢) صلى الله عليه وسلم ،

(١) الجندي ، يوسف بن يعقوب : السلوك في طبقات العلماء والملوك - مخطوط بمكتبة كوبريلي رقم ١٩٠٧ ، مصور بالميكروفيلم بالجامعة العربية برقم (٧٧٦) - ص ٩٧ ، الخزرجي ، علي بن الحسن : المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ، مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم (١٢٦٥ ب) ص ٦ ، العقد الفأخر الحسن في طبقات أعيان اليمن ، مخطوط بالمتحف البريطاني رقم (Kings College : 7) ، مصور بالميكروفيلم بالجامعة العربية (بدون رقم) لوحة ٣٥ (أ) ، الأهدل ، الحسين بن عبد الرحمن : تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن - مخطوط بمكتبة خدابخش بهنة مصور بالميكروفيلم بالجامعة العربية برقم (٣٠٨٨) - لوحة ٢٧ ب .

(٢) ابن سمرة ، عمر بن علي : طبقات فقهاء اليمن - تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٧ - ص ٨ وما بعدها ، دكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب في العصر الجاهلي - بيروت ١٩٧٠ - ص ٥٤٨ .

وكانوا من الكثرة بحيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم: «أناكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة وألين قلوبا، الإيمان يمان والحكمة يمانية» (١).

وكان اليمنيون سرى الاستجابة لداعى الجهاد، ففى عهد الخليفة أبى بكر توجه الكثيرون منهم - بكامل معداتهم - إلى المدينة للاشتراك فى جيش المسلمين، وقيل انه بلغ عدد الواصلين منهم إليها ٢١ ألفا فى يوم واحد، فأرسل الخليفة نصفهم إلى الشام، ووجه الباقين إلى العراق (٢). فكان أبناء اليمن فى طليعة الجيوش الإسلامية فى موقعة اليرموك والقادسية وغيرهما، وأسهموا بنصيب كبير فى الفتوحات الإسلامية، وقاموا بدور فعال فى كثير من مراحلها، شرقا وغربا. وان الأسماء اليمنية التى أطلقت - على سبيل المثال - على كثير من قلاع الأندلس، ستظل شاهدة على الدور البارز الذى قاموا به، مثل قلعة همدان الواقعة بالقرب من غرناطة، وحصن مراد المعروف بين أشبيلية وقرطبة، وقلعة بنى سعيد المشهورة فى مملكة غرناطة (٣)، وقلعة خولان بين

(١) الحديث رواه البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم، (الأهدل، محمد بن على: نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون - القاهرة ١٩٢١ - ص ٢٥، الرازى، أبو العباس أحمد بن عهد الله بن محمد: تاريخ صنعاء - مخطوط بالمتحف البريطانى رقم ٢٩٠٣، مصور بالفوتستات بمكتبة جامعة القاهرة (برقم ٢٦٠٥٧ لوحة ٢ دأ).

(٢) الجرافى، عبد الله بن عبد الكريم: المقتطف من تاريخ اليمن، القاهرة سنة ١٩٥١، ص ٤٤.

(٣) المقرئ: فتح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة سنة ١٩٤٩ ج ١ ص ٢٧٦.

الجزيرة الخضراء واشبيلية^(١) وقلعة يمحصب^(٢) وغيرها من القلاع والحصون. كما أطلق على اليمنيين في الأندلس (البلديين أو أهل البلد)^(٣)، لأنهم استقروا في تلك البلاد واعتبروا أنفسهم من أهلها وأصحابها^(٤). أضف إلى ذلك أن الجماعات اليمنية كانت تنشق غيرها من العدنانية عددا وقوة، وقد ذكر المقرئ أنهم «الأكثر بالأندلس، والملك فيهم أرسخ»^(٥).

ومن الجدير بالذكر أن اليمنيين لم يفتوا موقفا سلبيا من الحركات الداخلية في العالم الإسلامي، بل قاموا بدور بارز فيها. ففي فتنة الأُمصار التي حدثت في خلافة عثمان، انقسم اليمينيون - وفقا لتنازلهم - إلى فريقين، فريق يؤيد على بن أبي طالب، والآخر يؤيد معاوية^(٦). ومن المعروف أنه على الرغم من انبثاق الحركة من مصر، فإن الرأس المدبر لها هو عبد الله بن سبأ الصنعاني، الذي استغل العناصر اليمنية الكثيرة التي كانت قد استقرت في مصر منذ أن فتحها عمرو بن العاص، والتي بلغت عدتها في الاسكندرية وحدها، ٢٧ ألفا

(١) المقرئ: نفس المصدر والجزء ص ٢٧٧ .

(٢) المقرئ: نفس المصدر والجزء ص ٢٧٨ .

(٣) أخبار مجموعة في فتح الأندلس لمؤلف مجهول - مدريد سنة ١٨٦٧ -

ص ٤٤ ، ٤٦ .

(٤) دكتور السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس

- لبنان ١٩٦٢ - ص ١٢٠ .

(٥) المقرئ: نفتح الطيب ج ١ ص ٢٧٤ ، السيد عبد العزيز سالم: نفس

المرجع ص ١٢١ .

(٦) كان معظم المنضمين لمعاوية ينتمون إلى الأزد الغساسنة .

في عهد معاوية (١) .

وإذا كان اليمينيون قد ناصروا علي بن أبي طالب في موقعي الجمل وصفين، وكان لهم رأيهم المتحفظ من التحكيم، فقد كان اختيار أبا موسى الأشعري (اليميني) سببا في تعقد الأمور. وإذا كان علي بن أبي طالب قد اعتمد على بعض القبائل اليمينية، فإن قبائل يمنية أخرى قد ساندت معاوية بن أبي سفيان، حتى قيل أن قيام الدولة الأموية تم على أكتاف اليمينيين . كذلك آذرت اليمينية الرومانية في الشام ضد الزبيرية، وكان لذلك أثره العميق في انبعاث الصراع بين العصبيتين اليمنية والقيسية، وهو صراع شمل العالم الإسلامي شرقا وغربا، وكان من العوامل الرئيسية في انهيار الدولة الأموية . كما كان في الأندلس من الأسباب التي أدت إلى عبور عبد الرحمن الداخل وقيامه بتأسيس الدولة الرومانية (٢) .

ومهما يكن من شيء فقد قصد الباحث من وراء تلك اللوحة السريعة، بيان أن اليمينيين لم يقتصر دورهم على المجال المحلي داخل بلادهم فقط، وإنما كان لهم دور بارز في حركة الفتوح، كما أثروا وتأثروا بشكل فعال بالأحداث والصراعات الدائرة في قلب الدولة الإسلامية . ولست بصدد تتبع حركة القبائل اليمنية وتفصيل دورها، فذلك موضوع ضخم يحتاج لعدة دراسات لا يبرازها .

(١) المقرئزي، أحمد بن علي : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق فيسطنفيلد، جوتنجن سنة ١٨٧٤، ص ٣٥ .

(٢) انظر، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص ١٨١ وما بعدها .

وظلت بلاد اليمن تابعة للأُمويين ثم للعباسيين من بعدهم . وتناجح عليها ولائهم . وفي نفس الوقت استغلها الخارجون على الخلافة العباسية لتكون مآجا لهم ، لبعدها عن مركز الخلافة ، وما تتميز به من طبيعة جبلية وعرة ، وحصون عالية منيعة ، يصعب الوصول إليها أو الانتقال فيما بينها ، الأمر الذى يجعل مهمة إرسال الامدادات من دار الخلافة غير ميسور . وإذا وضعنا فى الاعتبار انشغال ولاة العباسيين فى اليمن وتكريس جهودهم لتحصيل الأموال ، لتبين لنا إلى أى مدى كانت بلاد اليمن هدفا للخارجين على العباسيين لاسباب الشيعة منهم .

وهكذا يمكن القول بأن تاريخ اليمن بدأ بصطبغ منذ تلك اللحظة بلون للصراعات المذهبية ، مما كان له أكبر الأثر على الجانب السياسى فى البلاد . ولهذا لم تحظ بلاد اليمن بالاستقرار الذى نعمت به غيرها من الولايات الاسلامية الأخرى ، والذى كان من أهم عوامل تطور حياتها الحضارية ، فحرمت بلاد اليمن من تلك الميزة الهامة فى كثير من مراحلها التاريخية التالية . وقد أتاح ذلك المجال للشيعة للقيام بنشر دعوتهم ، وبلغ من نشاطهم أن قيل بأن جبال اليمن تحولت إلى مذهب الشيعة ، أما سائر المناطق فقد ظلت على مذهب أهل السنة^(١) وتمسكت به . ولقد كانت بلاد اليمن سنية - بكفية الأمصار - وكان الغالب عليها مذهب مالك وأبى حنيفة^(٢) ، أما مذهب الشافعى ، فقد

Hogarth (D.G.): A History of Arabia, Oxford, 1922, p. 90, (١)

حسن إبراهيم حسن ، وطه شرف : عبيد الله المهدي إمام الشيعة الاثنا عشرية ومؤسس الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب - القاهرة سنة ١٩٤٧ - ص ٣٠٧ .

(٢) ابن سمره : طبقات فقهاء اليمن ص ٧٤ .

انتشر في اليمن - من عدن إلى صنعاء - ابتداء من المائة الرابعة للهجرة (١)، وفي أواخر القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، بدأت القلاقل في بلاد اليمن، فخرج الأشاعر (٢) في وادي زبيد عن طاعة العباسيين (٣) كما نار العلويون سنة ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م بزعامة إبراهيم بن موسى العلوي المشهور بالجزار (٤)، فجهز إليهم الخليفة العباسي المأمون جيشاً بقيادة محمد بن زياد (٥)

(١) ابن مكرة: نفس المصدر ص ٨٨، الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك ص ٦٨، الأهدل: تحفه الزمن في تاريخ سادات اليمن لوحة ٥٤ دأه.
(٢) الأشاعر عرب من القحطانيين يقيمون بوادي زبيد. ومن أشهر رجالهم أبو الحسن علي الأشعري صاحب المذهب الذي يعرف أتباعه بالأشاعرة.
Kay (H. C.) : Yaman, Its Early Mediaeval History) London. 1897, p. 123):

(٣) عمارة، أبو الحسن نجم الدين الحكيم: تاريخ اليمن، تحقيق ونشر هزري كاي، لندن سنة ١٨٩٢، ص ٢٠.

(٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: العبر وديوان المبتدأ والخبر، بولاق سنة ١٢٨٤ هـ، ج ٤، ص ٢١٢. حسن سليمان محمود: تاريخ اليمن السيامي في العصر الإسلامي، بغداد سنة ١٩٦٩، ص ١١٨.

(٥) يتصل نسب محمد بن زياد بعبيد الله بن زياد المعروف بزياد ابن أبيه لذي قام بدور رئيسي في مقتل الحسين بن علي. (ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٤، ص ٢١٣، القلقشندي، أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعه الانشاء، القاهرة ١٩١٣-١٩١٩

استولى به غلى تهامة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م بعد حروب جرت بينه وبين الغزب (١) واخطت بها مدينة زيد (٢) ، واتخذها حاضرة لدولته (٣) . واتسعت دولة ابن زياد حتى شملت حضرموت وديار كندة (٤) والشجر (٥) ومرباط (٦) وأبين (٧) ولحج وعدن والتهام إلى حلى ابن يعقوب (٨) ، ومن جبال اليمن

(١) ابن عبد المجيد ، تاج الدين عبد الباقي : بهجة الزمن في تاريخ اليمن - مخطوط بلا مكتبة الأهلية بباريس رقم (٥٩٧٧ هـ/م) لوحه ١١ و أ .

(٢) عمارة : تاريخ اليمن ص ٣ :

(٣) باخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب : تاريخ نعر عدن ، نشر أوسكار

لوفجرين ، ليدن سنة ١٩٣٦ ، ج ٢ ص ٢١٦ .

(٤) ديار كندة من جبال اليمن مما يلي حضرموت وجبال الرمل ،

وقاعدتها دمون (ابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٣٦٧ ، ج ٤ ص ٢٢٥ .

(٥) تقع الشجر على ساحل بحر الهند بين عدن وعمان (ياقوت ، شهاب

الدين أبي عبد الله الحموي الرومي : معجم البلدان - القاهرة سنة ٩٠٦ : - ج ٣

ص ٢٦٣ ، ابن عبد الحق ، صفى الدين عبد المؤمن : مرصد الاطلاع ، طبع

القاهرة سنة ١٩٥٤ ، ج ٢ ص ٧٨٥) وتسمى ببلاد المهرة (ابن خلدون :

العبر ج ٤ ص ٢٢٦) .

(٦) مرباط ، مدينة من مدن الشجر ، تقع على الساحل بين عمان

وحضرموت (ابن عبد الحق : مرصد الاطلاع ص ١٢٥٣) وهي على مسافة

يوم ونصف يوم من ظفار (Kay op. cit. p. 223)

(٧) أبين ، مخلاف ووادى مشهور في جنوب اليمن على البحر الهندي ،

ولايه تضاف عدن (ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ص ٣٠٦) .

(٨) حلى ، مدينة مشهورة في اليمن ، تقع على ساحل البحر الأحمر شمال

تهامة ، وتعرف بحلى ابن يعقوب ، وبينها وبين مكة ثمانية أيام (عمارة :

تاريخ اليمن ص ٤ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ١٢) .

أعمال المعافر (١) . والجند (٢) وأعمالها ، ومخلاف جعفر (٣) وصنعاء وصعدة ونجران (٤) ويبحان (٥) وواصل ابن زياد الخطبة لبني العباس (٦) .

ولما تعرضت الدولة العباسية للاضطرابات الداخلية بعد سيطرة الأتراك على الخلفاء العباسيين ، منذ عهد المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢ م) ،

(١) المعافر ، من مخاليف اليمن بين ذبحان وجبا (ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ١٧ دأ) واليه تنسب الثياب المعافرية (ياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ٩٢) وهو بلد واسع ذو مزارع وقرى (المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - ليدن سنة ١٩٠٦ - ص ٨٧) وهو من أشهر مخاليف الجبال والسهول الشرقية (الجرافي : المقتطف من تاريخ اليمن - القاهرة سنة ١٩٥١ ص ٧) ويعرف الآن بالحجرية .

(٢) الجند ، مخلاف معروف باليمن يقع إلى الشمال الشرقى من تعز (القلقة شندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ١٤) وعلى بعد عشرين كيلو مترا منها (الويسى : اليمن الكبرى ، القاهرة سنة ١٩٦٢ ، ص ٣٩) ، وقد سميت بهذا الاسم لأنها كانت مسكنا للجند (ابن الجاور : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، ليدن ١٩٥١ - ١٩٥٤ ، ج ٤ ، ص ١٦٣) .

(٣) مخلاف جعفر ، وينسب إلى جعفر مولى ابن زياد مؤسس دولة بني زياد باليمن سنة ٥٢٠ هـ .

(٤) نجران ، مدينة عظيمة وولاية واسعة باليمن ، وهي من مخاليف اليمن شمال نجد (ابن الجاور : صفة بلاد اليمن ج ٢ ص ٢١١) من ناحية مكة (ياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ٢٥٨) .

(٥) ييجان ، مخلاف معروف باليمن (ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٧٨٢) وتقع إلى الجنوب الغربى من مأرب وإلى الشمال الشرقى من ذمار (الهمداني : صفة جزيرة العرب - ليدن ١٨٩١ - ص ٢٧ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ١٣٤) .

(٦) عمارة : تاريخ اليمن ص ٤ .

وكنتيجة لمقتل الخليفة المتوكل (٧٣٧ - ٢٤٦ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م) ، وموت المتصرمسموما (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ / ٨٦١ - ٨٦٢ م) ، وخلع المستعين (١) (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ / ٨٦٢ - ٨٦٦ م) ، استغل ابن زياد تلك الاضطرابات ، واستبد بملك اليمن وعظم شأنه ، وتوراث بنوه الملك من بعده ، واقتصرت التبعية للخلافة العباسية على الجانب الاسمى المعتمل في الدماء للخليفة على المنابر .

لم يدم استمرار دولة بني زياد طويلا ، فقد نشطت الدعوة الاسماعيلية ، واصبحت بلاد اليمن منذ سنة ٢٦٨ هـ / ٨١٩ م مركزا لنشر تلك الدعوة . واستطاع الداعيان على بن الفضل الجندى والحسن بن فرج بن حوشب - المعروف بمنصور اليمن - السيطرة على كثير من المناطق (٢) . كما نشطت الدعوة الزيدية

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ - القاهرة ١٣٠٣ هـ - ص ٧٠ ص ٥٠ ، ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢٢٠ ، د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى - الطبعة الخامسة سنة ١٩٦٠ - ص ٣ ص ٢ - ٩ ، د. احمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلسى - بيروت سنة ١٩٧٢ ، ص ١٢٣ وما بعدها .

(٢) انظر ، الحمادى ، محمد بن مالك : كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة - القاهرة سنة ١٩٣٩ - ص ٢١ وما بعدها ، الجندى : أخبار القرامطة - ملحق بكتاب تاريخ اليمن لعلمارة - ص ١٣٩ وما بعدها ، ابن سمره : طبقات فقهاء اليمن ص ٧٥ وما بعدها ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن لوحة ١٥ وما بعدها ، الخزرجى : العقد الفاخر الحسن ص ٢ لوحة ٤٨ ب ، حسين الهمداني وحسن سليمان محمود : الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن - القاهرة سنة ١٩٥٥ - ص ٣١ وما بعدها .

وقامت دولتهم في اليمن على يد الامام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (١) سنة ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ، وأصبح الصراع على أشده في اليمن بين أتباع المذاهب الثلاثة - الاسماعيلية والزيدى والسنى (٢) - كل يعمل على توطيد دعامته وتقويض الآخرين (٣) . وهكذا كان لذلك الصراع المذهبي ذى الطابع السياسي ، أثره الكبير في انتشار القوزي ، وانعدام الاستقرار ، وفقدان الوحدة السياسية في البلاد ، إلى انقسمت إلى أجزاء متناحرة (٤) . وقد ساهمت طبيعة البلاد الجبلية وضعف الخلافة العباسية وولاتها في اليمن ، في

(١) انظر ، العلوى ، على بن محمد بن عبد الله العباسي : سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين - بيروت سنة ١٩٧٢ - ص ١٧٢ وما بعدها ، عمارة : تاريخ اليمن ص ١٠٥ ، نشوان بن سعيد الحميري : الحور العين - القاهرة سنة ١٩٤٨ - ص ١٩٦ ، الصعدي ، بدر الدين محمد بن يوسف : مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار - مخطوط ملك الباحث - ورقة ٥٨ وما بعدها ، زيارة : محمد بن محمد بن يحيى الحسني : أئمة اليمن - تعز سنة ١٩٥٢ - ص ٨ وما بعدها ، الجرافى : المقتطف ص ١٠٤ وما بعدها ، مجد عبد الله ماضي : دولة اليمن الزيدية - بحث في المجلة التاريخية المصرية ، العدد الأول من المجلد الثالث ، مايو سنة ١٩٥٠ - ص ٢٥ وما بعدها
Kay : Yaman, p. 226.

(٢) للصعدي : مآثر الأبرار ورقة ٦١ د أ .

(٣) حسين الهمداني وحسن سليمان محمود : الصليبيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٢٦ .

(٤) محمد عبد العال أحمد : دولة بني أيوب في اليمن - رسالة ماجستير ، آداب اسكندرية ١٩٦٨ - ص ٢٤ .

التوصل إلى ذلك الموقف الخطير . ويمكن إجمال الصراع المذهبي في اليمن إلى نهاية الدولة الأيوبية ، وتحديدته في أربع مراحل رئيسية .

فالمرحلة الأولى ، وتبدأ في أعقاب انتشار المذهب الإسماعيلي ، وقيام الإمامة الزيدية في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وكانت هاتان القوتان - الإسماعيلية والزيدية - تستهدفان إقامة دولة موالية لأهل البيت ، وتتطلع كل منهما إلى أن تكون هي المؤسسة لتلك الدولة ، باعتبارها أحق من الأخرى بذلك . فلما تحقق لكل من القوتين قيام دولته ، تطورت المنافسة بينها إلى صراع من أجل الانفراد بالإمامة والحكم ، وأدى ذلك إلى عجز تلك القوى الشيعية عن التعاون للصمود أمام القوي السنية المتداعية ، وأعطى بها دولة بني زياد . وقد ساعد هذا الصراع المتشابك بين تلك القوى إلى إضعافها جميعاً ، فسقطت الدولة الإسماعيلية بعد وفاة منصور اليمن سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ، وعلى بن الفضل بعده بعام . أما الزيدية ، فقد فتر نشاطهم وتفتح لإمامهم بالبقاء في هدوء في قاعدة دولته صعدة (١) .

أما المرحلة الثانية من مراحل الصراع المذهبي ، فتبدأ بسقوط دولة بني زياد في زيد سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م ، وقيام دولة بني نجاح السنية على أنقاضها . وتتميز تلك المرحلة بعودة النشاط الشيعي من جديد ، حيث استطاع الداعي الإسماعيلي علي بن محمد الصليحي إقامة الدولة الصليحية سنة ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م ، وأن يتخذ من صنعاء حاضرة لدولته (٢) . وكان طبيعياً أن يدخل في صراع

(١) محمد عبد العال أحمد : دولة بني أيوب في اليمن ص ١٢ وما بعدها .

(٢) انظر الحمادي : كشف أسرار الباطنية ص ٤٢ وما بعدها ، عمارة : تاريخ اليمن ص ٢٢ وما بعدها ، ابن عبد الحميد : بهجة الزمن لوجه ٢٤ وما بعدها ،

مع دولة بنى نجاح السنية ، وأن يؤدي الصراع المستمر بينها إلى اضعافها معا .
فسقطت الدولة الصليبية سنة ١١٣٧/٥٥٢ م وتوارث ملكها دولة بنى زريع
في عدن (١) وبنى حاتم في صنعاء (٢) . أما دولة بنى نجاح فقد انهكتها

= الخزرجي : المسجد ص ١٣٠ وما بعدها ، العقد الفاخر الحسن ج ٢ لوحة
١٣٧ وما بعدها ، العرشى : بلوغ المرام في شرح مسك الختم في من تولى ملك
اليمن من ملك وإمام - القاهرة سنة ١٩٣٩ - ص ١٥ وما بعدها ، الواسع :
تاريخ اليمن - القاهرة سنة ١٩٤٧ ص ١٥٣ وما بعدها ، حسن سليمان محمود :
الصليحيون وعلاقتهم بالفاطميين - رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ، الملكة
أروى سيدة ملوك اليمن - القاهرة بدون تاريخ - علاقات الفاطميين بالاول
الاسلامية - رسالة ماجستير بجامعة القاهرة - ص ٧٨ وما بعدها ، حسين
الهدداني وحسن سليمان محمود : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن .

Lane-Poole (st.), The Mohammadan Dynasties, Paris, 1925, P.92,

The History of Egypt in the Middle Ages, London 1936, pp. 202-203

(١) انظر ، عمارة : تاريخ اليمن ص ٤٩ ، ابن المجاور : صفة بلاد
اليمن ج ١ ص ٩٢٣ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن - لوحة ٢٦ ب ، الخزرجي :
المسجد ص ١٠٦ ، باخرمة : تاريخ نعر عدن ج ١ ص ٤٦ ، محمد جمال الدين
مرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب - القاهرة سنة ١٩٦٤ - ص ١٠٢ -

Lane-Poole: The Mohammadan Dynasties, p. 97, Kay: Yaman, p. 268

(٢) انظر ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن لوحة ٢١ ب ، الخزرجي :
العقد الفاخر الحسن ج ٢ لوحة ٣٧ ، المسجد ص ٩٧ ، ابن رسول ، الملك
الأشرف اسماعيل : فاكهة الزمن - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٤٠٩
تيمور ص ١٨٠ ، يحيى بن الحسين : ابناء الزمن من تاريخ اليمن - مخطوط =

الحروب ضد الصليحيين والمنازعات بين أفراد الأسرة الحاكمة ، ثم توالى على حكمها ملوك ضعاف ، لا يملكون من رسوم الملك سوى ذكر أسمائهم في الخطبة بعد الخليفة العباسي ، ونقش الاسكة ، والركوب بالمظلة في المناسبات . أما الأمر والنهي والتدبير فقد استأثر به عبيدهم الذين قاموا بأمر الوزارة لهم^(١) إلى أن سقطت دولتهم سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م .

أما المرحلة الثالثة ، فتبدأ بظهور علي بن مهدي وتأسيس دولته^(٢) على

= بدار الكتب المصرية رقم ١٢٤٧ تاريخ ص ٥٢ ، الشرفي ، احمد بن محمد بن صلاح : الآلي المضية في أخبار أئمة الزيدية - مخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء رقم ١٠٨ - ج ٢ ورقة رقم ١٣١ العرشي - بلوغ المرام ص ٢٩ ، الواسعي : تاريخ اليمن ص ١٦٦ ، حسين الهمداني وحسن سليمان محمود : الصليحيون ص ٢٣٩ .

(١) عهد عبد العال أحمد : دولة بني أيوب في اليمن ص ٢٦ وما بعدها .
 (٢) انظر ، عمارة : تاريخ اليمن ص ٩٢ ، ابن سمرة : طبقات قهسب اليمن ص ١٨٧ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ورقة ٤٢ ، ابن الوردى ، عمر بن المظفر : تاريخ ابن الوردى - القاهرة ١٢٨٥ هـ - ج ٢ ص ٦١ ، ابن رسول : الملك الأفضل عباس : نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٥١ تاريخ ، الخزرجي : المسجد ص ١٤٦ ، العقد الفاخر الحسن ج ٢ لوحة ٥٥ ب ، القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩ ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام باليمن الميمون من الملوك الكبار والدعاة الأخيار ، مخطوط بمكتبة أحد علماء حراز باليمن ص ٩ ، ابن الديبع ، أبو عبد الله عبد الرحمن بن علي : بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد مخطوط مصهور رقم ١١١ تاريخ بدار الكتب المصرية ، =

أقراض دولة بني نجاح سنة ٥٥٤هـ / ١١٥٩م وكان ابن مهدي يشكل خطرا كبيرا على أهل السنة والشيعة على حد سواء بحيث فشلت دولتي بني زريع وبني حاتم الشيعيتين ، كذلك الامام الزيدي احمد بن سليمان في الوقوف أمام مطامعه . وأدى ذلك الصراع المستمر إلى انتشار الفوضى وعدم الاستقرار ، وانقسمت البلاد إلى أجزاء متناحرة مرة أخرى ، وتقطعت أوصالها ، وفقدت وحدتها السياسية تماما (١) . فكانت منطقة تهامة المطلة على البحر الأحمر تشغلها دولتان ، واحدة في المخلاف السلياني في الشمال وهي تحت حكم الأشراف من بني سليمان ، والثانية دولة بني مهدي في زيد وتمتد إلى حدود مدينة حرص شمالا . أما منطقة تهامة المطلة على المحيط الهندي فكانت تحت حكم بني زريع . أما منطقة جبال اليمن ، فقام بها عدد من الدويلات ، فبلاد الجريب وما إليها من بلاد الشرف - وهي منطقة مطلة على تهامة - فكانت تابعة لأولاد عمر بن شرجيل . أما ذمار وما إليها - جنوب صنعاء - فلقبائل جنب ، في حين كان بنو حاتم يحكمون صنعاء وأعمالها ، وكانت شهارة - فيما بين صنعاء وصعدة - لبني القاسم بن علي العياني . وفي أقصى جبال اليمن شمالا كانت صعدة وأعمالها وهي للأشراف الزيدية وأولاد

= ورقة ٩ « أ » ، باخرمة : أبو محمد الطيب بن عبد الله : قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٦٧ تاريخ . ج ٢ ص ٧٥٥ ، العبدلي ، أحمد فضل بن علي : هدية الزمن في أخبار ملوك الحبح وعدن - القاهرة سنة ١٣٥١ هـ ، ص ٦٣ ، العقيلي ، محمد بن أحمد عيسى ، المخلاف السلياني - الرياض سنة ١٣٧٨ هـ -- ج ١ ص ٦١ ،

Derenbourg (H.), Omara du Yémen, Sa vie et son Oeuvre, Paris 1897-1902, vol. 2, p. 566;

(١) محمد عبد العال احمد : دولة بني أيوب في اليمن ص ٣٥ وما بعدها .

الإمام أحمد بن سليمان . أما بلاد الجوف ، والهضبة الشرقية فكانت للسلطين آل الدعام (١) .

ثم تبدأ المرحلة الرابعة والأخيرة من مراحل الصراع المذهبي والسياسي من الفتح الأيوبي لليمن على يد تورانشاه بن أيوب ٥٠٩ / ١١٧٤ م ، حيث تم القضاء على الدويلات المتصارعة في اليمن، وتوحدت البلاد تحت الحكم الأيوبي (٢) بعد طرد انقسام وشقاق .

ومع الفتح الأيوبي لليمن ، كانت الدعوة الاسماعيليه قد ضعفت ، وقل نشاط القائمين عليها نتيجة لصراع ابن مهدي مع أتباعها . فلما استولى الأيوبيون على اليمن وقضوا على دولتي بني ذريع (٢) وبني حاتم الإسماعيليين، تحول أتباع الدعوة إلى الدرية حفاظا عليها .

أما الزيدية ، فكانوا قد أخذوا إلى السكينة بعد وفاة إمامهم أحمد بن سليمان سنة ٥٦٦ هـ / سنة ١١٧١ م واستمر أتباع المذهب الزيدي بغير إمام،

(١) يحيى بن الحسين: أنباء الزمن ص ٥٣، زيارة: أئمة اليمن ج ١ ص ١٠٨ .

(٢) انظر. محمد عبد العال أحمد: دولة بني أيوب في اليمن ص ٤٩ وما بعدها،

Scott : In the High Yemen p. 226. Kay : Yaman, Introduction, p. VII, Derenbourg : Oumara Du Yemen, vol. 2, p. 548, Arnold (T.W.) ; The Caliphate, Oxford, 1924, p. 85. Marin(M.): Histoire De Saladin, Sulthan D,Egypte et Syrie, Tome, I, p. 221. Lane-Poole (St.): A History of Egypt. London, 1936. p. 197, The Mohammadan Dynasties, p, 74, Saladin and Fall of the Kingdom of Jerusalem, London, 1898, p. 124.

Lane-Poole : The Mohammadan Dynasties, p. 97. (٣)

ودون أن يصطدموا بالقوى الأيوبية إلى سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م عندما قام
بإمامتهم الإمام عبد الله بن حمزة (١) .

ومن الجدير بالذكر ، أنه على الرغم من القضاء على الدويلات السنية في
اليمن قبيل الفتح الأيوبي ، فقد ظل السواد الأعظم من شعب اليمن متمسكا
بالمذاهب السنية ، التي ظلت سائدة معظم أرجاء اليمن طيلة حكم الأيوبيين
وما بعده ، باعتبارها مذهب الدولة الرسمي . وهذا ما كان صلاح الدين
يعمل على تأكيده في جميع أنحاء دولته ، كما كان القضاء على المذاهب الشيعية
من أهم أسباب استيلائه على اليمن ، إلى جانب ما حققه ذلك من تخليص
اليمنيين من حكمهم الطغاة أمثال ابن مهدي ، وتوحيد البلاد ، ووضع حد
للمصراعات الداخلية ، بالإضافة إلى عامل آخر في غاية الأهمية ، وأغنى به
تأمين الحدود الجنوبية لدولة صلاح الدين ، وإحكام السيطرة على البحر
الأحمر .

ولما استكمل توران شاه فتح بلاد اليمن ، وأقر الأمور فيها ، أناب فيها
نوابا له ، ثم غادرها - بعد أن أصبحت عملا له (٢) - متوجها إلى الشام لمعاونة
أخيه صلاح الدين ، وظل نوابه يرسلون له ما يجهلون من أموال . فلما توفي
سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م استأثر نوابه بالسلطة ، وطمع كل منهم في
الاستحواذ على ملك البلاد (٣) . وأمام الموقف المتأزم في اليمن واضطراب

(١) محمد عبد العال احمد : دولة بني أيوب في اليمن ص ٣٥ .

(٢) العرشى : بلوغ المرام ص ٤١ ، الواسعي : تاريخ اليمن ص ١٨١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل - ١١ ص ٢١٢ ، أبو الفدا : المختصر في أخبار -

الأمر فيها ، واستمرار الفتن بين نواب تورانشاه ، خشى صلاح الدين أن تخرج البلاد عن السيطرة الأيوبية (١) . فمقد العزم على إعادة الأمور إلى نصابها ، ووضع حد للاضطرابات والفوضى ، ولهذا جهز حملة تأديبية لليمن بقيادة مملوكه صائم الدين خطيبا والى القاهرة (٢) مستهدفا استعادة السيطرة الأيوبية على البلاد ، وإصلاح ما اختل من الأمور فيها (٣) .

البشر - الأستانة سنة ١٢٨٦ هـ - ٣ ص ٦٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢١٩٥ تاريخ - ١٣ ص ١٥ ، الخزرجي المسجد ص ١٨٦ ، طراز الزمن في طبقات أعيان اليمن - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢٩٥٧ تاريخ - ٢ ص ٤٥٥ ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية - القاهرة سنة ١٩١١ - ١ ص ٢٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ص ٥ ص ٢٩ ، العامري : غربال الزمان في زفيات الاعيان - مخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء - ص ١٧١ ب ، الشرفي : اللآلي المضية ص ٢ ص ١٣٢ ب يحيى بن الحسين : انباء الزمن ص ٥٠ .

(١) ابن الأثير: نفس المصدر والجزء ، ص ٢١٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، نشر الشيبان ١٩٥٣ - ١٩٦٠ - ٢ ص ١٠٤ .
(٢) ابن أبيك الدوادارى ، أبو بكر بن عبد الله : درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان - مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ٣٨٢٨ ج - حوادث سنة ٥٧٧ هـ ، المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك - نشر الدكتور زيادة ، الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦ - ١ ص ٦٤ ، ص ٧٢ .

(٣) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين - القاهرة سنة ١٢٨٧ هـ ص ٢ ص ٢٥ ، ابن أبيك الدوادارى : كنز الدرر وجامع الفرر - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٧٨ تاريخ ص ٧ ص ٥١ .

والحقيقة أنه على الرغم من بعد بلاد اليمن عن مسرح الصراع الأيوبي ، إلا أن أهميتها ظهرت بجملة عندما تعرض البحر الأحمر لحملة أرناط (٤) ، تلك الحملة التي لو قدر لها النجاح لكان قد ترتب عليها نتائج خطيرة . وكان من المأمول أن تصمدى القوة الأيوبية المرابطة في اليمن لتلك الحملة ، غير أن المخالفات بين نواب تورانشاه لم تلبث أن نشبت من جديد بعد وفاة خطبها . ولم تجسد تلك القوات القيادة الرشيدة القيام بأعباء المواجهة لحملة أرناط ، ولهذا أسرع الملك العادل أبو بكر - أخو صلاح الدين - وأرسل حملة

(١) عن حملة أرناط ، انظر ، ابن جبير : رحلة ابن جبير - تحقيق حسين نصار ، القاهرة سنة ١٩٥٥ ص ١٢٦ ، ابن الأثير : الكامل ١١ ص ٣٢٦ ، أبو شامة : الروضتين ٢ ص ٣٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٢ ص ١٢٧ ، ابن خلدون : العبر ٥ ص ٢٩٩ ؛ المقرئ : السلوك ١ ص ٧٨ ، المخطط ٤ ص ١٢٩ ، نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين - القاهرة سنة ١٩٥٧ - ص ١٤٠ ، السيد الباز العربى : مصر فى عصر الأيوبيين - القاهرة سنة ١٩٦٠ - ص ٦٩ ، جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية - القاهرة ١٩٦٧ - ص ٢ ص ٥٨ .

Lane-Poole: Saladin, p. 125, Wiet (G.) : Histoire de la Nation Egyptienne (L'Egypte Arabe), Paris 1926, vol IV. p. 332, Kammerer : La Mer Rouge, La Caire 19٠9, Tome I, p. 60, Lamb (H.): The Crusades, The Flame of Islam, London, 1931, p. 59 Fuller (J.F.C.) : Decisive Battles. Their influence upon history & civilization, London, 1950, part I, p. 234, De Gaury (G.): Rulers of Mecca, London, 1951, p 69, Reinaud ; Extraits des Historiens Arabes Ralatifs aux Guerres de Croisades, p. 178a

بحرية ، تمكنت من تحطيم قوة أرناط في شوال سنة ٥٧٨ هـ / فبراير سنة ١١٨٣ م (١) .

وهكذا كانت حملة أرناط درساً استفاد منه صلاح الدين ، إذ تأكده أهمية الدور الذي كان من الممكن أن تلعبه القوات الأيوبية المرابطة في اليمن في مثل تلك الظروف، لو أنها كانت تحت قيادة وسيطرة شخصية قوية . ولهذا جهز حملة جديدة بقيادة أخيه الملك العزيز سيف الاسلام طغتكين سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ليتولى أمر السلطنة ببلاد اليمن ، ويحمي الحدود الجنوبية للبحر الأحمر . واستطاع طغتكين السيطرة على البلاد ، والقضاء على نفوذ نواب أخيه تورانشاه . ولم تقف جهوده على مجرد استرجاع السيادة الأيوبية على المناطق التي كانت تابعة للأيوبيين ، بل تعدت ذلك إلى فتح مناطق أخرى لم يكن قد فتحها الأيوبيون بعد (٢) . فأصبح طغتكين سيد البلاد بلا منازع ، وأطاعه جميع أهل اليمن ، وساد الأمن والاستقرار ربوع البلاد في عهده ، فكانت فترة حكمه من أزهى فترات الحكم الأيوبي لليمن .

وما يذكر أن الانصالات كانت مستمرة بين صلاح الدين وسلطين الأيوبيين في اليمن أثناء حياته ، ولكن الوضع اختلف بعد وفاته سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م حيث انقطعت الامدادات إليهم ، وتحمل الأيوبيون في

(١) أبو شامة . الروضتين ج ٢ ص ٣٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٢٩ ، سعيد عبدالفتاح عاشور : الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٦٤ .

(٢) ابن عبد المجيد . هجرة الزمن لوحة ٥٨ ب

اليمن عبء الاعتماد على أنفسهم بعد ذلك (١). وقد ظهر ذلك واضحا عندما اختلت الأمور بعد وفاة طغتكين سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٧ م ، وانحراف خلقه المعز إسماعيل بن طغتكين ، وخروجه على المذهب السني ، وإساءته إلى الخلافة العباسية ، وانتسابه إلى بني أمية وادماؤه للخلافة . ولم يتحرك الملك العادل ، بل اكتفى بمجرد رسالة توبيخ أرسلها إليه (٢) ، ولم يعمل على إجباره على التخلي عن أفكاره ، ولم يقم بتدعيم الجيش الأيوبي بها بأية إمدادات عندما تعرض الانقسام نتيجة تصرفات المعز وإساءته إلى كبار قادة الأجناد ، مما أدى إلى تعرض الوجود الأيوبي في اليمن لخطر محقق ، وخاصة بعد انضمام المنشقين منهم إلى الامام الزيدى عبد الله بن حمزة والتعاون معه ضد المعز إسماعيل (٣) . واستمر توقف الاتصالات بعد مقتل المعز سنة ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م ، رغم أن الأمور كانت تسير من سيء إلى أسوأ في عهد خلفه الناصر أيوب بن طغتكين الذي مات مسموما سنة

(١) محمد عبد العال أحمد : دولة بني أيوب في اليمن ص ٢٤٨ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، القاهرة ١٣٤٨ هـ ، ج ١٢ ص ١٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٣١٩٧ تاريخ ، مصور عن نسخة فينا ، ج ٨ ص ٩٢ - ٩٣ ، العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ عن نسخة الأستانة ، مجلد ٥٢ ص ٢١٦ .

(٣) المحلى ، حميد بن أحمد : الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٨٧٥ تاريخ ، ج ٢ ص ٣٥١ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١١٣ .

١٢١٤/٥٦١١ م بتدبير من وزيره بدر الدين غازي بن جبريل^(١)، وبوفاته خلت اليمن من العناصر العبالحة للسلطنة من أسرة بني أيوب، فقامت أم الملك الناصر أيوب بأمر الملك إلى أن تم التعرف على سليمان بن شاهنشاه بن تقي الدين عمر الأيوبي، الذي لم تكف أم الناصر تتأكد من صحة نسبه إلى الأسرة الأيوبية حتى نصبتة سلطاناً سنة ١٢١٤/٥٦١١ م، ولكنه أساء السيرة، فزادت الأحوال في عهده سوءاً، وقامت حركات العصيان ضده، وانتشرت الفوضى، وعمت جميع أرجاء البلاد^(٢). وأمام الانهيار الكبير الذي هدد بخروج اليمن عن السيطرة الأيوبية، واستجابة لطلب الخليفة العباسي الناصر أحمد بن المستنصر، جهز الملك الكامل محمد بن العادل ابنه المسعود يوسف في حملة سنة ١٢١٢/٥٦١٢ م إلى بلاد اليمن لاقرار الأمور فيها^(٣) واستمر حكم

(١) الخزرجي: المسجد ص ٢١١، طراز الزمن ج ١ ص ٤١٥، العقيد الفاخر الحسن ج ٢ لوحة ٧٦، د.أ.، باخرمة: قلادة النحر ج ٣ ص ٧٢٠، تاريخ نعر عدن ج ٢ ص ٢٤، الشرفي: اللاتالي المضية ج ٢ ص ١٣٤، د.أ. .
 (٢) محمد عبد العال احمد: دولة بني أيوب في اليمن ص ١٩٨ وما بعدها .
 (٣) ابن واصل: مفرج الكروب ج ٣ ص ١٣٩، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ١٠٨، ابن الوردي: تاريخه ج ٢ ص ١٢٠، الجنبلي: شفاه القلوب في مناقب بني أيوب، مخطوط بالمتحف البريطاني رقم ٧٣١١ إضافات، مصور بالميكروفيلم بمعد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٣، لوحة ١١٤، ابن مظفر، محمد بن أحمد بن حمزة: الترجمان المفتوح لثمرات كنهائم البستان، مخطوط ملك القاضي حسين السياغي من علماء صنعاء، الجنداري، صفى الدين أحمد بن عبد الله: الجامع الوجيز في وفيات العلماء، أولى التبريز، مخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، لوحة ٧٤.

المسعود لبلاد اليمن حتى وفاته سنة ١١٢٦ هـ / ١٢٢٩ م ، فكان آخر ملوك بني أيوب في اليمن (١) .

وصفوة القول أن الحكم الأيوبي المباشر لليمن استمر قرابة الستة والخمسين عاما (٥٦٩ - ١١٢٦ هـ / ١١٧٤ - ١٢٢٩ م) شغل الأيوبيون خلالها بحروب تكاد تكون مستمرة ، فمنها ما كان يستهدف الفتح أو استكمالها ، أو القضاء على الفتن والحركات الداخلية المعادية ، ومنها ما كان ناتجا عن سوء سياسة بعض السلاطين ، وما تبع ذلك من انقسام في صفوف القوى الأيوبية ، مما أدى إلى انضمام الكثير من قادة الأيوبيين بجندهم للعمل في صفوف الامام الزيدي ، وما ترتب على ذلك من تهديد بزوال الوجود الأيوبي في اليمن ، كما حدث منذ بداية عهد المعز اسماعيل بن طغتكين (٢) . أضف إلى ذلك تلك الحملات التفتقدية والتقليدية التي كثيرا ما كانت تأخذ الصيغة الدورية أو المستمرة .

وانت بعد الملك المسعود الأمل من جديد في حياة مستقرة باليمن ، إذ قام بعدة حملات أسفرت عن استقرار الأراضاع في البلاد . ولم يكتف بمجرد السيطرة على بلاد اليمن بحسب بل ضم مكة إلى سيطرته . وبلغ من درجة اطمئنانه أن كان يتردد على مصر لزيارة أبيه الملك الكامل ، كلما سمحت الظروف بذلك ، وهو أمر لم يسبق لغيره من سلاطين الأيوبيين في اليمن القيام به .

(١) محمد حسن : قلب اليمن ، بغداد سنة ١٩٤٧ ص ٣٨ ، محمد عبد العال أحمد : دولة بني أيوب في اليمن ص ٢٣٣ .
(٢) انظر ، دولة بني أيوب في اليمن ، ص ١٢٠ وما بعدها .

وكان الملك المسعود يعتمد على أبناء رسول كلما توجه إلى مصر ، فكانوا يتولون حكم البلاد نيابة عنه ، فبزغ نجمهم في عهده ، وقاموا بأعمال بطولية أثناء غيابه ، مما أوغر صدور حسادهم حقدا عليهم ، فوشوا بهم إلى الملك المسعود ، واتهموه بالعمل على الاستقلال بالبلاد . فقام الملك المسعود بالقبض على أبناء علي بن رسول وأرسلهم جميعا إلى مصر خوفا على الملك منهم ، فيما عدا نور الدين عمر الذي شفعت له مكانته عند الملك المسعود فتركه وقربه ، وأتابه عنه عندما توجه إلى مصر في المرة الأخيرة ١٢٢٩/٥٦٢٦ م بحيث توفي الملك المسعود في مكة . واستمر نور الدين عمر بن علي بن رسول تابعا عن الأيوبيين في اليمن ، وأخذ منذ تلك اللحظة يهد الطريق للاستيلاء على البلاد ، حتى نجحت جهوده وأعلن استقلاله بملك اليمن سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م .

الفصل الأول

قيام دولة بني رسول على عهد مؤسسها نور الدين عمر بن رسول

ورث بنو رسول ملك اليمن عن الأيوبيين ، فكانوا نوابهم عليها في عهد الملك المسعود يوسف بن الكامل آخر سلاطين الأيوبيين في اليمن . وكان الملك المسعود قد استناب عنه نور الدين عمر بن علي بن رسول في حكم اليمن ، عندما عزم على التوجه لزيارة أبيه في مصر سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م ولكنه توفي أثناء توقفه في مكة ودفن بها . فلما علم نور الدين ، خشي أن ينتدب الملك الكامل نائبا آخر بدله ، فسعى جاهدا لإثبات ولائه للملك الكامل ، حتى استطاع أن يحظى في النهاية بثقته ، وأن يستمر نائبا له في حكم اليمن . فلما تحقق له ذلك ، عمل منذ تلك اللحظة على التمهيد للسيطرة على البلاد ، واستمر يعدل تدريجيا لتحقيق استقلاله بحكمها ، حتى تكلفت جهوده في النهاية بالنجاح ، فخلع طاعة بني أيوب في مصر ، واستقل بحكم اليمن سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م أي بعد مضي عامين فقط من وفاة المسعود يوسف .

١ - محاولات إسباغ الصفة الشرعية على حكم بني رسول :

رأى بنو رسول أنه لا بد من العمل على إسباغ الصفة الشرعية على حكمهم

لببلاد اليمن ضامنا لاستمراره . وقد أورد بعض مؤرخي اليمن عددا من الروايات ، نقلها عنهم غيرهم ، منها ما يتعلق بنسب بنى رسول وإرجاعهم إلى أصل يمني ، ومنها ما هو منسوب إلى بعض الصالحين وتضمن التبشير بقيام دولتهم في اليمن ، وثالث تلك الروايات ما سبب إلى الملك المسعود نفسه ، مما يعتبر تنازلا منه عن حكم اليمن لنور الدين عمر بن علي بن رسول وأخيراً ما يتعلق بالحصول على اعتراف الخليفة العباسي بقيام نور الدين بملك اليمن .

وبهذا يكون بنو رسول قد استندوا في قيام دولتهم على أصلهم اليمني باعتبارهم من أهل البلاد وليسوا أجانب عنها كالأيوبيين . كما استندوا على تنبؤات بعض الصالحين من أهل اليمن بقيام دولتهم ، وعلى أنهم لم يغتصبوا الحكم من الأيوبيين لأن ذلك آل إليهم بعد أن تنازل الملك المسعود عنه لأولهم قبل وفاته . وأخيراً يستند بنو رسول على اعتراف الخلافة العباسية استكمالاً للصفة الشرعية، باعتباره ضرورة من ضرورات العصر، يستند إلى حق ثابت لهم.

أولاً :- مشكلة انتحال بنى رسول للنسب اليمني :

ينتسب نور الدين عمر بن علي - مؤسس دولة بنى رسول - إلى جده وضول ، وهو مجد بن هارون بن أبي الفتح بن يوحى بن رستم الغساني الجفني المنجكي التركماني ، من نسل جبلة بن الأيهم^(١) .

(١) هو جبلة بن الأيهم الغساني الذي يرتفع نسبه إلى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . (عن نسب بنى رسول انظر ، الجندي : السلوك ص ٤٥٧ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ١٠١ (أ) ، الذهبي : سير =

وإذا كان من الثابت في المصادر اليمنية أن علي بن رسول وأولاده قد توجهوا إلى اليمن صحبة الأيوبيين ، فقد كان لزاما على تلك المصادر أن توضح كيفية هجرة أجدادهم الأول من اليمن ، إذا كانوا يرجعون فعلا إلى أصل يمني ، مع إيجاد التفسير المنقح لهم- نسبتهم إلى التركان ، ومع أن المصادر السابقة على الخزرجي قد اكتفت بنسبة بني رسول إلى جيلة بن الأيهم -

= أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٢٦٣ ، الأفضل الرسولى : العطايا السنية والمواهب
الهنية في المناقب اليمنية - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٥١ تاريخ -
ص ٣٠ ب ، نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون - مخطوط بدار الكتب
المصرية رقم ٣٥١ تاريخ ص ٢٧١ ب ، الأشرف الرسولى : طرفة الأصبحاب
في معرفة الأنساب - تحقيق سترستين ، دمشق سنة ١٩٤٩ - ص ١٨ - ٢٨ ،
٣٩ - ٤٢ ، ٨١ - ٩٢ ، الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١ - ٢٨ ،
طراز الزمن ج ٢ ص ٣٧١ ، العاسى : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،
القاهرة ١٩٥٦ ، ج ٥٦ ، ابن الديبع : قرة العيون في أخبار اليمن
الميمون - مخطوط رقم ١٣٥٥ تاريخ بدار الكتب المصرية - ص ٢٦٥ . أما
عن سلسلة نسب جيلة بن الأيهم ، انظر (ابن واضح اليعقوبى : تاريخ ابن
واضح - نشر هوتسا ، ليدن ١٨٨٣ - ج ١ ص ٤ ، الهمدانى : الاكليل ،
الكتاب العاشر ، تحقيق محب الدين الخطيب ١٣٦٨ هـ ، ص ٥ ، التنويرى :
نهاية الأرب - طبعة دار الكتب - ج ٢ ص ٣١١ ، ابن خلدون : العبر ج ٢
ص ٢٥٣ ، الفلقشندى : صبيح الأعشى ج ١ ص ٣١٩ ، فلانند الجمان في
التعريف بقبائل عرب الزمان - نشر الاييارى ١٩٦٣ - ص ٩٤ ، ٩٥ . سعد
زغلول عبد الحميد : في تاريخ العرب قبل الاسلام - بيروت ١٩٧٥ -
ص ٧٠ وما بعدها .

آخر ملوك الغساسنة بالشام (١) - واتهمال هذا النصب إلى سباً (٢) أو عبد شمس بن شجب بن يعرب بن قحطان (٣) ، إلا أن الخزرجي

(١) كان الغساسنة عمالاً للقيصرة على عرب الشام ، ويرجع سبب انتقاهم للشام إلى خوفهم من انهيار سد مأرب فتركوا موطنهم قبل انهيار السد أو بعده ، واستقر بهم المقام ببلاد الشام التي كان على ملكها سليح بن حلوان ابن عمران بن الجان بن قضاعة ، فاستوات غسان على البلاد ، وأخرجت سليحاً منها ، فكان جفنة بن عمرو أول ملوك الغساسنة بالشام . (حمزة بن الحسن الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء - برلين ١٣٤٠ هـ - ص ٧٧ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٠ - ٢١ ، القلقشندي : قلاند الجمان ص ٩٤ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ للعرب في العصر الجاهلي ص ١٩٥ - ١٩٨ ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ العرب ص ٢٠١ - ٢٢٠ .

(٠) قيل أنه سمى سباً لأنه أول من سب السبايا ؛ وكان له من الأولاد حمير وكهلان ، فلما أحس بدنو أجله ، قلد الأول الملك ، وخص الثاني بأمور الحرب ، وأعقب كل منهما بنوه فيما قرر له . ومما يذكر أن عامر بن حارثة الأزدي الكهلاني - المسمى ماء السماء - كان معاصراً للحارث الرائي الحميري الذي نسب إليه الخزرجي قصيدة تذبأ فيها بأشياء كثيرة ، منها تولى بني رسول ملك اليمن . (الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١ - ١٦) .

(٣) الخزرجي : طراز الزمن ج ٢ ص ٣٧١ ، ابن عبد الحميد : بهجة الزمن لوحة ٥١ «أ» ، (يلتقى قحطان وعدنان في جدتهما عابر بن شالخ ، وكان لعابر ولدان ، هما هود وفالغ ، فهود أبو قحطان ، وفالغ أبو عدنان ومن فريته ابراهيم عليه السلام ، ومن ابراهيم بنى اسرائيل وبنى ، عدنان من ذرية اسماعيل) الأشرف الرسولي : طرفة الأصحاب ص ١٠٨ (وبنو =

كان أول من اهتم بذكر كيفية خروج الغساسنة، باعتبارهم أجداد بني رسول - من اليمن، وتزولهم بأرض الشام الجنوبية ، ثم تتبع هجرتهم من بلاد الشام حتى عودة محمد بن هارون (رسول) ، وانضمام ابنته على إلى الأيوبيين ودخوله اليمن صحبتهم ، وذلك دون أن يمدنا الخزرجي بأسماء المصادر التي اعتمد عليها في ذلك .

وذكر الخزرجي (١) أن الغساسنة وغيرهم من قبائل الأزد تركوا بلاد اليمن عند خراب سد مأرب بسيل العرم، وتشدتوا وتبعثت قبائلهم في مناطق متعددة من شبه الجزيرة العربية وتخوم الشام والعراق ، فكانت المنطقة الممتدة من الجولان إلى البلقاء منزلاً للغساسنة بعد تغلبهم على بني سليح بن حلوان المعروفين بالضيجاعم ، فحلوا محل الضيجاعم في خدمة الدولة البيزنطية ، وكان جفنة بن عمرو مزيقياء أول أسراء الغساسنة بالشام ، وتتابع خلفاؤه على حكمها إلى عهد جبلة بن الأيهم - آخر أسرائهم - الذي أدرك الإسلام ودخل فيه . بعد انتصار المسلمين على الروم ومنتصرة العرب في وقعة اليرموك (٢)، ثم حدث ما جعله يرتد عن الإسلام إلى دين النصرانية ، وتوجه

= رسول باعتبارهم من بني جفنة ، أشهر قبائل الأزد - يمتون بصلة القريني لقبائل همدان ، ويتصلون بهم عند مالك بن زيد بن كهلان (الأشرف الرسولي : طرفة الأصحاب ص ٧ و ١٩ و ٢٥ و ٢٩ .

(١) العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٠ - ٢١ ، القلقشندي: قلائد الجمان

ص ٩٤ - ٩٦ .

(٢) حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص ٧٦ ، =

فيمتد وافقه من قومه إلى بلاد الروم . وظل في بلاط هرقل في القسطنطينية في رغد من العيش حتى مات على دين النصرانية في قول ، وقيل بل ندم على ما أقدم عليه ومات على الاسلام (١) .

أما بنو جبلة وقومه، فقد انتقلوا بعد وفاته إلى بلاد التركان ، واستقروا مع قبيلة من أشرف قبائلها ، هي قبيلة منجك واختلطوا بها وتعاملوا لغتها ، واستمروا معها (٢) إلى أن انقطعت أخبارهم عن كثير من الناس ، فنسبهم من لا يعرفهم إلى منجك من التركان (٣) ثم كان دخولهم إلى العراق، واتصال

= المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر - القاهرة ١٩٥٨ - ج ٧ ص ١٠٩ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب في العصر الجاهلي ص ١٩٥ و ١٩٧ ، محمد جمال الدين سرور : قيام الدولة العربية - الطبعة الرابعة ١٩٦٤ - ص ٣٧ و ٣٦ ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية - الطبعة الثالثة ١٩٦٥ - ج ١ ص ٨٩ - ٩٠

EL-KHAZREJIYY (A.H.) , The Pearl - Strings; A History of The Resuliyy Dynasty of Yemen . vol. III, The Annotations , by Sir J. W. Redhouse , p. 2, Note. 5

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٥ - ٢٧ ، القلقشندي .
قلائد الجمان ص ٩٦ .

(٢) EL - Khazrejiyy : op . cit., p . 30 , Note ١65 ,

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٧ ، المسجد ص ٢٢٣ ،
ابن الديبع : قرّة العيون ورقة ٦٥ ب .

رئيسهم محمد بن هارون بخدمة الخليفة العباسي . ويستطرد الخزرجي فيذكر .
 أن محمد بن هارون - جد مؤسس دولة بني رسول - كان رجلا جليل القدر
 عظيم الشأن من بيت شجاعة ورئاسة (١) ، وله وجاهة عند الملوك ، أنس إليه
 الخليفة العباسي ووثق به ، فقربه إليه وأدناه منه ، وسمح له بارتداد مجلسه
 بغير حجاب . وارتفع شأنه عند الخليفة حتى اختصه برسائله إلى الشام ومصر (٢)
 وإلى من يريد من الملوك ، في الأمور السرية التي يخفي تسربها ويحرص على
 كتمان تفاصيلها ، لاسيما الشفوية منها ، ذلك أن الرسائل المكتوبة قد يطلع
 عليها - ولو بعد حين - فيعرف القوم مالا يريد الخليفة نشره . ولهذا كان محمد
 ابن هارون يتحدث بلسان الخليفة وبغير رسالة مكتوبة منه ، ويعود بالجواب
 شفاهة ، اطمئنانا له وثقة بأمانته (٣) .

وهكذا كانت هذه الميزة الرفيعة التي توصل إليها محمد بن هارون عند
 الخليفة، سببا في إطلاق لقب رسول الخليفة ، عليه . فشاع ذلك حتى شهر به
 وطمع على اسمه، فجهله الكثيرون ولم يعد يعرفه باسمه إلا القليل من الناس (٤) .

(١) الخزرجي: العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٧ ، ابن الديبع : قرعة
 العيون ٦٥ ب .

(٢) الخزرجي : نفس المصدر والصفحة . ابن تغرى بردى : النجوم
 الزاهرة = ٨ ص ٢١ .

(٣) الخزرجي : المسجد ص ٢٢٣

(٤) الخزرجي : المسجد ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، العقود ج ١ ص ٢٧ ،
 القاسمي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين - مخطوط بدار الكتب المصرية
 رقم ٨٤٩ تاريخ تيمور - = ٣ ص ٣٩٣ .

ويتضح لنا مما سبق أن المؤرخين اليمنيين قد عملوا على إرجاع نسب بنى رسول إلى أصل يمني، واجتهدوا لاثبات أنهم من نسل جبلة بن الأيهم، الذي يرتفع نسبه إلى قحطان، الذي ينتسب إليه عرب اليمن جميعاً (١). وهؤلاء « الرسوليون » وإن كانوا غرباء قد وفدوا إلى اليمن في صحبة الأيوبيين إلا أنهم ينتسبون إلى إحدى القبائل اليمنية العريقة، مما يكسبهم الصفة الشرعية في حكم بلاد اليمن، باعتبارهم من أبنائها.

مناقشة نسب بنى رسول :

وإذا ما نظرنا الباحث إلى مناقشة ما ذكرته المصادر عن نسب بنى رسول، يتضح أن سلسلة النسب لم ترد كاملة. بمعنى أنها توقفت عند أبي الفتح بن يوحى بن رستم، ثم قفزت طمرة واحدة، قاطعة تسلسل النسب بعده ما يقرب من خمسمائة عام، دون استكمال إلى جبلة بن الأيهم، ثم إلى آخر سلسلة النسب المعروفة في كتب الأنساب إلى آدم عليه السلام. وبملاشك فيه أن وجود تلك الفجوة في سلسلة النسب، يجعل من الصعب تتبعه إلى جبلة بن الأيهم، وفي نفس الوقت يستثير الشك في صحة انتساب بنى رسول إلى القساسة ومن ثم إلى القحطانيين. ولو أن المصادر قد استكملت تلك الفجوة، لكان من السهل متابعة هذا النسب والتأكد من مدى صحته.

وإذا كانت الرواية قد ذكرت أن ابن هارون (رسول) قد شمر بلقب « رسول الخليفة » إلى حد اغفال اسمه الحقيقي، بحيث لم يعد يعرف اسمه

ونسبه إلا القليل من الناس (١) ، فمعنى ذلك أنه كان في الامكان استحصال سلسلة النسب عن طريق هؤلاء الذين كانوا على اتصال وثيق به ، ومن المحتم أنهم كانوا يعرفون اسمه الصحيح ، لنا كدهم من نسب محمد بن هارون ، وأنه من نسل جبلة بن الأيهم الذي مضى على اتصاله بهرقل قيصر الروم - وهجرة أبنائه من بعده إلى بلاد التركمان - ما يقرب من خمسمائة وخمسين عاما إلى بداية العصر الأيوبي ، أو ستائة عام إلى قيام دولة بني رسول .

وإذا وضعنا في الاعتبار أن ذكر النسب قد ورد في مصادر متأخرة ، وأن المصادر المعاصرة لم تذكر شيئا عن نسبهم في ثنايا الأحداث السابقة على قيام الدولة أو بعدها ، لتأكد لنا أن هذا النسب قد تم الاهداد له بعد قيام الدولة ، إذ أن أول ما يقابلنا فيما يتعلق بذلك ما كتبه أحد سلاطين بني رسول أنفسهم - وهو السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول ثالث ملوك بني رسول (ت ٥٦٩٦/١٢٩٧ م) ، حيث ركز في معرض ذكره لانساب العرب في كتابه « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » على نسب أسرته باعتبارهم من نسل جبلة بن الأيهم . وقد نقل عنه غيره من مؤرخي اليمن كالجندي (ت ٧٢٢) وابن عبد المجيد (ت ٧٤٣) والساطان الملك الأفضل (ت ٧٧٨) والخزرجي (ت ٨١٢) ، وقد ورد النسب في كتبهم - فيما عدا الخزرجي - مجملا ، أما الخزرجي فقد زاد على سلسلة النسب بيان خروج أجدادهم - بعد سيل العرم - إلى الشام ثم التسلطية وبلاد التركمان وعودتهم إلى العراق ثم مصر ومنها إلى اليمن ، متتبعا بذلك هجرتهم وعودتهم ، لازالة عوامل الشك في انتسابهم إلى العساسنة ، وإثبات أصلهم اليمني ، ولهذا يعتبر

(١) الخزرجي : المسجد ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، العقود الوأوية ص ١

الخزرجي أول من أعطى هذه التفصيلات بل بلغ من اهتمامه - بالاضافة إلى ما أورده في كتاب « العقود اللؤلؤية » وفي غيره مثل « المسجد المسبوك » - أن أفرد مؤلفا خاصا سماه « المحصول في انتساب بني الرسول » (١) وهو كتاب مفقود .

وعلى ضوء ما سبق ، فإنه من المعتقد أن رواية النسب هذه ملفقة من أساسها - الأمثلة الماثلة في التاريخ كثيرة - أو على الأقل مشكوك في صحتها ، وأنها محاطة بظلال من الشك ، وتحتاج إلى الدليل القاطع على صحتها . ويؤكد ما توصلنا إليه ، أن المؤرخ اليمني بدر الدين محمد بن حاتم صاحب كتاب « السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن » والذي كان معاصرا لسلطان الرسول المظفر يوسف بن نور الدين عمر ثاني سلاطين بني رسول ، ودخل في خدمته ، ذكر في مقدمة كتابه ، أن الدافع له على تأليفه يرجع إلى أنه لما لم يكن أحد قد صرف همه إلى أخبار الغز باليمن وتحليلها في كتاب يتداول إلى آخر الزمن ، أحببت أن أكون السابق إلى ذلك « (٢) ، وقد

(١) ألف الخزرجي كتابه « المحصول في انتساب بني الرسول » شرح فيه قصيدة نسبها للحارث الرائش الحميري الذي عاش في فترة ما قبل خراب سد مأرب ، وتنبأ فيها بما سيكون من الحوادث ، ومنها قيام دولة بني رسول ، وذكر الخزرجي أنه ألف هذا الكتاب لما شهد به من انتسابهم « وقل أن يوجد دليل على صحة نسب أحد من الناس كصحة هذا النسب » .

الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢ - ٦

(٢) ابن حاتم ، بدر الدين محمد : السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن - مخطوط بالمتحف البريطاني رقم ٤١٥٧٥ - إضافات - ورقة ١ (ب) .

محمد عبد العال أحمد : الفتح الأيوبي لليمن ص ١٢٦ .

تناول ابن حاتم في كتابه، تاريخ الأيوبيين في اليمن ومن جاء بعدهم من ملوك بني رسول إلى بداية سلطنة الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول. ثالث سلاطين بني رسول .

ويعتبر كتاب السمط المصدر الأول والأساسي لتاريخ بني رسول في فترة قيام دولتهم واستقرارها، ولم يتعرض ابن حاتم لانتساب بني رسول للفحشاء، بل على العكس فإنه يكون قد أكد نسبتهم إلى الغز، وهم جنس من الترك، منهم السلاجقة^(١). والغز أو الأغز أطلقها دوزي Dozy على الأكراد أيضا^(٢). كما ذكر ابن خلدون أنه باستيلاء الأيوبيين على اليمن، انقرض ملك العرب من اليمن، وصار للغز (الأيوبيين) ومواليهم بني رسول من بعدهم^(٣). وهذا يعني أن بني رسول لا يمتون إلى أصل عربي، وهكذا فإن انتسابهم إلى أصل يمني يقصد به لإثبات أنهم من أبناء اليمن مما يكسبهم الصفة الشرعية في الحكم.

أما فيما يتعلق بمحمد بن هارون (رسول) ومغادرته بلاد التركان دون

(١) القلقشندي: قلائد الجمان ص ٢٨، سعد زغلول عيد الحميد: الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم. بحث بمجلة كلية آداب الاسكندرية، المجلد العاشر ديسمبر سنة ١٩٥٦، ص ١٦.

(٢) انظر مادة (غز) في، Dozy: Supplement aux Dictionnaires Arabes.

(٣) ابن خلدون: تاريخ اليمن، ملحق بكتاب تاريخ اليمن لهارة؛ نشر

سبب معروف إلى العراق، واتصاله في بغداد بخدمة الخليفة العباسي ، فإننا إذا سلمنا جدلا بصحة هذه الرواية نجد أنها قد أغفلت ذكر تاريخ رحيله إلى العراق ، كما لم تصرح باسم الخليفة العباسي المقصود والمدة التي عمل فيها رسولا له، وأسباب وتاريخ تركه خدمة الخليفة - بعدما بلغ هذه المنزلة الكبيرة عنده - وتوجهه إلى الشام ثم إلى مصر .

غير أنه اعتمادا على ما ذكره الخزرجي نقلا عن صاحب السيرة المظفرية^(١)، يتبين لنا أن بني رسول كانوا في مصر في بداية عصر الدولة الأيوبية ، وباستخدام هذه الرواية بشيء من الحذر ، يمكن القول بأن توجه محمد بن هارون من بلاد التركمان إلى العراق تم على وجه التقريب ولأسباب غير معروفة في طليعة النصف الثاني من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) . وعلى هذا يكون الخليفة العباسي المقصود هو المستنجد بالله^(٢) ، وأن مغادرته العراق حدث بعد وفاة الخليفة مباشرة أو قبله لأسباب تتعلق باحتمال عدم احتفاظه بمكانته المرموقة ، أو على أكثر تقدير في عهد خلفه المستضيء ابن المستنجد^(٣) ، وأنه لم يستمر في خدمة هذا الخليفة طويلا ولحق بالشام

(١) الخزرجي : العقود الأثرية ج ١ ص ٢٨ .

(٢) هو الخليفة أبو المظفر يوسف المستنجد بالله بن المعتز (٥٥٥-٥٦٦ هـ) زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي - ترجمة د . زكي محمد حسن وآخرون - القاهرة ١٩٥١ ، ج ١ ص ٤) :

(٣) هو الخليفة المستضيء بأمر الله بن المستنجد (٥٦١ - ٥٧٥ هـ) ،

زامباور: المرجع السابق ج ١ ص ٤ .

ومنها إلى مصر . وربما كان قد قصد خدمة نور الدين محمود بن زنكي فأرسله إلى صلاح الدين في مصر (١) .

ولا يزعم الباحث أنه بهذا التعليل قد توصل إلى لإثبات صحة هذه الرواية، إذ يبق من الضروري تفسير نقطتين هامتين : -

أولاهما ، إيجاد تعليل مناسب لأسباب عدم ذكر محمد بن هارون - اثنا ولقبا - في المصادر التاريخية أو كتب التراجم المعاصرة له ، رغم ما كان يتمتع به من شهرة كبيرة ، ومكانة مرموقة لدى الخليفة ، فالمصادر قد تعودت الإشارة إلى أخبار من هم في مثل مكانته ، وذكرهم بأسمائهم وألقابهم .

أما النقطة الثانية ، فتختص بما ذكر عن توجيه رسولا للخليفة إلى معمر ، وهذا يعني أنه كان قد ترسل إلى الفاطميين ، وهو أمر مستبعد ، لما هو معروف عن العداء المذهبي التقليدي بين الخلافتين .

وعلى هذا نرى أن هذه الرواية يشوبها الشك أيضا ، وتحتاج إلى ما يدعمها لورودها في المصادر اليمينية المتأخرة دون غيرها ، وبغير سند إلى مصادر معاصرة .

وصفوة القول أن ما ذكر حول نسب بني رسول للغساسنة هو محض ادعاء ليس له ما يدعمه ، وأن ذلك قد بدأ نسجه متأخرا بعد قيام الدولة ، وتوجيه من ملوك بني رسول أنفسهم . والمرجح أن ذلك تم في عهد السلطان الملك

المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول - ثاني سلاطين بني رسول (٦٤٧ - ٨٦٩٤) الذي ألفت برسمه السيرة المظفرية - وهي من المخطوطات المفقودة - والتي نقل عنها الخزرجي .

واستنادا إلى كل ما تقدم أرى أن بني رسول لا يمتون إلى أصل عربي ، وأن محاولة المصادر اليمنية المتأخرة نسبتهم إلى الغساسنة يقصد بها اكساب حكمهم الصفة الوطنية . وعلى هذا فإنهم يرجعون إلى أصل تركاني ، وهو العنصر الذي كان يتكون منه ومن الأكراد معظم جيش صلاح الدين ، والذين توجهوا إلى مصر صحبة أسد الدين شيركوه في أواخر عصر الدولة الفاطمية ، أو ضمن الامدادات التي تولت تباعا على صلاح الدين لتدعيم سيطرته على مصر بعد القضاء على الخلافة الفاطمية .

٢ - التنبؤ - بقيام دولة بني رسول :

أما عن الروايات التي وردت بشأن التنبؤ والتبشير بقيام دولة بني رسول ، فهي متعددة ومنسوبة إلى شخصيات متنوعة .

وأول هذه الروايات ما ورد منسوبا إلى الحارث الرائس الحميري (١) .

(١) كان ملك الحارث الرائس لليمن قبل ظهور النبي (صلعم) بنحو ستمائة عام . وكان معاصرا لعاصم بن حارثة الأزدي - جد جفنة بن عمرو ومؤسس دولة الغساسنة بالشام - وقد ذكر الخزرجي أن الحارث الرائس كان محدثا - بفتح الدال المشددة - أي الذي يتحدث بمستقبلات الأيام ، ويتنبأ بما سيقع فيها من الأحداث ، فتثبت الأيام صدق تنبؤاته ، وقد نسب الخزرجي إليه قصيدة تنبأ فيها بمن سيملك اليمن من حمير بعده ، وما كان من تملك الحبشة لها ، =

فقد نسب إليه التنبؤ بظهور بنى رسول الغساسنة وقيام دولتهم في اليمن .
ويستدل على ذلك من بيت في القصيدة يقول فيه :

ويظهر راية المنصور فيهم . . . على خاه إذا نطقوا ولام (١)

والبيت المذكور فيه تصريح - في شطره الأول - باسم للمنصور (نور الدين
عمر بن علي بن رسول) ، وقد خصه بالإشارة والإشارة . أما الشطر الثاني ،
فهو مبهم وغامض ، ولكن يمكن حل رموزه باستخدام حساب الجمل . (الخام)
طبقا لهذا الحساب تساوى ستائة ، أما (اللام) فتساوى ثلاثين فيكون التفسير
أن قيام دولة بنى رسول على يد المنصور (نور الدين عمر) في سنة ٦٣٠ ، وهو
تاريخ استكمال مظاهر استقلاله بملك اليمن وضرب السكة باسمه (٢) .

وثاني هذه الروايات ، ما ذكره الخزرجي منسوبا إلى نور الدين عمر
مؤسس الدولة ، من أن غزيرغا من الجن بشره بالملك (٣) .

== ومن ملك بعدهم إلى ظهور الدعوة المحمدية ، والخلفاء الراشدين والأئمة عليهم
والعباسيين ، وقيام بنى رسول بملك اليمن . وهذه القصيدة هي التي شرحها
الخزرجي في كتابه ، المصنوع في انتساب بنى الرسول ، (الخزرجي : العقود
ج ١ ص ٢ - ٦) .

(١) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٣ ، ٥ .

(٢) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٥ - ٦ .

(٣) قال الخزرجي ، ومما يروى عن نور الدين عمر بن رسول قوله : رأيت
ليلة من الليالي مهوما لمارض عرض لي ، فلما أخذت مضجعي ومضي نحو
من شطار الليل ، سمعت دوا في الهواء ، فرفعت رأسي ، وإذا غزيرت يهرب

وثالث هذه الروايات، ينسبها الخزرجي إلى بعض الصالحين الذين بشروا نور الدين بالسلطنة وأن ملك اليمن سيظل في ذريته إلى آخر الزمان (١) .

ورابع هذه الروايات ، نقلها الخزرجي عن صاحب السيرة المظفرية ، وتتعلق أيضا بالتنبؤ بقيام دولة بنى رسول واستمرارها إلى آخر الدهر (٢) .

= من الشواظ حتى حط نفسه عندي - وهو يلثم وكأنه معصرة من عظمه - فقممت من مضجعي وأخذت اداوة الماء فسكبتها في فيه . فلما اطمان وزال هنر وعه قال ، أسفر وأبشريا أبا الخطاب بالملك من عدن ، إلى عيذاب ، ثم ذهب عنى (الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٤ - ٤٥ المسجد ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ، العقد الفاخر الحسن ج ٢ لوحة ٦٦ د أ ، ، بانخرمة : تاريخ نقر عدن ج ٢ ص ١٧٥) .

(١) ذكر الخزرجي أن ثلاثة من الصالحين توجهوا إلى نور الدين هدر عندما كان أتابكا للمماليك ، فألقى أحدهم السلام عليه ، فرد عليه نور الدين ، ثم سأله الثاني : د أنت الأتابك وغير ذلك ؟ ، فقال ، وما غير ذلك ، فعقب الثالث بقوله : د سلطان اليمن ، وملكها من ذريتك إلى آخر الزمان . (العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٥ ، المسجد ص ٢٢٥ ، العقد الفاخر الحسن ج ٢ لوحة ٦٦ د أ ، ، بانخرمة : تاريخ نقر عدن ج ٢ ص ١٧٥) .

(٢) تتلخص هذه الرواية في أن شيوخين من مشايخ العموية الصالحين رأيا الملك المماليك عند دخوله اليمن بعد عودته من مصر ، وقبل سفره الأخير إليها . فسال أحدهما الآخر عما إذا كان يرى ما يراه ، فاستفسر منه عما يراه ، فقال : د أرى شخصا إن سار ، سار المسكر جميعه ، وإن وقف ، وقف =

وخامس هذه الروايات ، رواها الخزرجي أيضا ، وهي أن رجلا سمع هاتفا من الجن يبشر بزوال ملك الأيوبيين في اليمن (١) .

أما سادس هذه الروايات وآخرها ، فأخوذة عن الشيخ الصالح محمد بن أبي بكر الحكمي صاحب عواجة (٢) من بلاد وادي سهام ، الذي بشر نور الدين عمر بالملك (٣) .

مناقشة الروايات الخاصة بالتنبيه والتنشير بقيام دولة بني رسول : -

ومناقشة هذه الروايات ، نجد أنه بالنسبة لتذوؤ الحارث الراش في التصيدة التي نسبها الخزرجي إليه ، أن هذه التصيدة قد توقفت عند حد التنبيه بملك المنصور (نور الدين عمر) ، وقد ذكر الخزرجي أن التصيدة ربما

=العسكر جميعه ، فقال له لعل ذلك المسعود ، فقال له : بل هو الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ، والملك في عقبه إلى آخر الدهر . (الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٥ ، المسجد ص ٢٢٥) .

(١) انظر الرواية في الخزرجي : العقود ج ١ ص ٤٥ - ٤٦ ، المسجد ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، العقد الفاخر الحسن ج ٢ لوحة ٦٦ ، أ .

(٢) عواجة ، بلدة من بلاد وادي سهام ، تقع إلى الشمال من مدينة الكدراء على خط عرض ١٥° ٥' شمالا وخط طول ٢٠° ٤٣' شرقا تقريبا .

(EL - Khazrejiyy : The Pearl-Strings, vol. III, 3, p. 44, Note 255) .

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٦ ، المسجد ص ٢٢٦ ، ابن الديبع : قررة العيون ورقة ٧٠ ب .

أنها أكثر من هذا، (١) . ويبدو أنه استدرك أن وقوف أحداث الغنوة عند هذا الحد قد يثير الشك حولها . ولو كان للقصيدة بقية لذكرها الخزرجي ، وخاصة إذا ما كانت هذه البقية تتعلق بأحداث تالية لعصر نوزالدين والخزرجي ، مما يساعد على التأكد من صديق هذا القول أو زيفه ، إذا ما قورنت تنبؤاتها بما سيقع من أحداث بعد ذلك . ولكن ورود هذه القصيدة على يد الخزرجي متضمنة أحداث سابقة ، ودون إسنادها إلى مصدر سابق لهذا العصر ، إنما يؤكد أنها من وضع الخزرجي لا شرادة بها .

أما الروايات الأخرى للباقية، فكلها تتعلق بالتبشير بقيام دولة بني رسول، وهذه الروايات جميعها تدخل في عداد الأساطير ، وأم يكن الخزرجي منطقياً فيها ، أو على الأقل لم يعمل على تدعيمها وإسنادها إلى الأصل الذي استقماها منه . ولو كان الخزرجي معاصراً لقيام الدولة لالتسنا له العذر باعتباره من المعاصرين ، ولكنه متأخر عن هذا العصر بأكثر من قرن ونصف قرن . وهذا كله كاف لخلق جو من الشك حول هذه الروايات ، خاصة وأن أحداً من المؤرخين السابقين له لم يذكر من ذلك شيئاً .

وهكذا تكون هذه الروايات - شأنها في ذلك شأن موضوع النسب - قد وضعت في عصر متأخر على يد الخزرجي من أجل إسباغ نوع من الشرعية على حكم بني رسول ، وتأكيده وتدعيم دولتهم فيها .

(١) الخزرجي : العقود المؤلوية > ١ ص ٣ .

٣ — ادعاء تنازل المسعود لنور الدين عمر : —

واستكمالاً لنوعيات الروايات التي قصد منها إيجاد سند شرعي تستند عليه دولة بني رسول التي أولها الخزرجي عنساية خاصة ، فقد ذكر أنه لما استقر رأى المسعود يوسف — آخر سلاطين الأيوبيين في اليمن — على مناديتها إلى دمشق ليتولى عليها بعدما استولى عليها أبوه عقب وفاة صاحبها المعظم عيسى ابن العادل الأيوبي (١) ، استدعى أتابكته نور الدين عمر ، وأبلغه بعزمه على السفر، واستخلفه على نيابة اليمن (٢) ، وعهد إليه بالسلطنة بعد وفاته ، وأوصاه ألا يمكن أحداً من بني أيوب من البلاد (٣) ، وقال له : « فإن مت فأنت أولى

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان — حيدر آباد الهند ١٩٥٤ — ٨٠ ص ٦٥٨ ، النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، مخطوط بدارالكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة، مصور عن نسخة كوبريلي بالآستانة، ٢٧٧ ص ٤١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٣ ص ٤٠٣ ، الفاسي : العقد الثمين ١ ص ١٧٩ ، المقرئزي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، نشر الشيبان ١٩٤٥ ، ص ٧٨ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة سنة ١٩٣٥ ج ٦ ص ٢٧٢ ، الخطيبي : شفاة القلوب في مناقب بني أيوب مخطوط — لوحة ٩٩ د أ .

(٢) أبو القدا : المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ١٤٩ ، المقرئزي : السالك ج ١ ص ٢٣٧ ، باخرمة : تاريخ نغر عدن ج ٢ ص ١٧٥ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧٠ ، الكبيسي : اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مخطوط بدار الكتب رقم ٤١٦٣ تاريخ ، ورقة ٣٩ ب .

(٣) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، القاهرة ١٩٥٦ ، ج ١ ص ٢٣٠ ، النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٧٣ .

بملك اليمن من إخواني ، لأنك خدمتني ، وعرفت منك النصيحة والاجتهاد .
 وإن عشت فأنت على حالك ، وإياك أن تترك أحدا يدخل اليمن من أهلي ،
 ولو جاءك الملك الكامل - والدي - مطويا في كتاب (١) . فإذا ألح عليك
 أعلمتني حتى أجمع أنا وعمي الأشرف عليه ونجاربه ونشغله، (٢) .

ولوصحت رواية الخزرجي لكانت وصية شرعية باستخلاف المسعود
 لنور الدين عمر في حكم اليمن أثناء حياته: ووثيقة بتنازله له عن ملك اليمن ،
 وعهداً له بتقلد عرش السلطنة بعد وفاته، وعلى هذا الأساس يتبرأ نور الدين
 من تهمة اغتصاب ملك اليمن من الأيوبيين .

إلا أن المؤرخ بدر الدين محمد بن حاتم - وهو من أوائل من أرخ لبني
 رسول - ذكر في كتابه (٣) ، أن الملك المسعود لم يعرض نيابة السلطنة على
 نور الدين في بداية الأمر ، وأنه أراد استصحابه معه عندما قرر
 للتوجه إلى دمشق ، وطلب منه الاستعداد للرحيل معه ، ثم عاد
 وعرض عليه البقاء في اليمن نائباً عنه عندما استعفى منها نائب صنعاء
 جسام الدين أولو (٤) ، وبعد أن استعرض أرباب دولته وأعيانها وسائر خواصه ،

(١) الغامى : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٩٤ .

(٢) الخزرجي: العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٠-٤١ ، ابن الديبع: بغية المستفيد
 ورقة ١١ ، أ .

(٣) السمط الغالي الثمن ورقة ٤٢ «أ» .

(٤) أدريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥٢ .

واستقر رأيه على نور الدين ، فاستخلفه على اليمن كله سهله ووعره وبجره وبره : وقال له : « تقف أنت نائبا حتى يصلك أمرنا بتسليم البلاد لمن تعين له ، وتلحقنا بعد ذلك إلى الديار المصرية » (١) .

وهكذا فإن رواية الخزرجي لا تستند إلى مصدر معاصر ، بل على العكس . فإن ما ذكر ابن حاتم يقطع بأن نيابة نور الدين عن المسعود كانت لفترة مؤقتة إلى أن يصله من محل محله ، ثم يهتق بالملك المسعود ، وهذا مما يؤكد ضعف رواية الخزرجي كغيرها مما ذكره عن شرعية دولة بنى رسول .

والخزرجي - ككؤرخ - له مكانته المرموقة بين مؤرخي اليمن ، غير أنه فيما ذهب إليه من محاولات لإثبات شرعية ملك بنى رسول ، قد اختلق هذه الروايات تقربا إلى سلاطين تلك الدولة ، ثم توج محاولاته بما زعمه من تنازل نسبة للملك المسعود ، وهذا الاختلاق يضعف رواياته ويضعه موضع الشك والاتهام ، لعدم تحريبه الدقة فيما يتعلق بهذا الموضوع .

٤ - اعتراف الخليفة العباسي باستقلال نور الدين بملك اليمن : -

كانه نور الدين يتوقع رد فعل مضاد من جانب القوى الأيوبية بمصر بعد خروجه عن طاعتهم واستقلاله بملك اليمن ، خاصة وأن بلاد الحجاز كانت تابعة للأيوبيين (٢) ، وفيها حامية أيوبية كانت تشكل خطرا على دولته

(١) ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ورقة ٤٢ «أ» .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ج ١ ص ١٧٩ .

الناشئة . ولهذا السبب كان من الطبيعي أن يعمل على الحصول على تقليد بالسلطنة من الخليفة العباسي ، باعتبار أن هذا التقليد ضرورة يلجأ إليها السلاطين التابعين للخلافة لاكتساب الصفة الشرعية في حكمهم ، كما أنه بهذا التقليد سوف يجعل من دولته أمرا واقعا وحقيقة ملموسة . أضف إلى ذلك أن نور الدين عمر لم يقنع ببلاد اليمن فقط، بل تطلع إلى ضم بلاد الحجاز كذلك (١) ، مما يكسبه احترام العالم الإسلامي ، باعتباره حاميا حمى الحرمين الشريفين ، كما أنه يجعل من بلاد الحجاز حصنا أماميا ، تتوقف عنده الحملات الأيوبية وتعوق سيرها إلى اليمن ، ولهذا لم ينتظر نور الدين حتى تدهمه القوات الأيوبية . بل أسرع - بعد أن علم بأن الملك الكامل قد جرد حملة سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣٢ م إلى مكة تمهيدا لاسترداد اليمن (٢) - بإرسال جيش لمحاصرة الحامية وتطويق القوة الأيوبية بمكة (٣) ، مما اضطرها إلى التوجه إلى يفيج للاحتباء بها (٤) ، واستولت قوات نور الدين على مكة ، وتوالت

(١) باخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٧٨ .

(٢) ابن حاتم : السمط لوحة ٤٣ «أ» ، ابن الفوطى : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، بغداد سنة ١٣٤١ هـ ، ابن الظهيرة : الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، الطبعة الثانية ١٩٣٨ ، ص ٣١١ .

(٣) ابن حاتم : السمط لوحة ٤٣ «أ» ، الخزرجي : العقود الأثرية ج ١ ص ٤٩ ، القاسمي : العقد الثمين ج ١ ص ١٧٩ ، ج ٣ ص ٣٩٥ .

(٤) الخزرجي : المسجد ص ٢٢٨ ، المقرئى : السلوك ج ١ ص ٢٤٤ .

الحملات من الجانبين (١) ، فقارة يستولي عليها وأخرى يستردها الأيوبيون منه (٢) .

وفي سنة ١٢٣٤/٥٦٣١م أرسل نور الدين هدية عظيمة (٣) مع رسول من أتباعه يقال له الشعموري (٤) إلى بغداد لطلب تشريف بالنيابة وتقليد بالسلطنة من الخليفة العباسي المستنصر بن الظاهر (٥) . وماد الشعموري بوعد بإرسال المطلوب في موسم الحج صحبة الحاج العراقي إلى عرفات (٦) . ولهذا توجه نور الدين لأداء فريضة الحج واستقبال التشريف والتقليد (٧) ، ولكنه

(١) ابن تفرى بردى : حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، نشر Popper ، كاليفورنيا ١٩٣٠ - ١٩٣١ ص ٣٧٥ .

(٢) الكبسي : اللطائف السنية ص ٣٩ ب ، العرشى : بلوغ المرام ص ٤٤ ، De Gauzy (Gerald) : Rulers of Mecca, London, 1951, pp. 81-89.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٥٤ ، المسجد ص ٢٢٩ ، ابن الديبع : قرة العيون ورقة ٦٦ ب .

(٤) ابن حاتم : السمط ورقة ٤٣ ب .

(٥) الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ج ٢ ورقة ٦٦ ب ، القامى : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٩٥ ، ابن تفرى بردى : حوادث الدهور ص ٣٧٥ ، يحيى ابن الحسين : انباء الزمن ص ٧١ .

(٦) الخزرجي . العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٥٤ ، المسجد ص ١٢٩ ، ابن الديبع : قرة العيون ورقة ٦٦ ب .

(٧) ابن حاتم : السمط ورقة ٤٣ ب ، الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ج ٢ ص ٦٦ ب .

عاد إلى اليمن بعد أداء الفريضة لعدم وصول ركب الحاج العراقي في ذلك العام (١) .

وفي سنة ٨٦٢٢ / ١٢٣٥ م وصل ركب الحاج العراقي بكسوة الكعبة إلى مكة (٢) ، وفي صحبتهم رسول من الحسينيين يسمى مهنا (٣) حاملاً لرسالة من الخليفة إلى سلطان اليمن لا بلاغه أن التشریف والتقليد في طريقهما مع رسول آخر إليه عن طريق البحر من البصرة (٤) . ووصل الرسولان إلى اليمن في وقت واحد (٥) وتقابلا في مدينة الجند حيث كان نور الدين موجوداً آنذاك وتمت مراسم التقليد في مسجدها ، حيث ارتقى رسول الخليفة - ويدعى معالي - المنبر ، وقال : «يا نور الدين ، إن العزيز يقرئك السلام ، ويقول : قد تصدقت عليك ، ووليتك إياه ، وألبسه الخلعة الشريفة على المنبر (٦) .

(١) كان العربان قد قطعوا الطريق وكسبوا الآبار فاشتغلوا بإصلاحها مما فوت عليهم الحج واضطروا للعودة (ابن حاتم : السمط ورقعة ٤٣ ب ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٥٤ ، المسجد ص ٢٢٩ ، ابن الديبع : قرعة العيون ورقة ٦٦ ب .

(٢) الخزرجي : المسجد ص ٢٢٩ ، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٥٤ .

(٣) ابن حاتم : السمط لوحة ٤٣ ب .

(٤) الخزرجي : المسجد ص ٢٢٩ ، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٥٥ ، العقد الفاضل الحسن ج ٢ لوحة ٦٦ ب ، باخرمة : تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٧٦ .

(٥) ابن حاتم : السمط لوحة ٤٣ ب ، ٤٤ دأ .

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٥٥ ، الفاسي : العقد الثمين

وهكذا استكمل نور الدين مظاهر استقلاله بحكم اليمن تحت السيادة العباسية ، وبتقليد من الخليفة فاكتمسب الصفة الشرعية في ملكه على البلاد ، دون باقى الروايات الأسطورية الأخرى ، السابق تنفيذها ، والتي كانت تستهدف تأكيد حكمه الوطنى ، باعتباره من أصل يمنى ، واكتساب الصفة الشرعية لتنبؤ القدماء بملكه ، وتبشير المعاصرين بدولته .

ثانياً — ظهور بنى رسول على مسرح الأحداث اليمنية قبيل قيام دولتهم : —

١ — أولوية بنى رسول فى اليمن :

من الثابت أن بنى رسول قد توجهوا إلى بلاد اليمن فى صحبة الأيوبيين ، بدليل اشتراك والدهم شمس الدين أبو الحسن على بن رسول فى إحدى الحملات الأيوبية المتوجهة إلى تلك البلاد ، وصحب معه أولاده الأربعة ، بدر الدين الحسن — أكبرهم — وشرف الدين موسى ، وفخر الدين أبو بكر ، ونور الدين عمر وهو أصغرهم .

أما عن تاريخ وصولهم إلى اليمن ، فقد اختلف فى تحديده ، فقد ذكر الحزرجى نقلًا عن صاحب السيرة المظفرية قوله ، أنه لما استوثق الملك لبنى أيوب فى مصر لم يزل معهم عصبة من بنى رسول لعلمهم بتقدم منصبهم فى الملك ، وعلو همتهم وشدة بسالتهم وثبوت آرائهم ، فاجتمع رأى بنى أيوب على أن يسلموا إليهم اليمن . فقال ذو رأيهم : إذأ يستقون بها عليكم وينازعونكم فى الشام . فاجمع رأيهم على تسييرهم إلى اليمن صحبة الملك المعظم نورانشاه بن أيوب ، فخرجوا صحبته بعد أن استحلظهم له أخوه الملك الناصر (صلاح الدين) يوسف بن أيوب ، وأوصاهم بحسن صحبته والنصح

في مسيرته وخدمته ، (١) .

وإذا كان بنو رسول قد بلغوا هذا القدر من المكانة والشهرة إلى حد أن صلاح الدين خشي منهم على دولته ، فيعدل عن فكرة إسناد إمرة الفتح إليهم ، ويسيرهم صحبة تورانشاه ، ويوصيهم به خيرا ، مع ما عرف عن تورانشاه من المكانة الكبيرة والخبرة الواسعة والقدرة الحربية الفائقة ، فإن عدم اعتماد تورانشاه عليهم ، وسكوت المصادر المعاصرة عن الإشارة إليهم أو إبراز دورهم ، خلال تلك الفترة ، لما يؤكد أن وصولهم إلى اليمن لم يكن ضمن حملة تورانشاه ، اللهم إذا كانوا قد اشتركوا في الحملة كجنود حاديين ، وهذا يتناقض والمكانة التي أسبغتها عليهم المصادر المتأخرة .

وإذا سلمنا بصحة ما ذكره الخزرجي ، فإن ذلك يفني أن نور الدين هم — مؤسس الدولة — وهو أصغر إخوته ، قد ظل في اليمن ٧٨ عاما منذ وصوله إليها حتى وفاته ، بخلاف ما كان قد بلغه من العمر وقت مجيئه ، ومع ذلك فقد كان من الممكن التجاوز عن ذلك لو أن لدينا ما يؤيد الرواية المذكورة ، وللأسف لم يرد في مصنفات مؤرخي اليمن المعاصرين ما يشير إلى ذلك من قريب ولا من بعيد ، كما أن هؤلاء المؤرخين لم يذكروا عنهم شيئا في سياق ما أوردوه من أحداث الفتح أو بعده ، كما فعلوا بالنسبة لغيرهم من البارزين من قادة الجند ومن أنابهم تورانشاه على البلاد والحصون وقت وجوده في اليمن أو بعد مغادرته لها .

(١) الخزرجي : العقود الأوثىة ج ١ ص ٢٨ .

ولهذا فإنني أستبعد وصول بني رسول إلى اليمن صحبة تورانشاه
 ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م ، وأرى أنهم وفدوا إليها ضمن حملة طغتكين بن أيوب
 سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م. والدليل على ذلك ما ورد صريحا في مؤلفات أخرى^(١) ،
 منها ما هو للخزرجي نفسه^(٢) . وعلى هذا يكون ما أورده الخزرجي في
 كتابه العقود اللؤلؤية ، قد حرقه الناسخ ، ولم يتنبه محقق الكتاب أو مترجمه
 إلى ذلك^(٣) .

ومما يمكن من شيء ، فقد كانت بداية ظهور بني رسول على مسرح
 الأحداث اليمنية في عصر السلطان الملك العزيز طغتكين بن أيوب ، حيث
 ذكرت المصادر أن علي بن رسول قد تولى نابيا لطغتكين على مدينة حيس^(٤)

(١) ابن الديبع : قرة العيون ورقة ٦٥ ب .

(٢) الخزرجي : المسجد ص ٢٢٤ ، العقد للتاخر الحسن ج ٢
 لوحة ٤٢ ب .

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٨ والترجمة الانجليزية
 والتعليقات التي ظم بها Sir J. .W Redhouse ، بعنوان
 The Pearl-Strings ; A History of the Resuliyy Dynasty of
 yemen vol. III,1 p. 75.

(٤) حيس ، مدينة بتامة ، تقع إلى الجنوب من زيد ، على خط عرض

١٣٣° ٥٥ شمالا ، وخط طول ٢٨° ٤٣ شرقا . (El-Khazrejiyy ;)
 The Pearl - Strings, vol. III, 3, p, 34, Note 192.)

وأعمالها (١) ، وأنه بلغ من الكفاة وحسن السيرة وأن نساء سيف الإسلام (طفتكين) لم يكن يحتجبن منه (٢) ، ومع هذه المنزلة ، تقف المصادر عند حد إمدادنا بهذا الخير طوال فترة حكم طفتكين .

فلما تولى المعز اسماعيل بن طفتكين ملك اليمن بعد أبيه ، انتهج مع أهل اليمن سياسة تقوم على البطش ، وأساء معاملة قادة الجند والنواب . فكان لهذه السياسة أثرها في فرار معظمهم والانضمام إلى القوى المعادية للأيوبيين في اليمن . ويستدل على ذلك مما ذكره صاحب السمط ، في حوادث ٥٩٤ هـ من أن بدر الدين الحسن بن علي بن رسول كان رهينة عن والده عند المعز (٣) الذي ظل محتفظاً به إلى نهاية عهده سنة ٥٩٨ هـ (٤) / ١٢٠٧ م . فلما خلفه أخوه الناصر أيوب ، عاد الفارون إليه وعلى رأسهم الأتابك سيف الدين سنقر ، فويلاه الناصر أتابكاً له وقام بأمر مملكته . فبذل سنقر جهداً كبيراً لاستعادة الاستقرار في البلاد ، وولى ثقافته على البلاد والحصون ، فكان لبني رسول الحظ الوافر من الثقة لديه ، فولى شمس الدين علي بن رسول علي حـ ممن

(١) الأفضل الرسول : العطايا السنوية لوحة ٣٠ ب ، الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ج ٤٢ لوحة ٤٢ ب ، المسجد : ص ٢٢٤ ، ابن الديبع : قرة العيون ٦٥ ب .

(٢) الخزرجي : العقود المؤلوية ج ١ ص ٣٢ .

(٣) ابن حاتم : السمط ورقة ٩ ب .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ورقة ١٦ دأ .

حب^(١) سنة ٥٩٩ / ١٢٠٢ م فظل به حتى مات^(١). كما ولي نضر الدين أبا بكر ابن علي بن رسول علي وصاب^(٢)، وبدر الدين الحسن بن رسول علي ربيعة^(٣).

(١) حب قلعة منيعة بالقرب من مدينة إب بنو حنى جبل بعدان ، وتقع على خط عرض ٥٧° و ١٣° شمالاً ، وخط طول ١٧° و ٤٤° شرقاً تقريبا (El-Khazrejiyy : op. cit., vol. III,3, p: 44, Note 261.)

(٢) ابن حاتم : السمط ورقة ٢٢ ب (وكان مولد علي بن رسول في بلاد التركان ، وكانت أمه من قبيلة منجك) الأفضل الرسولي : نزهة العيون لوحة ٢٦٤ و أ ، (وفي الوقت الذي لم يتعرف الخزرجي على تاريخ وفاته ، مكتفياً بالقول بأنها كانت بناحية الحبالى) العقد الفاخر الحسن ، ص ٢ لوحة ٤٢ . (نجدة يحدد - في كتاب له آخر - تاريخ وفاته ، وأنها كانت في شهر صفر سنة ٦١٤) العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ١٢ (وأن قبره في قرية عكار ، حيث بنى عليه ابنه بدر الدين الحسن مسجداً) نفس المصدر والجزء ص ٦٦ (وأوقف عليه وقفاً جيداً ، ورتب فيه إماماً ومؤذناً وطلبة ومدرسا . وكان الوقف يقوم بكفاية الجميع منهم ، وإطعام الوافدين . وكان ذلك المسجد لا يزال موجوداً في عصر الخزرجي) العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٤٦ .

(٣) وصاب ، جبل محاذي لزبيد ، وفيه عدة بلاد وقرى وحصون (بأنوت : المعجم ج ٨ ص ٤٢٥ ، مرصد الاطلاع ص ٣ ص ١٤٢٩) وتقع إلى الشرق من زبيد فيما بين وادي زبيد ، وادي رمح .

(Kay Yaman p. 247).

(٤) ابن حاتم : السمط ورقة ٢٢ ب (ربيعة ، بلد معروف باليمن تقع إلى الشرق من مدينة بيت الفقيه ، وهي الجبال الواقعة بين وادي برع شمالاً ووصاب جنوباً (الويمي : اليمن الكبرى ص ١٧٠) .

والظاهر أن الأشراف الزيدية تمكنوا من انتزاع وصاب من فخر الدين أبي بكر ، بدليل أن الأتابك سنقر أعد حملة لاستردادها سنة ٦٠٤ هـ (١) / ١٢٠٧ م ، ولكن قبائل المنطقة ساندت الزيدية في التصدي لملكته ، ثم سارعوا للاعتذار له ، ودخلوا في طاعته خوفاً من انتقامه (٢) .

ولما توفي سنقر خلفه على الأتابكية بدر الدين غازي بن جسريل والي الحج (٣) ، فأنهج سياسة المعز ، وعمل على الفتك بأمرأه الأجناد بالسم (٤) . وأخذ يتخلص منهم الواحد تلو الآخر . وكان بدر الدين الحسن بن علي ابن رسول من بينهم ، ولكن السم لم يؤثر فيه ، وغلب عليه الأجل ، (٥) ، ثم قله الملك الناصر من ريمة إلى حرص والمهلية (٦) ، أما فخر الدين أبو بكر

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ورقة ٢٩ دأ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ورقة ٢٩ دب .

(٣) ابن عهد المجيد : بهجة الزمن لوحة ٤٩ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٧ .

(٤) ابن حاتم : السمط ورقة ٣٠ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٧ .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الكسبي : اللطائف السنوية ورقة ٣٦ دأ .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٧ (حرص ، من أم مدن شمال تهامة اليمن ، وتقع على الطريق بين زيد ومكة ، على خط عرض ٢٠°١٦' شمالاً ، وخط طول ٤٣° تقريباً)

ابن علي بن رسول ، فقد استمر في ولايته على وصاب (١) .

فلما توفي الناصر أيوب سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤ م أصبحت اليمن بغير سلطان ، وشملت الفوضى أنحاء البلاد (٢) ، طمع الامام الزيدى عبد الله بن حمزة في الاستيلاء على المناطق التابعة للأيوبيين مما مهد بزوال دولتهم (٣) . ولما كانت اليمن خالية من رجالات البيت الأيوبي ، فقد قامت الخسائون أم الملك الناصر بأمر الملك ، وظلت تقرب وصول أحد أمرائهم لتوليته سلطانا على البلاد (٤) . وفي نفس الوقت أرسلت بعض أتباعها إلى الحجاز في موسم الحج لتقصي أخبار مصر ، لعلمهم بنبجججون في التعرف على أحدهم هناك ، فتصادف وجود سليمان بن شاهنشاه الأيوبي (٥) في مكة ، فلما تأكدوا من نسبه

(١) ابن حاتم : السمط ورقة ٣٢ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن

ص ٦٧ .

(٢) أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٠٨ ، الذهبي : تاريخ الإسلام

وطبقات المشاهير والأعلام ، مخطوط بدار الكتب رقم ٣٩٦ تاريخ ، ج ٢٧

ص ٤٥٣ ، الحنبلي : شفاء القلوب لوحة ٧٤ ب .

(٣) ابن الديبع : بغية المستفيد ورقة ١١ هـ أ ، العقيلي : المخلاف

السلياني ج ١ ص ١٨١ .

(٤) العيني : عقد الجمان ج ٥٢ ص ٢٧٩ .

(٥) هو سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن الملك المظفر تي الدين عمر

ابن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب (ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣

ص ١٣٩ ، أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٠٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية -

استصحبوه معهم إليها ، فخلعت عليه وتزوجته ونصبته سلطانا على اليمن (١) .
وقيل أن بنى رسول لعبوا دورا كبيرا في تنصيبه ، فقد ذكر ابن حاتم
رواية نقلها عن حكاها من الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول ، قال :
« كنت يومئذ أمير حرص والهلبة ومعى صهوى نور الدين ... وكنت
لا أسمع بمفارقتة - ننتظر ما يكون من الأمر ، فجاءني من أطنى أنه قد
دخل حرص رجل في زى الفقراء ينتصب إلى بنى أيوب ، فأمرت بإحضاره ،
وقلت نسأله ونبحثه عن نسبه ، فإن كان كما قد زعم فهو يكون السلطان .
فحضر إلى وسأله فانتسب فعرفته ... وأقمناه ، ولقبناه بالملك المعظم ، ونشرنا
له الدعوة من وقته ومرنا في خدمته ... حتى وصلنا به زيد وقد صار
ملكا ، (٢) .

أما ما يتعلق بموقف سليمان من بنى رسول ، فإنه قد أظهر في البداية ثقته
بهم ، ثم لم يلبث أن انقلب عليهم لأسباب لم توضحها المصادر ، ذلك أنه قلد
بدر الدين الحسن بن علي بن رسول واليا على صنعاء ، ثم بلغه - وهو في

= ج ١٣ ص ٦٨ ، المقرئى : السلوك ج ١ ص ١٨١ ، العيني : عقد الجمان
ج ٥٢ ص ٢٧٩ ، ابن الشعنة : روض المناظر في أخبار الأوائل والأواخر
مطبوع على هامش الجزء التاسع من كتاب الكامل لابن الأثير - القاهرة
١٢٩٠ هـ ، ص ٥٥) .

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ١٣٨ - ١٣٩ ، الشرقى :
اللائى المضية ج ٢ ص ١٢٤ دأ .

(٢) ابن حاتم : الصمط ورقة ٣٤ دب ،

طريقه إليها - أن سليمان قد دبر له مكيدة للقبض عليه ، فتحول عن طريقه ، ولجأ إلى حصن الدمولة^(١) ، وجاءه أخواه فخر الدين أبو بكر من البلاد الوصائية ، ونور الدين عمر من ريمة . ولكن سليمان ما د فأمته بعد أن توسط في الأمر بعض ثقات سليمان ، وأعادته إلى ولاية صنعاء . فتوجه إليها بصحبة أخيه نور الدين ، وكان الإمام قد استولى عليها ، فلما وصلها نور الدين خرج منها الإمام^(٢) . أما فخر الدين فقد عاد إلى ولايته في وصاب .^(٣)

ولكن سليمان كان لا يزال يضمم الشر لبنى رسول، إذ لم يكذب بدر الدين يستقر في صنعاء حتى جهز له سليمان عسكريا للقبض عليه ، فأثار ذلك غضب بدر الدين ، وأمرع بهسكركه إلى تهامة لا تخاذ إجراء مضاد . فلما وصل إلى مدينة الكدراه^(٤) ، كان سليمان قد أعد حملة قادها بنفسه للقضاء على

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ، ورقة ٣٥ دأ ، ، الكبسي : اللطائف السنوية ورقة ٣٧ ب (الدمولة : قلعة حصينة على جبل الصلو جنوب شرق نجر Kay : Yaman p. 305) ويضرب بامتاعه وحصانته المثل (القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ١٣) .

(١) الكبسي : اللطائف السنوية ورقة ٣٧ ب .

(٣) ابن حاتم : السمط ورقة ٣٥ دأ .

(٤) الكدراه ، مدينة أنشأها الحسين بن سلامة مولى بني زياد في وادي سهام (ابن الجاور : صفة بلاد اليمن ج ١ ص ٦٠ ، ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ١١ ب ، الخزرجي : المسجد ص ١٢٣ ، باخرمه تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ٥٩) وتجمع إلى الشرق من الحديدة .

بدر الدين ، ولكن الأخير انصرف عليه ^(١) ، ثم جرت بينها مفاوضات للصلح ، وتم عقد الصلح ، وبمقتضاه احتفظ بدر الدين بأحد كبار أتباع سليمان رهينة عنده ، ضمانا للوفاء بما تعهد به سليمان . وبالرغم من أن هذه الرواية قد أوردها ابن حاتم ، إلا أنه قال : « وعندي فيها توقف » ^(٢) .

وتستمر العلاقات السيئة بين الجانبين ، ففي رمضان ٦١١ هـ / يناير سنة ٢١٥ م حدث خلاف بين سليمان وكبار أمراء أجناده ، ومنهم بدر الدين الحسن بن علي بن رسول ، فخرجوا عن طاعته وانتصرت جموعهم على تجريدة كان قد أرسلها سليمان في اثرهم ، ولجأ الفارون إلى مكاتبة الامام عبد الله ابن حمزة . ولم يقتصر الأمر على ذلك ، فقد شاركهم فخر الدين أبو بكر ابن علي بن رسول الرغبة في الانضمام للإمام ، مما شجع الإمام على تجريد عدة حملات توجت إحداهما إلى مدينة المهجم ^(٣) وأشعلت فيها النيران ، وتوجت حملة أخرى إلى عدن وأبين فتصدت لها الحامية الأيوبية في كل منهما . وهكذا قويت شوكة الإمام وطمع في الاستيلاء على اليمن ^(٤) .

(١) ابن حاتم : السمت ورقة ٣٥ « أ » ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٨ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ورقة ٣٥ ب ؛

(٣) المهجم ، مدينة من أمم مدن تهامة بعد زيد ، تقع في وادي سررد (صبح الأعشى - ص ٥ ص ١٣) .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ورقة ٣٦ « أ » .

(٤) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٤٨ .

وترتب على ذلك أن ساءت الأوضاع في اليمن ، وضعف سلطان سليمان ابن شاهنشاه وتفتت القوى الأيوبية ، وازداد نفوذ الإمام بانضمام الفارين من سليمان إليه، مما أندر بالقضاء على الوجود الأيوبي فيها. ولهذا أصدر السلطان الملك العادل الأيوبي أمره إلى ابنه الكامل محمد صاحب مصر بتجهيز حملة إلى اليمن لإقرار الأمور فيها ، فأعد حملة بقيادة ابنه الملك المسعود يوسف (١) ، وتوجه معه أنابكته ومقدم عسكره جمال الدين فليت ، وكتب له أبوه إلى شمس الدين علي بن رسول ، وإلى باقي أمراء الأيوبيين في اليمن للعمل تحت إمرته وحسن صحبته (٢). ووصل المسعود إلى زيد في مستهل المحرم ١٢ هـ (٣) / مايو ١٢١٥ م ، وقبض على سليمان وأرسله إلى مصر ، فظلي مقبلاً فيها إلى أنه قتل شهيداً في موقعة المنصورة ٦٤٧ هـ (٤) / ١٢٤٩ م .

المهم أنه ما كادت الأخبار تصل إلى اليمن بقرب وصول المسعود ، حتى بادر سليمان

-
- (١) الخزرجي : المسجد ص ٢١٣ ، العيني : عقد الجمان > ٥٢ ص ٣٤١ ،
 ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٤٩ ، محمد حسن : قلب اليمن ص ٢٨ .
- (٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية > ١ ص ٣٠ .
- (٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، القاهرة سنة ١٩٤٨ ،
 > ٤ ص ١٢٤ ، ابن حاتم : السمط ورقة ٣٦ ب ، للزيرى : نهاية الأرب
 > ٢٧ ص ١٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة > ٦ ص ٢٣٤ ، الشرفي :
 اللآلئ المضية > ٢ ص ١٣٤ د أ .
- (٤) ابن واصل : مفرج الكروب > ٣ ص ٢٢٧ ، أبو القدا : المختصر
 > ٣ ص ١٢٢ ، المقرئى : السلوك > ١ ص ١٨١ .

بالفرار من زييد (١) وتحصن في نغز (٢) . وفي نفس الوقت بادر أتباعه —
 وفي مقدمتهم بدر الدين الحسن بن علي بن رسول وإخوته نور الدين عمر (٣)
 وشرف الدين موسى وفتخر الدين أبو بكر (٤) — إلى لقاء المسعود . فلما
 وصلوا إليه أحسن استقبالهم وأكرمهم وخلع عليهم الخلع السنية ، وأنعم على
 بدر الدين بفرجية وشربوش وقدم له حصانا بسرج ، بالإضافة إلى ألف
 دينار ذهب ، وولاه على مدينة القحمة (٥) ، وولي نور الدين صهر علي
 صهبان (٦) ، فكانت هذه أول ولاية منفردة لنور الدين .

(١) العيني : عقدا الجمان ص ٥٢ - ص ٣٤٢ .

(٢) ابن حاتم : السمط ورقة ٣٦ دأ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن
 ص ٦٩ .

(٣) ابن حاتم : المصدر السابق ، نفس الصفحة ، يحيى بن الحسين : أنباء
 الزمن ص ٦٨ .

(٤) الكبسي : اللطائف السنية ورقة ٣٧ ب .

(٥) القحمة ، مدينة هامة على وادي ذوال ، اختطها الحسين بن سلامة
 مولى بني زياد ، وكانت تعرف باسم المعقر (بانخرمة : تاريخ نجر عدن ص ٢
 ص ٦٠) ، وتقع على بعد خمسة أميال شمال بيت النقيه على خط عرض
 ٣٨° و ١٤° شمالا وخط طول ٧٤° و ٤٣° شرقا (El-Khazrejiyy : op.

cit. vol. III,3, p. 90 Note 541.)

(٦) ابن حاتم : السمط ورقة ٣٦ ب (وصهبان منطقة متسعة بالقرب
 من ذي جبلة) الشرجي : طبقات الخواص ص ٥١ .

وقيل أن المسعود كان يسعى إلى مفاوضة سليمان على أساس أن يقتسما البلاد فيما بينهما ، فيحتفظ سليمان بمنطقة الجبال ، وتكون منطقة تهامة للمسعود^(١) . وهنا يبرز دور بني رسول حيث قام بدر الدين الحسن باقتناع المسعود بالعدول عن هذا الاتجاه ، ونصحه بالتوجه إلى تعز ، وإصدار الأمر إلى أمراء الأجناد فيها للقبض على سليمان . فلما كتب المسعود إليهم بذلك ، وهددهم إذا ما خالفوا أمره ، استجابوا له واعتقلوه وقيده و سلموه له^(٢) . وعلى هذا النحو ركز المسعود جهوده لاستعادة السيطرة الأيوبية على البلاد، ولم يمض عام حتى تمكن من تحقيق هدفه وتنفيذ خطته^(٣) ، وجاءته وفود القبائل من كل جهة مقرة له بالطاعة ومعانة له الولاء^(٤) ، وقدموا إليه الرهائن دليلا على ذلك ، فأكرمهم المسعود وبذل لهم الخلع والأموال^(٥) .

-
- (١) ابن حاتم : السمط ورقة ٣٦ ب . الخزرجي : المسجد ص ٢١٣ ، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣١ ، الشرفي : اللآلئ المضية ورقة ١٣٤ د أ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٩ ، الكلبى : اللطائف ص ٣٧ ب .
- (٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الشرفي : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : نفس المصدر والصفحة ، الكلبى : اللطائف ص ٣٨ د أ .
- (٣) ابن حاتم : نفس المصدر : ورقة ٣٧ د أ .
- (٤) زبارة : أئمة اليمن ص ١٤١ .
- (٥) ابن حاتم : نفس المصدر ورقة ٣٦ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٩ .

وفي جمادى الآخرة سنة ٦١٤ هـ / سبتمبر ١٢١٧ م أقام المسعود الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول استاذ داره (١) ، ثم ولاء على صنعاء في ربيع الأول ٦١٨ هـ (٢) / ابريل ١٢٢١ م . أما نور الدين فقد ولاء المسعود الحصون الوصائية (٣) ، ثم ولاء مكة سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م بعد أن انتزعها المسعود من الشريف حسن بن قتادة (٤) ، فلما عاد إلى اليمن قام حسن بن قتادة بتنظيم صفوف أتباعه تمهيدا لاسترجاع مكة ، ولكن نور الدين لم يمهله ، وبافتته بالمهجوم على معسكره ، ومزق حشوده وأوقع به وبأتباعه المهزيمة . وتمهاتف وقتئذ أن كان المسعود قد أخذ يجهز للسفر إلى مصر لزيارة أبيه وتجديد العهد له ، فأرسل إلى نور الدين يستدعيه إلى اليمن (٥) . وكان المسعود قد أناب على اليمن حسام الدين أوأؤ ، وجعل بدر الدين الحسن بن علي بن رسول

(١) ابن حاتم : نفس المصدر ورقة ٣٧ ب .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ورقة ٣٨ دأ ، أدريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥٠ .

(٣) الخزرجي : العقود الأوّلوية ج ١ ص ٣٣ .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ورقة ٣٨ دأ ، القاسم : العقد الثمين ج ٢ ص ٥٥١ ، المقرئ : السلوك ج ١ ص ٢١٣ ، ابن تفرى بردى : المهمل الصافي ج ١ ص ٢٢٩ ، حوادث الدهور ص ٢٧٤ العصبى : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوئل والتوالي ، مخطوط بدار الكتب رقم ٥٣ م تاريخ ، ص ٤٧٨ ، الكبسي : اللطائف ص ٣٩ دأ ، زينى دحلان : خلاصة الكلام ص ٢٥ .

(٥) ابن حاتم : السمط ٣٨ دأ .

على صنعاء^(١) ، وقيل بل استخلف نور الدين عمر بن علي بن رسول علي اليمن^(٢) . ولكن الأحداث التالية تؤكد القول الأول حسب ما أوردته المصادر.

وما هو جدير بالذكر أن حالة الاستقرار في البلاد كانت كاملة ، بحيث يمكن القول بأن البلاد لم تشهد عهداً من الهدوء والاستقرار مثلما شهدته في تلك الآونة ، والظاهر أن الفضل الأعظم في استقرار الأوضاع إنما يرجع أساساً إلى وفاة الامام عبد الله بن حمزة في أول سنة ٦١٤ هـ^(٣) / ١٢١٧ م . وقد قام ابنه عز الدين محمد محمداً^(٤) ، لأنه لم يكن قد بلغ بعد درجة الامامة

(١) ادريس حماد الدين : نزعة الأفكار ص ٥٠ ، ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ج ١ ص ٢٢٩ ، حوادث الدهور ص ٣٧٤ .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٣ ، المسجد ص ٢١٦ ، باخرمة : تاريخ نزع عدن ج ٢ ص ١٧٩ ، الشرفي : اللآلئ المضية ج ٢ ص ١٣٤ .

(٣) المحلى : الحدائق الوردية ج ٢ ص ٤١٦ ، الخزرجي : العقود ج ١ ص ٢٣ ، الشرفي : اللآلئ المضية ج ٢ ورقة ١٣٤ ب ، الجندارى : الجامع الوجيز لوحة ٧٢ .

(٤) الصعدي : مآثر الأبرار ص ٩٩ ب : ابن حاتم : السمط ٣٧ دأ . (يمثل الاحتساب عند الزيدية ما اصطلح على تسميته - عند الشيعة - بالداعى ، وهى الدرجة السابقة على الامامة عندهم . وقد يصبح الرجل محمداً ، ولكنه لا يرقى لى مرتبة الامامة ، ولا يصل إليها ، إلا باستيفاء شروطها المعتبرة) =

المعتبرة (١) عند أهل مذهبه (٢) ، فتحمل عبء النضال ضد القوى الأيوبية بعد وفاة أبيه ، ولكن لم تلبث أن انقسمت القوى الزيدية ، عندما أعلن يحيى ابن المحسن دعوته بالإمامة (٣) ، ودخوله في صراع ضد القوى الزيدية المعارضة التي تزعمها عز الدين محمد ابن الامام الراحل (٤) .

ولم تستمر الأوضاع المستقرة طويلا في اليمن ، فقد حدث ما عكر صفوه هذا الهدوء أثناء غياب المسعود في مصر ، إذ قام أحد الصوفية ، ويدعى مرزم

= انظر الهامش التالي (ولجامع علماء وقته على إمامته ومبايعته) . انظر، دولة
بنى أيوب في اليمن ص ١١٦ .

(١) يشترط في الامام الزيدى أن يكون فاطميا (من ذرية علي من فاطمة) ذكرًا حرا سليم الخواس والأطراف بالغًا ما قلا لم يمارس الرذيلة ، وربما تقيا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، طالما مجتهدا حسن الدراية بتصرف الأمور، عادلا سخيا ، شجاعا مجاهدا ، وأن يخرج داعيا لنفسه . وهذا الشرط الأخير يخالف ما درجت عليه بتمية فرق الشيعة الأخرى من سرية الدعوة ، وسر الامام (دولة بنى أيوب في اليمن ص ٢٠) .

(٢) الكبسي : اللطائف ٣٨ هـ .

(٣) هو داعي المعتضد يحيى بن المحسن بن المحفوظ بن محمد بن يحيى بن يحيى من نسل الامام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين أول امام زيدى باليمن . وكان عالما مبرزًا ، قال عنه الامام عبيد الله بن حمزة أن معه علم أربعة أمم ، ولكن علماء الزيدية لم يجمعوا على إمامته وعارضوه (الكبسي : اللطائف ٣٨ ب ، الجندارى : الجامع الوجيز لوحة ٧٤) .

(٤) Kay : Yaman, p. 319. (٤)

الصوفي بنشر دعوته ، باعتباره داع لمام حق (١) وأخذ يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢) حتى ذاع صيته واستجاب لدعوته الكثيرون ، وقام بتنظيم صفوف أتباعه استعدادا للاستيلاء على بعض المناطق اليمنية ، وسير أولى حملاته على حصن ذروان (٣) - من أعمال ذمار - في جمادى الآخرة سنة ٦٢٣ هـ (٤) / يونية ١٢٢٦ م . فلما توجه للاستيلاء عليها خرج نور الدين عمر بن علي بن رسول إليه - وكان موجودا بداخله ، ولكن نور الدين لم يستطع الصمود أمام حشوده ، وتراجع إلى الحصن واحتسب به . وتلاحقت جموع القبائل الموالية للصوفي إلى الحصن وحاصرته ، تمهيدا للاستيلاء عليه ، واتخاذها قاعدة للتوسع منه على حساب القوى الأيوبية . وهكذا كان لهذه الحركة الصوفية أسوأ الأثر على الأيوبيين في اليمن .

وأمام هذا الخطر ، بادر نور الدين بمراسلة حسام الدين لؤلؤ نائب

(١) الشرفي : اللالئ المضية ج ١ ص ١٣٤ ب (كان مرغم الصوفي ناسكا ، وكان في بداية أمره حائكا في بلاد عنس . وأول ظهور دعوته في جبل سحمر ، واستجابت لدعوته قبائل عنس وجذب وبنى سيف من بلاد يريم) ابن حاتم : السمط ص ٣٨ ب ، الخزرجي : العقد الفاخر ج ٧ ص ١٢٤ أ .

(٢) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٢ - ٣٤ ، العقد الفاخر ج ٢ ص ١٢٤ أ ، الشرفي : اللالئ المضية ج ٢ ص ١٣٤ ب .

(٣) ذروان ، حصن من حصون الحقل من أعمال ذمار ، إلى الجنوب

من صنعاء .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٣٨ أ .

المسعود على اليمن يطلب نجده ، ولكن الأحوال كانت قد تطورت عنده أيضا ، مما حال دون إنجاده ، واكتفى بتشجيعه على الصمود والاعتماد على نفسه ، وقال له : « ليس لك منا إلا الدعاء » (١) ، فاستنجد نور الدين بأخيه بدر الدين في صنعاء ، وعندئذ وجد الأثراف الزيدية أن الفرصة قد أصبحت مواتية لاستعادة مكانتهم ، فحشد من الدين محمد بن الامام الراجل جموعه وزحف بها إلى صنعاء (٢) .

وعلى الرغم من أن أخبار هذه المشهود قد وصلت إلى علم بدر الدين إلا أنه بدر إلى معاونة أخيه والعمل على تخليصه من الحصار . فرتب الأمور في صنعاء ، وترك فيها حامية لناوشة جموع الزيدية عند وصولها انتظارا لعودته ، وفي طريقه إلى ذروان اعترضته بعض القبائل « فقتلهم عن آخرهم » (٣) فكان لهذا الموقف أثره في إشاعة الرعب في قلوب القبائل المحاصرة لنور الدين ، وكان ذلك كافيا لتفريق جمعهم ، ذلك أنه ما أن وصل إلى ذروان ، حتى كانت القبائل الموالية للصوفي قد تركت حصار الحصن ووات الأدبار ووهنت عزيمته للصوفي وانفض أتباعه من حوله ، وظهر للناس كذب دعواه وفساد مذهبه ، ففر بنفسه وأخذ يتنقل شريدا في البلدان حتى وافته منيته في وصاب (٤) .

(١) ابن حاتم : السمط ص ٢٨ ب

(٢) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥٠ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٣٩ ، أ .

(٤) ابن الديبع : قررة العيون ص ٦٤ ، أ .

أما الزيدية فقد زحفوا بمشودهم الكثيفة إلى صنعاء يتقدمهم عز الدين محمد بن الإمام ، وحطت جموعهم عند جبل عصر (١) . ومن الجدير بالذكر أن بني حاتم الذين كانوا يرتبطون بروابط ودية مع الأيوبيين توجهوا في جموع من قبائل همدان إلى صنعاء - على أثر خروج بدر الدين منها مددا لأخيه - دعما للحامية الأيوبية والوقوف معها أمام القوي الزيدية الطامعة في الاستيلاء على المدينة (٢) . وتعاونت حامية صنعاء مع بني حاتم واشتبكت مع القوات الزيدية (٣) لشغلها وتعويق تقدمها إلى المدينة ، حتى يعود بدر الدين حسن ابن رسول إليها . ونجحت هذه الخطة وعاد بدر الدين فور الانتهاء من مهمته . فوصل إلى صنعاء في اليوم الأول من القتال ، فكان لذلك أثره في رفع معنويات أهلها . ولم يمكث في المدينة طويلا إذ بادر بالخروج على رأس قواته إلى ميدان المعركة . وكانت الخطة تقضى بأن يتقدم بدر الدين للقتال وأن يربط نورالدين قريبا من مسرح القتال، لتابعة تطورات، وليعيد الصفوف إذا ما حدث وتراجعت بعض القوات لأي سبب من الأسباب (٤) . وكان بدر الدين قد

(١) الخزرجي : المسجد ص ٢١٧ ، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٤ ، يحيى ابن الحسين : أنباء الزمن ص ٧٠ (عصر ، جبل يقع إلى الغرب من صنعاء) الواسعي : البدر المزيل الحزن ص ٢٥ .

(٢) ابن حاتم : السمعط ٣٩ ، أ ، ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٤ ، الشرفي : اللال المضية ج ٢ لوحة ١٣٥ .

(٣) الخزرجي : المسجد ص ٢٩٧ ، يحيى ابن الحسين : أنباء الزمن ص ٧٠ .

(٤) الخزرجي : المسجد ص ٢١٧ ، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٥ ، يحيى ابن الحسين : أنباء الزمن ص ٧٠ .

رتب أصحابه ميمنة وميسرة وقلب ، ودار القتال وحمى وطيسه ، وأبلى الأشراف الزيدية بلاء عظيماً^(١) . فأخذ بدر الدين يمت أصحسابه على الاستبسال في القتال ، والتفت فيهم يمينا شمالا ، وقال ، : د هي هي ، وكان هذا شعاره في عسكره ،^(٢) . فحمل الجند الأيوبي معه حملة رجل واحد^(٣) ، وصمموا على الانتصار ، ففتحهم الله النصر والظفر ، وانهمز جيش الأشراف^(٤) ولم يبق منهم أحد ، وولوا مديريين وقتل فيهم قتيلا ذريعا^(٥) ... ولم يزل للقتل والأمر فيهم إلى أن دخل الليل وغشيهم الظلام ،^(٦) ، وأصيب الأمير عز الدين محمد بن الإمام بفرقة تشاب في عينه فعورت^(٧) ، ثم مرض بعد ذلك ومات متأثرا بجرأه^(٨) . واستولى بدر الدين على جميع مآثر كه الأشراف

(١) الشرفي : اللالي المضية - ٢ ص ١٣٥ د أ .

(٢) الخزرجي : المسجد ص ٢١٧ ، العقود اللؤلؤية - ١ ص ٣٥ ، يحيى ابن الحسين : أنباء الزمن ص ٧٠ .

(٣) زبارة : أئمة اليمن - ١ ص ١٤٧ .

(٤) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧٠ .

(٥) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥١ .

(٦) الخزرجي : المسجد ص ٢١٧ ، العقود اللؤلؤية - ١ ص ٣٥ ، يحيى ابن الحسين : أنباء الزمن ص ٧٠ .

(٧) ابن حاتم : السمط ص ٣٩ ب ، الخزرجي : العقد الفاخر الحسن - ٢ لوحة ١٤٩ د أ ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥١ .

(٨) الصعدي : مآثر الأبرار ، ورقة ٩٩ ب ، زبارة : أئمة اليمن - ١ ص ١٤٨ .

من أموال ودواب وغير ذلك في ساحة المعركة^(١) .

٢ - فكتبة اولاد رسول في اواخر عهد السعود :

كان الانتصار الذي أحرزه بدر الدين حسن بن رسول في موقعه عصر حاسماً لم يسمع بمثله فيما مضى^(٢) . وانهمزم الأشراف الزيدية هزيمة نكراء سحقت قوتهم وعصفت بكيانهم ودمرت معنوياتهم ، فذلوا بمد عز ، وعمدوا إلى الانزواء إلى حين . وهكذا أبلى بنو رسول في القتال بلاء حسناً وأدوا واجبهم في هذه المعركة على أكل وجهه ، فارتفع بهذا النصر قدرهم ، وأثبتوا لليمنيين مقدرتهم في القضاء على القوى المناوئة ، وتقع كافة الحركات الداخلية المعارضة للوجود الأيوبي في اليمن .

وشاعت أخبار هذه الواقعة في أنحاء اليمن ، فقوى بها أمر بنو رسول^(٣) ، وأقيمت الأفراح احتفالاً بهذه المناسبة ، وتبارى الشعراء في الإشادة بها^(٤) . وبما يجدر بالذكر أن بدر الدين حسن الرسول أرسل إلى الملك المسعود في مصر برسالة يبلغه فيها بهذه الأحداث ، وأرفق بالرسالة أبياتاً نظمها له الأمير مدرك بن بشر بن حاتم^(٥) ، في ذكر المعركة ووصفها والفتخر بما أحرزه

(١) ابن حاتم السمط . ٤٠ د أ . .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٣٩ ب .

(٣) الكلبى : اللطائف ص ٣٩ د أ . .

(٤) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ح ١ ص ٣٦ ، العقد للفاخر الحسن ح ٢

لوحة ١٤٩ د أ . .

(٥) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥١ ، ابن الديبع : قرة العيون

ص ٦٥ ب .

من انتصار باهر ، وجاء في نهاية القصيدة قوله :

ونحن متى شئنا دسرنا عدونا ولا نخذ حقدا دفيننا ولا ضمنا
فلا زالت الأخبار منكم تسرنا كما سر كم في مصر مخبركم هنا (١)

فلما قرئت الرسالة والأبيات في حضور الملك الكامل بن العادل الأيوبي ،
سأل ابنه الملك المسعود عن مخاطبة بنون العظيمة؛ فأخبره بأنه أحد أمرائه ، فقال
له : د هيات ، والله ماهذه مخاطبة أمير بل مخاطبة ضد . فإن لم تذب عليه
وتب عليك ، (٢) . فاشتد خوف المسعود على اليمن من بني رسول ، وعقد العزم
على العودة إليها سريعا فكان وصوله إلى تعز في السابع من صفر ٦٢٤ هـ / (٣)
يناير سنة ١٢٢٧ م . وقد تصادف أن كان حسام الدين أواؤ قد حسد بني
رسول لانتصاراتهم ضد الصوفي والأشراف الزيدية ، وفي نفس الوقت خشى
أن يكون محل سخط المسعود وانتقامه لتفاعسه عن تقديم العون لتور الدين
عندما حاصره الصوفي ، وعدم قيامه - بعد ذلك - بدور ما عندما تعرضت
صنعاء لهجوم الزيدية . ولذلك لما عاد المسعود إلى اليمن حتى أسرع لمقابلتها ،
ووجه إلى بدر الدين حسن الرسولي إتهامات باطلة ، أشهد على صحتها بعض
أتباعه من الناقين على بدر الدين . وادعى بأن بدر الدين طلب تزويده بالمال

(١) ابن حاتم : السمط ورقة ٤٠ ب ، الخرزجي : المسجد ص ٢٢٠ ؛
العقود > ١ ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، ادريس مهدي الدين : نزهة الأفكار
ص ٥١ .

(٣) ابن حاتم : المصدر السابق ص ٤١ ب .

فلما اعتذر « عاد جوا به يقول : إذا لم ترسوا إلى الأهل نزلت وأخذت
الحريم بمقصهم (١) ، . وهكذا كان لهذه الدسيمة أثرها في تثبيت مخاوف
المسعود من أبناء رسول وصمم على تنفيذ ما أوصاه به والده الملك الكاهل.

أما بنو رسول فإنهم ما أن بلغهم وصول الملك المسعود حتى أمرهوا للقائه
والترحيب بعودته (٢) . ويمكن المسعود لم يظهر ما عزم على اتخاذه معهم،
وتريث حتى تحين الفرصة المناسبة للتنفيذ ، وجاءت هذه الفرصة عندما أقام ولية
في مدينة الجند حضرها أبناء رسول مع غيرهم ، فاعتقلهم على السباط في الخامس
والعشرين من رجب سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٧ م ، وقيل في الخامس عشر منه (٣) .
وقيل بأنه لم يعتقلهم جميعا وإنما اكتفى بيدر الدين حسن ، ونعزر الدين أبي
بكر وشرف الدين موسى (٤) ، أما نور الدين عمر فلم يكن بينهم (٥) ، لأن
المسعود كان قد كلفه بعهمة إلى عدن (٦) . وقيل إنما اعتقلهم جميعا ثم أطلق

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والمنفعة .

(٢) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥١ ، للكبيسي : اللطائف ٣٩٠ د ١ .

(٣) ابن حاتم : السمط ورقة ٤١ ب ، ادريس عماد الدين : نزهة

الأفكار ٥٢ .

(٤) الخزرجي : المسجد ص ٢٢١ ؛ العقود الثأورية ص ١٣٩ .

(٥) الخزرجي : المسجد نفس المنفعة ، العقود : نفس الجزء والمنفعة ،
العقد الفاخر الحسن ص ٢١٤٩ ب ، الشرفي اللطائف المضية ص ٢ ورقة ١٣٥ د ١ .

(٦) باخرمه تاريخ نجران ص ٢١٧٥ ، الكبيسي : اللطائف ورقة ٣٩٠ د ١ .

(٧) ابن حاتم : السمط ورقة ٤١ ب ، ابن الديبع : قرة العيون ورقة ٦٥ ب .

نور الدين عمر فيما بعد^(١)، لما كان يربطه به من روابط المودة، إذ كان يأنس به، ويميل إليه، ويشق فيه دون باقي إخوته^(٢). ولهذا حظى نور الدين بمكانة كبيرة عنده، وقيل أن المسعود اعتذر إليه وطمأنه إلى أن هذا الإجراء مؤقت، وأنه سيهيئهم مرة أخرى^(٣). وفي قول آخر أن اعتقال أبناء رسول الثلاثة تم بإيعاز من نور الدين نفسه^(٤)، ومرجع ذلك أن المسعود كان يفكر في التوجه إلى مصر، ويبحث ذلك مع نور الدين، وأهرب عن رغبته في استنابته على اليمن، ولكن نور الدين اعتذر عن عدم استعداده لقبول ذلك خوفاً من إخوته، فهم يكبرونه سناً ويفضلونه خبرة بأمور الحكم، وأبدى استحالة قيامه بإدارة شئون البلاد في وجودهم، لأنه بالضرورة سيكون خاضعاً لهم، متفذاً لرغباتهم بل وتحت إمرتهم، ولهذا قبض المسعود عليهم^(٥).

(١) الخزرجي: العقود اللؤلؤية > ١ ص ٤٠، الفاسي: العقد الثمين

> ٣ ص ٣٩٤ .

(٢) الخزرجي: العقد الفاخر الحسن > ٢ ص ٦٦ د أ، ابن تفرى بردى:

التجوم الزاهرة > ٨ ص ٧٣، ابن الديبع: بغية المستفيد ١١ د أ، بانخرمة:

تاريخ نجر عدن > ٢ ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٣) ابن حاتم: السمطورقة ٤١ ب، ادريس محمد الدين: نزاهة الأفكار ٥٢ .

(٤) الخزرجي: العقد الفاخر الحسن > ٢ ص ٦٦ د أ، ابن الديبع:

بغية المستفيد ١١ د أ، بانخرمة: تاريخ نجر عدن > ٢ ص ١٧٥، وتعليقات

Sir . j . W . Redhouse على كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجي،

The Pearl-Strings ; A History of the Resuliyy Dynasty of

Yemen, Vol. III, 3, P. 39 - 40 , Note 224, P. 41, Note 235 .

(٥) الخزرجي: العقود اللؤلؤية > ١ ص ٤٠، بانخرمة: تاريخ نجر عدن

> ٢ ص ١٧٥ .

وأودعهم السجن ثم أرسلهم - تحت الاعتقال - إلى مصر^(١) . أما نور الدين فقد قر به ورفع مكانته وجعله أستاذ داره^(٢) وأتابك عسكره^(٣) .

ويوضح من كل ما سبق ، أن وصول بنى رسول إلى اليمن ، وإن كان قد تم في نطاق حملة الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ، وأن طغتكين قد ولي أباهم على بن رسول على مدينة حيس وأعمالها ، إلا أن بروزهم على مسرح الأحداث اليمنية تم تدريجياً . فكان دورهم ثانوياً في عهد كل من المعز اسماعيل بن طغتكين وأخيه الناصر أيوب ، ثم احتلوا مكانة متوسطة منذ بداية عصر سليمان شاهنشاه ، أما في عهد المسعود فقد ازدادت مكانتهم وعظم قدرهم ، وخاصة بعد الانتصارات التي أحرزوها ضد القوى الخارجة على الحكم الأيوبي في اليمن . وكانت مكافأتهم أن نكبهم المسعود نتيجة الدسائس والسعايات التي وجهت ضدهم ، وأثارت مخاوف المسعود من مطامعهم .

(١) الخزرجي: نفس المصدر والصفحة ، العقد الفأخر الحسن ج ٢ ص ١٤٩ ب ، القاسمى : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٩٤ ، ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ج ١ ص ٢٢٩ .

(٢) ابن حاتم : السمط ورقة ٤١ ب ، ادريس عهد الدين : نزهة الأفيكار ص ٥٢ .

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٠ ، القاسمى : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٩٤ .

٣ - دور نور الدين عمر بن علي بن رسول في التمهيد لقيام دولة بني رسول :

على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها بنو رسول في خدمة الدولة الأيوبية في اليمن ، وقيامهم بقمع الحركات الداخلية المناهضة لها ، والحفاظ على الكيان الأيوبي في اليمن ، فقد جزام المسعود يوسف بن الكامل الأيوبي جزاء سنار . أما أخوهم الأصغر نور الدين عمر ، فقد شفع له ما كان بينه وبين المسعود من مودة ومحبة ، فأصطفاه دون باقي إخوته ، وحباه بملازمته وأبقاه في خدمته . واستمر نور الدين يؤدي ما أسند إليه من أعمال بكفاءة بحكم كونه استادارا للمسعود وأتابكا لعسكره إلى أن اضطرت الظروف الملك المسعود إلى مغادرة البلاد . ففي ذي القعدة ٦٢٤ هـ / نوفمبر ١٢٢٧ م توفي عمه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق ، وخلفه ابنه الناصر داود ، فاستولى الملك الكامل على مملكته ومن جملتها بيت المقدس ونابلس ودمشق^(١) . فلما علم المسعود بذلك ، طمع في الاستيلاء عليها لنفسه^(٢) . وقيل أن أباه استدعاه لنفس الغرض^(٣) ، فجهز لمغادرة البلاد واستدعى حسام الدين أوّل

- (١) المقرئى : الذهب المسبوك ص ٧٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ص ٦٥ ص ٢٣٣ ، السيد الباز العرينى : مصر في عصر الأيوبيين ص ١١٩ .
 (٢) سبط بن الجزرى : مرآة الزمان ص ٨ ص ٦٥٨ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ص ١٣٥ ص ٤٠٣ ، ابن أبيك : كنز الدرر ص ٧ ص ٣٠٠ ، القاسمى : العقد الثمين ص ١ ص ١٧٩ ، الحنبلى : شفاء القلوب لوحة ٩٩ د أ .
 (٣) ابن حاتم : السمت ورقة ٢ ، د أ ، ، الخزرجى : العقود اللؤلؤية ص ١

واليه على صنعاه ، وعرض عليه نيابة السلطنة ، فأبدى اعتذاره عن تحمله لمسئوليتها ، وأعرب عن رغبته في مغادرة اليمن بصحبته ، فلما استعرض المسعود أرباب دولته وسائر البارزين ، استقر رأيه على استخلاف نور الدين وأنابه عنه على اليمن ، وولى نجم الدين أحمد بن أبي ذكرى على صنعاه (١) .

غادر المسعود اليمن في ربيع الأول سنة ٦٢٦ هـ / (٢) فبراير سنة ١٢٢٩ م ولكن مأن وصل إلى مكة حتى اشتد به المرض ، ولم يلبث أن توفي في الثالث عشر من جمادى الأولى سنة ٦٢٦ هـ / (٣) أبريل سنة ١٢٢٩ م ، فكان آخر ملوك بني أيوب في اليمن (٤) .

فلما علم نور الدين عمر بن علي بن رسول بوفاة الملك المسعود يوسف ، طمع في الاستيلاء على ملك اليمن والاستقلال بحكمها ، ولكنه اجتهد في بداية الأمر لظهار الولاء والاخلاص للأيوبيين ، وأرسل إلى الملك الكامل يعزبه

- (١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجي : المسجد ص ٢٢٦ ، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٣ ، باخرمة : تاريخ نهر عدن ج ٢ ص ١٧٥ .
- (٢) ابن حاتم : السمط ٤٢ د أ ، الخزرجي : المسجد ص ٢٢٦ ، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٣ ، باخرمة : تاريخ نهر عدن ج ٢ ص ١٧٥ .
- (٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٧٥ ، النويري : نهاية الأرب ج ٣١ ص ٤٢ ، الفاسي : العقد الثمين ج ٤ ص ٣٥٤ ، المقرزي : الذهب المسبوك ص ٧٨ .
- (٤) المقرزي : السلوك ج ١ ص ٢٣٧ ، محمد حسن : قلب اليمن ص ٣٨ .

في وفاة المسعود، ويجدد ولاءه للأيوبيين ويؤكد أنه لا يزال نائبا له (١) ، وبعث إليه بالهدايا والتحف والأموال تعبيرا عن خضوعه له ، فأعتبر الملك الكامل ذلك دليلا على الطاعة والتبعية وحسن الولاة (٢) ، وأطمأن إليه ، ولم يقدم على عزله أو استبداله ، وأقره نائبا عنه في حكم اليمن (٣) .

والحقيقة أنه لم يكن في استطاعة الملك الكامل الاستغناء عن جزء من جيشه ليرسله مع نائب يختاره لحكم اليمن ، إذ أن الظروف السياسية في مصر والشام لم تكن تسمح بذلك . فقد كان الصراع على أشده بين أفراد البيت الأيوبي في مصر والشام ، إذ استقل كل منهم - عقب وفاة الملك العادل أبي بكر - بما تحت يده من الولايات التي يحكمها . ودخل الاخوة في صراعات عنيفة ، وانقسموا فريقين ، أحدهما بزمامة الملك الكامل ، والثاني بزمامة أخيه المعظم فتفككت بذلك دولة الأيوبيين وتمزقت وحدتها التي بذل صلاح الدين الكثير . وهدد ذلك بتقويض أركانها ، وأطمع الخوارج في التوسع حسابها ، وجدد آمال الصليبيين في الاستيلاء على المنطقة بعدما فقدوا كل أمل فيها .

وبدلا من بذل الجهود لتوحيد دولة الأيوبيين واستعادة مجدها ، لجأ كل من الملك الكامل والملك المعظم إلى التحالف ضد الآخر ، الكامل مع فريدريك

(١) الفاسي : العقد الثمين ج ١ ص ١٧٩ ، ابن تفرى بردى : المنهل الصافي

ج ١ ص ٢٣٠ .

(٢) النويري : نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٤٢ .

(٣) المقرزي : ج ١ ص ٢٣٧ .

الثاني والمعظم مع الخوارزمية . وكاد الأمر أن ينتهي بموت المعظم، واستيلاء أخيه الكامل على ولايته ، ولسكن الكامل كان قد اتفق مع فريديريك على التنازل له عن بيت المقدس ، ولم يهترض على تسليمه للمدينة ، تنفيذاً لذلك الاتفاق ، رغم زوال الأسباب التي أدت إلى هذا التحالف ، وأنه لم يعد في حاجة إلى أية معونة أو مساندة من فريديريك (١) . وهكذا تورط الكامل بهذا التصرف الذي كان مثار سخط المسلمين لتفريطه في الأرض الإسلامية (٢) . فكان ذلك من الأسباب التي ثببت من عزيمته الكامل في ارسال خلف للمسيحود في اليمن ، اكتفاء بنور الدين الذي اطمأن إليه ، وثبته نائباً له على اليمن ضماناً لاستقرار جزء من دولته .

استغل نور الدين عمر بن علي بن رسول ظروف الضعف التي كان يمر بها الأيوبيون ، وما حظى به من ثقة الملك الكامل وضمانه لجانبه ، فشرع في تحقيق مطامعه في الاستقلال بملك اليمن . وكان حكماً فلم يتعجل التنفيذ ، بل أخذ يعمل على تحقيق هدفه مرحلياً ، وبدأ بإعادة تنظيم البلاد مستهدفاً عزل من كان يخشاه من ولاية المدن والحصون (٣) ، وتولية من يثق في ولائهم من خاصته وأتباعه (٤) ، وقد طبق هذه السياسة باديء ذي بدء في تهامة ، فلما

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٢٢١ - ٢٢٣ ، سعيد عبد الفتاح طاشور :

الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ص ١٠٦ وما بعدها .

Wiet : L'Egypte Arabe, pp. 350 - 356.

(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٢٣١ ، جمال الدين الشيال : تاريخ مصر

الإسلامية ج ٢ ص ١١٦ .

(٣) المنزرجى : المسجد ص ٢٢٦ ، الفاسى : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٩٤ .

(٤) ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ج ١ ص ٢٣٠ ، باخرمة : تاريخ

قصر عدن ج ٢ ص ١٧٥ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧١ .

سيطر عليها وأقر قواعد الأمور فيها^(١) ، عزم على تأكيد سيطرته على بقية البلاد ، فتوجه إلى حصن تعز في شوال سنة ٦٢٩ هـ / (٢) / سبتمبر سنة ١٢٢٩ م ، وأحكم عليه الحصار ، وشدد الخناق على حاميته حتى أنهك قواهم ، ثم أسند مهمة حصاره إلى فرقة من جيشه ، ومضى هو إلى عدن واستولى عليها ، وترك فيها نائبا من ثقاته^(٢) .

وواصل نور الدين حملاته من أجل استكمال السيطرة على البلدان اليمنية ، فزحف سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٣٠ م إلى منطقة الجبال^(٣) وتمكن من الاستيلاء على حصني التعكر^(٤) وخذد^(٥) ، ثم تقدم إلى صنعاء ، فلما بلغ ذلك نجم الدين

(١) الخرجي : المسجد ص ٢٢٦ ، باخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٧٦ ، يحيى بن الحسين ، أنباء الزمن ص ٧١ .

(٢) ابن حاتم : السمط ورقة ٤٢ ب ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن لوحة ٥١ د أ .

(٣) ابن حاتم : السمط ٤٢ ب ، ادريس عماد الدين نزهة الأفكار ص ٥٣ .
(٤) الخرجي : المسجد ص ٢٢٦ ، العقود ج ١ ص ٤٦ ، القاسمي : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٩٤ ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥٣ ، باخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٧٦ .

(٥) التعكر ، قلعة حصينة في مخلاف جعفر مطلة على مدينة ذي جبلة (ابن الجاور : صفة بلاد اليمن ج ٢ ص ١١٦) وكانت مقر ذخائر بني الصليحي . (الخرجي : المسجد ص ٨٦) قال عنها ياقوت بأنه لا يوجد في اليمن أحصن منها (معجم البلدان ج ٢ ص ٣٩٤) وتقع تقريبا على خط عرض ١٣ ر ٥٣ شمالا وخط طول ٤٤ ١٠ شرقا (El-Khazreijy Pearl - Strings, vol. III, 3, p. 44, Note, 258).

(٦) خدد ، حصن في مخلاف جعفر باليمن (ياقوت : معجم ج ٣ ص ٤٠٤) بالقرب من قلعة التعكر. (El-Khazreijy op. cit; p. 44, Note, 259).

أحمد بن أبي ذكري نائب الأيوبيين فيها ، لجأ إلى حصن براش^(١) وتحصن فيه^(٢) ، فساعد ذلك نور الدين على دخول صنعاء والاستيلاء عليها بدون مقاومة في ذى القعدة سنة ٦٢٧ هـ^(٣) / سبتمبر سنة ١٢٣٠ ، وولى عليهم ابن أخيه أسد الدين مجد بن بدر الدين حسن الرسول وماد نور الدين إلى حصن تمز لإحكام الحصار عليه حتى استولى عليه صلحاً سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م^(٤) .

ولم تهدأ نفس نور الدين ، إذ كان يسعى إلى استئزال ابن أبي ذكري الذي تحصن في براش ، وكان يمثل أعظم الأخطار التي يمكن أن تهدده ، ففيه يمثل الولاء لبني أيوب وتشكل القوة الباقية لهم في اليمن ، وإليه قد يلجأ حكام المدن والحصون الذين نكحهم نور الدين - وهؤلاء كانوا نواب

(١) براش ، حصن على جبل نغم إلى الشرق من صنعاء (نشوان بن سعيد الحميري: منتخبات من أخبار اليمن ج ١ ص ١٤٩) وعلى مسافة خمسة أميال منها (EL-Khazrejiyy : op. cit. p. 44. Note, 260.)

(٢) ابن الديبع : قرّة العيون ص ٦٦ ب ، يحيى بن الحسين: أنباء الزمن ص ٧١ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٤٣ د أ .

(٤) ابن حاتم السمط ص ٤٢ ب ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٧ ، المسجد ٢٢٧ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٤٩ .

الأيوبيين ومواليهم — عندما يساورهم الشك في صدق ولاء نور الدين ، ويتأكد لهم حقيقة مطامعه في الإستقلال لنفسه . ولهذا لم يكذب ينتهي من الاستيلاء على حصنى حب وبيت عز (١) ويولى عليها من يمثله من أتباعه حتى سارع سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١ م إلى صنعاء ، فوصلها في رمضان ، وضرب الحصار على حصن براش ، ولم يجد ابن أبي ذكرى مفرأ من طلب الأمان ، فأمنه نور الدين وتسلم الحصن منه صلحاً (٢) ، وأكرمه نور الدين ولم يتعرض له بسوء ، بل زاد في تقديره وزوجه من ابنته ، وولاه على مدينة المهجم (٣) . أما صنعاء فقد جعلها إقطاعاً لابن أخيه أسد الدين محمد بن بدر الدين حسن بن علي بن رسول مدى حياته .

٤ — تحالف الزيدية مع قرو الدين وتخوهم في طاعته :-

استطاع نور الدين أن يستحوذ على معظم بلاد اليمن وحصونها ، وسيطر على مقاليد الأمور فيها ، وولى فيها نواباً ممن يثق فيهم من الموالين له . وكان عليه بعد ذلك أن يتفرغ للقوى الزيدية في شمال اليمن ، والعمل على السيطرة

(١) ابن حاتم : السمط ٤٣ « أ » ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن لوحة ١ « أ » ، الخزرجي : المسجد ص ٢٢٧ ، العقود الأثرية ج ١ ص ٤٦ ، ابن الديبع : قررة العيون ٦٦ ب ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٤٩ (بيت عز ، حصن في إقليم المناخي) . Kay : Yaman, p. 2:6 (بالقرب من كوكبان) يحيى بن الحسين . غاية الأمان ج ١ ص ٧٠٥ ، ٧٣٩ .

(٢) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧١ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٤٣ « أ » .

عليها، حتى إذا ما خلع طاعة الأيوبيين واستولى على ملك البلاد ضمن وحدة اليمن تحت لوائه . وكان نور الدين رجلاً ذا دهاء لا يميل الحرب (١) ، فلما عزم على التوجه شمالاً لتحقيق هدفه ، تدخل بنو حاتم (٢) ، واستغلوا وجود نور الدين في صنعاء سنة ٥٦٢٨ / ١٢٣١ م ، وسعوا في الصلح بينه وبين الأشراف بنى حمزة الزيدية (٣) . وتكللت جهودهم بمقد لقاء بين نور الدين والأشراف الزيدية تم في زممر (٤) . وكان علي رأس الوفد الزيدى الشريف عماد الدين يحيى بن حمزة ، والأمير شمس الدين أحمد بن عبد الله بن حمزة (٥) .

(١) الخزرجي : المسجد ص ٢٦ .

(٢) كان بنو حاتم في بداية أمرهم نوايا للصليبيين على صنعاء، ثم استغلوا بها سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م في عهد الملكة الصليبية أروى بنت أحمد ، وتوالوا على حكمها إلى أن استولى عليها الأيوبيون سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ ، ثم استردوها بعد عودة تورانشاه إلى مصر سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م . ثم عادت صنعاء إلى السيطرة الأيوبية سنة ٥٨٥ هـ / ١١٩٠ م في عهد طفتكين بن أيوب، وعوضهم عنها بصرف جامكية شهرية (انظر ، دولة بنى أيوب في اليمن ص ٢٩ - ٤١
٦٦ - ٧٠ ، ٩٩ - ١٠٢ - ١٠٧ ، ١١٥ - ١٤٥ ، ١٤٧ .

(٣) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧١ .

(٤) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥٣ (زممر ، من الحصون الهامة في منطقة صنعاء (مرصد الاطلاع ج ١ ص ٥٨٧) ويقع على مسافة نصف يوم إلى الشمال منها على خط عرض ٢٧ رة ° شمالاً وخط طول ٤٤ رة ° شرقاً تقريباً . (EL-Khazrejiyy : op. cit. p. 38, Note, 215)

(٥) الخزرجي : المسجد ص ٢٢٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٦٦ ب .

ومما يذكر أنه لما بدأت المحادثات بين الطرفين ركز بنو حمزة على تشجيع نور الدين على الاستقلال بحكم اليمن ، ونصحوه بخلق طاعة بني أيوب، وإعلان قيام دولته . وهكذا تكلفت مساعي بني حاتم بالنجاح ، وتم الصلح بين الطرفين^(١) ، وتحالفا على المعاضدة^(٢) . وتعهد بنو حمزة بمعاونته إذا ما قام الأيوبيون بمحاولات حرية لاسترداد السيطرة على اليمن^(٣) . وضمانا لسريان الاتفاق ، واحترام نصوصه اتفق الطرفان على تبادل الرهائن بشرط أن تختار من بين الشخصيات الهامة . فزهن بنو حمزة الشريف صارم الدين داود بن عبد الله بن حمزة ، وقدم نور الدين لهم ولده المظفر يوسف . وارتضى الطرفان أن يعولى بنو حاتم مهمة الاحتفاظ بالرهينتين في حصن ذمر^(٤) وما أن تم العوصل إلى هذا الاتفاق حتى خلع نور الدين على بني حمزة الخلع العظيمة ، ووصلهم بمال كثير ، وأقطعهم ما كان بأيديهم من البلاد والحصون^(٥) ، باعتبارهم نوابا له عليها . أما بنو حاتم - الذين كان لهم الفضل في التوصل إلى

(١) ابن عبد الحميد : بهجة الزمن لوحة ٥١ د أ ، ، العقود اللؤلؤية ج ١

ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢) ابن حاتم : السمط ٤٣ د أ ، .

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٧ .

(٤) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥٤ .

(٥) ابن حاتم : السمط ٤٣ د أ ، ، الخزرجي : المسجد ص ٢٢٧ ، العقود

اللؤلؤية ج ١ ص ٤٧ ، ابن الديبع : قررة العيون ٦٦ ب ، يحيى بن الحسين :

أبناء الزمن ص ٧١ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٤١ .

هذا الصلح - فقد منحهم نور الدين د فوق ما كان لهم ، (١) .

ثالثا - قيام دولة بنى رسول في اليمن على يد نور الدين :

١ - إعلان سقوط الدولة الأيوبية في اليمن :

بتام الصلح مع بنى حمزة أصبحت سيطرة نور الدين على البلاد كاملة تقريبا ، وأصبح في إمكانه استكمال تحقيق أهدافه بخلق طاعة بنى أيوب وإعلان سلطنته على البلاد . ومن الجدير بالذكر ، الإشارة إلى أن نور الدين كان على يقين من أن رحيل المسعود إلى دمشق كان نهائياً ، إذ كان قد أنضى إليه بعدم الرغبة في البقاء باليمن وأنه يؤثر الشام عليها ، وهو نفس ما حدث لتوراناشة عندما غادر اليمن لهدف مماثل ولم يعد . ولهذا كانت نيابة نور الدين من شأنها تهيئة الجو الملائم للعمل في هدوء - وبعيد عن أى شك - على الاستقلال بالبلاد عندما تسنح له الظروف بذلك . وإذا كان اعتقال إخوته واحتجازهم بعدها في مصر ، كان بهدف ضمان استمرار ولاء نور الدين للدولة الأيوبية وبقاء اليمن في طاعة سلاطين بنى أيوب ، باعتبار أن المعتقلين كانوا بمثابة رهائن ، وأن نور الدين لن يقدم على الخروج عن الطاعة خوفا على إخوته ، إلا أن ذلك الضمان كان في نفس الوقت من أكبر العوامل التي سهلت على نور الدين مهمته . فبالإضافة إلى أنه أدى إلى اطمئنان الأيوبيين له ، فإنه - من ناحية أخرى - أتاح له التخلص من منافسة إخوته ومطامعهم ، ولهذا فلم يهتم بما قد يصيبهم من سوء نتيجة استقلاله ، إذ أنهم لو ظلوا في اليمن لتازعوه الملك ، لأنهم يكبرونه سنا ، ولن يتركوه يملك البلاد دونهم .

(١) ادريس عماد الدين : نزهة الأكار ص ٥٤ .

وقد أثبتت الأحداث التالية صحة ما أمرنا إليه ، إذا أنه لا تتم الإفراج عنهم في عهد خلفه المظفر يوسف بن نور الدين عمير ، لم يمهلهم ابن أخيهم وعجل باعتقالهم حتى لا ينازعونه الملك .

وصفوة القول أن خطة نور الدين من أجل الاستقلال بملك اليمن ، كانت تقضي بالعمل تدريجيا ، وعلى مراحل من أجل تحقيق أهدافه ، بدأها بالتخلص من نواب الأيوبيين وإحلال أتباعه مكانهم ، وأتبعها باستكمال سيطرته على البلاد بالقضاء على المعارضة الداخلية المتمثلة وقتئذ في القوى الزيدية ، والعمل على تأمين حكمه وضمان استقرار الأمور له . وكان من الممكن أن يتأخر إعلان استقلاله بالحكم ، إذا ما قاومه القوى الزيدية وصمدت له ، ولكن التوصل إلى اتفاق بغير حرب مع بني حمزة ، وفر عليه الكثير من المصاعب التي كان من الممكن أن تقابله لو أنهم حاربوه ولم يدخلوا باختيارهم في طاعته .

وهكذا تمهدت الأمور لنور الدين باستقرار الأحوال في اليمن ، وسيطرته على ناصية الأمور فيها . ومن ناحية أخرى ، أسهمت الظروف التي كانت تمر بها الدولة الأيوبية في تحقيق أهدافه ، ولا تغفل بعد اليمن وصعوبة موالاتها بالحملات من مصر في ظل تلك الظروف ، أضف إلى ذلك طبيعة البلاد الجبلية الصعبة . كل هذا كان كافيا لإقدام نور الدين على تنفيذه بتمامه ، ففي أواخر سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م خلع طاعة بني أيوب وأعلن استقلاله بملك اليمن (١) . بعد عامين من العمل المخطط المتواصل ، واتخذ من مدينة تعز عاصمة

(١) النويري : نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٤٢ - ابن تفسري بردى : النجوم

لدولته . وقيام دولة إبنى رسول سقطت دولة الأيوبيين في اليمن ، بعد حكم دام مايقرب من ستين عاما (٥٦٩ - ٦٢٨ هـ / ١١٧٤ - ١٢٣١ م ، حكم منها نور الدين ستين منفردا باعتباره نائبا لهم من ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م إلى أن أعلن استقلاله عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م .

٢ - استكمال مظاهر الاستقلال وتأمين الدولة الناشئة :

تمكن نور الدين من الاستقلال بملك اليمن ، وتلقب بالملك المنصور^(١) ، ثم بدأ في العمل على استكمال مظاهر هذا الاستقلال ، ففي سنة ٦٣٠ هـ امر بضرب السكة باسمه ؛ كما أمر بأن يدعى له على المنابر في سائر أنحاء اليمن^(٢) . وفي سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٤ م أرسل هدية للخليفة المستنصر بن الظاهر العباسي ببغداد^(٣) ، وطالب منه تقليدا وتكريما بالسلطنة والنيابة عنه^(٤) ، طبقا لما جرت به العادة بالنسبة للملوك والسلاطين التابعين لدار الخلافة^(٥) .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٤١ ، الكسبي : اللطائف السنية ص ٣٩ ب ، العرشي : بلوغ المرام ص ٤٤ ، زيارة أئمة الدين ج ١ ص ١٤٩ .
(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ١١ هـ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٥١ ، باخرمة : تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٧٦ ، العقيلي : الخلاف السلياني ج ١ ص ٢١٤ .

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٥٤ ، المسجد ص ٢٢٩ .
(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٥٥ ، الفاسي : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٩٤ - ٣٩٥ ، ابن الديبع : قررة العيون ٦٦ ، باخرمة : تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٧٦ .

(٥) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧١ : op cit. EL Kkazrejiyy

وبوصول التقليد والتشريف سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥ م استتم نور الدين كافة مظاهر الشرعية للملكه واستقلاله بحكم اليمن .

والواقع أن الأمور لم تفتت عند هذا الحد . فقد كانت هناك مخاطر خارجية وداخلية متنوعة مازال ماثلة أمام نور الدين .

فبالنسبة للمخاطر الخارجية ، فإن استقلال نور الدين بملك اليمن ، وفصلها عن الدولة الأيوبية ، من شأنه أن يعرضه لانتقام السلطان الملك الكامل محمد الأيوبي . وهذا ماحدث فعلا ، فقد أصبح نور الدين - من وجهة النظر الأيوبية - معتضبا لجزء من هذه الدولة ، الأمر الذي اضطر معه السلطان الملك الكامل إلى تجهيز حملة في عام ٦٣٩ هـ / ١٢٣٢ م لاستعادة السيطرة على بلاد اليمن . وكان نور الدين يتوقع ذلك ، ولهذا لم ينتظر حتى تداومه قوات الأيوبيين ، وسارع في تجهيز حملة للحجاز - التي كانت مازال تابعة للأيوبيين ، ولهم فيها حامية عسكرية ، كما أنها تمثل المعبر البري الوحيد للحملة الأيوبية المتجهة إلى اليمن - واستطاعت قوات نور الدين دخول مكة والسيطرة عليها ، وانسحبت الحامية والقوة الأيوبية منها إلى ينبع للاحتواء بها (١) .

وباستيلاء نور الدين على مكة ، أصبح مشاركا للأيوبيين في بلاد الحجاز (٢) . وتحولت الحجاز على هذا النحو إلى خط دفاع أمامي لليمن ،

(١) الفاسي : العقد المئين ج ٢ ص ٧٤١ ، المقرئزي : السلوك ج ١ ص ٢٤٤ .

(٢) باخرمة : تاريخ نجران ج ٢ ص ١٧٨ .

فانتقل بذلك مسرح المعارك اليمينية الأيوبية إليها . وتوالت الحملات بين الجانبين (١) ، كل يعمل على تثبيت سيطرته على بلاد الحجاز .

أما بالنسبة للمخاطر الداخلية ، فقد كان نور الدين حريصا على عدم إتاحة الفرصة لظهورها على مسرح الأحداث الداخلية ، مستهدفا من ذلك تدعيم دولته واستقرار الأحوال الداخلية فيها . وكان بعيد النظر ، خبيرا بالتيارات الداخلية في دولته ، وكان يخشى أن تستنفذ الحركات الداخلية المضادة كل جهوده ، مما يؤدي إلى نجاح القوات الأيوبية في الوصول لليمن والقضاء عليه . وهذا يفسر مبادرته لمهاجمة القوات الأيوبية في مكة ، والعمل على السيطرة على الحجاز تأمينا لليمن من المخاطر الخارجية .

ومن ناحية أخرى ، فإن انشغال نور الدين بالصراع ضد الأيوبيين خارج حدود اليمن ، واستمرار حملاته على الحجاز ، من شأنه إغراء القوى الداخلية للعادية المتمثلة في القبائل اليمينية الطامعة دائما في التصحرر من سيطرة للدولة للتمرد ، كما أنه من المحتمل أن يتمرّد أيضا الناضخون من الجند أو رؤسائهم المواليين للأيوبيين ، وغيرهم من الطامعين من أمراء البيت الرسولي للاستيلاء على مقاليد الحكم ، وهؤلاء جميعا كانوا يجدون في القوى الزيدية خير ملجأ ومعين .

وكانت تلك القوى العادية كثيرا ما تنشط كلها وجدت الظروف مهيئة

(١) القاسمى : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٩٥ ، ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ص ٣٧٥ ، العرشي : بلوغ المرام ص ٢٤ ، : De Gaury, (G.) Rulers of Mecca, P. 88. (ولزيد من التفصيلات ، انظر الفصل الرابع) .

لذلك ، سواء عند ضعف القوى الحساسة ، أو انشغالها في صراعات داخلية أو خارجية . وهي سمة تميزت بها بلاد اليمن دون كثير من مناطق العالم الاسلامي عبر تاريخها الطويل . وكانت طبيعة البلاد الجبلية الوعرة من أهم العوامل التي ساعدت على تفتت البلاد إلى أشلاء متناحرة في كثير من العصور . ولهذا رأى نور الدين ألا تشغله حروبه ضد الأيوبيين في الحجاز عن تلك القوى المترعبة للاقتضاض على حكمه . ولكن لا يتيح الفرصة لتكتلمهم ضده ، لجأ إلى القيام بحملات دورية ، حتى لا تتعرض سلامة دولته للخطر ، فبعد حملة الحجاز سنة ٦٢٩ هـ / ١٣٢٢ م توجه إلى صنعاء واستولى على حصن بكر^(١) و كو كبان^(٢) وبراش^(٣) . وفي سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م تسلم بلاد علوان الجحدري في شرق اليمن^(٤) .

(١) بكر ، حصن من بلاد كو كبان إلى الشمال الغربي من صنعاء . (أمة

اليمن ج ١ ص ١٤٢) .

(٢) كو كبان ، جبل على مسافة يوم إلى الشمال الغربي من صنعاء (الواسعي :

اليدر المزيل للحزن ص ٢٥) يقع في أعلاه حصن كو كبان ، وهو حصن متين .

(٣) الخزرجي : العقود الأثرية ج ١ ص ٩ ، العقد الفاخر الحسن ج ٢

ص ٦٦ أ .

(٤) الخزرجي : العقد الفاخر ج ٢ ص ٦٦ ب ، المسجد ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ،

ابن الديبع : قرّة العيون ٦٦ ب (أما علوان فهو ابن عبدالله بن سعيد الجحدري

المدحجي ، كان قد تغلب على حصون حجر ونواحيها في شرق اليمن وحصون ،

العروسين ووعل ونهان وغيرها إلى الشرق من مدينة الجند (الخزرجي :

العقود الأثرية ج ١ ص ١٣٨ ، وانظر أيضا تعليقات : Redhouse في

(The Pearl — Strings, Vol. III, 3, pp. 98—99, Notes, 599 - 608)

٣ - الزيدية وفلض الصلح مع نور الدين :

سادت العلاقات الطيبة بين الزيدية ونور الدين بعد توصلهما إلى الصلح سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م ، وكان واضحا أن تأييدهم له وتحريره على الاستقلال ، كان بهدف أن تسوء العلاقات بينه وبين الأيوبيين ، فيستغل بنو حمزة الزيديين فرصة الصراع المنتظر للانقضاض على دولة نور الدين . ففي سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧ م استولوا على المناطق التي كان نور الدين قد أقرم عليها ، وعملوا على التوسع ، معرضين بذلك وحدة الدولة واستقرارها للخطر . وقد بدأ الزيدية نقض الصلح عندما أرسل الشريف الزيدى يحيى بن حمزة بعض أتباعه للاستيلاء على كوكبان (١) ، ولكن حاميتها تصدت لهم وردتهم على أعقابهم ، وقضت على محاربتهم (٢) . فلما علم نور الدين بذلك غضب ، وجيز حملة تأديبية إلى منطقة البون (٣) - شمال صنعاء - لمطاردة بني حمزة ، تمكنت من استرداد جميع

يرجع سبب محاربة نور الدين له ، أنه نعى إلى علمه أن علوان قد أرسل إلى الملك الكامل يطلب مساعدته في قتال نور الدين وإعادة اليمن للسيطرة الأيوبية (الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٣٩) .

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٥٨ . المسجد ص ٢٣٠ ، ابن الديبع : قرعة العيون ص ٦٧ د أ .

(٢) ابن حاتم : السمط ٤٤ د أ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٥٨ ، المسجد ص ٢٣٠ ، ابن الديبع : قرعة العيون ٦٧ د أ .

(٣) البون ، أرض لهمدان باليمن (نشوان بن سعيد الحميري : منتخبات في أخبار اليمن ص ٦) على مسيرة يوم إلى الشاك من صنعاء (الواسعي : اليدر المزيل للحزن ص ٥) على خط عرض ٤٠° ١٥' شمالا ، وخط طول ١٣° ٤٠' شرقا . (EL — khazretijyy : op.cit., P. 50, Note, 293)

البلاد التي كان نور الدين قد أقرم عليها في شمال اليمن^(١)، مقابا لهم على نقض الصلح^(٢).

ولم تقف مظالم الأشراف الزيدية عند هذا الحد، بل امتدت إلى مناطق أخرى؛ إذ استولوا على جبل منابر - وكان من المواقع الهامة المطلّة والمتحركة في مدينتي المهجم والمحالب - وقاموا بتحصينه^(٣)، وإعداده ليكون منطلقا للاستيلاء على غيره من المدن والحصون، وبما زاد من خطورة الموقف أن الحامية الموجودة مع نجم الدين بن أبي ذكرى - نائب نور الدين في مدينة المهجم - لم تكن كافية للتصدي لأي هجوم قد يشنه الأشراف بنو حمزة. ولذلك أرسل ابن أبي ذكرى لنور الدين يخبره بحقيقة الموقف، وحاول نور الدين التوصل إلى حل سلمي معهم، وأرسل إلى الشريف يحيى بن حمزة يطلب منه تسليم حصن منابر مقابل تعويضه بحصن آخر وعشرة آلاف دينار^(٤)، ولكنه رفض واعتبر أنه بسيطرته على هذا الحصن قد أصبح شريكا لنور الدين في منطقة تها منه. وهكذا لم يجد نور الدين بدا من الحرب، فزحف من زبيد إلى المهجم^(٥)

(١) ابن حاتم: السمط ٤٤، أ.

(٢) الخزرجي: العقود المؤلوية ج ١ ص ٦٠.

(٣) الخزرجي: العقود المؤلوية ج ١ ص ٥٨، قرّة العيون ٦٧، أ.

(٤) ابن حاتم: السمط ٤٤، أ، الخزرجي: العقود المؤلوية ج ١ ص ٥٩.

المسجد ص ٢٢٠، ابن الديبع: قرّة العيون ص ٦٧، أ.

(٥) ابن حاتم: نفس المصدر ص ٤٥، أ.

في ستين ألف مقاتل^(١) ، ومما يدل على حصانة هذا الحصن ومناعته أنه لم يكف بتلك القوة الكبيرة ، بل لجأ إلى سلاح المال لشراء لواء القبائل ، وخاصة تلك التي اعتمد يحيى بن حمزة عليها ، وأتفق في ذلك أموالا كثيرة^(٢) ، لهذا لم يكذب يعمل حتى استقبلته القبائل وانضوت تحت لوائه ، كما تخلت جموع المواليين ليحيى بن حمزة عنه ، مما يسر لنور الدين مهمة استرداد جبل منابر من غير قتال^(٣) . وتسلم عدداً آخر من المدن والحصون مثل حجة والمخلافه وما إليها^(٤) . فلما عاد نور الدين إلى زبيد جاءه مندوبو الأشراف معتذرين عما حدث ، مقرين له بالطاعة^(٥) ، مسلمين له بما استرده منهم من البلاد ، وتم الصالح على ذلك^(٦) .

وهكذا يتضح أن محاولة الزيدية الاستيلاء على كوكبان ، تم تحصينهم

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ٦٧ د أ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ص ٥٩ - ٦٠ ، المسجد ص ٢٢١ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ص ١٥٨ و ٦٠ ؛ المسجد ص ٢٣٠ - ٢٣١ ، العقد الفخر ص ٢٦ ، ابن الديبع : قرة العيون ٦٧ د أ ، باخرمة تاريخ نجر عدن ص ١٧٦ .

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ص ١٦١ ، ابن الديبع : قرة العيون

٦٨ د أ .

(٦) ابن الديبع : قرة العيون ٦٨ د أ .

لجبل منابر ، كان بهدف السيطرة والتوسع ، وأنهم لم يكونوا جادين عندما دخلوا في طاعة نور الدين . وكان اختيارهم لهذا الموقعين تجسيدا لتلك المطامع ، فحصن كوكبان بسيطر على جزء كبير من منطقة الجبال الشمالية بل ويهدد صنعاء نفسها ، وجبل منابر يتحكم في قسم كبير وهام من منطقة وسط تهامة ، مما يهدد بضياح المنطقة الساحلية الواقعة شمالها .

٤ - تثبيت سيطرة نور الدين على اليمن :

رقى اطار العمل على تدعيم واستقرار الأحوال الداخلية في اليمن ، قام نور الدين بانفاذ الحملات إلى العديد من المناطق ، ففي سنة ١٢٣٦/١٢٣٩ م سير حملة إلى بلاد الشحر بساحل حضرموت فاستولت عليها^(١) . وفي العام التالي أرسل حملة أخرى إلى حضرموت ، ولكنها عادت دون تحقق أن هدفها ، وبعد أن أوقعت القبائل بها الهزيمة وقتلت قائدها وعددا من أفرادها^(٢) . وفي نفس العام استولى نور الدين على حصن الكيم^(٣) . واسترد في سنة ١٢٣٨ / ١٢٣١ م حصن حلب - بالقرب من ثلا إلى الشمال من كوكبان^(٤) -

(١) ابن حاتم : السمط ص ٤٦ د أ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ص ١ ص ٦٤ ، المسجد ص ٧٣٣ ، العقد المتأخر الحسن ص ٢ ورقة ٦٦ ب ، ابن الديبع : قسرة العيون ورقة ٦٨ ب (الكيم ، حصن من بلاد الحدا) زيارة أئمة اليمن ص ١ ص ١٦١ (إلى الجنوب من صنعاء وهي الطريق الموصل بينها وبين مدينة ذمار) : EL - Khazrejiyy : The Pearl - Strings, Vol. III, p. 53, Note., 315.

(٤) زيارة : أئمة اليمن ص ١ ص ١٦٢ .

من الشريف محمد بن يحيى بن حمزة (١) .

وواصل نور الدين تسيير حملاته السنوية ، فأغار على حصن السوا (٢) ويمين (٣) ومنيف (٤) . وكان قد غضب على عمار بن السبأى واليه عليها ، فقتله سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤٢ م واستولى على حصونه (٥) وفي العام التالي استولى على حصن عتمة (٦) ، ثم تابع حملاته فتسلم في سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٤ م حصن حفاش (٧) . وفي سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٥ م استولى على حصن

(١) ابن حاتم : السمط ورقة ٤٦ د أ ، .

(٢) السوا ، حصن على جبل صبر من أعمال تعز (Kay ; yaman, p. 245) .

(٣) يمين ، حصن من حصون المعافر (الحجرية) إلى الشمال الغربي من عدن (بهدية الزمن ص ٤٥ د أ ، الخزرجي : المسجد ١٧٤) .

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٦٧ (منيف حصن من حصون

مخلاف المعافر على جبل صبر)

EL - Khazrejiyy : op. cit. p. 78, Note 459 .

(٥) الخزرجي : المسجد ص ٢٣٤ ، العقد الفاخر الحسن ج ٢ ص ٦٦ ب .

(٦) ابن حاتم : السمط ورقة ٤٦ ب . (عتمة ، حصن من الحصون المكدودة في اليمن ، ويضم أعمالا كثيرة ، ويعرف ببلد السلاطين ، وهم قوم من خولان ، قال عنهم الخزرجي ، بأنهم أهل رئاسة متأثرة ومكارم مشهورة (العقد الفاخر الحسن ج ٢ ص ٢٩ د أ) .

(٧) الخزرجي : المسجد ص ٢٣٦ ، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٧١ ، العقد

الفاخر الحسن ج ٢ ص ٦٧ د أ ، ابن الديبع : قرة العيون ٦٨ ب . (وحفاش من المعافل المشهورة على جبل باسمه قريب من ناحية الخلافة (الجندي : السلوك

ص ٣٧١) .

سماوة^(١) وبلاد خولان^(٢)، كما زحف إلى بلاد علوان الجحدرى الواقعة في شرق اليمن - في نفس العام - وطرده منها ، وكان الشريف الزيدى تاج الدين محمد بن يحيى بن حمزة قد جاءه في كثير من أتباعه لامداده ومعاونته ضد علوان ، فأعاد نور الدين إليهم حصون حجة وزادهم عليها مناطق أخرى مكافأة لهم على معاونتهم له^(٣) .

وفي سنة ٦٤٥ هـ / ١٢٤٨ م استولى نور الدين على جبل العوادر^(٤) ، ثم توجه إلى تهامة للقضاء على حركة التمرد التي قام بها المعازبة^(٥) . وهكذا سيطر نور الدين على جميع مناطق اليمن باستثناء عدد قليل من البلدان والحصون^(٦) .

(١) سماوة ، قلعة حصينة على جبل وصاب بالقرب من زيد

EL - Khazrejiyy : op. cit., p. 59, Note, 344 .

(٢) ابن حاتم : السمط ٤٦ ب ، الخزرجي : المسجد ٢٣٦ ، ابن الديبع :

قرة العيون ٦٨ ب ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان ١ ص ٤٢٦ .

(٣) ابن حاتم : السمط ٤٥ د أ ، .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٤٧ د أ ، الخزرجي : العقود ١ ص

٧٤ ، المسجد ٢٣٧ ، العقد الفاخر ٢ ص ٦٧ د أ ، ابن الديبع : قرة العيون

٦٩ د أ ، (العوادر ، قبيلة تقيم على جبل سورق إلى الشرق من الجند)

EL - Khazrejiyy ; op. cit, p 61, Note 352 .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والمبصرة (والملازية ، قوم يسكنون المنطقة

الواقعة بين مدينة القرشية وزيد (الخزرجي : المسجد ٤٤٩) .

(٦) الخزرجي : العقود ١ ص ٧٣ ، المسجد ٢٣٧ ، العقد الفاخر الحسين

٢ ص ٦٧ د أ ، .

٥ - استغلال الشرف الزيدي أحمد بن الحسين الخلف اللاتم بين بني رسول للدعوة للإمامة :

كان السلطان الرسولي نور الدين قد ولي ابن أخيه الأمير أسد الدين محمد ابن بدر الدين الحسن بن علي بن رسول علي صنعاء ، وذلك بعد أن استولى عليها في أواخر سنة ٩٢٧ هـ / ١٢٣٠ م من الأمير نجم الدين أحمد بن أبي ذكرى نائب المسعود (١) ، وظل أسد الدين يتوب عن عمه في ولاية صنعاء ، منذ أعلن استقلاله باليمن عن الأيوبيين (٢) إلى أن تخلص من أكثر الأخطار الخارجية ، وأقر قواعد ملكه داخليا ، وعندئذ عزم علي عزل ابن أخيه عن صنعاء (٣) ، وذكر ابن حاتم أن ذلك كان بإيعاز من زوجته - أم قطب الدين - التي أرادت أن يكون ابنها للفائز قطب الدين نائبا لأبيه علي صنعاء بدلا من أسد الدين محمد بن الحسن (٤) ، وقيل إنما يرجع السبب في رغبة نور الدين في عزله إلى ما بلغه من أمور خوفته منه (٥) ، وأنه لهذا قرر عزله ، وتولية ابنه المظفر يوسف بدله (٦) .

(١) الخزرجي : العقد الفاخر ، ص ٢ ص ٦٧ د أ ، باخرمة : تاريخ نجر عدن ، ص ٩٨ ص ١٧٨ .

(٢) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار ص ٥٤ .

(٣) ابن حاتم : السمط ٤٧ د أ .

(٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن لوحة ٥١ ب ، الخزرجي : للعقود اللؤلؤية

(٥) ابن حاتم السمط ٤٧ أ .

ص ١ ص ٧٤ ، المسجد ص ٢٣٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ٦٩ د أ .

(٦) ابن عبد المجيد : نفس المصدر لوحة ٤٢ د أ ، باخرمة : تاريخ نجر

عدن ، ص ٢ ص ١٧٨ .

والقول بأن نور الدين كان يعمل على تولية ابنه المظفر، يحتاج إلى أسانيد تدعمه ، ذلك أن أم قطب الدين - واسمها بنت جوزة ابنة الأمير سيف الدين سنقر الأتابك ، وزوجة المسعود يوسف بن الكامل - كان نور الدين قد تزوجها (١) بعد استيلائه على اليمن ٦٢٨ هـ / (٢) ١٢٣١ م ، وشغف بها وأنجب منها ولداه قطب الدين الفائز والفضل ، وكانت تبذل قصارى جهدها لاستمالة نور الدين لولديها ، دون ابنه المظفر الذي كانت تعمل على إبعاده مع أنه أكبر أبنائه ، فكانت النتيجة أن تولي المظفر يوسف نائباً لأبيه على مدينة المهجم . وغضب المظفر لهذه المؤامرة التي دبرتها زوجة أبيه ، وعزم على التوجه إلى بغداد ليشكو إلى الخليفة المستعصم العباسي من أبيه الذي أقصاه وحلف العسكر للفضل الذي يصغره في السن (٣) .

ومها يكن من شيء فإن نور الدين استدعى ابن أخيه أسد الدين عندما عزم على عزله ، وطلبه في أواخر ٦٤٥ هـ / ١٢٤٨ م بحجة أنه يريد أن يزوجه من ابنته . فلما وصله عرض عليه أن يعرضه عن صنعاء بلحج وأبين وحضرموت والشعر ، ولكنه رفض ، فعرض عليه راتباً سنوياً قدره خمسين ألف دينار، فرفض أيضاً وقفل عائداً إلى صنعاء (٤) . وقيل أنه لم يقابل عمه ،

(١) الخزرجي : العقد الفاخر - ٢ ص ٦٦ د أ .

(٢) الخزرجي : العقود الأثرية - ١ ص ٤٧ ، المسجد ٢٢٧ ، ابن الديبع
قرة العيون ٦٥ .

(٣) الخزرجي : العقود الأثرية - ١ ص ٨١ - ٨٩ ، المسجد ص ٢٤٦ ،
ابن الديبع : قره العيون ٧١ ب .

(٤) ابن حاتم : السمط ٤٧ د أ .

لأنه ما أن وصل حتى علم بما اعترم عمه القيام به من عزله عن صنعاء ، فصخوف
وغيره أرباباً في طريقه إلى صنعاء (١) بغير مقابلة عمه أو استئذانه . فأرسل
نور الدين من بسببه ويعترض عليه طريقه إلى صنعاء ، ولكنه عدل عن الطريق
المعتاد وسار في طريق قفر (٢) ، ودخل صنعاء في أول عام ٨٦٤٩هـ / (٣) ١٢٤٨م
وهو غاضب من عمه ناقم عليه .

وفي سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٩م قام الشريف الزيدى أحمد بن الحسين القاسمي
إماماً للزيدية باليمن (٤) ، ولما كان أسد الدين مغاضباً لعمه ويخشى انتقامه ،
لهذا فقد أرسل إلى الإمام يعرض الانضمام إليه والتحاليف معه ضد عمه (٥) .

(١) الخزرجي : العقد الفاخر ج ٢ لوحة ٩٥ « أ » .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والمصنفة ، ابن عبد الحميد : بهجة الزمن لوحة
٥١ ب — ٥٢ « أ » ، الخزرجي : المسجد ص ٢٢٧ ، العقود اللؤلؤية ج ١
ص ٧٤ — ٧٥ ، ابن الديبع : قرة العيون ٦٩ « أ » .

(٣) الخزرجي : العقد الفاخر ج ٢ لوحة ٩٥ « أ » .

(٤) هو الإمام أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم بن عبد الله بن القاسم
ابن أحمد بن أبي البركات بن إسماعيل بن أحمد بن القاسم بن محمد بن القاسم
ابن ترمجان الدين طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي
ابن أبي طالب ، (الخزرجي : طراز الزمن ج ٢ ص ٩٠ - ٩١ ، زيارة : أئمة
اليمن ج ١ ص ١٥٢) وتمت إمامته بحمصن نلا في منتصف صفر سنة ٦٤٦هـ
(ابن حاتم : السمط ٤٧ « أ » ، الخزرجي : العقد الفاخر ج ٢ ص ٦٧ « أ » ،
العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٧٥ .

(٥) ابن عبد الحميد : بهجة الزمن لوحة ٥٢ ب ، الخزرجي : العقد الفاخر

ج ٢ لوحة ٦٧ « أ » ، العقود ج ١ ص ٧٩ .

وهكذا أسهم أسد الدين بعمله هذا في فتح باب الصراع مع الزيدية من جديد، بعد هدوء استغرق ثمانى عشرة عاماً منذ استقلال نور الدين بحكم اليمن - باستثناء ما قام به بنو حمزة سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧ م - فلما علم نور الدين بهذه التطورات الخطيرة ، من قيام إمام وانضمام أسد الدين إليه ، تجهز في عسكر كثيف وتوجه لمحاربتها (١) . فلما وصل إلى ذمار - الواقعة إلى الجنوب من صنعاء - في ربيع الأول ٦٤٦ هـ / ١٢٤٩ م ؛ أمر باستدعاء أسد الدين محمد بن بدر الدين الحسن بن على بن رسول من صنعاء ، وأرسل له ذمة وأماناً مع أخيه فخر الدين أبى بكر بن الحسن الذى استطاع إقناعه بالتوجه معه إلى عمه وتجديد العهد له ، والاعتذار له عما بدر منه ، وفلا عفا نور الدين عنه وأكرمه وأقره على صنعاء (٢) ، وتوجه الجميع إليها فوصلوها في الحادى عشر من ربيع الآخر سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٩ م (٣) .

أما الإمام أحمد بن الحسين فقد كان يتابع - في حصن تلا (٤) - تجهيز

(١) الخزرجى : العقود اللؤاؤية ج ١ ص ٧٦ .

(٢) ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار لوحة ٥٤ .

(٣) ابن حاتم : السمط ٤٧ ب (و ذكر الخزرجى أن دخول نور الدين إلى صنعاء كان في الحادى والعشرين من الشهر ، انظر العقود اللؤاؤية ج ١ ص ٧٦ ، العقد الفاخر ج ٢ ص ٦٧ « أ ») .

(٤) تلا ، حصن منبع إلى الشمال من كوكبان (الواسعى : البدر المزيل للحرز ص ٢٤) وهو على بعد ثلاث فراسخ من صنعاء (ابن الجوار : صفة بلاد اليمن ج ٢ ص ١٩٣) .

الجملات للاغارة على المناطق الموالية للسلطان نور الدين (١) . ولهذا لم يكبد نور الدين يستقر في صنعاء حتى عقد العزم على السير بقواته لمحاربة الامام والقضاء على دعوته قبل استفحالها (٢) ، فخرج من صنعاء في الثاني من جمادى الأولى سنة ٦٤٦ هـ / ١١٤٩ م (٣) ، وحط بقواته قرب سفح ثلا ، ودار قتال عنيف بين الجانبين ، شمل المنطقة ، وقتل من أتباع الامام سبعون رجلا (٤) .

وتابع نور الدين حملاته على المناطق الموالية للامام ، وانتقم منهم ، وأخرب وأتلف كثيرا من حصونهم ومزارعهم (٥) . وظل مقيما في صنعاء ما يقرب من عام كامل يجهز الجملات للاغارة على الامام وأعوانه من الزيدية والقبائل الموالية له ، فتارة يقود الجملات بنفسه ، وأخرى ينيب ابن أخيه أسد الدين أو غيره من كبار أمراء الأجناد (٦) . وعلى الرغم من العنف والقسوة التي اصطنعتها قوات نور الدين مع الزيدية ، إلا أن القبائل الموالية

(١) زيارة : أئمة الدين ج ١ ص ١٥٤ .

(٢) زيارة : أئمة الدين ج ١ ص ١٥٣ .

(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن لوحة ٥٢ وأ .

(٤) الخزرجي : المسجد ص ٢٣٨ ، العقد الفاخر ج ٢ ص ٦٧ دأ ، (أما ما أورده الخزرجي في العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٧٦ من أن عدد القتلى كان تسعون رجلا ، فيبدو أن ذلك تصحيف من الناسخ في الأصل المخطوط الذي اعتمده الناشر لطبع الكتاب) .

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٧٧ ، ٨٠ ، المسجد ص ٢٣٨ -

٢٣٩ ، ابن الديبع : قرة العيون ٦٩ .

(٦) ابن حاتم : السمط ص ٤٨ دأ .

للإمام لم تدعن بالطاعة للسلطان ، واستمرت مقاومتها العنيدة في مساندة الإمام ودعوته (١) . وأمام هذا الصمود الذي استغرق وقتا طويلا ، رأى نور الدين أن يعود إلى تعز لترتيب أمور دولته على أمل في جولة أخرى وغادر صنعاء في الثالث من ربيع الأول ٦٤٧ هـ / ١٢٥٠ م (٢) . وتوجه معه ابن أخيه أسد الدين في وداعه إلى ذمار (٣) .

وبما يذكر أن الزيدية استغلت خروج أسد الدين من صنعاء وتغيبه في وداع السلطان ، وحاولت قواتهم الاستيلاء على صنعاء ، ولكن حاميتها صدتهم وردتهم عنها (٤) . كما قامت القبائل الموالية للإمام بقطع طريق العودة على أسد الدين ، ولكنه استطاع الوصول إلى صنعاء قهرا (٥) . واستمر ضغط الإمام وقواته على أسد الدين ، ولكن انقسام الزيدية بعد ذلك ووقوع الحرب بين الإمام وبنى حمزة خفف كثيرا من الخطر الذي تعرضت له صنعاء (٦) .

(١) زيارة : أئمة اليمن ج١ ص ١٥٥ .

(٢) ابن حاتم : السمط ٤٨ ب ، الخزرجي : العقد الفاخر ج٢ ص ٦٧ دأ .

(٣) الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ج٢ ص ٩٥ دأ .

(٤) ابن حاتم : السمط العالي الثمن ورقة ٤٨ ب ، الخزرجي : العقود

اللؤلؤية ج١ ص ١ ، المسجد ص ٢٤٠ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٧٠ دأ .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر والمنفعة ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية

ج١ ص ٨١ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٧٠ دأ .

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج١ ص ٨١ ، المسجد ص ٢٤١ ، ابن

الديبع : قرة العيون ص ٧٠ دأ .

أما نور الدين فإنه ماكاد يواصل تقدمه جنوبي صنعاء حتى إعرضته قبائل تلك المنطقة مع عدد كبير من قوات الامام تقسدر بعشرة آلاف رجل (١) ومائة وخمسين فارساً (٢) . فتصدى لهم نور الدين بمسكره وهزمهم في ربيع الآخر سنة ٦٤٧ هـ / يوليو - أغسطس ١٢٤٩ م ، وقتل منهم أكثر من ثلاثمائة رجل (٣) ، ثم واصل طريقه إلى تعز ، (٤)

٦ - مقتل السلطان نور الدين :

ظل نور الدين مقيماً في تعز إلى حلول عيد الفطر (٥) ، ثم تقدم بعده إلى مدينة المهجم ، وفي هذه الأثناء بلغه عودة علوان الجحدري للعصيان مرة أخرى ، فعزم على السير لمحاربتة والقضاء على حركته ، فغادر مدينة المهجم في شهر ذى القعدة ٦٤٧ هـ (٦) / فبراير سنة ١٢٥٠ م ، فلما وصل إلى مدينة الجند ونب عليه بماليكة ، وقتلوه في قصر الجند (٧) في ليلة السبت التاسع من ذى القعدة سنة ٦٤٧ هـ / ١٥ فبراير سنة ١٢٥٠ م (٨) .

(١) ابن حاتم : السمط ورقة ٤٨ ب .

(٢) الخزرجي : المقود اللؤلؤية ج ١ ص ٨١ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٥) ابن حاتم : السمط ٤٨ ب .

(٦) ابن حاتم : نفس المصدر ٤٩ هـ ، أ ، .

(٧) زبارة : أئمة اليمن ص ١٥٨ .

(٨) ابن حاتم : السمط ورقة ٤٩ هـ ، أ ، ، الخزرجي : المقود اللؤلؤية

وقيل أن مقتله تم بمؤامرة دبرها له أسد الدين لبين أخيه (١) الذي كان مهدداً بالغزل عن صنعاء ، وكان يتوقع أن يقصيه عمه عنها في يوم من الأيام ، ولهذا اتفق مع أخيه فخر الدين أبي بكر بن الحسن بن علي بن رسول ، ودبر الخطة معه ، واتفقا مع مالك نور الدين على قتل ولي نعمتهم . وبذلالهم الوعود البراقة والأموال الجزيلة (٢) ، حتى قيل أنهم كانوا قد عزموا على تنفيذ مؤامراتهم في صنعاء ، ولكنهم أرجأوا التنفيذ (٣) حتى تم لهم ذلك في مدينة الجند .

وهكذا مات نور الدين مقتولا بيد مماليكه بعد ملك دام أكثر من ثمانية عشر سنة - خلاف فترة نيابته عن المسعود - قضاها في كفاح متواصل من أجل تدعيم استقلاله وترسيخ قواعد دولته وإقرار الأمن في ربوعها ، وتأمينها باستيلائه على الحجاز .

= ج ١ ص ٨٢ ، المسجد ص ٢٤١ ، العقد الفاخر الحسن ج ٢ ص ٦٧ د أ ،
 القامى : العقد الثمين ج ٣ ص ٣١٨ ، ابن تغرى بردى : حوادث الدهور
 ص ٣٧٥ ، المنهل الصافي ج ١ ص ٢٣٠ النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٧٣ ، ابن
 الديبع : قرة العيون ٧٠ د أ ، .

(١) الخزرجى : المسجد ص ٢٤١ ، العقود الأثرية ج ١ ص ٨٢ ، ابن
 الديبع : قرة العيون ٧٠ د أ ، .

(٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ٥٢ د أ ، باخرمة : تاريخ نجران
 ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٣) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ٥٢ ب .

الفصل الثاني

دولة بنى رسول بعد نور الدين

أولا - عصر المظفر يوسف :

١ - الوضع المتفجر بعد وفاة نور الدين ومولف المظفر يوسف من الطامعين في السلطنة من بنى رسول :-

أحدث مصرع نور الدين عمر بن علي بن رسول هزة عنيفة في بلاد اليمن ، وعرض دولة بنى رسول الناشئة للانهار ، فلم تكن الظروف مهيأة لإقامة خلف له ، لعدم وجود أحد من أبنائه معه في مدينة الجند عند مقتله حتى يمكن مبايعته بالسلطنة ، فإنه الأكبر المظفر يوسف كان نائبا له في مدينة المهجم وكان موجوداً فيها (١) آنذاك . أما ابنه المفضل قطب الدين ، فكان أبوه قد ولاه على مدينة المحالب (٢) ، ولكنه آثر أن يتيب عنه فيها أحد أتباعه ، وظل مقبلاً في تعز مع والدته وإخوته (٣) .

(١) ابن حاتم : السمط ص ٤٩ « أ » ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٣ « أ » ، الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ج ٢ ص ١٤٦ (ب) .

(٢) المحالب ، مدينة في تهامة بالقرب من المهجم ، وتقع على خط عرض ٢٠°١٥ شمالاً ، وخط طول ٤٣° شرقاً تقريباً . (El-Khazrejiyy : The Pearl-Strings, Vol. III, 3, p. 50, Note, 294).

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٤٩ « أ » .

وكان الموقف بعد مقتل نور الدين في الحق خطيراً ويهدد بالإقسام والتفتت ، فالمظفر يوسف كان يعتبر نفسه صاحب الحق الشرعي في السلطنة بعد أبيه باعتباره أكبر أبنائه أما نحر الدين أبو بكر بن الحسن بن علي بن رسول ابن شقيق نور الدين، فكان والياً على رمع^(١) ، وطمع في الاستيلاء على السلطنة ، في حين استغل أخوه أسد الدين عهد القرصة واستقل بولاية صنعاء وأخذ يعمل على مساندة أحميه^(٢) . أما المفضل قطب الدين بن نور الدين ، فقد كان يستند في حقه في السلطنة على ما قام به أبوه من تحليف العسكر له في حياته^(٣) . وبالإضافة إلى هذه المطامع كان الزيدية يتطلعون إلى تمكين نفوذهم في البلاد ، فقد تمكن الإمام الزيدى أحمد بن الحسين من السيطرة على المناطق الواقعة شمالي صنعاء مستهدفاً التوسيع على حساب بني رسول المتنافسين على السلطنة^(٤) . مما كان يهدد بزوال دولة بني رسول .

وكان الموقف يحتم على المظفر يوسف - صاحب الحق الشرعي في السلطنة - أن يتصدى لكل هذه المخاطر والأعمال على التخلّص من منافسيه وتثبيت أركان عرشه . وتدل الأحداث على أن خطته كانت تهدف إلى تحقيق السيطرة على

(١) رمع ، وادى يقع إلى الشمال من وادى زيد : EL - Khazrejiyy : op. cit. p. 23, Note, 117).

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٤٩ د أ .

(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٣ د أ ، الخزرجي : العقد الفاخر

الحسن ج ٢ ص ١٤٦ (ب) .

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٨٩ ، المسجد المسبوك ص

٢٤٦ ، العقد الفاخر ج ٢ ص ١٤٦ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٧٢ د أ .

أكبر مساحة ممكنة من البلاد ، مع عدم الدخول - بقدر الإمكان - في حرب مع أكثر من قوة في وقت واحد ، سعيا إلى التخلص من منافسيه كل على حدة . وهكذا شرع في تنفيذ هذا المخطط وغادر المهجم بعد أيام من مقتل أبيه متوجها إلى زيد (١) ، لمواجهة خصومه الواحد تلو الآخر .

أ - صراع المظفر ضد أبناء عمه :

كان قتلة نور الدين قد انحازوا - مع بقية مماليكه - إلى فخر الدين أبي بكر بن الحسن بن علي بن رسول (٢) ، وبايعوه بالسلطنة ولقبوه بالملك المعظم (٢) ، وعندئذ أسرع في جموعه للاستيلاء على زيد ، ولكنه ما أن بدأ الحصار حتى قوبل بمقاومة شديدة من أهلها ، الذين - رغم اختلاف نواياهم - أجمعوا على عدم تمكينه من مدونتهم . إذ كان بعضهم يقاومون الحصار وظاه بالقسم الذي ارتبطوا به مع نور الدين لابنه المفضل (٤) ، في حين صمد الآخرون ومنهم الدار الشمسي - شقيقة المظفر التي كانت موجودة وقتئذ بزيد - (٥) من أجل حماية المدينة حتى يصلهم المظفر يوسف . ومن الجدير

(١) ابن حاتم : السمط ص ٥١ (ب) ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية

ج ١ ص ٩٠ .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٨٨ ، المسجد ص ٢٤٥ ،

العقد الفأخر ج ٢ ص ١٠٦ ، (ب) ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٧١ (ب) .

(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٣ د أ ، الخزرجي : العقود

اللؤلؤية ج ١ ص ٨٨ ، المسجد ص ٢٤٥ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٥٢ د أ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٤٩ «ب» .

بالذكر أن الدار الشمسي قد لعبت دوراً كبيراً في تنظيم المقاومة والدفاع عن المدينة ، كما بذلت الأموال الكثيرة (١) كسبا لولاء سكان المدينة لأخيها المظفر يوسف (٢) ، وأرسلت إليه نستحثة على الإسراع لتسلم المدينة قبل سقوطها (٣).

أما المظفر ، فقد بلغته تلك الرسالة بعد خروجه من مدينة المهجم . وكان قد كتب إلى رؤساء القبائل ومشايخ البلاد ولكل من استشعر منه ميلا إليه : وطلب منهم الاستعداد للاقتاتة والسير معه ، وأنفق فيهم الأموال الكثيرة ، ونجح في إغراء أعداد كبيرة من الجند ورجال القبائل بالانضمام إليه (٤) .

وأعلن والي حرص - في شمال تهامة - الطاعة له ، وتبعه عدد آخر من ولاية منطقته ، وتوجه المظفر في هذه الجموع إلى زيد (٥) ، التي كانت قد تمكنت من الصمود رغم كثرة المحاصرين لها . وهكذا باءت محاولات فخر الدين في الاستيلاء عليها بالفشل (٦) ، ولم يلبث أن فك الحصار عنها عندما

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٣ « أ » ، الجندي : السلوك ص ٢٣٢ ، الخزرجي : العقد الفاخر ج ٢ ص ١٦٨ ، أ ، ، الأهدل : تحفة الزمن ص ١٤٥ ب .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٥٢ د أ .

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٨٨ ، المسجد ص ٢٤٥ ، العقد الفاخر ج ٢ ص ١٤٦ ب ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٧١ ب .

(٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٣ د أ ، الخزرجي : المسجد ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٧٢ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٥١ ب .

(٦) الأهدل : تحفة الزمن ص ١٤٦ ب .

أقتربت قوات المظفر منها (١) ، وغادرها بعسكره في طريقه إلى صنعاء للانضمام إلى أخيه أسد الدين مجد والعمل سويا للسيطرة على البلاد .

وبانسحاب فخر الدين أمكن للمظفر يوسف أن يدخل زيد في موكب عظيم من غير حرب (٢) ، وذلك في غرة ذي القعدة ٦٤٧ هـ / (٣) فبراير ١٢٥٠م ، وفيل في العاشر منه (٤) ، فاستقبل استقبالاً حافلاً ومدحه الشعراء ، وأقسم أهل المدينة وعسكرها بالولاء والطاعة له (٥) . ثم أنعم المظفر على رؤساء القبائل الذين ساندوه ، وأجزل العطاء لهم ولجن معهم ، وسمح لهم بالعودة بعسدهم أن استقرت له الأمور في المدينة (٦) وبعد أن تخلص من مخاطر فخر الدين باعتقاله ، فقد كان المظفر قد أعد العدة لاعتراض طريقه إلى صنعاء ، وفي نفس الوقت قام بعض من معه من المهالك بمراسلة المظفر للدخول في طاعته ، فأمنهم المظفر واشترط عليهم القبض على فخر الدين أولاً (٧) ، فاعتقلوه وقيدوه وسلموه إليه

-
- (١) الخزرجي : العقود اللؤاوية > ١ ص ٩٠ ، المسجد ص ٢٤٧ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٧٢ ، أ . .
- (٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٣ ب .
- (٣) ابن حاتم : السمط ص ٥٣ ب ، الخزرجي : العقد الفاخر > ٢ ص ١٤٦ ب ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٧٢ .
- (٤) الخزرجي : العقود اللؤاوية > ١ ص ٩٢ ، المسجد ص ٢٤٨ .
- (٥) ابن حاتم : السمط ص ٥٣ ب .
- (٦) ابن حاتم : السمط ص ٥٣ ب .
- (٧) ابن حاتم : السمط ص ٥٣ ، أ ، ، الخزرجي : العقد الفاخر > ٢ ص ١٤٦ ب .

في مستهل ذي الحجة سنة ٦٤٧ هـ / مارس ١٢٥٠ م فتحفظ عليه (١) .

وباستيلاء المظفر على زبيد أصبح مسيطرا على تهامة بأسرها (٢) ، ولم يشأ في هذه المرحلة الاصطدام بأي من القوى الأخرى المنافسة ، وفضل العمل على السيطرة على أكبر قدر ممكن من المناطق التي لم يصل إليها نفوذ منافسيه ، حتى إذا ما تحقق له ذلك ، سهل عليه بسط سلطانه على بقية المناطق المحدودة الأخرى . وقد ساعده على ذلك وصول كثير من المكاتبات من مختلف المناطق يطلب الدخول سلميا في طاعته ، ومن هذه المكاتبات رسالة من والي عدن يطلب اليه فيها سرعة الوصول لتسلم المدينة قبل أن يسبقه إليها أجوه المفضل (٣) . ولهذا توجه المظفر إلى عدن فاستقبله واليها وأهلها استقبالاً حافلا ، ودخلها في موكب عظيم في صفر ٦٤٨ هـ / مايو سنة ١٢٥٠ م (٤) . وتابع المظفر تقدمه فاستولى في نفس الشهر على المناطق والحصون المحيطة بـعدن مثل لحج وأبين (٥) وحصون يمين ومنيف والسوا بالإضافة إلى حصون المعافر جميعها بغير قتال (٦) .

ب - صراع المظفر ضدادخيه لفضل قطب الدين :

كان السلطان نور الدين عمر قد قام في أواخر عهده — وبتأثير زوجته

(١) ابن حاتم : السمط ص ٥٢ ب .

(٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٢ ب ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية

ج ١ ص ٩٤ ، المسجد ص ٢٥٠ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٥٥ ب .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٥٦ د أ ، .

(٥) ابن حاتم السمط ص ٥٦ د أ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٤ أ .

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٩٤ ، المسجد ص ٢٥٠ .

بنث جوزة - بتحليف العسكر لابنها المفضل قطب الدين (١) ، واقصاه المظفر عن ولاية العهد بتوليته على مدينة المهجم . وهكذا يصبح مرش السلطنة حقا للمفضل بعد أبيه ، وخاصة وأن أباه لم يعهد بولاية العهد لغيره ، فكان لذلك أسوأ الأثر في نفس المظفر الذي كان يرى أن السلطنة حق طبيعي له بعد أبيه باعتباره أكبر أبنائه . ولهذا فكر في التوجه إلى بغداد لعرض مطالبته على الخليفة العباسي كي يتدخل لانصافه ، ولكنه عدل عن عزمه لوظة أبيه المناجئة (٢) ، وفضل البقاء للنضال حتى لا يتيح الفرصة بسفوره لأخيه أو غيره من الطامعين للاستيلاء على السلطنة دونه .

أما المفضل ، فكان موجودا في تهر عندما بلغه نبأ مقتل أبيه ، فبادر بالتحصن في قلعة المدينة بأهله وأتباعه (٣) . وكانت مجموعة من المالك قد وافته بتمزق عقب مقتل أبيه : والتمسوا منه أن يؤمنهم على أنفسهم وأن

(١) كان نور الدين قد تزوج بعد استقلاله بملك اليمن بأرملة المسعوديوسف آخر الأيوبيين في اليمن والمعروفة ببنت جوزة ابنة سيف الدين سنقر الانابك المعروف ، فأنجبت له ولديها المفضل قطب الدين والقائر أحمد . وكانت تعمل على تقيدها دون غيرها ، وتمكنت من التأثير عليه وأقنعت بتحليف العسكر لابنها المفضل حتى تضمن استمرار ملك اليمن في نسلها . (ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٣ « أ » ، الجندي : السلوك ص ٢٤٣ ، الخزرجي : العقد الفاخر ح ٢ ص ١٤٦ ب ، الأهدل : تحفة الزمن ص ١٥٣ د أ .

(٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٣ د أ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ح ١ ص ٨٨ - ٨٩ ، المسجد ص ٢٤٦ ، ابن الديبع : قره العيون ص ٧١ ب .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٥٠ د أ .

يدخلوا في طاعته . والظاهر أن المفضل لم يطمئن إليهم ، ولهذا رفض مطلبهم ، فتوجهوا إلى زيد وانضموا إلى فخر الدين الذي كان يحاصرها (١) ، فلما استولى المظفر على زيد واعتقل فخر الدين ، انزعج المفضل وأتباعه فترك حامية في تعز لحمايتها (٢) ولجأ إلى حصن الدمولة لمناعته (٣) ، وأقام فيه يرقب الموقف إلى أن تواتبه الفرصة للسيطرة على البلاد . إلا أن المظفر كان يسلك معه ما يعرف اليوم (بالحرب النفسية) ، فكان يعتمد إبلاغه أولاً بأول بكل ما يستولى عليه من مدن وحصون (٤) مستهدفاً تحطيم معنوياته وتدمير آماله في اعتلاء عرش السلطنة .

ولم يكفد يتحقق للمظفر السيطرة على تلك المناطق ، وترجع كفته حتى نحول للقضاء على مناعة أخيه المفضل ، وتقدم إلى مخلاف المعافر شمالاً ، وبدأ بالاستيلاء على مدينة جيبا (٥) ، فكانت أول بلدة يخطب له فيها من جبال اليمن (٦) . ومن هناك واصل زحفه إلى تعز (٧) . وكان المفضل قد أعد حملة

(١) ابن حاتم : السمط ص ٥٥ دأ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٥١ دأ .

(٣) الجندى : السلوك ص ٢٤٣ ، الأهدل : تحفة الزمن ص ١٥٣ «أ» .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٥٦ ب .

(٥) جيبا ، مدينة من مخلاف المعافر - بين لحج والدمولة - وتقع على خط

عرض ١٣°١٣' شمالاً ، وخط طول ٤٠°٤٤' شرقاً تقريباً

El-Khazrejiyy op. cit., p. 78, Note 261

(٦) الجندى : السلوك ص ١٩١ ، الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١

ص ٩٤ ، المعتمد ص ٢٥٠ .

(٧) ابن حاتم : السمط ص ٥٦ ب ، الجندى ، : السلوك ص ٣٠٢ ،

الخزرجى : العقد الفأخر ج ٢ ص ٣١ «أ» ، الأهدل : تحفة الزمن ص ١٩٠ دأ .

لاعتراض طريقه إليها ، ولكن المظفر تمكن من إغراء أتباع أخيه ، ونجح في ضم مجموعة كبيرة منهم إليه ، وتفرق الباقون . وهكذا تمكن المظفر من الوصول إلى تعز وقام بمحاصرتها في ربيع الأول ٦٤٨ هـ (١) بؤنيه ١٢٥٠ م . وانتهى الأمر بالاستيلاء عليها بخديعة في جمادى الأولى (أغسطس) من نفس العام ، بعد أن أمن واليها علم الدين سنجر الشعبي ومن معه (٢) . واتخذ المظفر من تعز مقرا بدلا من زبيد (٣) ، ليتمكن منها من استكمال السيطرة على ما يجاورها من المدن والحصون ، واستطاع في شهر رجب سنة ٦٤٨ / أكتوبر ١٢٥٠ م الاستيلاء على حصني حب (٤) وخذد بغير قتال (٥) .

وعلى الرغم من مناعة وقوة تحصينات حصن الدمولة الذي تحصن فيه المفضل بأله وأتباعه ، فقد حاصره المظفر في سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م . ولما كان من الصعب الاستيلاء عليه عنوة فقد بعث رسالة إلى أهل الحصن رغبتهم

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٤ دأ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ح ١ ص ٩٤ ، المسجد ص ٢٥٠ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٥٧ دأ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٤ «أ» ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ص ٩٥ ، المسجد ص ٢٥١ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٥٧ ب .

(٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٤ دأ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ح ١ ص ٩٥ ، المسجد ص ٢٥١ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٧٣ دأ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٥٧ ب .

فيها بالدخول في طاعته ، وتوعدهم إذا ما استمروا في ولاءهم للمفضل (١) وأثبت هذا الأسلوب القائم على الترغيب والترهيب فعالية ، إذ استجاب له البعض وبعثوا إليه برسائلهم يؤكدون فيها ولاءهم وطاعتهم له (٢) . واضطر للمفضل بسبب ما عاناه من شدة الحصار ، وميل الكثيرين ممن معه إلى المظفر ، أن أخذ بمشورة والدته في فتح باب المفاوضة مع أخيه ، وتوات عنه والدته مهمة المفاوضة مع المظفر . وضمانا لعدم المساس بها ، أرسل المظفر بعض الرهائن للاحتفاظ بهم في الحصن لحين عودتها . وكان من الطبيعي أن يوافق المظفر على الصلح (٣) ، ويستجيب لطلب زوج أبيه بجعل أبنين إقطاعا للمفضل ، وموزع (٤) وحيس إقطاعين لأخيه الفارز أحمد (٥) . ويمكننا اعتبار هذا الاتفاق بمثابة هدنة بين الطرفين . وأيا ما كان الأمر ، فقد أقسم المظفر على عدم التعرض لأخويه بسوء ، وكدليل على حسن نيته أرسل ابنه وابنته وبرفتها الطواشي بأفوت رهائن بحصن الدملوة (٦) ، وعندئذ نزل المفضل

(١) ابن حاتم : السمط ص ٦٠ ب .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٦١ دأ .

(٣) الخزرجي : العمود الأثري ص ١٠٠ ، المسجد ص ٢٥٥ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٧٢ ب .

(٤) موزع ، مدينة في تهامة على بعد ١٤ أو ١٥ ميلا من البحر إلى الشرق من ميناء الحنا ، وتقع على خط عرض ٢٠ ر ١٢ شمالا وخط طول ٣٢ ر ٣ ، شرقا El-Khazrejiyy : op. cit. p. 174. Note 952.

(٥) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٤ دأ .

(٦) الخزرجي : العمود الأثري ص ١٠١ ، المسجد ص ٢٥٦ .

والمفاز من الحصن فاستقبلها المظفر وأكرمها وأقطعها ماتم الاتفاق عليه (١) ،
وتوجه المفضل إلى أبين ولكنه لم يستطع البقاء فيها وقرر العودة إلى حصنه (٢) .

وكان المظفر يستهدف من إرسال الرهائن، أن يتمكنوا من تنفيذ ما خططه
لهم بالاستيلاء على الحصن سلبا عن طريق استمالة المرتبين فيه (٣) . فلما تم لهم
ذلك ، استغلوا فرصة نزول أم المفضل ولديها من الحصن (٤) ، وأوقدوا
النار في قمته ، وهي إشارة اتفق معهم على القيام بها عند نجاح مهمتهم في
السيطرة عليه (٥) . أما المفضل فلأنه عندما أيقن بضياع الحصن ، توجه إلى
المظفر وطلب منه السماح له بالعودة إليه (٦) ، ولكنه لم يستجب لرجائه ،
واستولى عليه في ذى القعدة سنة ٦٥٠ هـ / (٧) يناير سنة ١٢٥٣ م . وفرض

(١) ابن حاتم : السمط ص ٦١ «أ» .

(٢) ابن حاتم : السمط ٦١ ب .

(٣) الجندي : السلوك ص ٢٤٣ ، الأهدل : تحفة الزمن ص ١٥٣ دأ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٦١ ب .

(٥) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٤ ب ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية

ح ١ ص ١٠١ ، المسجد ص ٢٥٧ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٧٤ دأ .

(٦) ابن حاتم : السمط ص ٦٢ دأ ، الجندي : السلوك ص ٢٤٣ ،

الأهدل : تحفة الزمن ص ١٥٣ دأ .

(٧) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٤ دأ ، الخزرجي : العقود

اللؤلؤية ح ١ ص ١٠٢ ، المسجد ص ٢٥٧ .

على المفضل وأخيه ووالدتها الإقامة في ذي هريم (١) ، ثم أسكنهم مدينة حيس (٢) .

٢ — موقف المظفر من الزيدية :-

أ - تدخل الزيدية في الصراع القائم بين بنى رسول :-

أثبت المظفر مقدره فائقة في الاستيلاء على عرش السلطنة ، فعلى الرغم من تعدد العيارات المعارضة له ، فإنه أتقن التخطيط وأحسن التنفيذ وأحكمه ، ووفق في التخلص من جبهتين من جبهات المعارضة الأربعة ، وبقيت أمامه جبهتان يمثل إحداها ابن عمه أسد الدين مجد بن الحسن بن علي بن رسول ، ويمثل الأخرى القوى الزيدية بزعامة الامام أحمد بن الحسين .

أما أسد الدين مجد فكان دائم الخروج من طاعة عمه السلطان نورالدين (٣) ، وقد آثم بتدبير قتله بالاشتراك مع أخيه فخر الدين طمعا في الاستيلاء على البلاد (٤) ، كما استقل بولاية صنعاء ، بينما استهدف أخوه فخر الدين الاستيلاء على زيب و اتخذها قاعدة لاستكمال السيطرة على بقية البلاد . إلا أن إخفاقه في ذلك وما أعقبه من اعتقاله أضعف مركز أسد الدين في صنعاء ، لاسيما بعد أن تمكن المظفر من إحكام سيطرته على كثير من المناطق . وهكذا أصبح

(١) ذو هريم ، أحد أحياء تعز (ابن حاتم: السمط ص ٦٢ د١٠٤١) .

(٢) الجندي : السلوك ص ٢٤٣ ، الاهدل : تحفة الزمن ص ١٥٣ د١٠٤٠ .

(٣) انظر ماسبق ص ١٠٩ وما بعدها .

(٤) الخرزجي : العقود الأثرية ج١ ص ٨٢ ، المسجد ص ٢٤١ ، ابن

الديبع : قررة العيون ص ٧٠ د١٠٤٠ .

أسد الدين في موقف لا يحسد عليه، إذ كان المظفر يتهدهد من الجنوب والقوى الزيدية من الشمال .

ومن الجدير بالملاحظة أن القوى الزيدية كانت قد أبدت تأييدها للدولة الرسولية بادية ذي بدء ، وكان لتعاونهم مع مؤسسها أعظم الأثر في إقدامه على الاستئصال بملك اليمن وسلخها عن الدولة الأيوبية . وظلوا على ولائهم لنور الدين متمسكين بهدم له . ولم تلبث الأوضاع أن تغيرت في أواخر عهده ، بعد أن أجمع الزيدية على امامة أحمد بن الحسين وانضمت إليه القبائل وقوى أمره وأضح بشكل خطرا على دولة بني رسول . وقد اغتحم الامام فرصة الخلاف القائم بين السلطان نور الدين وابن أخيه أسد الدين واليه على صنعاء ، فشن عددا من الهجمات وهدد صنعاء نفسها عدة مرات، واسترعى على عدد من المواقع التابعة لنور الدين شمالها ، وأخبت محاولات نور الدين في القضاء عليه أو التخلص من أخطاره (١) .

وعلى الرغم من الأخطار الكبيرة التي كانت تهدد دولة بني رسول في عهد المظفر يوسف من جانب الزيدية في الشمال ، إلا أنه لم يكن في استطاعته تجاهل خطر ابن عمه أسد الدين ، ولهذا رأى المظفر أن يواجه الخطرين معا ، سيما وأن الامام الزيدى كان يهدد أسد الدين في نفس الوقت . وكان الامام احمد بن الحسين قد ازداد أملة في الاستيلاء على اليمن بهدم مقل نور الدين ، وأعد للأمر عدته ، فلما تجمع لديه الكثير من القبائل زحف بهم إلى صنعاء ، وأرغم

(١) الحزرجى : المقود الأوثوية ج١ ص ٧٥ وما بعدها ، المسجد ص

٢٣٧ وما بعده ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٦٩ دأ ، وما بعده .

واليها أسد الدين على مغادرتها في جمادى الأولى ٨٦٤٨هـ/ (١) أغسطس ١٢٥٠م،
والالتجاء إلى حصن براش القريب منها للاحتماء به (٢) ، فاستولى الامام عليها
بغير حرب (٣) . وتابع حملاته جنوبا واستولى على مدينة ذمار وما جاورها (٤) ،
ثم ما د المحاصرة أسد الدين في حصن براش ، واستمر محاصرا له ما يقرب من
عام (٥) .

وقد هب الصراع بين أسد الدين والامام للمظفر المجال لتوسيع رقعة
تقوده، كما أتاح له الفرصة لاقرار الأمور في المناطق الخاضعة له. ومن الواضح
أنه على الرغم من ضخامة حشود الامام العسكرية ، إلا أنه لم يقامر بالتقدم
جنوب ذمار حتى لا يترك لأسد الدين الفرصة لاستعادة صنعاء أو قطع طريق
العودة عليه إليها .

وكانت نتيجة لاستمرار الحصار على أسد الدين في حصن براش ، فقد
استقر رأيه على الدخول في مفاوضات للصلح مع الامام ، ليتخلص من هذا
الحصار ويتفرغ لمواجهة السلطان المظفر، ولهذا قام بمراسلة شمس الدين احمد
ابن الامام عبدالله بن حمزة ليقوم بدور الوسيط في الصلح بينه وبين الامام (٦) ،

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج١ ص ٩٥ ، المسجد ض ٢٥١ .

(٢) ابن عبد الحميد : بهجة الزمن ص ٥٤ دأ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٤٩ ب ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج١ ص ٩٥ .

(٤) الخزرجي : المسجد ض ٢٥١ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٥٧ ب ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج١

ص ٩٦ ، المسجد ض ٢٥١ .

(٦) الخزرجي : المسجد ض ٢٥٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ض ٧٣ دأ .

ولكن شمس الدين كان يحقد على الامام أحمد بن الحسين ، لأنه كان يطمع في أن يؤول الامامة إليه أو إلى أحد إخوته ، ولكنه اضطر وآله من بني حمزة إلى إعلان الولاء للامام لاجماع الزيدية على مبايعته ، وإن كان يعمل - في حقيقة الأمر - على إضعافه والتخلص منه . وقد وجد شمس الدين أن العوصل إلى الصالح بين أسد الدين والامام من شأنه أن يقوى الامام ضد المظفر ، ولذلك قام الشريف الزيدى شمس الدين باقتناع أسد الدين بالعودة الى طاعة ابن عمه السلطان المظفر (١) ، وذلك بعد أن يتخلص من الحصار بمجديهة الامام بصلح وحقى . ونجحت خطة الشريف وتم مقعد الصلح . ومبالغة في كسب ثقة الامام ودرءا لما قد يتمرب إلى نفسه من عوامل الريبة والشك ، طلب أسد الدين من الامام - تنفيذاً لمشورة الشريف شمس الدين - أن يزوده بجيش لمحاربة المظفر (٢) ، وإحكاماً للخطة أغار في طريقه على بعض الحصون المولية للسلطان (٣) .

ولم يكده المظفر يعلم بأمر حملة أسد الدين حتى خرج إليه في جموع لمقاتلة ، ولكن بني حمزة وبني حاتم بادروا بالوساطة بينها ، ونجحت مساعيهم في التوفيق بينهما واقناع السلطان المظفر بالعفو عنه (٤) بهدف التضامن ضد الامام . فلما

(١) ابن حاتم : السمط ص ٥٧ ب ، الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ص ٩٦ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٧٣ د ، .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٥٧ ب ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٧٣ د ، .

(٣) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ص ٩٦ ، المسجد ص ٢٥٢ .

(٤) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ص ٩٦ ، المسجد ص (٢٥) .

تم الصلح استقبل السلطان ابن عمه استقبالا حسنا واجتنب به وأكرمه وخرج له من الإناعام العظيم ما هاله واستغرق أماله ، وكثر تعجبه منه حتى قال : ليت شعري ، هل أبقى مولانا السلطان في خزائنه شيئا ؟ (١) :

وكان المظفر سياسيا بارعا ، فعلى الرغم من تشككه في نوايا أسد الدين ، فإنه حرص على استخدامه لمصلحته ، وشغله في دوامه الصراع ضد الامام ، ليتفرغ لأحكام سيطرته على البلاد من جهة ، ويقصيه عن دائرة التنازع معه من جهة ثانية . ولهذا جهزه في حملة لاسترداد صنعاء ، وفشلت قوات الامام في اعتراض تقدمه إليها واضطر الامام إلى الانسحاب منها فدخلها أسد الدين واستعاد سيطرته عليها (٢) . وتعزيدا له توجه المظفر في اثره إلى صنعاء فوصلها في ذى الحجة سنة ٨٦٤٨ / (٢) فبراير - مارس سنة ١٢٥١ م ، ثم غادرها في المحرم سنة ٨٦٤٩ / مارس ١٢٥١ م في طريق عودته إلى تعز ، حيث تمكن أثناءها من الاستيلاء على حصن التعكر (٤) . في حين واصل أسد الدين حملاته ضد الامام .

وكان في الامكان أن يستمر ولاء أسد الدين للمظفر لولا ما استجد من أحداث أدت إلى عودته إلى العصيان ولما يمضى شهر واحد منذ دخل في طاعته .

(١) ابن حاتم : السمط ص ٥٨ دأ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٥٨ دأ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ٤ ص ٩٧ ، المسجد ص ٢٥٣ .

(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٤ دأ .

(٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٤ : دأ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية

ج ١ ص ٩٧ ، المسجد ص ٢٥٣ .

وتفصيل القضية أن إخوة نور الدين الثلاثة الذين كان المقود يوسف -
 آخر الأيوبيين في اليمن - قد اعتقلهم وأرسلهم إلى مصر ، بقي منهم اثنان على
 قيد الحياة وهما بدر الدين الحسن بن علي بن رسول - والد أسد الدين -
 وأخوه فخر الدين أبو بكر ، ويبدو أنه قد تم الإفراج عنهما ، أو أنهما
 تمكننا من الإفلات من معتقلهما بعد سقوط الدولة الأيوبية في مصر ، وتوجهها
 صحبة ركب الحاج المصري إلى مكة ، ومنها رحلا إلى اليمن فوصلها في
 آخر المحرم سنة ٨٦٤٩ / (١) إبريل ١٢٥١ م .

وانفق وصولهما في فترة حرجة بالنسبة للمظفر الذي كان لا يزال يعمل
 على تثبيت أركان دولته ، وكان مجرد وجودهما في هذه الفترة الحاسمة يعني
 فتح باب جديد للصراعات التي كان المظفر في غنى عنها . فلم يكن من السهل
 أن يسلبا بزعامته ، إذ يحدوها الأمل في أن تؤول السلطنة إلى أحدهما ،
 وهكذا كان المظفر على يقين من أنهما لن يمكناه من تصريف الأمور منفردا ،
 لأن لم يناعه كل منهما للسلطنة ، فقد كان لكل منها دوره الهام في تاريخ اليمن
 قبل أن تنمو بعد شخصية أخيها الأصغر نور الدين - والد المظفر - الذي
 قد يعزى إليه التعريض على اعتقالهما ، حتى لا ينازماه السلطة . كل ذلك
 كان يشكل تهديدا خطيرا لعرش المظفر الذي صرف قسما كبيرا من طاقته في
 سبيل إفراره .

ويذكر العيني ، أن أبناء رسول أطلقوا من معتقلهم في مصر ، وأرسلوا

(١) بن عبد المجيد : بهجة الزمن ص : ٥ د ، الخزرجي : المقود ج ١

لالي اليمن لعزل سلطانها الرسولی ، والقیام بحکم البلاد نوابا لسلطان مصر^(١) :
ولیس هناك ما یؤید ذلك لأن وصول عمی المظفر كان من غیر قوات لساندتهما
فی القیام بهذا العمل . كما أن وصولهما اقترن بفترة حاسمة فی تاریخ مصر
تقع ما بین سقوط الدولة الأیوبیة وقیام دولة المماليك ، ولیس من شك فی أن
اليمن لم تكن واردة فی حساب المماليك الذین شغلتهم الأخطار الخارجیة
وقتشد عن مجرد التفكير فی شؤون اليمن . ثم أن العینی صاحب هذه الروایة
قد انفرد بذکرها ، ولم یشر إلى المصدر الذی استقاها منه ، مما یجعل روايته
موضع شك .

وأیا ما كان الأمر ، فقد كتم المظفر ما بنفسه من مشاعر الضیق والحنق
على عمیه ، وأمر نوابه بحسن تلقیها عند مشارف اليمن^(٢) ، والسير فی
خدمتها . أما هو فتوجه إلى مدینة حیس لاستقبالها^(٣) ، وما أن وصل ركبها ،
حتى عجل بالقبض علیها وأرسلها معتقلین إلى تهز^(٤) حیث كان نخیر الدین
أبو بكر بن الحسن بن علی بن رسول حبیسا هناك^(٥) .

أثار هذا الإجراء الوطنی نائرة أسد الدین علی المظفر ، ولهذا عزم علی

(١) عقد الجمان مجلد ٥٣ لوحة ٢٢٩ .

(٢) التخرجی : العقود ج ١ ص ٩٧ ، المسجد ص ٢٥٣ ، ابن الدبیع :

قرة العیون ص ٧٣ ب .

(٣) ابن عبد المجید : بهجة الزمن ص ٥٥٤ ، زبارة : أئمة اليمن ص ١٦٢ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٥٩ ب ، التخرجی : العقود ج ١ ص ٩٨ .

(٥) التخرجی : المسجد ص ٢٥٤ .

تجهيز حملة لتخليص أبيه وعمه فخر الدين ، ولكن المظفر كان قد اتخذ من وسائل الحيلة ما أرغم أسد الدين على العودة إلى صنعاء (١). وهندئذ لم يبق أمامه بعد خروجه عن طاعة المظفر سوى العمل على معالحة الإمام أحمد بن الحسين ، ونجح في التوصل إلى ذلك في سنة ٥٦٥ هـ (٢) / ١٢٥٢ م ، وكان من شروط هذا الصلح استيلاء الإمام على حصن براش. مقابل مائة ألف دينار (٣)، وعلى هذا النحو نشطت قوات الامام وأسد الدين في الإغارة على المدن والمعاقل التابعة للمظفر (٤)، ولكن هذا النشاط لم يجهد تعاماً أمام استبصال قوات المظفر في القتال وصمودها الرابع (٥).

ورأى المظفر أن يهادن الامام الزيدى مؤقتاً حتى يتهيأ له المجال للتخاص من أسد الدين ، واستجاب الإمام للصلح على أن تكون له البلاد العليا (٦).

(١) ابن حاتم : السمط ص ٥٩ ب .

(٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٤ د أ ، الخزرجي : العقود ج ١ ص ١٠٠ ، المسجد ص ٢٠٦ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٦٢ د أ . (و ذكر ابن عبد المجيد ومن نقل عنه أنه اشتراه بمائتي ألف درهم) بهجة الزمن ص ٥٤ د أ ، الخزرجي : العقود اللؤؤية ج ١ ص ١٠٠ ، المسجد ص ٢٥٦ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٧٤ د أ .

(٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٤ د أ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٦٢ ب .

(٦) ابن حاتم : السمط ص ٥٩ ب . Kay : Yaman, p. 230.

- إلى الشمال من صنعاء - فكانت لذلك أثره في التضييق على أسد الدين . وفي نفس الوقت كانت العلاقات قد تدهورت بين أسد الدين والإمام ، لعدم وقاء الإمام بمعظم القيمة التي اشترى بها الحصن براش (١) . وهكذا لم يعد أسد الدين يأمن على نفسه من المظفر ومن الإمام معا ، ولذلك انسحب إلى منطقة شرق اليمن (٢) ، وبدأ أتباعه يتخلون عنه نتيجة اجتذاب المظفر لهم وأغرائهم بالأموال . فلما تفرقت جموعه وألقى نفسه وحيدا لاقوة له ، لجأ إلى علوان الجعدي . ولما كان علوان هذا يرتبط مع المظفر برباط ودية ، فقد سعى إلى التوسط بين أسد الدين والمظفر ؛ ونجح في مساعاه وعفا المظفر عنه وأمنه (٣) . ثم جهزه مرة أخرى إلى صنعاء - وكان الإمام قد انتزعها منه - فدخلها أسد الدين بدون مقاومة . وفي نفس الوقت خرج المظفر إلى صنعاء في شهر رجب سنة ٨٦٥ / (٤) سبتمبر ١٢٥٣ م . ومن هناك شن عدة حملات ضد الإمام وأتباعه ، ثم عاد بعدها إلى تعز (٥) حيث استولى في طريقه على حصن

(١) ابن حاتم : السمط ص ٦٢ ب ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٠٤ ، المسجد ص ٢٥٧ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٥٤ ب ، الخزرجي : المسجد ص ٢٥٨ ، العقد الناصر ج ٢ ص ٣١ د أ ، زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٦٣ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٦٠ د أ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٠٤ ، المسجد ص ٣٥٨ ، ابن الديبع : قوة العيون ص ٧٤ ب .

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٠٦ ، المسجد ص ٢٥٩ .

(٥) ابن عبد الجبند : بهجة الزمن ص ٥٤ ب .

ذروان (١) من حصون منطقة ذمار (٢)

ب - مصرع الامام الزيدى واثره في تطوور الاحداث :

لم يلبث الخلفاء أن دب بين الامام الزيدى أحمد بن الحسين والأشراف من بني حمزة ، واشتد النزاع بينها إلى حد أن بنى حمزة لجأوا إلى السلطان المظفر واستنصروه على الامام . وعلى هذا النحو رجعت كفة المظفر بانضمام أشراف بني حمزة إليه واستنصارهم به . ولم يتردد المظفر في اغتنام هذه الفرصة لمد يد المعاونة لهم والعمل على سحق قوى الامام ، فأقدم بأسد الدين من صنعاء (٣) في شهر ذى الحجة سنة ٦٥١ هـ (٤) / يناير سنة ١٢٥٤ م ، وزحفوا جميعا إلى صعدة لمحاربة الامام ، وأحكروا الحصار عليها حتى سقطت في أيديهم بعد شهر (٥) . ورتب أسد الدين فيها حامية وعاد إلى صنعاء (٦) في

(١) ابن حاتم : السمط ص ٦٣ د أ ، ، الخزر جى : العقود اللؤلؤية ص ١٦ ، ١٦٣ . المسجد ص ٢٥٩ ، زبازة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٦٣
(٢) الخزر جى : المقدم الفاخر ص ٢ د أ ، ٩ د أ .

(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٤ ب ، زيارة أئمة اليمن ص ١٦٤

Kay : op. cit. p. 231.

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٦٣ د أ ، ، الخزر جى : العقود اللؤلؤية ص ١٠٦ ، المسجد ص ٢٦٠ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٦٣ ب ، الخزر جى : العقود اللؤلؤية ص ١١١ .

(٦) الخزر جى : العقود اللؤلؤية ص ١١٢ ، المسجد ص ٢٦٠ .

الثاني عشر من ربيع الأول سنة ٦٥٢ هـ (١) / ٢ مايو سنة ١٢٥٤ م . وهكذا ، تمكن المظفر بمساعدة القوى المناهضة للإمام من بسط نفوذه على قسم كبير من المناطق الشمالية التي كانت تابعة له ، وشجمه ذلك على متابعة الحملات لتقويض أركان الإمامة .

وفي نطاق هذا الهدف أرسل المظفر إلى أسد الدين خزانة مالية في شعبان سنة ٦٥٢ هـ / سبتمبر ١٢٥٤ م للاتفاق منها على حملة ثانية كان قد أمره بالقيام بها بالاشتراك مع بني حمزة ضد الإمام ، وتخريب عدد من المواقع الموالية له (٢) وعلى الرغم من استعداد الإمام للتصدي لهذه الحملة إلا أن قواته لم تستطع الضمود ، ومنيت بهزيمة نكراء في رمضان سنة ٦٥٢ هـ / أكتوبر سنة ١٢٥٤ م (٣) . وقتل عدد كبير من أتباعه على رأسهم النقيه الزيدي الشهير حميد بن أحمد (٤) . أما الإمام فقد نجح بصعوبة بالغة ولجأ إلى أحد

(١) الخزرجي: العقود اللؤلؤية ج١ ص ١١٤ ، المسجد ص ٢٦٢-٢٦٣ .

(٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٥ د أ .

(٣) الجندي : السلوك ص ٣٦٣ ، الأهدل : تحفة الزمن ص ٢٣٠ ب .

(٤) كان حميد بن أحمد المحلي من كبار علماء الزيدية وفضلائها ، وله تصانيف الجامعة والرسائل المفردة إلى الملوك والعلماء ما ليس لغيره (بهجة الزمن ص ٥٥ د أ ، العقود اللؤلؤية ج١ ص ١١٥ ، المسجد ص ٢٦٣ ، قرّة العيون ص ٧٥ ب ، أئمة اليمن ج١ ص ١٦٦) ومن كتبه الشهيرة كتاب « الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية » في جزئين ، ضمنه أخبار ومناقب الإمام علي بن أبي طالب وذريته وتراجم أئمة الزيدية منذ قيام إمامتهم إلى الإمام عبد الله ابن حمزة المتوفي سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م . وقد لقب حميد « بالشهيد » بعد مقتله في تلك الواقعة .

الحصون (١) .

تقدم بنو حمزة - بعد مؤازرتهم لأسد الدين - إلى زبيد، فاستقبلهم المظفر وأكرم وقادتهم (٢) وأنعم عليهم بالهدايا والكسوات والخلع والخيول، وبلغ مقدار ما أنفقته فيهم مائتي ألف دينار (٣)، فكان ذلك دافعاً على الاستمرار في موالاته، ومشجعاً لهم على التعاون معه ضد الإمام (٤). كما كان لسياسة المظفر القائمة على الترغيب والترهيب أثرها في اجتذاب مزيد من العناصر الزيدية وحملها على الخروج عن طاعة الإمام، فقد اجتمع كثير من علماء الزيدية وطعنوا في أحقيته في الإمامة، وطابوا عليه وأنكروا كثيراً من تصرفاته (٥)، وأفتوا ببطلان إمامته (٦).

- (١) ابن حاتم: السمط ٦٤، د.أ.، الخزر ج١: المسجد ص ٢٦٣، ابن الديبع: قوة العيون ص ٧٥ ب .
- (٢) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ص ٥٥، د.أ.، الخزر ج١: العقود اللؤلؤية: ح ١، ص ١١٥ - ١١٦، زيارة: أئمة اليمن ح ١ ص ١٦٧ .
- (٣) ابن حاتم: السمط ص ٦٥ ب .
- (٤) ابن حاتم: السمط ص ٦٤ ب، الخزر ج١: العقود اللؤلؤية ح ١ ص ١١٨، المسجد ص ٢٦٦ .
- (٥) الجندي: السلوك ص ٣٦٤، الأهدل: تجفة الزمن ص ٢٣١، د.أ.، Kay : Yaman, p. 321 .

- (٦) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ص ٥٥، د.أ.، الخزر ج١: العقود اللؤلؤية: ح ١ ص ١٢٢، ابن الديبع: قوة العيون ص ٧٩، أ، أئمة اليمن ح ١ ص ١٦٣ .

قلم الإمام بمحاولة لحسم النزاع القائم بينه وبين علمائه الزيدية ، وأرسل إليهم أحد كبار أتباعه - هو الشريف الزيدى ، الحسن بن وهاس - للاستماع لهم ومحاججتهم والعدل على إقناعهم بالعودة إلى طاعة الإمام ، إلا أنهم تمكنوا من استمالته إليهم ^(١) . وأرسلوا يتحدثون الإمام لينظروهم ويدافع عن نفسه ولكنه رفض ، فأفتوا بخلمه لعدم صلاحيته للإمامه لأهـور تحققوها عنه ، وكتبوا بذلك إلى جموع الزيدية في كافة أنحاء اليمن ^(٢) . وياهوا الحسن بن وهاس إماما للزيدية من بعده في رمضان سنة ٦٥٥ هـ / ^(٣) سبتمبر ١٢٥٧ م فكان لهذه التطورات أعظم الأثر في الإطاحة بمركز الإمام وزعزعة ثقة من تبقى من أتباعه . وهكذا أصبح في اليمن إمامين في وقت واحد ^(٤) . وهو ما يعرف بتعارض الأئمة - واقتضى الأمر انفراد أحدهما بالإمامة سلماً أو حرباً .

انتهر بنو حمزة فرصة الانشقاق الثاني في صفوف الزيدية ، وعملوا على

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٥ ب ، الخزرجى : العقود الأولوية ص ١ ص ١٢٣ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٧٦ دأ ، زيارة أئمة اليمن ص ١ ص ١٧٢ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٦٦ ب (وقيل أن امانته كانت في صفر ٦٥٦ هـ / فبراير سنة ١٢٥٨ م بعد مقتل الإمام أحمد بن الحسين بثلاثة أيام) زيارة : أئمة اليمن ص ١ ص ١٧٦ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٦٦ ب .

(٤) ابن حاتم السمط ص ٦٦ ب .

تنسيق الجهود معهم لمحاربة الإمام^(١) وأمدم السلطان المظفر بمائة ألف درهم^(٢)، وتم اللقاء بينهم وبين الإمام في وادي شوابة^(٣) فتمكنت جموعهم من هزيمة الإمام والاحاطة به وقتله^(٤) في صفر ٦٥٦ هـ / (٥) فبراير ١٢٤٨ م، والتمثيل به والطفوف برأسه^(٦). فلما وصل خبر مصرعه إلى المظفر سعد به كثيرا^(٧)، إذ تخلص من منافس خطير كان بإمكانه الإطاحة بدولته.

- (١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٥ ب ، زبارة : أئمة اليمن ص ١٧٢ .
 (٢) ابن عبد المجيد : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجي : نفس المصدر والصفحة .
 (٣) شوابة ، من بلاد الجوف شرقي اليمن (الجرافي : المتتطف ص ١٢٢) وقد وردت في العقود اللؤلؤية باسم «سواد» (ح ١ ص ١٢٤) أما الترجمة الانجليزية للعقود، فقد أوردتها Sir James Redhouse باسم «سوانه» (انظر ، The pearl - Strings, vol. III, 1, p 149, vol. III, 3, p. 91 .
 (٤) (Note , 550) وصحتها «شوابة» (الخزرجي : المسجد ص ٢٦٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٧٦ ب ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٤٤٤ ، Kay : Yaman, p. 3٢1 .
 (٥) الجندي : السلوك ص ٢٦٤ ، الأهدل : تحفة الزمن ص ٢٣١ ب ، الجرافي : المتتطف ص ١٢٢ .
 (٦) ابن حاتم : السمط ص ٦٦ ب ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٥ ب - الخزرجي : العقود اللؤلؤية ح ١ ص ١٢٥ ، المسجد ص ٢٦٨ .
 (٧) ابن حاتم : السمط ص ٦٧ دأ ، زبارة : أئمة اليمن ح ١ ص ١٧٣ ، Kay : op - cit. p. 231 .
 (٨) ابن حاتم : السمط ص ٦٧ ب ، ٦٨ دأ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ح ١ ص ١٢٥ ، المسجد ص ٢٦٩ :

أدرك أسد الدين عهد أن تخلص المظفر من الإمام أحمد بن الحسين ، ومصالحته للقوى الزيدية من شأنه أن يضعه في مأزق حرج وخطير ، فإنه كثيرا ما كان يستنصر بالزيدية في الأوقات التي تسوء فيها علاقته مع السلطان ثم أن المظفر كان قد خصص له قدرا سنويا من المال يصل إلى سبعين ألف دينار للاتفاق منها على حملاته ضد الزيدية . فلما تخلص المظفر من الإمام واصطنع الزيدية ، أ قدم على تخفيض المخصصات المذكورة إلى عشرين ألف دينار ، فكان ذلك من عوامل سخطه على المظفر ، ولهذا لم يتردد في شق عصا الطاعة من جديد . وبدأ في تثبيت سلطانه على منطقة صنعاء وأعمالها وتولية المخلصين له من أتباعه على المناطق الخاضعة لسيطرته ، كما بادر بالإغارة على الحصون المجاورة له والتابعة للسلطان (١) .

أما المظفر فقد عمد إلى سياسة المناصحة ، وأرسل إلى أسد الدين يعاتبه على هذا المسلك ويرغبه في مواصلة بذل الطاعة له . فلما أخفقت هذه الجهود خرج المظفر على رأس حملة كبيرة سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م مستهدفا القضاء على حركة أسد الدين (٢) . ومما يذكر أنه قام قبل الشروع في تنفيذ خطته بالكتابة إلى زعماء الزيدية لتأكيد الصلح معهم وضمان عدم تدخلهم في الصراع المقبل بينه وبين أسد الدين ، مما فوت على الأخير فرصة الاستعانة بهم ، ونجحت حملة المظفر على نحو تجاوز كل تقدير في الحسبان ، ودخلت قواته صنعاء في

(١) ابن حاتم : السمعط ص ٦٨ ب :

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٦٩ «أ» .

أول المحرم سنة ٦٥٨ هـ (١) / ١٨ ديسمبر سنة ١٢٥٩ م .

والظاهر أن المظفر قد تمكن من تسوية الأمور بينه وبين أسد الدين في أعقاب ذلك ، فقد ذكر المؤرخ المعاصر بدر الدين محمد بن حاتم أن أسد الدين لم يلبث أن طلب من المظفر تجهيزه في حملة للاستيلاء على حضر موت (٢) . ومن المعتقد أن أسد الدين إنما لجأ إلى ذلك خديعة للسلطان حتى يتهيأ له المجال للانداد لجولة أخرى ضده ، ويستدل على ذلك من أنه عندما استجاب السلطان لطلبه بادر بالزحف إلى منطقة الجوف - إلى الشمال الشرقي من الين - بحجة دخول حضر موت من شمالها . ولكنه ما كاد يصل إلى الجوف حتى بدأ في تحريك بعض القبائل وتحريضها على الانضمام إليه ونبد الطاعة للمظفر ، ولكن هذه القبائل لم تستجب له وتآمرت على قتله (٣) ؛ فلم يجد مفرأ سوى الانضمام إلى بني حمزة الزيدية مستغلاً في ذلك خلافهم آنذاك مع الحسن بن وهاس الإمام الجديد الذي كان قد أعد العدة لمحاربتهم ، وأسفرت الموقعة عن هزيمة الإمام ووقوعه أسيراً في يد أسد الدين (٤) .

(١) ابن حاتم: نفس المصدر والصفحة ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية

ص ١٣٠ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن حاتم : السط ص ٦٩ ب .

(٤) ظل الامام الحسن بن وهاس عند بني حمزة أسيراً مدة عشر سنوات

(ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٦ د أ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية

ص ١٣٠ ، المسجد ص ٢٧٢ ، الجرافي : المتكطف ص ١٢٢) وخلع

نفسه من الإمامه سنة ٦٦٨ هـ (زبلرة : أئمة اليمن ج ١ ص ١١٦) .

أما السلطان المظفر فقد اعتبر قبول بنى حمزة لأسد الدين تحدياً له وتفضيلاً
للمصلح معه ، ولهذا قرر قتالهم ، فخرج على رأس حملة لمحاربتهم ، ولكن
الشريف داود بن عبد الله - كبير آل حمزة - أسرع ثقاف السلطان والاعتذار
له ، وتعهد بعدم السماح لأسد الدين بالمقام بينهم ، فقبل السلطان اعتذاره
وتعده (١) ، وتوجه إلى صنعاء لإقرار الأور فيها ، فوصلها في ربيع الأول
سنة ٦٥٨ هـ / فبراير سنة ١٢٦٠ م ، وولى عليها شمس الدين علي بن يحيى (٢)
ورتب معه حامية (٣) ، وقفل مائداً إلى تيز (٤) .

وعلى الرغم من تخرج موقف أسد الدين - بعد تخلى بنى حمزة عنه ، وأصبح
مطارداً من السلطان لتكرار خروجه عن طاعته ، ومن بنى وهاس لاقدامه على
أمير الإمام الحسين بن وهاس - إلا أنه استغل فرصة رحيل المظفر من صنعاء
وقام بمهاجمتها محاولاً الاستيلاء عليها (٥) ، ولكن حمايتها تصدت له وطاردته (٦) .
وفي نفس الوقت أعد السلطان حملة بقيادة الأمير علم الدين سنجر الشهيدي .

(١) ابن حاتم : السمط ص ٦٩ ب .

(٢) الخزرجي : العقود الأثرية ج ١ ص ١٣١ ، المسجد ص ٢٧٢ .

ابن الديبع : قرة العيون ص ٧٧ أ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٦٩ ب .

(٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٦ ب .

(٥) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٦ ب ، الخزرجي : العقود

الأثرية ج ١ ص ١٣١

(٦) ابن حاتم : السمط ص ٧ أ .

لمطاردته (١) ، فالتجأ أسد الدين إلى بنى حاتم في حصن ذمرصر ، ولكنهم لم يسمحوا له - رغم محاولاته المتكررة - بدخول الحصن ، تأكيداً لطاعتهم للسلطان (٢) ، فانقض أتباعه من حوله وتدهورت أحواله (٣) ، وحتى باع نياجه ، (٤) .

ولما ساءت حالة أسد الدين إلى هذا الحد ، طلب من بنى حاتم التوسط بينه وبين السلطان ، كما أنه لم يتردد من جانبه في الكتابة للسلطان والتماس العفو والأمان (٥) ، فتظاهر السلطان المظنر في بادئ الأمر بعدم الاستجابة (٦) ، في الوقت الذي كان يتوق فيه للتخلص منه ، ولذلك لم يلبث أن وافق على عودته . فلما وصله بصحبة شمس الدين علي بن يحيى وإلى صنعاء قبض عليها في شوال ٦٥٨ هـ (٧) / سبتمبر سنة ١٢٦٠ م ، وأمر باعتقالها في سجن تعز ،

-
- (١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٦ ب ، الخزرجي : المسجد ص ٢٧٢ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٧٩ .
- (٢) ابن حاتم السمط ص ٧٠ د أ .
- (٣) الجندي : السلوك ص ١٧٧ ، الخزرجي : العقد الفاخر ص ٥٧ د أ .
- (٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٦ ب ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٧٩ .
- (٥) الخزرجي : العقود اللاؤاوية ج ١ ص ١٢١ المسجد ص ٢٧٢ .
- (٦) ابن حاتم : السمط ص ٧٥ د أ .
- (٧) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٦ ب . (كان شمس الدين علي

وبهذا أصبح أسد الدين سجيناً مع أخيه وأبيه وعمه (١) . وهكذا تخلص السلطان المظفر نهائياً من أعظم المشاكل التي واجهته ، وتمثل في منافسة أفراد أسرته له ، وهي منافسة استمرت قرابة ثلاثة عشر عاماً حمل أسد الدين لواءها منذ أواخر ٦٤٥ هـ / ١٢٤٨ م إلى أن تم القبض عليه وسجنه في سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م .

ج - استمرار الخلافات بين الزيدية :

استقرت الأحوال الداخلية في اليمن بعد استشهاد الإمام أحمد بن الحسين سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ، ووقوع خلفه الحسن بن وهاب سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م في قبضة بني حمزة ، ودخول الزيدية في طاعة المظفر بزعامه بنى حمزة ، كما كان للقضاء على المنافسات الأسرية في بيت بنى رسول أثره في تدعيم الاستقرار الداخلي في البلاد . وكان المظفر مدولى الطوائف نظام الدين مختص على صنعاء (٢) خلفاً لوالها المعتقل شمس الدين على بن يحيى ، ثم أسند ولايتها لعلم الدين سنجر الشنقي في رمضان سنة ٦٥٩ هـ (٣) / أغسطس ١٢٦١ م . واطمأن

= ابن يحيى ميالاً لأسد الدين ، وكان من أكبر مشجعيه علي الغصيان (الخرزجى : العقود الأولى ج ١ ص ١٣٢ ، المسجد ص ٢٧٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ٧٧ ، أ ،) وكان المظفر يتظاهر بعدم معرفة شيء عن تصرفاته (الجندى : السلوك ص ١٧٧ ، الخرزجى : العقد الفاخر ج ٢ ص ٥٧ ب .

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٦ ب .

(٢) الخرزجى : العقود الأولى ج ١ ص ١٣٢ ، المسجد ص ٢٧٥ .

(٣) الخرزجى : العقود الأولى ج ١ ص ١٣٣ زيارة : أمة اليمن ج ١ ص ١٨٠ .

المظفر لذلك الهدوء الظاهري ، فعزم على أداء فريضة الحج^(١) ، واستصحب معه بعض كبار بني حمزة^(٢) .

لإلا أن هذا الهدوء النسبي كان قصير الأمد ، ففي أثناء تواجد المظفر في الحجاز سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م كانت دعوة الشريف الزيدى يحيى بن محمد السراجي - في ناحية حضور^(٣) - للإمامة^(٤) ، فبايعه أهلها ، وكتب بدعوته إلى سائر مناطق الزيدية ، فاستجاب البعض لدعوته وأنكرها الآخرون^(٥) ، لارتباطهم ببيعة الإمام الأسير الحسن بن وهاس . فكان الاختلاف على إمامة يحيى السراجي أثره في تسهيل مهمة علم الدين سنجر الشيباني - وإلى صغاه - لحشد قواته لمحاربه والعمل على القضاء على دعوته ، وقد تمكن من إحراز بعض الانتصارات عليه في عدة مواقع^(٦) ، وأرغمه على

(١) ابن حاتم : السمط ص ٧٠ ب ، المقرئ : الذهب المسبوك ص ٨٤ .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ص ١٠٤ ، المسجد ص ٢٧٥ .

(٣) حضور ، ناحية من نواحي كوكبان ، إلى الشمال من صنعاء (أئمة

الأميين ص ١٥٥) .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٧١ ب ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ص ١٠٤

ص ١٣٦ ، المسجد ص ٢٧٠ ، العقد الفاخر ص ٢ ص ١٤٣ ب . (أنا الإمام

عبد يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسن صراج الدين بن محمد بن عبد الله

بن الحسين بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد

بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، المعروف بالسراجي . نسبة الجده صراج الدين) .

توبة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٨٠ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٧١ ب .

(٦) الخزرجي : العقد الفاخر ص ٢ ص ١٤٣ ب .

الفرار^(١)، ولكنه وقع في يد والي صنعاء فأمر بكبحه وسجنه^(٢) في أواسط سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م . فقد بكبحه شرطاً هاماً من شروط الإمامة . ومن الجدير بالذكر أن المظفر استاء كثيراً لقيام علم الدين بكبح الإمام وكان يفضل الاكتفاء بسجنه^(٣) .

ولم يكن بنو حمزة مجمعين على بذل الطاعة والولاء للسلطان ، فبينما واصل الشريف عز الدين محمد بن الإمام عبد الله بن حمزة إعلان ولائه للمظفر ، كآخيه صهارم الدين داود يحمل لواء المعارضة له ، ويكتل الجهود ضده . ويشجع الخارجين عليه ويقدم لهم العون ليتمكنوا من الصمود ، وقد بلغ به اللدء للسلطان إلى حد أنه أقام الشريف الزيدي حسن بن محمد القطايري إمامهم ولكنه لم يوفق فيما ذهب إليه ، لمعارضة الزيدية لذلك^(٤) .

وفي نفس الوقت كان السلطان المظفر يسعى من جهته لاستقطاب المعادين لصهارم الدين داود ، وجهز سنجر الشهبي واليه على صنعاء في عدة حملات ضده .

(١) ابن حاتم : السمط ص ٧١ ب .

(٢) الجندي : السلوك ص ٣٦١ ، الأهدل : تحفة الزمن ص ٢٢٩ د أ .

الخزرجي : العقد الفاخر ص ٢ ، ض ١٢٣ ب ، زبارة : أئمة اليمن ص ١ ص ٣٨١ -

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٧١ ب ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٧ .

د أ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ص ١ ص ١٣٧ ، المسجد ص ٢٧٦ - الجرافي : المقتطف ص ١٢٣ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٧١ ب .

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ص ١ ص ١٤٥ ، المسجد ص ٢٧٧ -

تقياً بين عامي ٦٦١ و ٦٦٤ هـ ، (١) وتمكن سنجر بفضل هذه الحملات من السيطرة على كثير من المناطق الخاضعة للزيدية في شمال جبال اليمن وشرقها (٢) ، ومع ذلك فقد واصل صارم الدين داود تشجيع القلائد ضد السلطان ، مثيراً بذلك الفتن والاضطرابات ، وتمكن من إشعال نار الفتنة في منطقتي حجة والخلافة ، واستطاع الثائرون - بفضل مساعدات الزيدية - الصمود في وجه قوات السلطان التي لم تتمكن من استعادة السيطرة على حجة إلا بصعوبة كبيرة في رمضان سنة ٥٦٦هـ / مايو - يونية سنة ١٢٦٧م أما الخلافة وحصونها ، فقد قضى السلطان على حركة العصيان فيها في ذي الحجة من نفس العام (٣) .

وتابع المظنر حملاته ضد الزيدية بلا هوادة لتمكين سيطرته التامة على البلاد . وحتى لا يترك لهم مجالاً ينظمون فيه صفوفهم ، فاستولت قواته سنة ٦٦٦ هـ على صعدة وأخربتها وأتلفت ماحولها من المزارع (٤) . وواصل شن هجماته في العام التالي على بلاد وحصون الزيدية حتى أرهاقهم ، فطلبت جموع الزيدية من الشريف الحمزى صارم الدين داود أن يفرج عن الإمام الحسن بن وهاس لتتوحد القوى الزيدية تحت لوائه ، فاستطاعت بذلك إحراز

(١) ابن حاتم : السمط ص ٧٢ ب .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٧٣ ب ، الخزررجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٤١ ، المسجد ص ٢٧٧ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٧٤ دأ ، الخزررجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٥٧ - ١٥٨ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٧٨ دأ ؛

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٧٦ دأ ، الخزررجي : العقود اللؤلؤية ج ١

ص ١٢٨ - ١٦٩ ، المسجد ص ٢٧٩ - ٢٨٠ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٨٨ .

انتصار حاسم على قوات المظفر وردم على أعقابهم (١) واسكن الانتقام إلى
يلبث أن دب في صفوف الزيدية من جديد بسبب إصرار الامام على السير إلى
صنعاء للاستيلاء عليها ، ومعارضة بني حمزة له وعدم تصويبيهم لرأيه في تلك
الفترة . وقد أدى إصرار كل جانب على موقفه إلى تفريق الجموع (٢) . واهترو
السلفان فرصة هذا الانتقام وسير حملة بقيادة سنجر الشيعي والى صنعاء .
إلى صعدة فتمكن من استعادتها في صفر سنة ٦٦٨ (٣) / أكتوبر سنة ١٢٦٦ م .
واضطرب بنو حمزة إلى معارضة بذل الطاعة للسلطان وتم عقد الصلح معهم في
شعبان من تلك السنة (٤) .

استغل بنو حمزة فرصة الصلح لتنظيم صفوفهم وتقوية أنفسهم (٥) ،
خاصة وأن الامام الحسن بن وهاس كان قد خلع نفسه من الامامة سنة
٦٦٨ هـ / (٦) ١٢٦٩ م . وإذا كان عام ٦٦٩ هـ قد مر في هدوء ، فإن للمظفر
يلبث أن طرد توجيه حملاته سنة ٦٧٠ هـ إلى مناطق نفوذ الزيدية شمال جبال

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ص ١ ص ١٧٠ - ١٧١ ، الصحيح
ص ٢٨٠ - ٢٨٢ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٧٩ دأ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٧٩ ب ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٧ ب .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٨٠ دأ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ص ١
ص ٢٧٤ ، المسجد ص ٢٨١ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٨٠ ب .

(٦) زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٧٦ .

اليمن (١) ، في وقت حرج كان هؤلاء فيه بغير إمام يجتمعون حوله ، ولما فشلت محاولاتهم لاقتناع الحسن بن وهاس بالعودة إلى الإمامة ، انفق رأى بعضهم علي إقامة الشريف الزيدى ابراهيم بن تاج الدين (٢) إماماً لهم ، ولكنه لم يقبل إلا على أساس إجماع الزيدية على مبايعته ، فتم لذلك في ذي الحجة سنة ١٧٧هـ (٣) / يولييه سنة ١٢٧٢ م . وعلى الرغم من تحفظ البعض وإرجاجهم المبايعه إلى ما بعد مناظرة العلماء له والتأكد من مدى صلاحيته للإمامة ، إلا أنهم أكرهوا على مبايعته (٤) . وعندئذ نشطت حركة الزيدية بقيادة الإمام ابراهيم بن تاج الدين ولم يكتف بالصمود في وجه قوات المظفر بل طاردتهم جموعه وأجانبهم عن كثير من المواقع وهددت صنعاء نفسها ، مما اضطر الساطان المظفر للتوجه إلى رأس حمله كبيرة لاستعادة المناطق المحيطة بصنعاء (٥) ، وإعادة الأمن والهدوء للمنطقة . وقد نجح المظفر بالفعل فيما ذهب إليه ، فما كادت تصل طلائمه إلى

(١) الخـزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٧٩ — ١٨٠ ، المسجد

ص ٢٨١ .

(٢) هو ، ابراهيم بن تاج الدين احمد بن بدر الدين محمد بن احمد بن يحيى ابن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن احمد الناصر بن الامام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٩٠) .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٨٢ « أ » ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٢٥٥ ،

الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٨٠ ، المسجد ص ٢٨٢ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٨١ ب — ٨٢ د أ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٨٣ (أ — ب) .

هذه المواقع حتى انسحبت القوات الزيدية شمالاً . فلما وصل المظفر إلى ذمار جنوبي صنعاء في شهر شعبان سنة ١٧١ هـ ^(١) / فبراير ١٢٧٣ م ، قام بتجهيز علم الدين سنجر - والى صنعاء - فتولى قيادة عدة حملات متوالية على مناطق نفوذ الزيدية أسفرت عن قتل وأسر عدد كبير منهم ، واستولى علم الدين على كثير من الغنائم ^(٢) . وهكذا « تقسوى علم الدين وتضعضع الأشراف تضعضعاً كلياً » ^(٣) . وتبودلت الحملات سنة ١٧٢ هـ / ١٢٧٣ - ١٢٧٤ م حتى اتفق الصلح بين الجانبين ^(٤) .

وعاد الهدوء يرفرف من جديد على البلاد ، ولكن القوى الزيدية كانت تتهز الفرص المواتية للعودة إلى العصيان ، فقد حدث أن خرحت حامية ذمار عن الطاعة لخلاف نشب بينها وبين والى صنعاء ، وتمكن بعض أفرادها من الاستيلاء على صنعاء في ربيع الآخر سنة ٧٤ هـ / ^(٥) سبتمبر ١٢٧٥ م ، واستعانوا بالامام ، فجاءهم في عدد كبير من أتباعه في شهر جمادى الأولى ^(٦) .

(١) ابن حاتم : السمط ص ٨٣ ب ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٤٥٧ .

(٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمان ص ٥٨ د ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية

ج ١ ص ١٨٣ - ١٨٤ ، للمسجد ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٨١ « أ » .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٩٠ ب ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص

١٨٥ - ١٨٧ ، المسجد ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٩١ .

(٥) ابن عبد المجيد : بهجة الزمان ص ٥٨ د أ .

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٩٠ ، المسجد ص ٢٨٤ -

وهكذا انتهت الفرصة الامام من جديد وطمع في السيطرة الكاملة على اليمن، والقضاء على بني رسول (١). ولكن لم يلبث أن جاءته الأنباء بحركة المظفر - في جموع جيشه - وأنه في طريقه للاستيلاء على ذمار (٢)، فكان لذلك أثره في اضطراب المنضمين من أتباع المظفر إلى الامام، وأسرعوا بالعودة إلى صنعاء لمراقبة تطورات الأحداث (٣). في حين تعرضت القوات الزيدية لنقمة المظفر وأصبحت لقمة سائفة لقواته التي حطت عليها كالبواشق وفتكت بها فتكا ذريعا في جمادى الأولى سنة ٦٧٤ هـ / نوفمبر ١٢٧٥ م ووقع الامام في أسر المظفر (٤). وعندئذ تفرق الزيدية وهن والامم في الأودية، واستولى السلطان على كثير من الغنائم (٥)، وعاد المظفر إلى تعز ومعه الإمام أسيراً (٦) ولم يزل معززا مكرما في سجنه حتى توفي في صفر سنة ٦٨٣ هـ / (٧) أبريل ١٢٨٤ م.

وحاول الزيدية بعد هزيمتهم النكراء لإفناع الحسن بن وهاس بالعودة

-
- (١) ابن حاتم : السمط ص ٩٦ دأ. .
 (٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٨ ب .
 (٣) ابن حاتم : السمط ص ٩٧ دأ. .
 (٤) : ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٩ دأ. ، زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٩٣ .
 (٥) ابن حاتم : السمط ص ٩٧ دأ. - ٩٨ دأ. .
 (٦) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٩ دأ. .
 (٧) زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٩٣ ، ٢٠١ .

للإمامة فلم يوافقهم^(١) ، فاجأوا إلى الشريف الزيدى المطهر بن يحيى فقاموا
تحت ضغط الشريف الحزبي صارم الدين داود^(٢) ، وبايعته جموع
الزيدية^(٣) . وكان المظفر حكيماً ، فعرف كيف يزيد من حدة الخلاف في
صفوف الزيدية ، بتقريب جانب أو معاونة آخر على الاستمرار في معارضة
الامام، كما عرف كيف يستغل تلك الانقسامات لمصالحته ، وعمل على تقريب
الشريف صارم الدين داود - الذي سبق أن ضغط على المطهر بن يحيى لقبول
الامامة - وعقد معه صلحاً سنة ٦٧٤ هـ /^(٤) ١٢٧٥ م بعد وقت قصير من
مبايعة الامام الجديد .

وكانت قوات السلطان قد قامت بمحاصرة بعض حصون الزيدية ، ودار
القتال بينهم وبين قوات الامام ، ولكنه لم يسفر عن نتيجة حاسمة ، وتبع ذلك
انقضاء أتباع الامام من حوله^(٥) مما اضطره إلى ترك مساعدة المحصورين

-
- (١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٩٧ ، المسجد ص ٢٨٩ .
(٢) ابن حاتم : السمط ص ٩٨ ب (الامام المطهر هو ابن يحيى بن
المرتضى بن المطهر بن القاسم بن المطهر بن محمد بن المطهر بن علي بن أحمد الناصر
ابن الامام المهدي إلى الحق يحيى بن الحسين) زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٩٥ .
(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٩٨ ، المسجد ص ٢٨٩ .
(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٩٨ ، المسجد ص ٢٨٩ .
(وكانت مدة الصلح ثلاث سنوات) ابن حاتم : السمط ص ٩٨ ب .
(٥) ابن حاتم : السمط ص ٩٩ د أ ، : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١
ص ٢٠٠ ، المسجد ص ٢٩٠ .

والانسحاب بمن بقي معه من أتباعه (١) : فكان بذلك قوات السلطان من السيطرة على هذه الحصون في رمضان سنة ٦٧٠ هـ / (٢) ديسمبر ١٢٧٧ م .

استقرت الأحوال بعد ذلك ما يقرب من عامين ، تخللها بعض المنازعات بين القوى الزيدية نفسها ، وكان كلما استقوى جانب لجأ الآخر إلى طالب ههوية السلطان المظفر ، فكان أحيانا يسمى للتوفيق بين الطرفين ، أو يكتب في تقديم المساعدات المادية لمن لجأ إليه (٣) . وهكذا أضعفت القوى الزيدية نفسها بهذه المنازعات ، ولم تعد تشكل خطرا على بني رسول ، الأمر الذي ساعد المظفر على توجيه حملاته إلى ظفار - في عمان - والاستيلاء عليها سنة ٦٧٨ هـ / (٤) ١٢٧٩ م ، فارتفع بذلك شأن السلطان وتمكن من السيطرة على عدد من حصون الزيدية (٥) .

(١) للأعجاز الإمام عن مساعدة المحصورين سعى في المفاوضة وطالب مبالغ مائة ألف دينار ثمنا للانسحاب وترك مساعدة الموجودين في الحصون ، وانتهى الأمر بتسليمه ألفي دينار (ابن حاتم : السمط ص ٩٩ ب) .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٩٩ ب .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٩٩ ب .

(٤) انظر تفصيل ذلك في الفصل الرابع من الباب الثاني الخاص بالعلاقات الخارجية .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ١٠٥ د - ١٠٦ ب ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢١٨ وما بعدها ، المسجد ص ٢٩٨ وما بعدها ، زارة : أئمة اليمن ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

استغل الشريف صارم الدين داود حادثة مقتل علم الدين سنجر الشعبي والى صنعاه سنة ٦٨٢ هـ / (١) ١٢٨٣ م وأسرع بمجموعه إلى صنعاء متوها بسهولة للاستيلاء عليها مادامت بغير وال ، ولكن المسؤرخ بدر الدين محمد بن حاتم تولى مهمة الذب عن المدينة والدفاع عنها وأعد هجوما مضادا مفاجئا على قوات صارم الدين قرب مدينة حوث شمال صنعاء وأوقع المزيمة بقواته وشتت جموعه (٢) .

ونتيجة للمخاطر التي تعرضت لها صنعاء بعد مقتل واليها ، أناب المظفر واليا آخر هو فخر الدين بن فيروز وأمدّه بعز الدين بلبان الدويدار لمعاوته في قيادة الحملات والعمل على إصلاح الأحوال هناك . ثم أقطع صنعاء لابنه الملك الواثق (٣) نور الدين إبراهيم فوصلها في ربيع الأول سنة ٦٨٣ هـ / (٤) مايو

(١) كان علم الدين سنجر قد عقد اجتماعا بقصر الإمارة في صنعاء ، ضم المؤرخ بدر الدين بن حاتم ، وأخاه علي وعمر بن سعيد قاضي صنعاء وغيرهم فتهدم القصر عليهم ومات الجميع ماعدا بدر الدين والقاضي (ابن حاتم : السمط ص ١٠٦ ب - ١٠٧ د ، أ ، ، الجندي : السلوك ص ٦ ، ٢ ، ٤٦٢ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٢٨ ، المسجد ص ٢٩٩ - ٣٠٠ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٩ ب ، النويري : نهاية الأرب ج ٣١ ص ٤٥ ، يحيى بن الحسين : غاية الاماني ص ٤٥٨ ، زبارة : أئمة اليمن ص ١٨١ ، محمد عبد العال أحمد : الفتح الأيوبي لليمن ص ١٣٩) .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ١٠٧ د ، أ ، ، الجندي : السلوك ص ٤٧٢ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ١٠٧ ب ، الجندي : السلوك ص ٤٧٢ ، ابن

الديبع : قرة العيون ص ٧٩ ب .

(٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦١ د ، أ ، ، الخزرجي اللؤلؤية ج ١

ص ٢٣٥ ، المسجد ص ٣٠٠ .

١٢٨٤م « فكانت أيامه أياما حسنة ، خصبة رغدة ، وعدل فيها وأحسن .
وأجل ولم يقصر ، (١) .

وعلى الرغم من أن بني حمزة كانوا أصحاب الفضل في إمامة المظهر بن يحيى ، وأنه قبلها تحت ضغط الشريف صارم الدين داود إلا أنهم اختلفوا معه منذ توليه الإمامة ، ولهذا قام الشريف صارم الدين بقتل صلح متفرد مع السلطان ، فأدى ذلك بطبيعة الحال إلى تحمل الامام عبء الكفاح ضد السلطان . فلما زادت ضعف قوات السلطان على الزيدية سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م ، وقدم صارم الدين كل أمل في قيام أى تعارن بينه وبين الامام المظهر ، وفشلت جهوده لإعادة الحسن بن وهاس للإمامة ، لجأ إلى إقامة ابن أخيه يوسف بن ابراهيم إماما للزيدية ، وكان قد قرأ شيئا من العلم ولم يكن يكمل للإمامة ولا لغيرها ، (٢) ، واتخذ من حصن تلالا - الواقع شمالي صنعاء بالقرب من كوكبان - مقرا له ، فجهز جيشا ليتمكن من فك الحصار عن المناطق التي تحاصرها قوات السلطان . واشتبكت قواته مع مجموعة من جند المظفر كان يقودها المؤرخ بدر الدين مجد بن حاتم ، وتمكنت تلك القوات من تصيد بشر ابن حاتم - شقيق بدر الدين - وقتله في كمين نصبوه له (٣) . وطمع الامام يوسف بن ابراهيم في تحقيق النصر على قوات السلطان المرابطة شمالي

(١) ابن حاتم : السمط ص ١٠٧ ب .

(٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦١ دأ ، الخزرجي : المسجد ص .

٢٠١ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٧٩ ب .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ١٠٧ دأ .

صنعاء (١) ، فلما أخفقت جهوده وخشي أن يتسرب اليأس إلى أتباعه ، عمد إلى الاغارة على بعض المناطق المنطوقة - لضعف حامياتها - واستولى على بعضها وقتل من وجدته فيها (٢)

وتجدر الإشارة إلى أن تنصيب بنى حمزة ليوسف بن إبراهيم إماماً أدى زيادة التوتر بين الزيدية وانقضاءهم إلى معسكرين متعادلين ، أحدهما بزعامة الإمام يوسف وعمه الشريف صهارم الدين ، والثاني بزعامة الامام مطهر بن يحيى . وأدى الصراع القائم بين الجانبين إلى استنصار الشريف جمال علي بن عبد الله - نيابة عن الامام مطهر - بالملك الواثق بن المطهر في صنعاء (٣) ، وتمكك بفضل مساعدة الواثق من التغلب على قوات الامام يوسف بن إبراهيم . كما أتاح الفرصة من جديد للسلطان لمواصلة شن هجماته على بنى حمزة إلى أن استنفذ طاقاتهم (٤) . ولجأ زعيمهم صهارم الدين داود إلى مكتبة السلطان في ١٢٨٤ / ١٢٨٥ م لطلب الصلح ، وقد انتهى الأمر بعقد صلح بينها (٥) . غير أنه لم يلبث أن ارتبط بعلاقات طيبة مع الامام المطهر بن يحيى (٦) ، واتفق معه

(١) ابن حاتم : السمط ص ١٠٧ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ١٠٨ ، د.أ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ١٠٨ ، د.أ .

(٤) زبارة : أئمة اليمن ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ١٠٩ ، د.أ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١

ص ٢٢٩ ، المسجد ص ٣٠٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٨٠ ، د.أ .

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٤٦ ، المسجد ص ٣٠٢ .

على ٢٠٠ هـ، قوات السلطان ناكثا بهوده له ، الأمر الذي دعا المظفر إلى تسيير قوة عسكرية هدفها تعزيز قوة وانه الواثق في صنعاء الذي أخفق في التصدي للثورات الزيدية . ولما وصلت الامدادات التي أرسلها السلطان إلى صنعاء ، انضم الملك الواثق إليها ، ومع ذلك فلم تستطع تلك القوات إيقاف التيار الزيدى الجارف الذي استعاد قوته سببا بعد استرداد مدينة صعدة (١) ، فكان ذلك نذيرا باضطراب أحوال المناطق الواقعة شمال صنعاء (٢) .

اضطر المظفر أمام قوة الزيدية إلى استدعاء ابنه الواثق لفضله في مقاومة هذا الخطر ، وأقطع ابنه الملك الأشرف صنعاء مكانه (٣) . على أن الأشرف ما كان يصل صنعاء في جمادى الآخرة سنة ٦٨٦ هـ / يولييه ١٢٨٧ م حتى تقاطرت عليه جموع القبائل معلنة عن رغبتها في الدخول في طاعته ، فضمهم الأشرف إلى قوته ، وقاد حملة ضخمه لمحاربة الأشراف الزيدية ، فكان لموقف القبائل أثره في انضمام عدد من زعماء الزيدية إلى الملك الأشرف الذي واصل تقدمه ووطئ البلاد وطأة شديدة ، (٤) فبال ذلك الشريف صبارم الذين

(١) زبارة : أئمة اليمن ص ٢٠١ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ١٠٩ ب ، الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٠٦ ، العسجد ص ٣٤٣ .

(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦٧ د ، الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٤٧ ، ابن النديم ص ٨٠ ذ أ .

(٤) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٤٧ ، العسجد ص ٣٠٣ ، ابن النديم : قرة العيون ص ٨٠ ب .

داود وأضطر إلى الانسحاب بهسكره ، في حين سارعت القبائل المؤيدة له إلى للدخول في طاعة الملك الأشرف رغبة أو رهبة . وواصلت جيوش الأشرف تقدمها ، ولم ترد في تخريب ما كانت تقابله من عمران في المناطق التي ظل أهلها على ولائهم للزيدية ، وتوالت انتصارات الأشرف على الزيدية وحاصرهم في عدد من المواقع ، ومرة أخرى يعود الشريف صارم الدين إلى طلب الصلح ، ولم يتردد الملك الأشرف في اجابته إليه ، بعد أن حققت حملاته أهدافها . ولم يمض وقت طويل على توقيع هذا الصلح في جمادى الأولى ٦٨٧ هـ (١) / يونيو ١٢٨٨ م ، حتى أورد بصلح ثان عقد بعد شهر بين الإمام المطهر بن يحيى والملك الأشرف بن المظفر (٢) ،

وما أن استقرت الأوضاع حتى استبدل السلطان المظفر ابنه الملك الأشرف بابنه الملك المؤيد الذي وصل إلى صنعاء في ذي القعدة سنة ٦٨٧ هـ (٣) / ديسمبر ١٢٨٨ م . والظاهر أن الزيدية لم يقبلوا بالأمر الواقع ، فقام فريق منهم ببعض الحوادث ، وتبادل كل من الجانبين توجيه تهمة نقض الصلح إلى الآخر (٤) ، وتبع ذلك قيام الجيوش السلطانية بمعاودة الحملات التخريبية على المناطق الموالية للزيدية (٥) ، وازدادت أحوال البلاد سوءا ، واشرب أهل

(١) الخزرجي : العقود اللؤؤية ج ١ ص ٢٤٨ ، المسجد ص ٣٠٤ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ١١١ « أ » .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ١١١ ب ، الخزرجي : العقود اللؤؤية ج ١ ص ٢٤٨ ، المسجد ص ٣٠٤ .

(٤) ابن حاتم السمط ١١١ ب ، الخزرجي : العقود اللؤؤية ج ١ ص ٢٤٩ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢٠٢ .

(٥) ابن عبد الحميد : بهجة الزمن ص ٦٢ ب .

التفاق والفساد ، « ووقع الاختلال في البلاد من تقيل صيد ^(١) إلى صعلة ، ورفع كل مفسد رأسه » ^(٢) . ولهذا بادر المظفر بجهيز ولده الملك الأشرف في حملة لاقرار الأوضاع من جديد ، وكالمعتاد لم يكفد يصل إلى صنعاء في ذي القعدة سنة ٦٩٣ هـ ^(٣) / سبتمبر ١٢٩٤ م ، حتى أطاعه كل عصي ودان له كل أبي ، ولم يبق مؤالف ولا مخالف إلا وناق إلى خدمته ^(٤) ، ، ولم يتماك عرب البلاد أن مثلت إلى خدمته من شاحنات الأطوار وهطامات الوهاد ^(٥) . فكان لذلك أثره في تهيئة المناخ المناسب للاستقرار والتهيؤ لصلح جديد بين الأشراف الزيدية كافة وبين الملك الأشرف نيابة عن أبيه ^(٦) وتم ذلك في أول المحرم ٦٩٤ هـ / ^(٧) ٢١ نوفمبر ١٢٩٤ . وهكذا خيم الهدوء

(١) النقيب ، هو المر الجبلي ، ويقع نقيب صيد جنوبي ذمار (الويسى المين الكبرى ص ١٧٩) ويعرف حاليا بنقيب سمارة وهو على خط عرض ١٧° ١٤' شمالا ، وخط طول ٢٣° ٤٤' .

(EL - Khazrejiyy : op - cit. vol. III, 3, p. 142, Note, 978)

(٢) ابن حاتم : السمط ص ١١٢ ب .

(٣) الخزرجي : العقود الأثرية ص ١ ص ٢٧١ ، المسجد ص ٢٠٨ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ١١٢ ب .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ١١٣ « أ » .

(٦) ابن حاتم : السمط ١١٣ ب ، الخزرجي : العقود ص ١ ص ٢٧٣ [

للمسجد ص ٣١٠ - ٣١١ ، ابن الديبع : قسرة العيون ص ٨١ ب ، ربارة :

أئمة المين ص ٢٠٥ .

(٧) ابن عبد الحميد : بهجة الزمن ص ٦٤ و أ .

من جديد وشمل أرجاء البلاد إلى وفاة السلطان المظفر يوسف في رمضان سنة ٦٩٤ هـ (١) / يولية ١٢٩٥ م بعد أن ملك أكثر من ست وأربعين عاما (٢).

١٦٢١ - الصراع على السلطنة بين أبناء المظفر وأحفاده :

١ - عهد الأشرف عمر بن المظفر :

كان السلطان المظفر قد أناب عنه في قيادة الحملات كل من أبنائه الأشرف عمر والوائن ابراهيم والمؤيد داود ، فأثبت الأشرف كفاءة نادرة وقُدرة فائقة . فلما طعن المظفر في السن وبلغ الخامسة والسبعين من عمره ، خشى حدوث الخلاف بين أبنائه على عرش السلطنة من بعده فاستقر رأيه على اختيار خلف له . وكان معجبا بشخصية ولده الأشرف ، لما أبداه من براعة في القيادة وحنكة في إدارة المعارك ، ولهذا خصه بخلافته على السلطنة ، وقلده أمورها (٢) قبل وفاته بمدة أشهر ، وحلف له العسكر (٤) ، وأصدر له تقاييدا بالسلطنة . قال ابن حاتم : « فَعَقَدَ لَهُ عَلَى الْمَلِكِ وَنَظَّمَ لَهُ مَقَرَّهُ فِي السَّلْكِ ، وَقَالَ : هَذَا وَلِيَّ عَهْدِي وَصَاحِبَ أَمْرِي فِي جَنْدِي ، وَوَارِثَهُ بَعْدِي . وَجَمَعَ اسْمَهُ مَعَهُ فِي الْخَطْبَةِ وَالسَّكَّةِ ، وَلَمْ يَنْصَ عَلَى الْمَسَاهِمَةِ وَالشَّرَكَةِ . وَكَانَ لِلتَّقْلِيدِ الْكَرِيمِ ... »

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦٤ ب ، ابن القرات : تاريخه ج ١ ص ٥٧ د أ . (و ذكر ابن تغري بردى والعيني وفاته في شهر رجب سنة ٦٩٤) (النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٧١ ، عقد الجمان مجلد ٥٦ لوحة ١١٣) .

(٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦٤ ب ، ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٧٣ حوادث الدهور ص ٣٧٥ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ١١٤ د أ .

(٤) الجندي : السلوك ص ٤٥٥ .

سنة ١٦٩٤ هـ (١) (١٩ مارس سنة ١٢٩٥ م) ، ويستطرد
 ابن حاتم قائلا : « ثم انضافت الأوامر والنواهي ، والحل والعقد والبسط
 والقبض في البر والبحر والأقاليم والسواحل والأمصار والحصون والثغر ،
 وتدير الحروب وتجهز العساكر إلى مولانا السلطان الأعظم الملك الأشرف ...
 ولم يكن إلى مولانا السلطان للملك للمظفر ... غير جلائل الأمور ومهاتما ...
 واستمر الأمر لمولانا السلطان الملك الأشرف ... وبعث والأمر إلى سائر البلاد
 وشاع ملكه في حاضر وباد ، واشربت قلوب الأولياء بولايته حبا ، وملت
 قلوب الأعداء تخوفا ورعبا ، وفرض العدل وسنه ، ودانت له القبائل ، وانقادت
 لأوامره واستكانت ، (٢) .

وفي نفس الوقت الذي أصدر فيه المظفر تقليده للأشرف ، أسند ولاية
 حضرموت والشحر إلى ولده الثاني المؤيد داود (٣) ، وكان قد استولى عليها
 سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م . وكان المظفر يعتقد أنه قد ضمن بهذا التصرف نوعا
 من الوفاق بين أبنائه بعد وفاته . غير أن ذلك لم يتحقق ، فبعد وفاته أعد المؤيد
 عدته وجمع حشوده لانتزاع السلطنة من أخيه الأشرف عمر (٤) . وانضم إلى

(١) ابن حاتم : السمط ص ١١٤ أ - ب .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ١١٤ ب .

(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦٤ ب ، الخزرجي : العمود ص ١

ص ٢٧٥ ، المسجد ص ٣١٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٨١ ب .

(٤) ابن الفرات : تاريخه ص ١٦ لوحة ٥٣ ، الخزرجي : العمود الأثرية

ص ٢٨٤ ، المسجد ص ٣١٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٨٠ أ ،

يطخرمه : تاريخ نمر عدن ص ٢٠ ص ٧٣ .

للمؤيد أخوه الملك المنصور أيوب والقاضي موفق الدين علي بن محمد البيهقي. ومع ذلك فقد أرسل الأول إليه يحذره من التقدم^(١)، وأبلغه الثاني بأن الأشرف قد دس له من يتولى مهمة اغتياله^(٢) ولكن المؤيد لم يلتفت لهذمه التحذيرات والنصائح، وواصل تقدمه إلى أبين واستولى عليها. كما استولى على حصن السمدان^(٣) لتنازل أخوه الناصر أيوب له عنه.^(٤) ثم سار إلى همدان واستولى عليها^(٥)، وتقدم إلى حلب^(٦).

أما الأشرف فقد ساءه خروج أخيه عليه، وقر عزمه على محاربتة، فسعى

(١) الخزرجي: العقود ج ١ ص ٢٨٤ - ٢٨٥، ابن الديبع: قرة العيون ص ٨٣.

(٢) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ص ٦٤ ب، الخزرجي: المسجد ص ٣٧٧.
(٣) السمدان، من الحصون التي يضرب بمحصاتها النبل (الخزرجي: المسجد ص ٣٢٩) وليس بعد حصني التمكنر وحب سواه (ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ص ٤٥ أ) ويقع بمخلاف جعفر (الويسى ابن الكبرى ص ٢٦٠) بين حلب والدملاوة.
(EL - Khazrajy: op. cit. vol III, 3, p. 140, Note, 117.).

(٤) الخزرجي: العقود ج ١ ص ٢٨٤ - ٢٨٥، ابن الديبع: قرة العيون ص ٨٣ أ.

(٥) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ص ٦٥ أ، ابن الفرات: تاريخه ج ٦ ص ٥٣ ب، الخزرجي: المسجد ص ٣١٧ - ٣١٨.

(٦) الجندي: السلوك ص ٢٢٢، الخزرجي: العقد الفخر ج ٢ ص ١٦٨، الأهدل: تحفة الزمن ص ١٤٥ ب.

سـهـمـة بـقـيـادـة ابـنـه المـلـك النـاصـر (١) أتـبـعـها بـجـشـود أـخـرى يـتـلو بـعـضـها بـعـضـا (٢)
 لـمـا أن اشـتـبـكت قـواـنـمـه مع قـواـت أخـيه فـي مـعـرـكـة عـتـيـفـة جـرت بـقـريـة
 مـدـيـنـة عـيـس (٣) فـي المـحـرم سـنـة ٥٦٩هـ/ (٤) نـوـفـمـبر ١٢٩٥م ، انـتـهـت بـهـزـيـمـة
 المـؤيـد ، (٥) مـمـا اضـطـره إـلى طـلـب الأـمـان فـأـمـنـه ابن أخـيه المـلـك النـاصـر بن
 الأـشـرف ، وـلـكـنـه اعـتـقـله مع وـلـديـه المـظـفر وـالـظـافـر وـعاد بـهـم مـقـيـدـين لـى أـبـيه
 الأـشـرف ، الـذـى كان قـد تـوجـه إـلى مـدـيـنـة الجـوـة (٦) لـمـتـابـعة أـخـبـار المـعـرـكـة
 وـهو واصلـة الامـدـادـات لـها . وعلـى الرـغـم من المـتـاعـب الـتى أـثـارـها المـؤيـد ، إـلى أن
 الأـشـرف تـأثـر لـاعـتـقـال أخـيه وولـديـه ووبـكى بـكـاء شـديـدا وأـمر بـاكرامـهـم ، (٧) .
 وعلـى الرـغـم من انـفـراد الأـشـرف بـالـسـلـطـنة بـعد اعـتـقـال أخـيه المـؤيـد ، فإن

(١) ابن عبد المجيد . بهجة الزمن ص ٦٦ أ .

(٢) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٢٨٦ ، المسجد ص ٣١٨ ، باخرمة :
 تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ٧٢ .

(٣) الدعيس ، موضع بناحية عدن وأبين (باخرمة : تاريخ نجر عدن ج ٢
 ص ٧٣) .

(٤) الجندي : السلوك ص ١٥٤ ، ٤٥٥ .

(٥) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦٦ أ ، الأهدل : تحفة الزمن
 ص ١٥٨ ب ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢٠٧ .

(٦) الجوة ، مدينة بسفح حصن الدمولة ، وهي على مرحلة من مدينة
 الجندي (الجندي : السلوك : ص ٨٠ ، ٤١٩) .

(٧) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦٦ أ ، الخزرجي : العقود ج ١
 ص ٢٨٩ .

العمر لم يمتد به طويلا ولم يلبث أن توفي بعد عام واحد فقط من هزيمة أخيه. وخلاصه من خطرته ، وكانت وفاته في المحرم سنة ٦٩٦هـ^(١) / نوفمبر ٢٩٦م. ولم تدم مدة حكمه أكثر من سنتين شغل في أولاهما بمحاربة أخيه المؤيد داود.

٢ - سلطنة المؤيد داود ، وتطور الأحداث الداخلية في عهده :

كانت وفاة الأشرف عمر مفاجئة ، ولم يكن معه وقت وفاته أحد من أبنائه ، فأبته الملك الناصر جلال الدين مجد كان نائبا له في مدينة القحمة ، في حين كان ولده العادل صلاح الدين في صنعاء^(٢) . ولعب القدر دوره في اعتلاء المؤيد داود عرش السلطنة بعد أخيه الأشرف^(٣) ، فلقد أجمع من كان حاضرا من كبار رجال الأشرف وخاصمه على إقامة المؤيد سلطانا على اليمن . مستهدفين بذلك إزالة ما بينه وبينهم من عدا ، يرجع إلى تأييد الأشرف في حربه ضده ، وظنا منهم أنهم بمبايعتهم له سوف يحظون بثقتهم ويحتفظون بمكانتهم عنده . ولهذا توجهوا إلى المؤيد وأخرجوه من معتقله^(٤) ، وأبلغوه .

(١) الجندي : السلوك ص ٤٥٥ ، الخزرجي : العقود ج ١ ص ٢٩٧ .

المسجد ص ٣٢٠ .

(٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦٦ أ ، الخزرجي : المسجد ص ٣٢٠ .

ابن الديبع : قرة العيون ص ٨٤ أ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم ج ٨ ص ١٠٩ ، ج ٩ ص ٢٥٣ ، النزيل .

ج ٣ ص ١٧٠ ، حوادث الدهور ص ٣٧٥ .

(٤) ابن تقي الدين : تاريخه ج ١ ص ٨٢ .

بوفاة أخيه فأبدى حزنه عليه (١)، ثم بايعوه بالسلطنة . وكان أول من بايعه
 صاحب حسام الدين حسان بن أسعد بن محمد موسى العمراني وزير أخيه الأشرف ،
 و فاجتمع به وحلف له الأيمان المغلظة واستحلف له الجند (٢) والأمراء وأعيان
 الدولة (٣) ، ورغب الناس إلى ملكه رغبة ما عليها من مزيد ، (٤).

ولما اعتلى المؤيد العرش واستقامت الأمور له ، أرسل كتبه إلى جميع أنحاء
 اليمن (٥) . وجاء ولدى أخيه - الناصر جلال الدين محمد بن الأشرف وأخوه
 العادل - طائعين ، وبايعاه بالسلطنة فأمنهما وأكرهما (٦) ، وعمل على إزالة
 الخلافات التي كانت بينه وبينهما ، وصاهرهما فزوج ابنيه الظاهر عيسى والمظفر
 ضرغام الدين حسن ببنى أخيه الأشرف (٧) . ولكنه عمل على التخاص من
 رجال دولة أخيه ، وقرب أتباعه وثقاته وأسند إليهم المناصب الكبيرة ، ولهذا
 أقل حسان العمراني وزير أخيه رغم أنه كان صاحب الفضل في اعتلائه عرش
 السلطنة ، وجعل في الوزارة مكانه القاضي صاحب موفق الدين علي بن محمد

(١) ابن عبد المجيد : نفسه ص ٦٦ ب ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢٠٨ .

(٢) الجندى : السلوك ص ٣٦٤ .

(٣) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٩٩ ، المسجد ص ٣٢٢ .

(٤) ابن عيّد المجيد : بهجة الزمن ص ١٠٧ أ .

(٥) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٩٩ ، المسجد ص ٣٢٢ .

(٦) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧١ ب ، الخزرجى : العقود ج ١

ص ٣٠١ ، المسجد ص ٣٢٤ .

(٧) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦٨ أ .

ابن عمر اليحيوي (١) في جمادى الأولى سنة ٥٦٦هـ / فبراير ١٢٩٧م، وفوض إليه قضاء الأفضية كما قرب أخاه رضى الدين أبابكر بن محمد بن عمر (٢). ولم يترك المؤيد أمر المفسدين من المماليك فقبض عليهم وأودعهم سجن حصن الدملوة (٣). ثم أقطع صنعاء لابنه المظفر ضرغام الدين، أما الظافر عيسى فأقطعه القحرية والحازنين (٤).

وكان الزيدية أثناء ذلك يتربون - منذ وفاة المظفر - الصراع الدائر بين السلطان الأشرف وأخيه المؤيد، وتمكنوا خلال ذلك من الاستيلاء على بعض الحصون. فلما مات الأشرف عمر وخلفه المؤيد وتمكن من السيطرة على مقاليد الأمور وانصاعت القبائل له، رغب زعماء الزيدية في مصالحةته، اكتساباً لوقت يتمكنون فيه من إعادة تنظيم صفوفهم إلى أن تحين لهم فرصة موالية ينقضون فيها على بنى رسول، ولذلك لما أن جاءتهم كتبه حتى سارعوا بإرسال التهنئة بالسلطنة وإعلان ولائهم له وعقد الصلح معه (٥).

(١) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ص ٧٠ أ؛ ابن الديبع: قرة العيون

ص ٣٠٣.

(٢) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ص ٦٩ أ، الخزرجى: العقود ج ١

ص ٣٠٣، المسجد ص ٣٢٥.

(٣) الخزرجى: العقود ج ١ ص ٣٠٤، المسجد ص ٣٢٦ م

(٤) القحرية والحازنين من وادى زيد (باخمرة: تاريخ ثغر عدن ج ٢

ص ٧٤:

(٥) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ص ٦٧ أ، الخزرجى: العقود الأووية

ج ١ ص ٣٠٤، المسجد ص ٣٢٦ ابن الديبع: قرة العيون ص ٨٥.

١ - صراعة مع أخيه المسعود :-

كان المسعود بن المظفر يتولى الأعمال السرديية - بوادي سردد شمالي زريد - منذ عهد أخيه السلطان الأشرف عمر (١) ، فلما تولى المؤيد العرش حقد عليه المسعود وطمع في انتزاع ملكه ، ولكنه عمل في نفس الوقت على خديعة المؤيد وإيهامه بولائه وإخلاصه له ، وأرسل إليه ابنه أسد الدين محمد مهاكرمه المؤيد وثبت أباه على إقطاعه (٢) . وانتهم المسعود هذه القرصة وبادر بإعلان العمه بان في أواخر سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٧م مدفوعا بمطامعه الشخصية في عرش البلاد من جهة ، وبتشجيع من التف حوله من خصوم المؤيد ممن أضرروا بسلطنته من جهة أخرى (٣) . وزحف المسعوده بحشوده إلى حررض الواقعة في شمال تهامة ، فانضم إليها إليه ، وأصبح من كبار أعوانه ومشيريه ، ونشط في حشد الرجال وانضم إليه عدد آخر (٤) .

عمل السلطان المؤيد على حسم مادة الخلاف سلميا لإبقاء على صلة الإخاء ، وأرسل إلى أخيه المسعود يدعو له إلى طاعته . وأصدر له أمانا ، وثبته على إقطاعه ووعده خيرا ، ولكن المسعود لم يستجب لندائه . وعندئذ أعد جيشا عهد بقيادته إلى أخيه المنصور أيوب وسير يرفقته ولده الملك الظافر عيسى

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٠ أ.

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٠٥ ، المسجد ص ٣٢٧ .

(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٢ أ.

(٤) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ٧٢ ب ، الخزرجي : المسجد

ابن المؤيد ، وزود الحملة بثلاثة من القبيلة^(١) كان لاشتراكها في الحملة أكبر الأثر في إضعاف عزيمه المسعود الذي أدرك أن أنصاره إنما يجمعهم صوت وتفرقهم عصاه^(٢). وأيقن أنه لا يمكنه التصدي للحملة ، ولهذا أعلن الدخول في طاعة أخيه ، ولم يدخل في حرب معه ، ولكن المؤيد أمر باعتقاله هو وولده أسد الاسلام في حصن تمز وذلك في المحرم سنة ٨٩٧هـ / سبتمبر ١٢٩٧م. نظلا في الحبس قرابة عام ، أفرج عنهما بعده وأسكنهما في مدينة حيس^(٣) وقرر لهما جامكية وكذلك لحاشيتهما^(٤).

وبتخلص المؤيد من منافسة أخيه المسعود ، تفرغ لإقرار الأوضاع في البلاد . وكانت الحملات الدورية التقليدية هي السياسة التي لجأ إليها ، كضرورة تحتمها طبيعة بلاد اليمن من أجل استمرار السيطرة المركزية . وبدأ بتجهيز ابنه المظفر ضرغام الدين إلى صنعاء ، فاستولى على حصن براش - إلى الشرق من صنعاء - وبعض حصون يريم^(٥) جنوبي زمار ، كما أرسل حملة ثانية في

-
- (١) الخزرجي : العقود الأثرية ج ١ ص ٢٠٥ ، المسجد المسبوك ص ٣٢٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٨٥ ب .
 (٢) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ٧٢ ب .
 (٣) الخزرجي : المسجد ص ٣٢٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٨٥ ب .
 زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢٠٨ .
 (٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٣ ، أ ، ، الخزرجي : العقود ج ١ ص ٣٠٩ .
 (د) ابن عبد المجيد : تفتيش المصنفات ص ٧٣ ب .

شعبان سنة ٦٩٧ هـ / مايو ١٢٩٨ م إلى مأرب لتمكين سلطانه عليها والقيام ببعض الإصلاحات فيها ، (١) ونائية إلى منطقة حجة حقةقت [هي الأخرى أهدافها (٢) . وهكذا أثبت المؤيد كفاءة في مواجهة المواقف الحرجة ، وقدرة على الضرب على أيدي العصاة والتمردين .

ب - مواجهته لحركات الزيدية وتبائل الجعاف والعجم :

كان الزيدون قد تظاهروا بالطاعة للمؤيد ، وأكدوا ذلك بعقد صاحب معه . وعلى الرغم من وفاة الإمام مطهر بن يحيى حقيب ذلك في رمضان ٦٩٧ هـ / يونيو ١٢٩٨ م ، إلا أن ذلك لم يمنع تكتل القوى الزيدية لإظهار الخلاف على السلطان . ولكن المؤيد لم يتردد في مهاجمتهم ، وأسرع إلى صنعاء فوصلها في ذي القعدة (٤) ثم غادرها في ذي الحجة إلى منطقة الظاهر شمالها (٥) . وتناديا للمخاطر توجهه وقد من زعماء الزيدية لتجديد الطاعة له ، وأبدوا استعدادهم للتعارن معه ضد من استمر على الخلاف من الزيدية ، فزودهم ببعض جنده واستولوا على مدينة صعدة (٦) . وفي نفس الوقت كان المؤيد يواصل

(١) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٣١٠ .

(٢) ابن عبد المجيد : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجي : المسجد ص ٢٢٨ .

(٣) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٣١٠ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢٠٨ .

(٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٣ ب ، الخزرجي : المسجد ص ٣٢٨ .

(٥) ابن عبد المجيد : نفس المصدر والصفحة .

(٦) الخزرجي : المقرد ج ١ ص ٢١١ ، المسجد ص ٢٢٨ .

أعماله الحربية شمالى صنعاء ، فأغار في المحرم سنة ٦٩٨ هـ / أكتوبر ١٢٩٨ م على بعض المدن والحصون وخرب بعضها بالمجانيق وأقام الحصار على البعض الآخر ، واستمر ذلك إلى أن تم التوصل إلى هدنة مدتها سبعة أشهر (١)

ويبدو لنا ابن أبيك منفرداً بسبب هام لخروج الزيدية عن طاعة السلطان الرسولى ، وإن كان لم يوضح المصدر الذي استقاه منه ، فيذكر أن السلطان كان يرسل إلى الزيدية عشرين ألف دينار سنويا ، نظير التزامهم له بالطاعة وإقرار الأمن في مناطقهم وحماية المسافرين والتجار العابرين في حدودهم ، وعدم التعرض لأحد بسوء . ولكن الزيدية خالفوه لعدم كفاية هذا المبلغ . وطالبوه بزيادة المقرر السنوى إلى مائة ألف دينار ، وقالوا : « فإننا نحن عمارة البلد ، وبنا الصلاح والنسب ، فلما لم يستجب لهم خرجوا عن طاعته ، واضطر إلى زيادة المبلغ إلى ثلاثين ألف دينار بعد تمام الصلح معهم (٢) .

أما المصادر اليمنية فتؤكد أن المؤيد غمر الزيدية بعد عودتهم إلى الطاعة بالأموال الطائلة والخلع والكسوات . وأنه لما عاد إلى صنعاء في ربيع الأول سنة ٦٩٨ هـ / ديسمبر ١٢٩٨ م توافد عليه جموع الأشراة الزيدية ومشائخ القبائل مجددين الطاعة له ، فاستمع إليهم معه إلى تعز (٣) ومنها إلى زيد فدخلها في جمادى الآخرة سنة ٦٩٨ هـ (٤) ، مارس ١٢٩٩ م . وكان الشريف الزيدى

(١) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ٧٤ ب ، الخزرجى : العقود ص ١

ص ٣١٥ ، المسجد ص ٣١٩ .

(٢) ابن أبيك : كنز الدرر ص ٩ ص ٦٧ - ٦٩ .

(٣) الخزرجى : العقود ص ١ ص ٣١٥ ، المسجد ص ٣٣١ .

(٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٥ ب - ٧٦ أ ،

على بن عبد الله الحمزي - والد المؤرخ اليميني عماد الدين إدريس - ممن دخل في طاعة المؤيد ، وحظى بمكانة كبيرة عنده ، وأغدق عليه بسخاء حتى قيل أن جملة ما حصل عليه من أموال - منذ وصوله مع السلطان إلى زيد حتى عودته منها في شوال سنة ٦٩٨ هـ / يولييه ١٢٩٩ - تجاوز السبعين ألف دينار^(١) ، حاشا الكساوي والخيول وغيرها^(٢) ، ولكنه لم يلبث أن توفي بعد عودته^(٣) ، وكان من كبار الأنسراف وأعيان رؤسائهم . فلما توفي أجمع أهل بيته على تقديم ابنه عماد الدين إدريس مكانه^(٤) ، فاستمر على سياسة أبيه في موالة السلطان المؤيد . وتأكيذاً لذلك بادر بتلبية طلب السلطان عندما استدعاه إليه فكان وصوله في ذي القعدة سنة ٦٩٩ هـ / يولييه ١٣١١ م ، وتلقاه المؤيد بالإجلال والإكرام ، وأصدر أوامره إلى أتاك عسكريه بألا يستفتح الميدان إلا الأمير المذكور (عماد الدين إدريس) مقدما على أعيان الأسماء ووجوه الدولة ، فكان كما رسم^(٥) . وترتب على بقاء عماد الدين إدريس في خدمة السلطان المؤيد ، تسليم ما كان لديه من الحصون^(٦) ، وارتفاع مكانته

(١) كل دينار أربعة دراهم ، وكل درهم عشرة قراريط . (ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٦ ، أ ، .

(٢) الخزرجي : المقود ، ص ١ ، ٣١٨ ، المسجد ص ٣٣٢ .

(٣) الجندي : السلوك ص ٢٥٤ ، الأهل : تحفة الزمن ص ١٥٨ ب (وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة ٦٩٩) المقود ، ص ١ ، ٣٢٤ ، المسجد ص ٣٣٤ .

(٤) زبارة : أئمة اليمن ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٥) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٧ ب .

(٦) زبارة . أئمة اليمن ص ٢١٠ .

عند السلطان ، فبنحه سبعة آلاف دينار ، وأغدق عليه الهدايا والعحف والملابس
والماليك والخيول وغيرها ، وأقطعه مدينة الفحمة^(١) في المحرم سنة ٧٠٠ هـ /
سبتمبر ١٣٠٠ م .

وباستمرار الأحوال في البلاد ، أقطع السلطان صنعاء لابنه المظفر ضرغام الدين
فلما وصلها في شعبان سنة ٦٩٩ هـ /^(٢) أبريل ١٣٠٠ م احتفل أهلها بمقدمه ،
وزينوا المدينة ابتهاجا به ، ومن جهة أخرى - وفي إطار هذا الهدوء - أخذت
المواكب السلطانية تجوب أنحاء البلاد ، وفي سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م تحرك
الركب السلطاني إلى زيد فدخلها في صفر ، ثم غادرها في الشهر التالي إلى
المهجم - من أعمال وادي سرد -^(٤) فدخلها في احتفال بهيج^(٥) ، وأقام
بغيرها إلى جمادى الأولى ، ثم عاد إلى زيد^(٦) حيث واصل زيارته للمناطق
المجاورة ، ثم توجه بعدها إلى تعز فوصلها في رمضان . وفي هذه الأثناء أقطع
ولده الملك الظافر عيسى صنعاء بدلا من أخيه المظفر ضرغام الدين^(٧) ، فأغار

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٨ د أ ، الجندي : السلوك ص
٢٥٤ ، الأهدل : نخفة الزمن ص ١٥٨ ب .

(٢) الخزرجي : العقود ص ١ ص ٣٢٦ ، المسجد ص ٣٣٥ .

(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٨ د أ ، زبارة : أئمة اليمن
ص ٢١٠ .

(٤) الخزرجي : العقود ص ١ ص ٣٢٧ ، المسجد ص ٣٣٩ .

(٥) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٧٨ ب .

(٦) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ٧٩ أ .

(٧) الخزرجي : العقود ص ١ ص ٣٢٨ .

في طريقه إليها على بعض القبائل لأموار بدرت منهم ، واستولى غلي كثير من خيلهم (١) . كما قام السلطان المؤيد بإرسال حملة إلى بلاد المعازبة لغزوها عن الطاعة وإخلاقهم بالأمن ، واصطنع معهم العنف حتى أذعنوا للطاعة وقدموا الرهائن تأكيداً لولائهم (٢) .

وكان المؤيد دائم الحركة لا يكل ولا يمل ولا يدع مشكلة دون أن يتولى في الحال حلها ، منعاً من تعقد الأمور . فقد كان المؤيد في مدينة الجند عندما بلغه حدوث تغير من الزيدية ، فلجأ في البداية إلى مكاتبتهم لتهدئة النفوس والعمل على لمرألة أسباب الخلاف ، فلما أخفقت هذه المحاولة السلمية أمر عماد الدين إدريس بالتجهيز لمحاربتهم ، وعندئذ أسرعوا لإرضائه وقدموا رهائنهم إليه (٣) . ولكن ما أن خمدت هذه الحركة حتى وردت الأنباء بمخالفة الأشراف السليمانيين - بمنطقة الخلاف للسليمانيين شمالي تهامة - وإقدامهم على قتل نائب مدينة الراحة قرب حررض ، فوجه السلطان إليهم حملة بقيادة عماد الدين إدريس انضم إليه فيها نائب حررض ، ونجحت هذه الحملة في استرداد مدينة الراحة قهراً في شعبان سنة ٧٠١ هـ (٤) / أبريل ١٣٠٢ م ، وقتل

(١) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ٧٩ أ ، الخزرجي : المسجد ص ٣٣٧ .

(٢) ابن عبد المجيد : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجي : العقود > ١

ص ٣٢٨ ، المسجد ص ٣٣٧ .

(٣) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ٧٩ ب .

(٤) الخزرجي : العقود > ١ ص ٣٣٠ .

في هذه المعركة عدد كبير من السامانيين ومن عاونهم (١) ، وطارت أنواته السلطانية من فر منهم حتى أجبرتهم على الطاعة ورد ما استولوا عليه (٢) .

ومع بداية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) بايعت جموع الزيدية الشريف محمد بن الامام السابق المطهر بن يحيى إماما للزيدية ولقبوه بالمهدي (٣) . فكان ذلك نذيرا بهميان زيدى جديد ، ولذلك بادر المؤيد بالخروج فورا على رأس حملة إلى صنعاء ، ومنها واصل تقدمه شمالا إلى بلاد الظاهر (٤) ، وطاف بمنطقة الجبال الشمالية ، وحاصر عددا من الحصون وضربها بالمجانيق . فلما استولى عليها (٥) ، أمر بإصلاح ما تخرب منها ، وولى عليها الولاة وترك معهم فيها الحاميات المناسبة ، وعاد إلى صنعاء في أوائل سنة ٧٠٢ هـ (٦) / ١٣٠٢ م . وكنتيجة لتحرك الزيدية من جديد واستبدادهم بما تحت أيديهم (٧) ، لم يتردد المؤيد في حسم التمسنة ، ورجرد عدة

(١) الخزرجي : للمسجد ص ٣٣٧ .

(٢) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ٨ أ .

(٣) زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢١٢ .

(٤) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ٨٠ ب ، الخزرجي : المقود ج ١

ص ٣٣١ ، المسجد ص ٣٣٩ .

(٥) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ٨١ ب ، الجندي : السلوك ص ٤٥٦ .

(٦) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ٨٣ أ - ب .

(٧) الخزرجي : المقود ج ١ ص ٣٢٧-٣٣٩ ، المسجد ص ٣٤٢-٣٤٣

(و) يذكر ابن عبد المجيد أن ما حدث تم بتشجيع بعض أتباع السلطان وبنوهم

بدر الدين محمد بن حاتم) بهجة الزمن ص ٨٣ ب .

حملات (١) تمكن بفضلها من استرجاع نفوذه على منطقة الجبال الشمالية إلى
صعدة (٢) .

ومن الملاحظ أنه على الرغم من تجدد الخلاف من الزيدية ، ومناوشتهم
للمؤيد بين حين وآخر (٣) ، إلا أن حركاتهم لم تكن جماعية منظمة ، مثلها
كانت في عهد أبيه وجده ، ويرجع السبب في ذلك إلى تمكن السلطان المؤيد
من استمالة عدد من الأشراف الزيدية ، مثل عماد الدين إدريس بن علي وأبيه
من قبله . كما كان لإغداقه الأموال عليهم ، وتقربهم واستجابتهم له ، أثر كبير
في تحييب السلطان بهم وبالتالي دخولهم في خدمته ، ولم يتردد السلطان المؤيد
في إسناد قيادة بعض الحملات إلى بعضهم . وهكذا انقسمت القرى الزيدية ،
فريق منهم مؤيد للسلطان ، استخدمهم في القضاء على معادهم من المتمردين عليه ،
أضيف إلى ذلك أنهم ظلوا بغير إمام يجمع صفوفهم منذ وفاة الامام المطهر
ابن يحيى سنة ٦٩٧ هـ (٤) إلى ٧٠١ هـ / ١٢٩٧ - ١٣٠٢ م - عندما أقسم الامام

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٨٤ ب ، زيارة : تحاف المهتدين
ص ٦٣ .

(٢) الخزرجي : العقود ١ ص ٣٣٩ ، المسجد ص ٣٤١ ، زيارة :
آئمة اليمن ١ ص ٢١٢ .

(٣) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ٨٢ - ٨٤ ، ٩٢ ب ، ٩٧ ، ١٠٠ أ ،
١٠٢ ب - ١٠٤ أ ، الخزرجي : العقود ١ ص ٣٥١ - ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،
٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ . المسجد ص ٣٤٦ - ٣٤٧ ، ٣٤٩ ،
٣٥١ - ٣٥٣ ، ٣٥٥ .

(٤) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ٧٣ أ .

محمد بن المطهر (١) . ومن الجدير بالذكر أن انقسام الزيدية استمر واضحا طوال عهد المؤيد ، ولم ينجح الامام أو غيره من كبار رجالات الزيدية في التوفيق بينهم أو توحيد كلمتهم ، مما أدى إلى ضعف مقدرتهم على المعارضة ، وساعد بالتالي على مجاح المؤيد في القضاء على حركاتهم المنككة ، وتبديد أحلامهم في الاستحواذ على المنطقة الواقعة شمالي صنعاء ، والتي كانوا يتخذونها قاعدة لهم للقضاء على دولة بني رسول ، وفرض السيطرة الزيدية على بلاد اليمن بأكملها .

وفي الوقت الذي خفت فيه حدة حركات الزيدية المعادية للمؤيد فقامت قبائل الجحافل والمعالم (٢) بإثارة الشغب في منطقة لحج ، فقام الأمير سيف الدين طغريل نائب المؤيد في لحج بالانغارة عليهم في جمادى الآخرة سنة ٧٠١ هـ (٣) / فبراير ١٣٠٢ م ، وتمكن بعد قتل أكثر من سبعين من رجالهم ، من إعادتهم إلى الطاعة (٤) . ولكن هذه القبائل كانت تتربص للعودة إلى العميان ، وما أن قام السلطان سنة ٧٠٢ هـ بسحب سيف الدين طغريل من لحج لإسناد ولاية صنعاء إليه (٥) ، وتولية الشريف عماد الدين لإدريس مكانه ، حتى وجدت

(١) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٣٣١ ، المسجد ص ٣١٩ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٨٦ ب ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢١٢ ، أنحاف المهتدين ص ٦٤ .
(٢) الجحافل والمعالم ، قبائل متجاربة تقطن المنطقة الواقعة إلى الشمال ، والشمال الشرقي من لحج .

(El-Khazrejiyy op. cit. pp. 101, 154, Note, 653, 944)

(٣) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٣٢٠ ، المسجد ص ٣٣٨ .

(٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٨٠ أ .

(٥) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

للقبائل المذكورة الفرصة للثورة ، فأغار الوالي الجديد عليهم^(١) ، وقام بطاردتهم ، وانهى الأمر بمركة عنيفة بين الجانبين سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م كادت الهزيمة تلحق في نهايتها بهاد الدين إدريس لإصابته في المعركة ، ولكنه استطاع رغم جراحه مواصلة القتال وإحراز النصر^(٢) وقتل الكثيرين منهم ومتابعة فلولهم .

ومما يذكر في هذا المجال أن هذه القبائل كانت تحصل على جامكية من المؤيد ، ومن المرجح أنه قد قررها لهم منذ توليه السلطنة ، مكافأة على مناصرتهم له أثناء صراعة ضد أخيه الأشرف^(٣) . فلما خرجوا عن الطاعة سنة ٥٠٤ هـ / ١٣٠٢ م قطع الجامكية عنهم^(٤) ، ثم أعادها إليهم سنة ٥٠٥ هـ / ١٣٠٥ م بعد أن عادوا إلى السكينة وأقروا بالطاعة له^(٥) . ولكن على الرغم من إغرائهم بإعادة الجامكية إليهم ، إلا أنهم لم يلبثوا أن عادوا إلى العميان حمرة تالفة في شوال سنة ٧٠٦ هـ / أبريل ١٣٠٧ م ، وعاثوا فسادا في المنطقة ، فتصدت لهم قوات السلطان وهزمتهم وقضت على حركتهم وقتلت منهم نحو أربعين من رؤسائهم^(٦) .

(١) الخزرجي : المسجد ص ٢٤٢ - ٣٤٣ .

(٢) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٣) ابن عبد المجيد : بهجه الزمن ص ٩٢ أ .

(٤) الخزرجي : المسجد ص ٣٥٢ .

(٥) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٣٦٧ .

(٦) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ٩٨ ب ، الخزرجي : العقود ج ١

- ص ٣٧٢ ، المسجد ص ٣٥٥ .

ج - تحالف الزيدية والاكاذ ضد السلطان ، وموقفه منهم :-

الأكراد ، هم البقية الباقية من عسكر الأيوبيين في اليمن ، وكانوا قد تجمعوا بعائلاتهم في مدينة ذمار منذ بداية دولة بني رسول ، وظلوا مواليين لهذه الدولة ويشاركون في الحملات التي كان بنو رسول يعدونها ضد أعدائهم في الداخل . وترجع أسباب ثورتهم إلى ما بلغهم من اعتزام سيف الدين طغريل والى صنعاء القبض عليهم ، فتوجهوا إلى صنعاء سنة ٥٧٠٩ / ١٣٠٩م. وقاموا بمحاصرة واليها في قصر الإمارة ، وطالبوه بالخروج إليهم لمواجهة بما هو منسوب إليه ، فاضطر نتيجة استمرارهم في حصاره إلى الخروج إليهم فقتلوه (١) في جملة من أتباعه (٢) في ربيع الآخر سنة ٥٧٠٩ / ١٣٠٩م (٣) . فلما علم المؤيد جرد إليهم حملة للقضاء على ثورتهم ، ولكنهم التجأوا إلى حصن هران - من حصن من منطقة ذمار - فتبعتهم قوات المؤيد حتى مزقت صنوفهم (٤) ، واستمرت تطارد فلولهم بهدف استئصال شأفتهم . (٥)

وكان من الطبيعي أن يسعى الأكراد إلى محالفة الزيدية - أعداء بني رسول الثقايدين - ليكونوا بدا واحدة على السلطان الرسولي ، فقام زعمائهم بمكانية الامام الزيدى محمد بن مطهر الذي لم يتردد في اغتنام الفرصة ،

(١) الجندي : السلوك ص ٤٥٦ .

(٢) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٣٨٦ ، المسجد ص ٣٦٢ .

(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ١٠٤ أ .

(٤) الخزرجي : المسجد ص ٣٦٣ ، زيارة : أئمة اليمن ص ٧١٤ .

(٥) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ١٠٤ ب .

فاستقدمهم ورحب بهم وضمهم إلى قواته ، وقويت بهم شوكته (١) ، وعاد الأمل يراوده في الاستيلاء على صنعاء ، ولكن حامية المدينة استطاعت الصمود حتى وصل السلطان المؤيد إليها بنفسه (٢) ، للقضاء على الأكراد والوقوف أمام مطامع الامام الذي كان قد تمكن من السيطرة على مدينة صعدة ، وأعاد الاضطرابات بذلك إلى منطقة الجبال الشمالية (٣) .

ولم تكن بكل القوى الزيدية تقرر تصرفات الامام ، إذ لم يكف المؤيد يصل إلى صنعاء في شهر شوال سنة ٥٠٧٠ هـ / مارس ١٣١٠ م ، حتى جاءه عندئذ من كبار الزيدية مجددين له الطاعة والولاء . وقام المؤيد بتمهيز حملة بقيادة ولده المظفر ضرغام الدين لمحاربة الامام ومن لاذ به من الأكراد ، فتمكن من الاستيلاء على بعض الحصون وأحرز انتصارا على الامام وأرغمه على الفرار عن معه (٤) والتحصن ببعض جبال المنطقة ، وصاروا في أشد حال خوفا من المسكر السلطاني (٥) ، وتوالت الحملات على الحصون التابعة للامام ولم تترك حتى أذمنت بالطاعة للسلطان وقدمت الرهائن (٦) . أما الأكراد فقد اضطروا

(١) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ١٠٤ ب ، الخزرجي : العقود ج ٣ ، ص ٢٨٧ ، المسجد ص ٣٠٣ .

(٢) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ١٠٥ أ .

(٣) ابن الديبع : قررة العيون ص ٨٧ ب ، زبارة : أئمة اليمن ص ٢١٥ .

(٤) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٢٨٨ ، المسجد ص ٣٦٣ .

(٥) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ١٠٥ ب .

(٦) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ١٠٦ أ ، الخزرجي : العقود ج ١

ص ٣٦٣ ، المسجد ص ٣٦٤ .

بعد أن ساءت أحوالهم إلى مكاتبة السلطان وطلب عفوهم ، فاستجاب لهم
وعادوا إلى الطاعة (١) في جمادى الآخرة سنة ٧١٠ هـ / أكتوبر ١٣١٠ م ،
وقدموا له رهائن منهم (٢) .

أما الامام فقد ظل الأمل يراوده في الاستيلاء على الحصون الواقعة إلى
الشمال من صنعاء ، ولم يكن من اليسير عليه تحقيق هذا الأمل دون مساعدة
الأكراد له ، فظل يغيرهم منذ عام ٧١١ هـ بالعودة للانضمام إليه والمخروج عن
طاعة المؤيد (٣) ، إلا أن للسلطان بادر بإرسال حملة بقيادة إدريس عماد الدين
لإحباط هذا الحلف ، ولكن الإمام تمكن من هزيمة إدريس وأسرته في شعبان
٧١١ هـ (٤) / ديسمبر ١٣١١ م .

لم يبق إدريس في الأسر طويلا ، إذ تمكن بعد أيام من الخلاص (٥) ،
وأعقب ذلك توصل طرفي النزاع إلى هدنة مدتها عام (٦) ، ولم تكد تنتهي
المدة حتى بعث الامام رسالة إلى السلطان ، وتم التوصل إلى صلح مدته عشر

-
- (١) ابن الديبع : قرة العيون ص ٨٨ أ ، زبارة : أئمة اليمن ص ٢١٦ -
(٢) الخزرجي : المسجد ص ٣٦٥ .
(٣) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ١٠٦ ب .
(٤) الخزرجي : العقود ص ٢٩٧ ، زبارة : أئمة اليمن ص ٣١٦ -
(٥) الخزرجي : المسجد ص ٣١٦ .
(٦) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ١٠٧ ب ، الخزرجي :
المسجد ص ٢٦٧ .

سنوات (١) أخرى تبدأ من جمادى الآخرة ٧١٢ هـ (٢) أكتوبر ١٣١٢ م : فكان ذلك دافعا للاكتراد على ترك خدمة الامام ، وعندئذ اتجهت نية الساطان المؤيد إلى القضاء عليهم ، والتخلص من خطرهم . ولكنه لم يلبث أن صفح عنهم نتيجة توسط بعض المقربين إليه (٣) ، غير أنهم أثاروا فتنة أخرى في ربيع الأول سنة ٧١٣ هـ / يولييه ١٣١٣ م عندما أتدوا على قتل عدد من المماليك . ولكنهم ما أن علموا بقيام الساطان بإعداد حملة للقضاء عليهم ، حتى بادروا بإرسال بعض زعمائهم للاعتذار للساطان عما بدر منهم ، فصفح الساطان عنهم بشرط ألا يعودوا إلى العصيان أو إثارة الشعب مرة أخرى (٤) .

د - حركة الناصر بن الأشرف :

كان السلطان المؤيد قد عمل - منذ خلف أخاه الأشرف في عرش السلطنة - على تسوية الخلافات مع أبناء أخيه، وقربهم منه وأدناهم إليه وأكرم وفادتهم، وظل أبناء الأشرف مطيعين لعمهم المؤيد ، غير أنه حدث سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م أن مرض السلطان المؤيد مرضا شديدا أشرف به على الموت ، فخشي الناصر جلال الدين محمد بن الأشرف أن يستولي أحد أبناء السلطان على السلطنة بعد وفاته ، ولهذا بادر - بتحريض من قاضي القضاء جمال الدين محمد بن أبي بكر

(١) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ١٠٨ ، زبارة : أئمة اليمن

ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٢) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٤٠١ .

(٣) ابن عبد المجيد : نفس المصدر والصحة ، الخزرجي : المسجد ص ٢٦٨

(٤) زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢١٧ .

البيجوي - بالكتابة إلى عدد من المناطق بدعوتهم إلى الانضمام إليه وتأييده في الأستبلا، على السلطنة، ولجأ إلى جبل سوزق (١) قرب مدينة الجند وتحصن فيه. فلما علم السلطان المؤيد بهذه الثورة تجهز - رغم مرضه - وأسرع بالخروج على رأس حملة للقضاء على حركة الناصر، وظل محاصراً له حتى اضطره إلى طلب الأمان فأمنه السلطان وعفا عنه (٢). أما قاضي القضاة فقد عزله السلطان (٣) واعتقله في حصن تعز عقاباً له على تمريضه للناصر (٤).

وأياً ما كان شأن تلك الحركات العدائية التي واجهت السلطان المؤيد أثناء فترة حكمه، فإنه استطاع لإحكام السيطرة على البلاد، ولم يتوان في القضاء على كل بادرة للخروج عن طاعته، وكانت قوائمه دائمة الحركة، مما أدى إلى حصر حركات التمرد وسهولة مهمة القضاء عليها.

ويمكن القول بأنه على الرغم من الحركات الداخلية التي حدثت في عهده،

(١) جبل سوزق، جبل خصبين مطل على مدينة المهجيم (ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ص ١١٤ أ، الخزرجي: العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٧٨) وهو إلى الشرق منها، ويقع على خط عرض ٣٠°١٣ شمالاً، وخط طول بين ٣٠°٤٠ ر. ٤٠°٣٤ ر. شرقاً (EL-Khazrejiyy: op. cit., p. 170, Note. (1173)).

(٢) الخزرجي: المسجد ص ٣٧٨.

(٣) الجندي: السلوك ص ٢٧١، الأهدل: تحفة الزمن ص ١٦٦ أ، الخزرجي: العقد الفأخر ج ٢ ص ١٦٠ ب، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤١٨.

(٤) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ص ١١٤ أ.

فقدت نعمت البلاد خلال فترة حكمه - التي استمرت حوالي ست وعشرين عاما - بالهدوء والاستقرار النسبي الذي لم يتوفر به هذه الدرجة لأسلافه من قبله . وكانت وفاته يوم الثلاثاء مستهل ذى الحجة سنة ٧٢١ هـ (١) / ٢٢ ديسمبر سنة ١٣٢١ م .

١٥. سلطنة المجر والمضطراب اليميني في عهد - :-

لما توفى السلطان المؤيد أجمع أمراء الدولة وأعيانها وعسكرها على سلطنة ولده المجر على (٢)، وكان يبلغ من العمر وقتئذ خمسة عشر عاما (٣). وكانت أحوال بلاد اليمن قد اضطرت بعد وفاة المؤيد (٤)، وتنافس أمراء بني رسول كل يريد الاستيلاء على عرش السلطنة، فساءت بذلك أحوال المجر وتقلص ملكه. كما تمرد الجند واستشرى عصيان القبائل، وزادت مطامع الزيدية، فكان

(١) الجندى : السلوك ص ٤٥٠، ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ص ١١٦ أ، ابن شاعر الكتبي: فوات الوفيات ج ١ ص ٢١٤، السبكي: طبقات الشافعية ج ٦ ص ١٠٣، الخزرجي: العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٤٠، المسجد ص ٣٨٠، المقرئ: السلوك ج ٢ ص ٢٣٤، العيني: عقد الجمان، مجلد ٦١ ص ٣٥٢، ابن تفرى بردى: المنهل الصافي ج ٣ ص ١٧٠، حوادث الدهور ص ٢٧٥ .

(٢) العيني: عقد الجمان مجلد ٦١ ص ٣٥٢، الجندى: السلوك ص ٤٥٧، ابن الديبع: قرة العيون ص ٨٨ ب، زبارة: أئمة اليمن ص ٢٢ .

(٣) باخرمة: تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٣٩ .

(٤) ابن شاعر الكتبي: فوات الوفيات ج ١ ص ٢١٥، ابن تفرى بردى: النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٥٤، المنهل الصافي ج ٣ ص ١٧٠، حوادث الدهور ص ٢٧٥ .

ذلك سبباً لاستمرار الفوضى في البلاد رغم المحاولات التي بدأها المجاهد وخاندانه . إلى نهاية الدولة (١) .

وترجع أسباب تلك الاضطرابات إلى سوء سياسة السلطان المجاهد ، فقد قام بإقصاء أعوان أبيه وتقريب خاصته ، وبدأ بعزل نائب السلطنة وأتابك العسكر جمال الدين مجد بن يوسف بن يعقوب ، وفوضها إلى شجاع الدين . عمر بن يوسف بن منصور (٢) ، وطامل أمراء الأجناد . معاملة سيئة فقرتهم منه وغيرتهم عليه . ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، وإنما سجلوا عليه عدة مواقف . جعلتهم يخشون على أنفسهم منه ، فقد قام في صيف سنة ٧٢٢ هـ / فبراير . ١٢٢٢ م باعتقال ابن عمه الملك الناصر جلال الدين محمد بن الأشرف (٤) وكان ذلك بإيعاز من نائب سلطنته شجاع الدين عمر بن يوسف (٥) ، اشاعة تنهات . باعتزاهم الخلاف عليه سبباً ، وقد سبق أن عصى المؤيد سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م . كما كان لتصرف المجاهد بمنع وصول جيشان أبيه إليه في حصن تعز (٦) أثره .

(١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٤ ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ١١٦ ب ، الخزرجي العقود ج ٢ ص ١ ، المسجد ص ٢٨٥ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ١٨٩ ، بالخزمية : تاريخ تفرغ عدن ج ٢ ص ١٢٩ .

(٣) الجندي : السلوك ص ٤٥٧ .

(٤) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٢ ، ابن الديبع . قررة العيون ص ١٨٩ أ .

(٥) الخزرجي : المسجد ص ٣٨٧ .

(٦) بالخزمية : تاريخ تفرغ عدن ج ٢ ص ١٢٩ .

في إثارة مشاعر السخط عليه . ومن الأمور التي أغضبت الجند ، أن العادة السلطانية جرت على أن يقوم السلطان - عند كل زيارة لحصن الدمولة - بالانعام على كافة العسكر والمرتبين فيه ، ولكن المجاهد أبطل هذه العادة ، وأسك يده ولم ينعم على أحد منهم عند زيارته لهذا الحصن (١) . وفيما يلي عرض لإهم أحداث عصره .

١ - الصراع على العرش بين المجاهد وبين الظاهر وذرائجه :-

كان المجاهد تنقصه الحكمة السياسية والقدرة على إدارة شؤون البلاد ، وكان يفتقر إلى الخبرة ، مما جعله أسير حاشيته ومنفذ لما يشيرون به عليه . فكان لكل ذلك أثره السيء على نفوس العسكر وأمرأهم الذين أيقنوا أنه لن يستقيم لهم أمر معه ، ولهذا قرروا الخلاف عليه والخروج عن طاعته (٢) . وبدأت ثورتهم بقتل نائب السلطنة ومن كان معه كقاضي القضاة وغيرهما من كبار أعوان المجاهد (٣) . واتبعوا ذلك بالقبض على المجاهد نفسه (٤) في الثامن من جمادى الآخرة سنة ٥٧٢٣هـ (٥) / ٢٤ يونيو ١٣٢٢م وعزلوه عن السلطنة وأقاموا عمه المنصور أيوب بن انظف سلطانا على اليمن (٦) ، وسادوا

(١) الخزرجي : المسجد ص ٢٨٧ .

(٢) الخزرجي : المسجد ص ٢٨٧ .

(٣) الخزرجي : نفس المصدر والصفحة .

(٤) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٣ - ٤ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٢٨٩ .

(٥) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ١١٠ أ ، ابن شاكر : فوات الوفيات

ج ١ ص ٢١٥ ، المقرئ : السلوك ج ٢ ص ٢٣٨ .

(٦) الجندى : السلوك ص ٤١٧ ، العيني : عقد الجمان مجلد ٦١ ص ٣٥٢ .

لإياديه المجاهد فسجنه في حصن تعز (١) . وحلفت العساكر للمنصور أيوب ،
فأنتن فيهم الأُمَـرَـال الكـثـيرة وأغدتها عليهم وعلى غيرهم من العامة ، حتى بلغ
مقدار ما أنفقته خلال فترة سلطنته القصيرة سبعمائة ألف دينار غير التشاريف
والإنعامات الكـثـيرة (٢) من الملابس والخيول وغيرها ، (٣) فحظى بحب الجميع
وتأييدهم . كذلك كاتبه الأشراف الزبدي وهدأوه بالسلطة وبذلوا له
الطاعة (٤) . وكان من أولى أسيانه إطلاق سراح ابن أخيه الناصر جلال الدين
محمد بن الأشراف ، وكان المجاهد قد سجنه في عدن (٥) ، فأقطعه المنصور
مدينة القحمة (٦) .

وعلى الرغم من أن المنصور أيوب اختص أعوانه بالمناصب والإعطامات ،
وأكسب قلوب الجنود بالهبات والعطايا ، فإنه لم يمتز أنباع المجاهد ، بل أبقام

-
- (١) الجندي : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجي : المسجد ص ٢٨١ ،
ابن الديبع : قررة العيون ص ٨٩ أ .
- (٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ١١٧ أ ، بانخرمة : تاريخ نغر عدن
ج ٢ ص ١٤٠ .
- (٣) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٤ - ٥ المسجد ص ٢٨٨ .
- (٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ١١٧ أ .
- (٥) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٣ ، المسجد ص ٣٨٧ ، زيارة : أئمة
الدين ج ١ ص ٢٢٢ .
- (٦) الخزرجي : العقود ص ٢ ص ٤ ، المسجد ص ٣٨٨ ، ابن الديبع :
قررة العيون ص ٨٩ أ - ب .

في خدمته ، فكانت سراياهم تسرى في الجند^(١) ، مما أتاح الفرصة لبعض غلمان
المجاهد لتنفيذ خطة والدته بتسليق حصن تعز ليلا وذلك بالتآمر مع عبيد
المربخاناه والطشخاناه ، الذين أدلوا إليهم الجبال ، بحيث تمكن أربعون منهم
من تسليق الحصن ليلة السادس من رمضان سنة ٥٧٢٢هـ^(٢) / ١٨ سبتمبر ١٣٢٢م ،
وفاجأوا المنصور أيوب علي حسين غرة واعتقلوه وأطلقوا سراح الساطان
المجاهد^(٣) . وفشلت جميع المحاولات التي بذلت لنصرة المنصور أيوب^(٤) .
وتعهد المجاهد بتأمين ممالكك أبيه وكتب لهم العمود والذمم بحضور أفاضل
والشهود وأعيان الدولة^(٥) .

وإذا كان المجاهد قد نجح في استرجاع الساطنة ، إلا أن الأمور لم تصفح
له ، وواجهته عقبات كثيرة منها ، أن الظاهر أسد الدين عبد الله بن المنصور
أيوب كان قد استقر في حصن الدمولة^(٦) وتمحصن فيه منذ أيام أبيه المنصور

(١) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ١١٧ ب .

(٢) ابن عبد المجيد : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجي : العقود ج ٢ ص

ص ٤ - ٥ ، المسجد ص ٣٨٨ ب .

(٣) الجندي : السلوك ص ٤٥٧ العيني : عقد الجمان مجلد ٦٢ ص ٢٩٢ .

زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢٢٣ .

Playfair : A Hi tory of Arabia Felix. Bombay 1859, p. 90.

(٤) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٥ - ٦ ، المسجد ص ٣٨٩ .

(٥) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ١١٨ أ ، ابن الديبع : قررة العيون

ص ٨٩ ب .

(٦) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٤ ، المسجد ص ٣٨٨ ابن الديبع : نفس

المصدر والصفحة :

أيوب، فلما استرد المجاهد عرشه واعتقل عمه المنصور أيوب، طلب منه مكاتبة ابنه الظاهر عبد الله لتسليم حصن الدولة، ولكن الظاهر امتنع^(١) رغم تهديد المجاهد بقتل أبيه^(٢).

وهكذا بدأ دور جديد من أدوار الصراع رهيب بين السلطان المجاهد وبين ابن عمه الظاهر وشرع المجاهد في تجهيز حملة بهدف الاستيلاء على حصن الدولة والنضياء على عصيان الظاهر، ولكن هذه الحملة أرغمت على الانسحاب لمناعة الحصن وصعوبة السيطرة عليه. ومن ناحية أخرى كان للصراع على السلطنة أثره في اضطراب أحوال كثير من المناطق. ويصف ابن عبد المجيد الأحوال بمخلاف جعفر وما قام به رؤساء القبائل وأتباعهم من أعمال بقوله: «وملكوا أملاك الملوك، ونهوا (مدينة) جبلة وأخذوا جميع ما بها حتى حصر الجامع، واستفضوا الأبقار عند المنبر». ^(٣)

وانسعت دائرة الخلاف، وحدثت أمور لم يسبق حدوثها من قبل، ففي سنة ٧٢٢ هـ / ١٣٢٠م انضم كثير من الجند إلى الظاهر بن المنصور أيوب، فأغدق عليهم الأموال وأكرمهم، وأعدهم لمقاتلة سلطانهم المجاهد بن المؤيد^(٤) وتمكن الظاهر بمساعدة هذه القوات من الاستيلاء على مدينة الجند في ربيع

-
- (١) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ص ١١٨ أ، الخزرجي: العقود ج ٢ ص ٦، المسجد ص ٣٩٠، ابن الديبع: ص ٩٠.
 (٢) العيني: عقد الجمان مجلد ٦٢ ص ٣٩٢.
 (٣) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ص ١١٨ ب.
 (٤) ابن عبد المجيد: نفس المصدر والصفحة.

الأول سنة ٧٢٢ هـ (١) / مارس ١٣٢٣ م. ثم وجههم الظاهر إلى تعز عاصمة دولة بني رسول ومقر حكم السلطان المجاهد ، وفشلت محاولة المجاهد في التصدي لهذه الحملة . وبذكر المؤرخ اليمني تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد ، أنه لم يكد الجيشان يشتبكان حتى نكس أتباع المجاهد رماحهم و نادوا بإظهارية . وانتظم العسكر بكاله ظاهريا ، (٢) . ودخلت هذه القوات إلى مدينة تعز . د. خولا معظما ، وحاصرت السلطان المجاهد في قلعتها ، وأصبحت نهاية المجاهد . م. توقفه على سقوط القلعة . ولكن المجاهد استطاع بوسائله الخاصة أن يضمن ولاء بعض المحاصرين للقلعة ، والاتفاق معهم على تسهيل قيام حامية القلعة بمفاجأة القوات المحاصرة ، ونجحت الخطة واستطاعت الحامية أسر عدد من أمراء المماليك (٣) ، مما أدى إلى اضطراب القوات المحاصرة ، وانفكك الحصار . وعودة القوات إلى الظاهر (٤) . فبتخلص المجاهد وعاصمته تعز من خطر محقق .

وعلى الرغم من إخفاق الظاهر في الاستيلاء على قلعة تعز ، وفشل قواته

(١) الجندي : السلوك ص ٤٥٨ .

(٢) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ١١٩ أ .

(٣) ابن عبد المجيد : نفس المصدر والصفحة ، الجندي : السلوك ص ٢٤٢ ، الأهدل : تحفة الزمن ص ١٥٢ ب .

(٤) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ١١٩ ب ، الجندي : السلوك ص ٤٥٨

المخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٢ ، المسجد ص ٣٩٣ .

في الاحتفاظ بالمدينة، إلا أنه لم يتردد بعد عودة قواته إليه في إعادة تنظيمها حيث تمكنت من الاستيلاء على مدينة زيد وذلك في أول رجب سنة ٧٢٣هـ (١) / ٦ يولييه ١٣٢٣ م، واستباحت بيوت أعوان المجاهد، وسلبت ما فيها من ثاأس (٢) وأصبحت الخطبة في تهامة للظاهر، وضربت السكة باسمه (٣).

أما المجاهد، فقد واصل محاولاته المستميتة للصمود أمام هذا الطوفان الجارف، فأرسل حملة في شهر رجب سنة ٧٢٣هـ (٤) / يولييه ١٣٢٣ م لاسترداد مدينة زيد (٥)، ولكن قوات الظاهر المسيطرة عليها نصبت لها وتمكنت من هزيمتها، ووقع تاندها أسيرا، حين قتل عدد كبير من أفرادها (٦). ونشط الموالون للظاهر، فتمكن والي الحج من الاستيلاء على مدينة عدن (٧) وأخرجها عن سيطرة المجاهد وذلك في شعبان ٧٢٣هـ (٨) / أغسطس ١٣٢٣ م. وهكذا فشلت محاولات المجاهد، ونخرج موقفه « واستقرت المماكة كلها»

(١) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ١٢٠ أ .

(٢) العيني : عقد الجمان مجلد ٦٢ ص ٣٩٣ .

(٣) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ١٢٠ أ .

(٤) الخزرجي : العقود ٢ ص ١٣ ، المسجد ص ٣٩٦ .

(٥) ابن عبد المجيد : نفس المصدر والصفحة ، العيني : عقد الجمان ، مجلد ٦٢

ص ٢٩٣ . Playfair : A History of Arabia Felix, p. 91 .

(٦) الجندي : السلوك ص ٤٦٠ ، العيني : عقد الجمان ، نفس المصدر والصفحة

(٧) العيني : نفس المصدر ص ٣٩٤ ، بانخرمة : تاريخ نجر عدن ٢ ص

١٤٠ .

(٨) الجندي : السلوك ص ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣ ، الخزرجي : العقود ٢ ص

١٣ ، المسجد ص ٣٩٦ .

ظاهرة... ولم يبق مع السلطان الملك المجاهد غير حصن تعز « (١) .

وعزم الظاهر على استكمال السيطرة على البلاد ، والاجهاز على المجاهد والاستيلاء على عرش السلطنة والاستحواذ عليها لنفسه ، ولذلك أرسل في شهر ربيع الأول ٥٧٢٤ هـ / مارس ١٣٢٤ م حملة إلى تعز لمحاصرة حصن المدينة وقطع المياه عنه ، وتم حصار الحصن وضربه بالمنجنيات ، حتى بلغت كمية الأحجار التي ألقيت عليه أربعة آلاف ، حجير « وخرت تعز خراباً لا يتدارك وختت أكثر بيوتها « (٢) ولم يجد المجاهد سبيلاً إلى الخلاص . فاجأ للاستنجاد بكافة القوى ، واستخدام المال لاستمالة القوى الداخلية . فاجاب له الزيدية وأكراد ذمار وأشرف الخلف السليمانى - شمالي تهامة - بالإضافة إلى بعض القبائل ، وتوافدت عليه مجذاتهم . وعندما حاول الظاهر عرقلة هذه النجيدات اضطر إلى مصادمتها في معركة عنيفة في وادى جاحف - بالقرب من مدينة الكراء - أسفرت عن هزيمته (٣) وركنت قواته إلى الفرار في العشرين من ذى الحجة سنة ٧٢٤ هـ (٤) / ٨ ديسمبر ١٣٢٤ م ولاذت بمدينة زيد . وهكذا كانت هزيمة الظاهر في وادى جاحف بداية لاستعادة المجاهد لقوته (٥)

(١) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ض ١٢ ب .

(٢) ابن عبد المجيد : ص ١٢١ ، الجندي : السلوك ص ٢٧٦ .

(٣) الخزرجي : العقود ص ٢ ، زيارة : أئمة اليمن ص ٢٢٤ .

(٤) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٩١ .

(٥) ابن شاکر : قوات الوفيات ص ٢١٥ .

ورجحان كنيته ، خاصة بعد نشوب الخلاف بين قوات الظاهر في زيد وتبرم أهل المدينة منهم ولإرغامهم على الخروج منها في ربيع الأول سنة ٧٢٥ هـ (١) / فبراير ١٣٢٥ م .

وكان من الطبيعي أن تستغل جماعة من المنتفعين الاثمازين فرصة هذا الصراع المرير ، الدائر بين المجاهد وابن عمه الظاهر عبد الله هلى السلطنة ، فيخادعون الجانبين ويستولون على جاميكة من كل منها (٢) ولهذا كان من مصلحتهم استمرار هذا النزاع ليتحقق لهم من ورائه مكاسب عديدة ، ولكن ما أن ينجح المجاهد في استعادة نفوذه ، حتى بدأت القوى المؤيدة للظاهر تسعى إلى تحقيق مكاسب شخصية ، مستغلة الصراع القائم لمصلحتها ، ومن أمثلة ذلك أن والى الحج - وهو ابن الدويدار - قد توجه بما تجمع لديه من قوات الظاهر التي أرغمت على التخلي عن مدينة زيد ، إلى مدينة عدن ممنيا نفسه بالاستيلاء عليها . فلما وصلها نظاهر له واليها بالطاعة ، وأقنعه بعدم دخول المدينة بكل جيشه حتى لا يتعرض للنهب ، والاكتفاء باستصحاب عدد من خاصته ، ولكنه ما كاد يدخل المدينة حتى غدر به والى عدن وقتله في ربيع الأول سنة ٧٢٥ هـ / فبراير ١٣٢٥ م ، مما أدى إلى نشبت القوات التي كانت تنتظره خارج المدينة (٣) .

(١) الخزرجى : العقود ٢٥ ض ٢٦ - ٢٧ ، المسجد ص ٤٠١ - ٤٠٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩١ ب .

(٢) الجندى : السلوك ص ٢٧١ ، الخزرجى : العقود ٢٥ ض ١٣ - ١٤ ، المسجد ص ٣٩٦ .

(٣) الخزرجى : العقود ٢٥ ض ٢٥ - ٢٦ ، المسجد ص ٤٠١ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩١ أ ، زبارة : أئمة اليمن ١ ص ٢٢٥ .

وهكذا خضعت كل من عدن وزيد للمجاهد بغير كبير عناء ، وخطب له فيها ، وأبطلت الخطبة للملك الظاهر من منابر تهامة (١) . وأخذت الجموع في العودة إلى طاعة السلطان المجاهد مما شجعه على زيارة المناطق التي أعلنت خضوعها لله ، بقصد تنفيذ أحوالها والعمل على إصلاح أوضاعها . وإقرار الأمور فيها (٢) . وكان مجرد طواف السلطان المجاهد سببا في تفكك القوى المعادية له (٣) ، ولم يبق أنام البقية الباقية من اتباع الظاهر من أمل سوى اللجوء إلى الناصر . فان الأشرف والزاهم بالقيام بالملك (٤) ، ولكن هذه المحاولة فشلت نتيجة لتصكين المجاهد من اعتقال الناصر وسجنه ، نظل حديسا إلى أن مات في شهر رجب سنة ٧٢٥ هـ (٥) / يونية ١٢٢٥ م .

كان السلطان المجاهد قد أرسل إلى السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون — عندما تخرج موقفه وعجز عن مقاومة منافسه الظاهر — لانجاده بقوة عسكرية . فالتفت إلى مناقسة ابن عمه له ، وإقرار الأوضاع الداخلية في اليمن ، مقابل اللولاء لمر وذكرا اسم السلطان الناصر في الخطبة على منابر اليمن . وتكررت

(١) البخزرجي : المقرد > ١ ص ٢٨ ، المسجد ص ٣ ، ٤ ، ابن الديبع : حقرة العيون ص ٩١ ب .

(٢) البخزرجي : العقود > ٢ ص ٢٦ - ٢ ، المسجد ص ٤٠٤ - ٤٠٥ .

(٣) البخزرجي : العقود > ٢ ص ٢ ، المسجد ص ٤٠٥ .

(٤) البخزرجي : العقود > ٢ ص ٢٨ ، المسجد ص ٤٠٤ ابن الديبع :

عقود المصدر ص ٩٢ أ ، باخرمة : تاريخ تفر عدن > ٢ ص ١٤٢ .

(٥) البخزرجي : العقود > ٢ ص ٣١ ، المسجد ص ٤٠٥ .

مطالبة المجاهد للنجدة إلى أن استجاب له السلطان المملوكي وأرسل الحملة المطلوبة (١). ولكنها وصلت بعد النجاح الذي أحرزه المجاهد ضد خصمه الظاهر. وكان لكبر حجم الحملة وعظم ما تزودت به من آلات أعظم الأثر في تخوف السلطان المجاهد من إقدامها على السيطرة على اليمن، وقد انعكس هذا التخوف على موقف المجاهد من الحملة من حيث إساءته معاملة قادتها. وتعمده منع إمداد الحملة باحتياجاتها الغذائية الضرورية، ووضعها للعراقيل أمامها وعدم الإفادة منها، في القضاء على الاضطرابات الداخلية، مما خلق جوا من التوتر وعدم الثقة دعا قادة الحملة إلى الاستجابة لطلب المجاهد بالعودة إلى مصر بحجة أنه لم يعد في حاجة إلى مساعدة تلك الآوات الكبيرة. فقادرت الحملة البلاد في شعبان ٧٢٥ هـ (٢) / يولية ١٢١٥ م.

ما أن اطمان المجاهد إلى خروج القوات المصرية، حتى بدأ جولة تفقدية لبعض المناطق، وكان الأمور قد استقامت له نهائيا، فزار مدينة الجند ثم توجه إلى الحج ومنها قصد عدن (٣)، ولكنه لم يسطع دخولها لمقاومتها.

(١) عن تفصيلات هذه الحملة، انظر الفصل الرابع، وأبو الفدا: المختصر ج ٤ ص ٩٧، النويري: نهاية الأرب ج ١ ص ٥١ - ٦٠، المقرئ: السلوك ج ٢ ص ٢٦٥ - ٢٦٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٨٤. العيني: عقد الجمان مجلد ٦١ ص ٤٢٠. باخرمة: تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٤٢ وما بعدها. ابن الديبع: قرة العيون ص ٩٢ - ٩٣ أ.

(٢) الجزر جي: العقود ج ٢ ص ٢٢، المسجد ص ٤٠٨ - ٤٠٩. ابن الديبع: قرة العيون ص ٨٢ ب - ٩٣ أ.

(٣) الجزر جي: العقود ج ٢ ص ٣٤، المسجد ص ٤٠٩ - ٤١٠. العقود. الفاخر الحسن ج ٢ ص ٣٩ أ، باخرمة: تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٢٣.

ة وخروجها عن طاعته وموالانها للظاهر ، فاضطر إلى أن يعرج على زيد (١) ،
فوصلها في رمضان سنة ٧٢٥ هـ / أغسطس ١٣٢٥ م . وفي نفس الوقت توجه
الظاهر إلى عدن ودخلها (٢) . ثم شغل المجاهد بتنظيم شؤون المناطق الموالية له
استعدادا لجولة أخرى ضد الظاهر ، فولى عليها المقربين له من ثقافته (٣) . فلما
تم له ذلك خرج على رأس حملة إلى عدن ، واشتبك مع قوات الظاهر في عدة
مواقع ، في شهر صفر ٧٢٦ هـ / يناير ١٣٢٦ م ، فخالفه النصر في بعضها ،
ولكنه اضطر إلى الانسحاب عندما بلغه أن الامام الزيدى محمد بن مطهر في
خطريته لمناصرة الملك الظاهر (٤) . وظل السلطان المجاهد يتحين الفرصة
للخلاص من خطر الظاهر ، مع تجنب الصراع مع الامام الزيدى ، ثم وافته
الفرصة التي كان يتربص بها ، عندما غادر الامام عدن في طريقه إلى بلاده ، فأسرع
السلطان المجاهد لمحاربة الظاهر الذي لجأ إلى حصن السمدان (٥) .

وبالتجاء الظاهر إلى حصن السمدان ركز السلطان المجاهد جهوده للاستيلاء

(١) زيارة : أئمة اليمن ص ٢٢٦ .

(٢) الخزرجي : المسجد ص ٤١٠ - ٤١١ ، زيارة : أئمة اليمن ص ١

ص ٣٣٦ .

(٣) الخزرجي : العمود ص ٢ ص ٣٦ ، المسجد ص ٤١١ .

(٤) الخزرجي : العمود ص ٢ ص ٤٠ - ٤١ ، المسجد ص ٤١٢ ، ابن الديبع

نفس المصدر ١٣٣ أ ، زيارة : أئمة اليمن ص ١ ص ٢٢٦ .

(٥) الخزرجي : المسجد ص ٤١٢ ، العقد الفاخر ص ٣٩ أ ، ياخرمنة

تاريخ عمر عدن ص ٢ ص ١٤٤ .

من حصن الدماية وذلك بهدف قطع خط الرجعة على الظاهر ، وفي تقصير الوقت عمل المجاهد على استمالة حامية الحصن ، ونجح في ذلك ، وتمكن من الاستيلاء عليه في صفر سنة ٧٢٨ هـ / ديسمبر ١٢٢٧ م مقابل مبلغ ستة آلاف دينار^(١) . وكانت والددة الظاهر وأخته في الحصن فنقلها المجاهد إلى دار الإمارة في حصن تمز وتحفظ عليهما ، وقت وقوعها - في يد الجاهد - في مضيق الظاهر ، وفقد القدرة على التصرف السليم ، فعندما أبدت بعض القبائل استهادهما للاستيلاء على حصن الدملوة وإعادته للظاهر ، رفض مدعم بالمال أو الرجال وجنح إلى المسألة^(٢) .

وكان المجاهد قد سير قوة في رمضان سنة ٧٢٧ هـ / يولية ١٢٢٧ م لمحاصرة عدن ، وتمكنت هذه القوة من الاستيلاء عليها في صفر سنة ٧٢٨ هـ^(٣) / ديسمبر ١٢٢٧ م . وهو نفس الشهر الذي استولى فيه على حصن الدملوة - وصفوة القول أن المجاهد تمكن من التخلص من منافسات أمراء البيت الرسولي . بعد أن عقد الصلح مع الظاهر في المحرم سنة ٧٣٠ هـ^(٤) / أكتوبر ١٢٢٩ م -

(١) الخزرجي : العقود > ٢ ص ٤٧ ، المسجد ص ٤١٤-٤١٥ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٩٣ ب ، باخرمة : تاريخ نجر عدن > ٢ ص ١٤٥ .

(٢) الخزرجي : العقود > ٢ ص ٥٢ ، المسجد ص ٤٢ .

(٣) الخزرجي : العقود > ٢ ص ٤٤ و ٤٨ ، المسجد ص ٤١٥-٤١٦ . ابن الديبع : قررة العيون ص ٩٤ أ .

(٤) الخزرجي : العقود > ٢ ص ٥٥ ، المسجد ص ٤٢٢ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٩٥ أ .

وإذا كان الظاهر قد استمر مقبلاً في حصن السمدان كالمحصور (١) ، فإن انقضاخ أتباعه من حوله (١) جعله يستغيث بقاضي القضاة جمال الدين محمد ابن مؤمن ليتوسط له في طلب الأمان من السلطان المجاهد ، واستجاب المجاهد له وحق عنه وعن أهله وحاشيته عفوا شاملا ، نزل انظار بناء على ذلك من حصن السمدان في شهر المحرم سنة ٧٣٤ هـ / سبتمبر ١٣٣٣ م برفقة قاضي القضاة ابن مؤمن ، ولكنه ما كاد يمثل أمام المجاهد حتى أمر باعتقاله وسجنه في حصن تعز حيث توفي في ربيع الآخر ٧٣٤ هـ (٢) / ديسمبر ١٣٣٣ م . وقيل أنه مات مخنوقا بتدبير المجاهد (٣) .

٢ - أساليب المجاهد الانتقامية مع خصومه وقتلها:

والحقيقة أن الظروف السيئة التي مر بها السلطان المجاهد كان لها أدنظم الأثر في غرس بذور الشك في نفسه ، واستغل المقربون إليه ذلك للابتعاع بالكثيرين ، فكان سريع الاستجابة للوشايات ، يأخذ بالظننة ولا ينتظر حتى يتوصل إلى الحقيقة (٧) . وكان بحكم التجارب المريرة التي تعرض لها ، هنا

(١) الخزرجي : المسجد ص ٤٢٨ .

(٢) ابن الديبع : قررة العيون ص ٩٥ ب ، زيارة : أئمة اليمن ج ص ٢٤٤ .

() الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٩١ ، المسجد ص ٤٢٨ - ٤٢٩ ، العقود

الفاخر ج ٢ ص ٣٩ ب ، باخرمة : ج ٢ ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٤) المقرئزي ، السلوك ج ٢ ص ٣٧٦ ، ابن تغري بردي : النجوم ج

ص ٣٠٢ ، المنهل الصافي ج ٣ ص ٢٠ .

(٥) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٢٦ و ٤٢ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨

٦٢ و ٦٤ ، المسجد ص ٤١١ و ٤٢ و ٤٢٣ و ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٤٢٩ و ٤٢٢ ،

ابن الديبع : قررة الميون ص ٩٥ ب و ٩٦ أ .

في انتقامه خائفة مع هؤلاء الذين ناصروا خصومه ، ولهذا كان إذا ظنر بهم
تفنن في التشكيل بهم كحلا وقتلا وشنقا وتفريقا ، مع حرق دورهم وتخريب
قراهم واقتلاع زروعهم (١) ، ونادرا ما كان يعفو عن بعضهم أو يؤمنهم ولكن
إلى حين (٢) . واستخدم تلك الأساليب الانتقامية مع كل من وقع في يده من
أتباع الظاهر (٣) ، وكذلك كانت معاملته لنبائل المعازبة الذين انتهزوا فرصة
الصراع على السلطنة وخرجوا عن طاعته وتكرر تمردهم ولم يكتف بتخريب
مسكنهم وإحراقها وقتل الكثيرين منهم (٤) واستباحة ديارهم ، بل بالسف في
إذلالهم بأن ولي عليهم امرأة منهم يقال لها لبنة عاطف (٥) فكان لذلك الأثر
في استزاهم .

(١) الخزرجي : العقود > ٢ ص ٣٦ و ٤٢ و ٤٨ و ٥٠ و ٥٥ و ٦٩ ،
المسجد ص ٤١٠ - ٤١١ و ٤١٣ و ٤٢٠ و ٤٢٤ و ٤٢٦ و ٤٣٤ ، ابن الديبع :
قرة العيون ص ٩٢ ب و ٩٤ أ و ٩٥ أ و ٩٦ ب ، باخرمة : تاريخ نمر عدن
ص ١٤٥ .

(٢) الخزرجي : العقود > ٢ ص ٥٠ و ٥٩ ، المسجد ص ٤١٩ و ٢٨ :
ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٤ أ ، ٩٥ ب .

(٣) الخزرجي : العقود > ٢ ص ٤٨ ، المسجد ص ٣١٦ ، ابن الديبع :
قرة العيون ص ٩٤ أ .

(٤) الخزرجي : العقود > ٢ ص ٣٥ ، المسجد ص ٤١٠ - ١١ ، باخرمة :
تاريخ نمر عدن > ٢ ص ١٤٣ .

(٥) الخزرجي : المقدم الفاخر الحسن > ٢ ص ٣٩ أ و ٤٠ ب ، زيارة :
أمة اليمن > ١ ص ٢٤٥ .

وكيفما كان الأمر فإن حملات المجاهد لاستكمال استرجاع بقية اليمن لم تتوقف بعد أن تخلص من خصمه الظاهر واستذل العصاة والمتمردين، ونجح في السيطرة على كثير من البلاد وأذعن له القبائل وعاد المخالفون فيها إلى الطاعة طوعاً أو كرهاً (١) تجنّباً للانتقامه .

وبعودة الاستقرار النسبي إلى بلاد اليمن عزم السلطان المجاهد على أداء فريضة الحج، وكانت العلاقات بينه وبين أشرف مكة حسنة (٢)، بدليل أن الشريف يقبلة ابن أمير مكة رميثة بن أبي نمى قدم إليه باليمن ليكون في معيته إلى مكة (٣). وخرج المجاهد من نعر في شوال سنة ٧٤٢ هـ / مارس ١٣٤٢ ومعه عدد كبير من قسواته (٤) ومر في طريقه على كثير من المغاطين اليمنية لتفقد أحوالها . واستقبله رميثة وأكابر أهل مكة عند مشارف الحجاز، فأحسن المجاهد لقاءهم وأكرمهم وأجزل لهم العطاء (٥) وكان وصوله إلى مكة في الثاني

(١) الخزرجي : العقود ٢ ص ٦٠ و ٦٥ و ٦٧ و ٨١ ، المسجد ص ٤٢٨ و ٤٣٢ و ٤٤٢ والعقد الفاخر ٢ ص ٣٩ ب ٤٠ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٥ ب ٩٦ ، باخرمة : تاريخ نعر عدن ٢ ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، زيارة : أئمة اليمن ١ ص ٢٤٦ .

(٢) الخزرجي : العقد الفاخر ٢ ص ٤٠ ب ٤١ ، باخرمة : نفس المصدر والجزء ص ١٤٧ .

(٣) الخزرجي : المسجد ص ٤٣٤ .

(٤) الخزرجي : العقد الفاخر ٢ ص ٤٠ ب ٤١ ، العقود ٢ ص

٦٩ - ٧٠ .

(٥) باخرمة : نفس المصدر والصفحة .

من ذى الحجة (١) ، وخلع على أميرى الركب المصرى والشامى وأكرمهم (٢) .
 ثم غادر مكة عائداً إلى اليمن بعد أن أدى فريضة الحج فى الثامن عشر من
 ذى الحجة سنة ٨٤٢ هـ (٣) / ٢٥ مايو سنة ١٣٤٢ م ، فاستقبل فى طريق عودته
 استقبالا حافلا فى جميع المواضع اليمنية التى مر بها ، وكان وصوله إلى زيد فى
 الثالث من صفر سنة ٧٤٣ هـ (٤) / ٨ يولية ١٣٤٢ م ، ومنها توجه إلى تعز ،
 وأنعم على كافة عسكره وبني كثير من الذهب والفضة وأعطاهم من الكساوى .
 والمطلع على قدر مراتبهم ، (٥) .

أما عن الأمثلة الدالة على أساليبه الانتقامية مع خصومه ، ما كان من تمرده مع
 ابنه المؤيد ، فكان المجاهد قد أقطعه مدينة الجنتة (٦) ولكن المؤيد كان بطمع فى
 عرش السلطنة لنفسه ، فلم يلبث أن شق عصا الطاعة على أبيه احتجاجا عليه
 لتقديم أخيه الأصغر المظفر بن المجاهد عليه (٧) ولهذا استولى على مدينة المهديين

(١) الخزرجى : العقود > ٢ ص ٧٠ - ٧١ ، المسجد ص ٤٣٥ .

(٢) الخزرجى : المسجد ص ٤٣٦ .

(٣) الخزرجى : العقود > ٢ ص ٧١ - ٧٢ .

(٤) الخزرجى : المسجد ص ٤٣٧ - ٤٣٨ ، المقدم الفاخر > ٢ ص ٤٠ .

(٥) الخزرجى : العقود > ٢ ص ٧٣ - ٧٤ ، المسجد ص ٤٠٩ .

(٦) الجنتة ، مدينة معروفة بين الكدراء والمهجم (المقدم الفاخر > ٢ ص

١٥٠ ، أ) وتقع على خط عرض ١٥ ر ٢ ° شمالا ، وخط طول ٤٣ ر ٣ °

شرقا على وجه التقريب . (EL-Khazrejiy . op. cit, vol. III,

3, Note 1129).

(٧) الخزرجى العقود > ٢ ص ٧٧ ، المسجد ص ٤٤٠ ، ابن الديبع :

قرة العيون ص ٩٦ ب .

في رمضان سنة ٥٧٤٤هـ / يناير ١٣٤٤ م . فلما علم المجاهد أرسل حملة بقيادة . موفق الدين عبد الله بن علي البيهقي وزيره وقاضي قضائه ، ثم أردفه بحملة أخرى (١) ، وسعى قائدا الجملة على أخذ المؤيد باليمن وعدم الاشتراك في حرب معه ، وراسله وأقنعه بالعودة إلى طاعة أبيه مع ضمان تأمينة (٢) ، وتوجه بها في آخر المحرم سنة ٥٧٤٥هـ / يونية ١٣٤٤ م إلى تعز ، ولكن أباه كاتبه وضربه ضربا مبرحا وحبسه ، فلم يلبث إلا قليلا ومات في سجنه (٣) .

وبالرغم من الأساليب الانتقامية التي كان ياجأ إليها السلطان المجاهد ، فإن ذلك لم يمنع بعض العناصر من التماس الأسباب للزوع - بين حين وآخر - للعميان ولإثارة الفلافل ضده . ففي ربيع الآخر سنة ٥٧٤٧هـ / يولية ١٣٤٦ م . ثار بعض المماليك بسبب تأخر نفقاتهم ، وانفقوا على القبض على المجاهد (٤) منتهزين فرصة وجوده في مصيفه على البحر بالقرب من زيد في قاييل من عسكريه . ولضمان نجاح حركاتهم عملوا على ضم أحد أفراد أسرة بني رسول إليهم ، فاتصلوا بابن أخيه ، وهو الفسائر أبي بكر بن حسن بن داود ، الذي

(١) الخزرجي: العقود ٢ ص ٧٦ ، المسجد: ص ٤٤٠ ، العقد الفاخر ج ٢ ص ٤٠ ب ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٩٦ ب ، بانخرمة : تاريخ نغر عدن ج ٢ ص ١٤٧ .

(٢) الخزرجي: المسجد ص ٤٤٠ .

(٣) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٧٦ ، المسجد ص ٤٤٠ ، العقد الفاخر ج ٢ ص ٤٠ أ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٩٦ ب ، بانخرمة : تاريخ نغر عدن ج ٢ ص ٢٤٧ ، زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢٤٦ .
(٤) ابن الديبع : قررة العيون ص ٩٦ ب .

« امتنع عن الاشتراك معهم خوفاً من انتقام عمه ، وما زالوا به حتى أذعوه باخفاء
 خير انضمامه إليهم إلى ما بعد نجاح مهمتهم في القبض على السلطان (١) . وكانت
 خططهم تقضى بالتوجه إليه في آخر النهار والنظار بأنهم إنما قدموا للمطالبة
 بالجامكية ، وكان من الممكن أن تنجح المؤامرة لو لم يتوفر عنصر الخيانة ،
 فلقد أسرع من أبلغ السلطان بالمؤامرة ، فبادر السلطان المجاهد إلى اتخاذ الحيطة
 وغادر المصيف ، وفوت عليهم الفرصة ثم لم يلبث أن أمر بالقبض على الفائز ،
 فظل سجينا في حصن تعز إلى أن مات (٢) . أما بقية أطراف المؤامرة من
 «الماليك فقد انتقم منهم بطريقته المعتادة بالقتل والشنق والتغريق (٣) .

٣ - نهاية المجاهد :-

عزم المجاهد على أداء فريضة الحج للسرة الثانية ١٢٧١هـ / ١٣٥١م فغادر
 مدينة تعز في شوال ، واستصحب معه والدته وابنه العادل . وكانت الأحوال
 في مكة قد تغيرت بعد وفاة الشريف رميته بن أبي نعي إذ تمكن لابنه الشريف
 عجلان من الاستيلاء على مكة ، وحال وبين أخيه ثقبه بن رميته - الموالي لسلطان
 المجاهد - فلما توجه المجاهد للحج صحبه الشريف ثقبه (٤) ، أشيع أن المجاهد
 سوف يقوم - بعد عودة ركب الحاج المصري - بالقبض على الشريف عجلان ،
 وسيولى أخاه ثقبه مكانه . وتطورت الأحداث وقام المصريون - بإيعاز من

(١) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٧٩ .

(٢) الخزرجي : المسجد ص ٤٤١ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٩٦ .

(٣) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٨٠ ، باخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٤٧ .

(٤) زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢٤٩ .

الشريف عجلان - بالقبض على المجاهد وتوجهوا به إلى مصر^(١) ، وعادت .
 أم المجاهد إلى اليمن ، وقامت بتدبير أمر المملكة^(٢) وسعت في نفس الوقت .
 في خلاص ولدها . ويذكر المقرئ أن أم المجاهد أقامت إبنة الصالح على .
 البلاد ، ولكنها لم تلبث أن نحتة واعتقلته^(٣) .

وكان من الطبيعي أن يحدث خبر القبض على المجاهد دويا كبيرا في اليمن .
 ويؤدي إلى نشوب بعض الاضطرابات ، فقد سارع بعض كبار رجال دولته
 الى تعز للتباحث في الموقف حتى إذا ما استقر الرأي على إقامة سلطان
 جديد عمل كل منهم على أن يكون صاحب الفضل في اختياره ليكون انقرب
 إليه وصاحب بابه^(٤) ، وأدى ذلك إلى قيام تنافس بين كل من الوزير
 موفق الدين عبد الله بن علي اليجيوي والطواشي أمين الدين أديف والطواشي
 جمال الدين بارع ، ولكن الطواشي أديف تمكن من انقبض على منافسيه وأمر
 بشنقهما^(٥) ، واستطاعت الدة الماهدية السيطرة على البلاد وقضت على عصيان
 القبائل التي خرجت عن الطاعة^(٦) ، وانتهت بعرش ابنها حتى عاد إلى البلاد .

(١) أنظر ذلك مفصلا في الفصل الرابع .

(٢) الخزرجي : العقود ج٢ ص ٨٥ و٨٨ و١٨٨ ، المسجد ص ٤٤٥ و٤٤٧ ،
 ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٧ أ ، باخرمة : تاريخ نعر عدن ج٢ ص ١٤٨ .
 (٣) المقرئ : السلوك ج٢ ص ٨٥٩ .

(٤) الخزرجي : العقود ج٢ ص ٨٦ ، المسجد ص ٤٤٥ .

(٥) الخزرجي : العقود ج٢ ص ٨٧ ، المسجد ص ٤٤٦-٤٤٧ ، ابن الديبع :
 قرة العيون ص ٩٧ ب .

(٦) الخزرجي : العقود ص ٣ ص ٩٩ ، المسجد ص ٤٤٨ و ٤٤٩ .

في ذى الحجة سنة ٨٧٥٢^(١) / يناير ١٧٥٢ م. أما المجاهد فإنه ما أن استقر حتى بدأ في شن الهجمات على القبائل التي تجرأت على الخروج عن الطاعة أثناء غيابيه في مصر^(٢)، على أن شوكة هذه القبائل كانت قد اشتدت في كثير من مناطق اليمن وخاصة تهامة، مما استلزم تركيز الضغط عليها إلا أن معظم هذه الحملات أخفقت في القضاء على عصياتهم^(٣)، فتبادروا في فتنتهم وتجراًوا على المناطق المجاورة، حتى استولى الحراب على التهامم كلها ولم يبق إلا زيد وحرص^(٤)، ولم يك فيما بينها قرية مسكونة إلا قرى المفسدين^(٥).

وكانت قبائل المعازبة والقرشيين من أشد القبائل ضراوة وتخريباً، واستمرت ثوراتهم عشر سنوات إلى أن دب الخلاف بين هاتين القبيلتين ووقعت الحرب بينهما. ونتيجة لتفوق المعازبة آثر القرشيون العودة إلى طاعة السلطان المجاهد الذي أمدم ببعض عسكره، فمكثهم بذلك من إيقاع الهزيمة بالمعازبة والانتقام منهم بإحراق بعض قراهم^(٦). وتبدلت الحملات بين الفريقين

(١) الخزرجي: العقود ج ٢ ص ٩٠، المسجد ص ٤٥٠، باخرمة: تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٤٨.

(٢) الخزرجي: العقود ج ٢ ص ٩٢ و ٩٤ المسجد ص ٤٥٠ و ٤٥٠.

(٣) الخزرجي: العقود ج ٢ ص ٩٢-٩٣ و ٩٥ و ٩٧ و ٩٩-١٠٦، المسجد ص ٤٥١ و ٤٥٣ و ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٦٣، ٤٦٤-٤٦٤، ابن الديبع: قررة العيون ص ٩٨ أ.

(٤) الخزرجي: العقود ج ٢ ص ١١٤.

(٥) الخزرجي: المسجد ص ٦٣.

(٦) الخزرجي: العقود ج ٢ ص ١١٦، المسجد ص ٤٦٤.

فكّات الغلبة للقرشيين^(١)، فأضطر المعازبة إلى الدخول - بدورهم - في طاعة السلطان فعمّا عنهم^(٢).

وتستمر الحركات الامادية ضد المجاهد حتى نهاية عهده، فقد طمع نورالدين محمد بن ميكائيل واليه على حرض في الاستيلاء على المنطقة الشمالية من تهامة^(٣) فأعلن العصيان في سنة ٥٧٦١ هـ/١٣٦٠ م، وخرج عن طاعة السلطان^(٤)، واستعان بالقوى الزيدية، وانضمت إليه كثير من القبائل^(٥)، واستفحل خطره واستبد بالأمر في المنطقة^(٦). وأعلن نفسه سلطاناً في صفر سنة ٥٧٦٢ هـ / ديسمبر ١٣٦١ م وانتسب الى الرسول وادعى أنه حسيني فاطمي^(٧)، وضرب السكة باسمه^(٨) وخطب له في البلاد التابعة له، واستطاع الاحتفاظ بالسلطنة في منطقته سنتين^(٩).

-
- (١) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١١٧ و ١٢٠ ، المسجد ص ٤٦٥ و ٤٦٧ .
 (٢) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٢٢ ، المسجد ص ٤٦٨ .
 (٣) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١١٠ - ١١١ ، المسجد ص ٤٦١ - ٤٦٢ .
 (٤) باخرمة : تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٤٩ .
 (٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٤٥ .
 (٦) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١١٤ ، المسجد ص ٤٦٣ - ٤٦٤ ، العقد المتأخر ج ٢ ص ٤٠ أ ، باخرمة ج ٢ ص ١٤٩ .
 (٧) زيارة : أئمة اليمن ص ٢٥١ .
 (٨) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٢٠ ، المسجد ص ٤٦٦ .
 (٩) باخرمة : تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٩٠ .
 (١٠) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٢٠ ، المسجد ص ٤٦٦ .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، وإنما ازداد الوضع خطورة بخروج الصالح والعاقل عن طاعة والدهما المجاهد (١) ، وأتبعهما ابنة الثالث المظفر سنة ٧٦٤ هـ الذي استغلت بعض القبائل فرصة ثورته على أبيه ، وتجمعت حوله ، فطمع في الاستيلاء على عدن (٢) ، وفشلت جهود السلطان في القضاء على حركة المظفر (٣) ، ولم يعمر المجاهد بعد ذلك طويلاً إذ توفي في عدن في جمادى الأولى سنة ٧٦٤ هـ (٤) / مارس ١٣٦٣ م .

وبعد - اليهون بعد المجاهد حتى نهاية دولة بنى رسول :-

١ - المشتملات التي واجهت الأفضل عباس بن المجاهد ، وميراثها منها .

كانت الظروف مهيأة لسلطنة الأفضل ، فقد كان ثلاثة من إخوته ، وهم الصالح والعاقل والمظفر قد خرجوا عن طاعة أبيهم ، الذي شغل في أواخر أيامه بمحاربتهم ، وكان الأفضل في صحبته أثناء مطاردته لهم . فلما توفي استقر رأي كبار دولته على إقامة ابنه الأفضل ساطعاً على اليمن (٥) ، فقاموا

(١) الخزر جى : العقود ج ٢ ص ١١٩ ، المسجد ص ٤٦٦ ، باخخرمة :

تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٤٩ ، زيارة . أئمة اليمن ج ١ ص ٢٥٠ .

(٢) باخخرمة : نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم ج ١١ ص ٩١ و ١٤٥ ، حوادث الدهور

ص ٣٧٥ ، زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢٥٥ .

(٤) الخزر جى : العقود ج ٢ ص ١٢٤ و ١٢٧ . المسجد ص ٤٦٨ و ١٧١ .

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٩١ ، المنهل الصافي

ج ٣ ص ٥٠٣ ، حوادث الدهور ص ٢٧٥ ، ابن الديبع : قرّة الديور ص ٩١ أ .

باخخرمة : تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

بمبايعته يوم وفاة أبيه (١) .

لم يكن الأفضل أكبر أبناء أبيه ، ولكن ملازمته له في الوقت الذي خرج فيه إخوته عليه ، وتواجده معه عند وفاته ، كان من أهم العوامل التي ساعدته على أن يخلف أباه على العرش . ويبرر الخزرجي ذلك بقوله « لم يكن في أولاد المجاهد - حاضرهم وغائبهم - من هو أرشد منه ولا أعدل ، ولا أولي ولا أكمل للأمر منه ، وإن كان فيهم من هو أكبر منه سناً :

فما الحدائة من حلم بمائة . . . قد يوجد الحلم في الشباب والشيب، (٢)
وكيفما كان الأمر ، فقد تولى الأفضل عباس للسلطنة في الوقت الذي لم يكن الاستقرار قد عرف طريقه للبلاد لفترة طويلة من الزمن . وكان على السلطان الأفضل أن يواجه عددا من المشكلات ، فهناك إخوته الثلاثة الذين تمردوا على أبيهم ، وهذا يعني فتح باب جديد للمنافسة على عرش السلطنة ، بالإضافة إلى مطامع ابن ميكائيل الذي كان قد أعلن نفسه سلطانا على منطقة شمال تهامة في أواخر عهد المجاهد ، هذا إلى جانب عصيان الكثير من القبائل ، والقوى الزيدية التي أفادت من حالة الفوضى وعدم الاستقرار ووسعت نطاق نفوذها حتى شمل جميع منطقة الجبال من صنعاء وما يليها شهلا . وقد وصف الخزرجي الأحوال الداخلية بقوله : « وكانت الأطراف مضطربة ، وقد انفتحت في كل ناحية منها باب فساد ، (٣) ، وكانت قبائل المعازبة والقرشيين والأشاعر في تهامة قد خرجوا عن طاعة الدولة ، وعاثوا في الأرض فسادا

(١) ابن الديبع : قررة العيون ص ٩٨ ب

(٢) الخزرجي : العقود ص ٢ ص ١٢٧ ، المسجد ص ٤٧١ .

(٣) الخزرجي . العقود ص ٤ ص ١٢٧ - ١٢٨ ، المسجد ص ٤٧٢ .

وتابعوا الاغارة على مدن تهامة وقراها ونهبوها وخربوها وأحرقوا كثيرا منها ، حتى هجرها أهلها ، وأصبحت خرابا بغير سكان (١) ؛ ولم يأت عام ١٣٥٧ / ٨٧٥٨ م حتى كان السلطان قد فقد سيطرته تماما عن وادي رمع (٢) ووادي سهام (٣) ومعظم وادي زبيد (٤) وعم الخراب معظم تهامة (٥) وفشلت المحاولات التي سبقت أن بذلها المجاهد للقضاء على ثورات العربان (٦) - ولم يعد عامرا غير مدينتي زبيد وحررض (٧) ولم يكن فيما بينهما قرية مسكونة غير قرى المفسدين (٨) .

أما ابن ميكايل ، فقد انتهز فرصة وفاة السلطان المجاهد ، وبادر بتجهيز الحملات للسيطرة على مدينة زبيد (٩) . وقامت قواته بمحاصرتها في رجب سنة

(١) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٤ - ١٠٥ .

(٢) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٠٦ ، المسجد ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

(٣) يقع وادي سهام إلى الشمال من وادي زبيد ووادي رمع .

El Khazrejiyy · op. cit p. 43, nate, 253.

(٤) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٠٧ ، المسجد ص ٤٥٩ .

(٥) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١١٢ ، المسجد ص ٤٦٢ .

(٦) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١١٠ ، المسجد ص ٤٦٢ ، ابن الديبع :

قرة العيون ص ٩٨ دأ .

(٧) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١١٤ .

(٨) الخزرجي : المسجد ص ٤٦٣ .

(٩) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٢٨ ، المسجد ص ٤٧٢ ، باخسرمة :

تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٠٥ .

٧٦٤ هـ / أبريل ١٣٦٣ م ، ولكن أهلها استماتوا في الدفاع عنها ، وصمدوا أمام هجماته ، ففشلت بذلك محاولاته في تحقيق سيطرته على زيد ، كذلك يرجع الفضل في صمود أهل زيد إلى السياسة الحكيمة التي انتهجها أبو بكر ابن علي بن مبارك والى المدينة الملقب بالناصح ، وكان هذا الرجل حقيقاً بهذا اللقب ، إذ تمكن من اغراء أتباع ابن ميكائيل بالمال والهبات بهدف تشتيت قواته ، فلم تلبث أعداد كبيرة منهم أن انضمت إليه ، وتوافدت عليه ، فأحسن استقبالهم وكافأهم^(١) ، وأزعج ذلك قائدهم فانسحب بمن تبقى معه من قواته خشية أن يتخلى عنه الباقون أو يقع في كمين نصبه له والى زيد^(٢) سيار قدسير .
 للسلطان الأفضل الامدادات لتصل تباعا إلى المحصورين^(٣) .

لم يكتف الأفضل بإحباط محاولات ابن ميكائيل بل عمل على التخلص نهائياً من خطره ، ففي سنة ٧٦٥ هـ سير قوة من أجناده تمكنت من إيقاع الهزيمة بـ ١٠٠٠ ميكائيل^(٤) وأطاحت بكل قواته^(٥) ، بحيث لم يبق له بعدها قائمة ، ولم يجد حيداً من اللجوء إلى الامام علي بن محمد^(٦) ، وأخفقت جهوده في استعادة قواته .

(١) الخزرجي : العقود ٢ ص ١٢١ ، المسجد ص ٤٧٢ .

(٢) الخزرجي : العقود ٢ ص ١٢٩ .

(٣) الخزرجي : العقود ٢ ص ١٢٨ ، المسجد ص ١٧٢ .

(٤) الخزرجي : العقود ٢ ص ١٣٠ ، المسجد ص ٤٧٣ ، ابن الديبع :

سقرة العيون ص ٩٨ ب .

(٥) ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ٣ ص ٥٠٤ .

(٦) ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٨ ب ، زبارة : أئمة اليمن ١ ص ٢٥٦ .

وسلطانه (١) ، وظل طريدا شريدا حتى توفي في ٧٧٩ هـ (٢) / ١٢٧٧ . وهكذا .
وفق الأفضل في التخاص من خطر ابن ميكائيل ، وتمكن ، من وضع يده على .
جميع ما كان يجوزته من البلاد (٣) .

واصل الأفضل نشاطه للقضاء على ثورات القبائل في تمامة ، وبدأ بالقرشيين .
فاستطاعت قواته إيقاع الهزيمة بهم في ذي القعدة ٧٦٥ هـ / ابريل ١٣٧٤ م .
وأسفرت المعركة عن مقتل عدد كبير من مشاهير فرسان القرشيين ، وانتهاب
بلادهم ، مما اضطرهم إلى الإذعان للطاعة وطلب الأمان ، فاستجاب الأفضل
لهم ، وقدموا إليه الرهائن ضمانا لعدم عودتهم للمهيدان (٤) . ثم تحول الأفضل
بحملاته إلى قبائل انمازة ، فسير أولى حملاته إليهم في شعبان ٧٦٦ هـ / ابريل
١٣٦٥ م ، وتتابعت بعد ذلك قواته ، وتمكن من سحق قوتهم ، وانتقم منهم .
انتقاما شديدا (٥) وأجبرهم على الطاعة .

أما إخوة الأفضل المنافسين له ، - وكان المظفر من أنشطهم - فقد عمل
الأفضل على شل حركته بحملاته المتتابعة ، ولكن محاولاته باءت بالفشل (٦) .

- (١) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٣٤ ، المسجد ص ٤٧٦ .
(٢) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٦٦ ، المسجد ص ٥٠١ .
(٣) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٣ ، المسجد ص ٤٧٤ .
(٤) الخزرجي : المسجد ص ٧٥ - ٤٧٦ و ٤٧٨ .
(٥) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٧ ، ابن الديبع : قرة
العيون ص ١٠ - ب .
(٦) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٢٢ و ١٣٥ ، المسجد ص ٤٧٣ .

وعلى الرغم من اخفائه في التخلص من مشكلة إخوته إلا أنه قد نجح - خلال سنوات ثلاث - في تحقيق السيطرة على كثير من المناطق التي عجز أبوه من قبله في بسط سلطانه عليها ، واستوسقت البلاد كلها في أسرع مدة ، وعمرت القرى والمدائن ، واتصل الناس بعضهم ببعض ، (١) . وتوافدت الوفود على الأفاضل معلنة ولائه له ، واستقرت قواعد ملكه (٢) .

غير أن أعظم المشكلات التي واجهت الأفضل كانت تتمثل في قادة الزيدية الذين استغلوا فرصة الاضطرابات الداخلية التي واجهت سلاطين بني رسول في اليمن منذ أيام المجاهد ، وعملوا على تثبيت سيطرتهم على المنطقة الجبلية الواقعة شمالي صنعاء ، والاستيلاء على صنعاء نفسها في شهر شعبان سنة ٧٢٣ هـ (٣) / أغسطس ١٣٢٣ م ، وعلى عدد آخر من البلاد والحصون ، وكان لهذا التوسع أعظم الأثر في تقلص نفوذ دولة بني رسول . وعلى الرغم من عدم قيام المجاهد بأي عمل حربي ضد القوى الزيدية لانشغاله بالقضاء على منافسيه ، إلا أن الزيدية كانت تعمل على إثارة عوامل الاضطراب الدائم في دولة بني رسول ، وكان الامام لا يتوقف عن دعم خصوم السلطان (٤) وذلك ضمانا لاستمرار سيطرته ونفوذه على ما بيده من البلاد ، وتمكينه له على زيادة التوسع على حساب تلك الدولة المنهكة . غير أنه لم يسكد الامام على بن محمد بتبين

(١) الخزرجي : العقود ٢ ص ١٣٢ ، المسجد ص ٤٧٤ .

(٢) الخزرجي : العقود ٢ ص ١٣٤ - ١٣٥ ، المسجد ص ٤٧٧ .

(٣) زبارة : أئمة اليمن ١ ص ٢٢٤ .

(٤) الخزرجي : العقود ٢ ص ٤٠ - ٤١ ، المسجد ص ٤١٢ ،

٤٠٠٩٣ ص ٩٣ ، زبارة : أئمة اليمن ١ ص ٢٢٦ .

تخص الأفضل من بعض خصومه حتى سعى إلى شغله بمشكلات جديدة ،
 فعمل على إمداد المظفر بن المجاهد - المنافس الأول للسلطان - بعدد كبير من
 أتباعه سنة ٧٦٦ هـ / ١٣ : ١٣٦٥ م لمساعدته في الاستيلاء على مدينة
 حرص ، ولكن هذه الحملة لم تنجح في تحقيق أغراضها بسبب صمود حامية
 المدينة في وجهها (١) ، فأضطر المظفر إلى إعادة تنظيم قواته وزحف في
 جمادى الأولى سنة ٧٦٨ هـ / يناير ١٣٦٧ م إلى الشحر ، ولكنه أخفق للمرة
 الثانية في الاستيلاء عليها (٢) .

وعلى الرغم من فشل المظفر - حليف القوى الزيدية - إلا أن هذه القوى
 لم تفقد الأمل في خلق متاعب جديدة للسلطان الأفضل ، فاستقلت الخلف
 الناشب سنة ٧٧١ هـ / ١٣٦٠ م . بين واليه على حرص وبين الأشراف السليمانيين
 في تلك المنطقة . وبمجة مساندة أشراف حرص أرسل الامام جيشا استولى به
 على تلك المدينة (٣) ، وتابعت القوات الزيدية زحفها جنوبا فاستولت على
 مدينة المهجم والكداره والقحمة وغيرها (٤) ، ثم تقدمت إلى زيد وحاصرتها
 في جمادى الأولى ٧٧١ هـ / ديسمبر ١٣٦٩ م . وكان للانتصارات التي أحرزها
 الامام أثرها في إشاعة الفوضى والاضطراب في زيد ، واستغل بعض المفسدين
 من أهل زيد هذه الظروف المضطربة وأعملوا السلب والنهب في المدينة (٥) .

(١) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٣٤ و ١٣٥ .

(٢) الخزرجي : المسجد ص ٤٧٦ و ٤٧٧ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٠ ب ، زبارة : أئمة اليمن ص ٢٥٧ -

(٤) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٤٠ و ١٤١ .

(٥) الخزرجي : المسجد ص ٤٨١ - ٤٨١ .

واتصلوا بالقوات الزيدية المحاصرة لزبيد وانفتحو معها على موهدين معينين يفتحون لها فيه أبواب مدينتهم (١) ، وحاول هؤلاء المفسدين إقناع أهليان المدينة من فقهاء وتجار وغيرهم ، ولكن هؤلاء الأهلين تمكنوا من إقناعهم بالتمسك بولايتهم للدولة ، وقرروا الدفاع عن زبيد ، وعدم تمكن القوى الزيدية منها (٢) . وهكذا صمدت المدينة ولم يتمكن الامام من التغلب عليها (٣) .

وفي نفس الوقت سير السلطان الأفضل قوة بقيادة الطواشي أمين الدين أهيف تمكنت من التخلص من المفسدين الذين حاولوا تسليم مدينة زبيد ، وتبع فلولهم قتلا وتشريدا (٤) ، كما تصدى الطواشي للقرشيين الذي عاودوا العصيان وأرادوا الاستيلاء على زبيد وقضى على محاولتهم وحزبهم هزيمة نكراء في رمضان سنة ٥٧٧١هـ (٥) / ابريل ١١٧٠ م . وواصل أمين الدين أهيف تقدمه ، ونجح في تخليص مدينة المهجم من السيطرة الزيدية (٦) ،

-
- (١) الخزرجي : العقود ص ١٤٢ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ١٠١ ، أ . -
 (٢) الخزرجي : العقود ص ٢ ص ١٤٢ ، المسجد ص ٤٨٣ و ٤٨٤ .
 (٣) الخزرجي : العقود ص ٢ ص ١٤٤ - ١٤٥ ، المسجد ص ٤٨٥ ،
 ابن الديبع : نفسه ص ١٠١ ب ، زبارة : نفسه ص ٢٥٧ .
 () الخزرجي : العقود ص ٢ ص ١٤٥ .
 (٥) الخزرجي : العقود ص ٢ ص ١٤٦ ، المسجد ص ٤٨٦ .
 (٦) الخزرجي : العقود ص ٢ ص ١٤٦ ، المسجد ص ٤٨٧ ، ابن الديبع :
 قررة العيون ص ١٠٢ . أ .

ونركزت جهوده في شمال تهامة إلى أن تمكن من إقرار الأمور فيها (١) .
 وفي سنة ٧٧٢ هـ / ١٣٧١ م توفي الامام الزيدى المهدي علي بن محمد ،
 فاتفقت الزيدية على إقامة ابنه الناصر صلاح الدين محمد ، وتمت بيعته في صفر
 سنة ٧٧٣ هـ (٢) / أغسطس ١٣٧١ م ، فواصل انتهاج سياسة أبيه في مناوأة
 السلطان والاعارة على المناطق الموالية له . وفي سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م سير حملة
 كان هدفها الاستيلاء على مدينة الحند ، كما أرسل سنة ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م حملة
 أخرى للاستيلاء على زيد وغيرها ، ولكن حملاته فشلت في تحقيق الهدف
 الذي أرسلت من أجله (٣) .

وكيفما كان الأمر ، فإن الأفضل لم يتقاعس عن مواجهة هذه المواقف
 الحرجة أو يتردد في إعداد الحملات للقضاء على الفتن والثورات . ومن الملاحظ
 أن السلطان الأفضل كان يكتفي بتجهيز الحملات ويعهد بقيادتها إلى كبار رجال
 دولته ، وأنه قلما قاد حملة بنفسه ، ولعل ذلك كان من أسباب عدم فاعلية تلك
 الحملات .

واستمرت الأوضاع على هذا النحو من الاضطراب حتى وفاة السلطان
 الأفضل بمدينة زيد في شعبان ٧٧٨ هـ (٤) / ديسمبر ١٣٧٦ م ، ودفنه في تمز (٥) .

-
- (١) الخزرجي : العقود ص ١٥ و ١٥٤ و ١٥٦ ، المسجد ص ٤٨٩
 و ٤٩٢ و ٤٩٤ ، ابن الديبع : نفسة ص ١٠٢ ب ، ١٠٣ أ .
 (٢) زيارة : أئمة اليمن ص ١ ، ٢٦٠ ، تحاف المهتدين ص ٦٧ .
 (٣) زيارة : أئمة اليمن ص ١ ص ٢٦٤ .
 (٤) الخزرجي : العقود ص ٢ ص ١٥٧ ، المسجد ص ٤٩٥ ، ابن تغري بردى :
 النجوم الزاهرة ص ١١ ص ١٢٥ ، حوادث الدهور ص ٣٧٦ ، ابن الديبع :
 قرة العيون ص ١٠٣ ب ، زيارة : أئمة اليمن ص ١ ص ٢٦٥ .
 (٥) زيارة : أئمة اليمن ص ١ ص ٢٦٥ .

٣ - جنيد الأشرف الثاني 'سما عيل بن الأفضل عباس في القرار الأوضاع :
 بعد وفاة الأفضل عباس باع رجال الدولة وعلمائها ابنه الأشرف الثاني
 سلطانا على البلاد في شهر شعبان سنة ٧٧٠ هـ (١) / ديسمبر ١٣٧٦ م ، وأقسم
 الجميع على الولاية له (٢) . وحظيت سلطته بتأييد كثير من العناصر . ويعبر
 الخزرجي عن ذلك بقوله : « وكانت الكتب من كل بلد تصل إليه ، والعرب
 من كل ناحية تفد عليه ، وهو يجيب عن كل كتاب بما يقتضي ، ويقابل كل
 واصل إليه بما يجب ويرتضي ، حتى استوسقت البلاد دانيهار قاصيها ، وأذعن
 البرية طائعا وعاصيا ، (٣) .

رأى الأشرف أن قبائل المعازبة يشكلون حركة ثورية واسعة النطاق ،
 وأن الزيدية مازالوا يقفرون بالمرصاد لكل سلطان من بني رسول . وينتظرون
 الفرص المواتية للوثوب عليه والتحالف مع خصومه ، ولذلك قرر أن يبدأ
 بالمعازبة ، واعد الحملات التباديبية للقضاء على تمردهم . ففي سنة ٧٨٠ هـ /
 ١٢٧٨ م أرسل حملة كبيرة بقيادة وزيره القاضي نبي الدين عمر بن أبي القاسم
 ابن معبد إلى بلاد المعازبة ، وقاتلهم وضيق الخناق عليهم وشتتهم (٤) . وفي

(١) بانخرمة : تاريخ نهر عدن ج ٢ ص ٢٠ .

(٥) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٥٧ ، المسجد ص ٤٩٥ ، ابن الديبع :
 حرة العيون ص ١٠٢ ب .

(٥) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٦٤ ، المسجد ص ٤٩٩ .

(٤) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٦٦ - ١٦٧ .

العام التالي شنت القوات السلطانية عليهم الميجمات وحاصرتهم ، حتى « لم يكن لهم مهرب إلا البحر قدخلوه ففرق منهم طائفة وسلم الباقون ، واستنذم أناس منهم وأسر آخرون (١) ، . وعلى الرغم من هذا الأسلوب التآديبي العنيف الذي استخدمه الأشرف مع الممازبة ، إلا أن هؤلاء استطاعوا التجمع مرة أخرى ، وأغاروا على مدينة القحمة ، واستدرجوا والى المدينة الأهير سيف الدين بشتك إلى كين نصبه بعضهم له ، وقتلوه مع عدد من أتباعه في شوال سنة ٧٨١ هـ (٢) / يناير ١٣٨٠ م . ولم يجد السلطان أمام اشتداد وطأة الممازبة ، واستمرار خروجهم عن الطاعة ، من التوجه بنفسه على رأس حملة إليهم في شوال ٧٨٢ هـ / يناير ١٣٨١ م ، ولكنهم ما أن علموا بأخبار هذه الحملة حتى بادروا بالتعلق برؤوس الجبال ، فنهب الجند بلادهم وأحرقوها (٣) ، وظلت القوات السلطانية تترصد لهم ، وتناهت الإغارات عليهم كلما بدرت منهم بادرة عصيان ، للبطش بالعاصيين والمارقين منهم ومن غيرهم من القبائل وإرغامهم على الطاعة وتسليم الرهائن (٤) . ومع ذلك فلم تنجح سياسة العنف في استئصال

(١) الخزرجى : العقود ح ٢ ص ١٦٨ ، المسجد ص ٢ ٥ : زبارة :
أئمة اليمن ح ١ ص ٢٦٩ .

(٢) الخزرجى : العقود ح ٢ ص ١٦٩ ، المسجد ص ٥٠٣ ، ابن الدبيح :
قوة العيون ص ١٠٤ ب .

(٣) الخزرجى : العقود ح ٢ ص ١٧١ ، المسجد ص ٥٠٤ .

(٤) الخزرجى : العقود ح ٢ ص ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨١ و ١٨٥
و ١٨٦ و ١٩٤ و ٢٠١ و ٢٠٦ و ٢١٥ و ٢١٩ و ٢٤١ ، ٢٥١ و ٢٥٦ و ٢٦١ -
٢٦٧ و ٢٦٨ - ٢٦٩ ، المسجد ص ٥٠٩ و ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٩ و ٥٢٤ و ٥٢١ و ٥٢٢ .
٥٥٠ و ٥٥٤ .

هذه القبائل، إذ أنها لا تلبث أن تعود إلى التمرد كلما أتيحت لها الفرصة لذلك .
 أما بالنسبة للزيدية، فمن الواضح أن سلاطين بني رسول قد تحاشوا —
 منذ عهد المجاهد — الدخول بقدر الإمكان في صراع ضدهم، في الوقت الذي
 لم يكن الامام، الزيدى يفوت فيه أى فرصة تسنح له للتوسع على حساب الدولة
 الرسولية إلى حد تجاوزت فيه هذه التوسعات صنعاء جنوباً وفيها يتعاقب
 بموقف القوى الزيدية من سلطنة الأشرف الثاني، فقد اتسم منذ البداية بالمرابطة
 والترصد المقرون بالحدز حتى تتجلى الأمور، واستغلال كل فرصة مواتية
 للتحرك ضد السلطان وتأييد خصومه، ودعمهم بالمال والسلاح والتواطؤ
 معهم ما أمكنهم ذلك . وعلى هذا النحو نشهد الامام الزيدى يتمتع بفرصة
 غضب الأشرف الثاني على وزيره وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد النظاري
 واقصائه له من الوزارة بعد فترة قصيرة من اسنادها إليه سنة ٥٧٨٤هـ / ١١٨٢م،
 حتى قام الامام بمراسلته واستدعائه، وأحسن استقباله وأكرمه (١) . وكان من
 الطبيعي أن تتوتر العلاقات بين الزيدية والساطان بسبب ذلك، وتتأزم الأمور
 عندما يقدم السلطان على قتل رسوله إلى الامام في ذى القعدة سنة ٥٧٨٦هـ /
 ديسمبر ١٣٨٤م بتهمة إفشاء أسرار كان السلطان قد استأمنه عليها (٢) .
 واتخذ الامام هذا الحدث ذريعة للتحرك، وزحف في حشود كثيفة قاصداً تعز،
 وذلك في شعبان سنة ٥٧٨٧هـ / سبتمبر ١٣٨٥م، فأسرع السلطان إلى مغادرة
 زيد إلى تعز لا يقاذاً . فلما علم الامام بذلك توقف بمدينة ذى جبلة من مخلاف

(١) المقود ج ٢ ص ١٧٣ ، العسجد ص ٥٠٦ .

(٢) الخزرجى : المقود ج ٢ ص ١٨٠ ، العسجد ص ٥١٠ ، ابن الديبع =

قرة اعيوز ص ١٠٥ ب .

جعفر واكتفى بهم، وعاد إلى قواعده دون أن يحقق هدفه (١) . ثم أخذ في إعادة تنظيم أتباعه ، واختيار ولائهم له وافصاء المتذبذبين منهم والمنقلبين ، والانتقام من الخارجين عليه منهم (٢) . وبهذه التنظيمات الجديدة تمكن من السيطرة على كثير من المدن والقرى والحصون القرية من صنعاء (٣) .

وفي سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م خرج الامام في جيش كبير إلى عدن ، ولم يصادف في طريقه إليها أى أثر لمقاومة . ودارت بينه وبين أهل عدن وحاميتها معارك طاحنة في ذى القعدة ٧٨٩ هـ / نوفمبر ١٣٨٧ م لقى فيها منهم مقاومة عنيفة ، اضطرت له إلى رفع الحصار والعودة ، خاصة بعد ما أصيب عسكره بوباء مات بسببه الكثيرون منهم (٤) .

ولا يتوقف الامام عن توجيه الحملات وشن المعجمات على المناطق التابعة للسلطان في الفترة من سنة ٧٨٩ إلى ٧٩٣ هـ / ١٣٨٧ - ١٣٩١ م ، ففي العام التالي توجه على رأس جيش الى مدينة حرض في شمال تهامة . ولكن للسلطان أسرع بإرسال حملة مضادة (٥) ، لم يكفد الامام يعلم بها حتى انسحب بقواته (٦)

(١) الخزرجى : العقود > ٢ ص ١٨٣ ، المسجد ص ٥١٢ .

(٢) الخزرجى : العقود > ٢ ص ١٩٢ و ١٩٣ ، المسجد ص ٥١٨ ،

ابن الديبع : قررة العيون ص ١٠٦ ، أ .

(٣) زبارة : أئمة الامن > ١ ص ٢٧٣ .

(٤) الخزرجى : العقود > ٢ ص ١٩٣ - ١٩٤ ، المسجد ص ٥١٩ .

(٥) الخزرجى : العقود > ٢ ص ١٠٤ .

(٦) الخزرجى : العقود > ٢ ص ١٩٥ ، المسجد ص ٥١٩ .

وتحول إلى مدينة المحالب ، ولكن واليها تصدى له وأرغمه على الانسحاب (١) ، وظل الامام ينتهز الفرص لمهاجمة السلطان ، وقد واثته الفرصة عندما قام السلطان باستدعاء نوابه في شمال تهامة ، وخروج هؤلاء إليه بمعظم قواتهم في ربيع الأول سنة ٧٩١ هـ / مارس ١٣٨٩ م ، وأرسل بعض قواته لتعاونها بعض القبائل المتمردة ، للاغارة على منطقة شمال تهامة ، وتخريب مدنها . وعلى أثر ذلك خرج الامام بنفسه على رأس قوة من أتباعه ، وهاجم حرض والمهجم والمحالب وتمكن من السيطرة عليها ، ويبدو أنه استخدم العنف في هجماته ، فأثار بذلك الذعر في قلوب سكان المنطقة (٢) . وأمام هذا الخطر أعد السلطان حملة كبيرة وجهها إلى الزيدية ، وأردفها بمدادات متواصلة ، وتمكن السلطان بذلك التحرك السريع من تخليص تهامة (٣) من السيطرة الزيدية . ويذكر الخزرجي أن الامام قام بإرسال ثلاثة من أتباعه إلى السلطان وفقاً لهم السلطان بالقبول وأعم عليهم ، (٤) ولم يوضح الخزرجي الغرض من هذه السفارة ، ولكن يبدو أن سعى الامام لتحسين علاقته مع السلطان كان يهدف أن يؤدي إلى وقف الحملات المتتالية التي دأب السلطان على توجيهها ضد الزيدية ، وهكذا نجح في إيهام السلطان بولاء زائف ليطمئن هذا من ناحيته ، وعندئذ يمكنه أن يضرب ضربته في غفلة من السلطان . وهذا يفسر خروج الامام على رأس حملة إلى زيد وقيامه بمحاصرتها في جمادى الآخرة ٧٩١ هـ /

(١) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٩٧ ، المسجد ص ٥٢٠ .

(٢) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٢٠١ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢٧٤ .

(٣) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٢٠٢ ، المسجد ص ٥٢٣ .

() الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٢٠٥ .

يونيه ١٣٨٩ م ، وعمل خلال الحصار على الاتصال بكثير من أجناد المدينة لمضمان موالاتهم له ، ولولا صمود أهل زيد واستقامتهم في الدفاع عن مدينتهم ؛ لسقطت المدينة - في يسر وسهولة - في أيدي الزيدية ، ولكن الامام اضطر إلى رفع الحصار والانسحاب (١) ، خاصة وقد بلغت أنباء عن وصول حملة مضادة ، يمكنها التعاون مع حامية المدينة في تطويق قواته ، ولهذا بادر الامام إلى فك الحصار وعاد أدراجه خوفا من الهزيمة (٢) .

وللحد من خطورة الامام خرج السلطان الأشرف إلى ذى جبلة ، ومنها خف في حشوده في شهر رمضان سنة ٥٧٩١ هـ / أغسطس ١٣٨٩ م لمطاردة الامام وقواته ، ولولا وصول مدد إليه في الوقت المناسب لمضى - زيمية نكراء بسبب هوالاة بعض القبائل التي اعتمد عليها من أهل المنطقة للامام ، ومع ذلك فقد اضطر الامام الى الانسحاب إلى ذمار لاعادة تنظيم قواته . وفي شوال ٥٧٩١ / سبتمبر ١٣٨٩ م جرد الامام حملة على تهامة ، توجهت في البداية إلى حررض ومنها إلى المحالب (٣) ، ولكن والى المحالب ما كاد يعلم بخبر هذه الحملة حتى أعد اللادة لمواجهتها ، ولم ينتظر حتى يحيط أتباع الامام بالمدينة ، بل بادر بالتجهز

-
- (١) الخزرجى : المقود > ٢ ص ٢٠٦ - ٢٧ ، المسجد ص ٥٢٤ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ١٠٦ أ .
- (٢) الخزرجى : المقود > ٢ ص ٢٠٧ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ١٠٦ ، زيارة : أئمة اليمن > ١ ص ٢٧٤ .
- (٣) الخزرجى : المقود > ٢ ص ٢١٠ ، المسجد ص ٥٢٦ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ١٠٦ ب .

والخروج للاقتامهم ، وكنت قواته لهم في الطريق ، وفاجأهم وألحقوا الهزيمة بهم ، وقتلوا منهم عددا كبيرا على رأسهم قائد الحملة (١) . ولم تفت هذه الهزيمة في عضد الامام ، ذلك أنه خرج في ربيع الأول سنة ٥٧٩٢ هـ / فبراير ١٢٩٠ م على رأس حملة للاغارة على بعض الحصون التابعة للسلطان في منطقة الشوافي ، ولكنه قوبل بمقاومة عنيفة أجبرته على العودة (٢) .

وفي شهر صفر ٥٧٩٣ هـ / يناير ١٣٩١ م زحف الامام بقواته إلى منطقة جبل بعدان (٣) من بلاد الشوافي وسكن قبائل المنطقة استدرجته إلى كمين نصبوه له ولقواته ، وتمكنوا من التغلب عليه وقتل الكثير من أتباعه فانسحب بفلوله إلى ذمار (٤) . غير أنه لم يلبث أن أطاق تنظيم قواته وأغار على بلاد بني شاور بالقرب من ذمار في شهر رجب سنة ٥٧٩٣ هـ / يونيو ١٢٩١ م ، وأعمل فيها النهب والقتل والتخريب (٥) . وكان في الامكان أن يستمر الامام في سياسته العدائية نحو السلطان لولا أن الموت لم يمهله طويلا ، فقد توفي بصنعاء في ذي القعدة سنة ٥٧٩٣ هـ / أكتوبر ١٣٩١ م ، فقد حدث له أثناء عودته من هذه الحملة أن هاجت بغلته والقتنه عنها ، فتملقت قدمه بركابها فازدادت نفورا

(١) الخزرجي : العقود ٢ ص ٢١١ ، المسجد ص ٥٢٧ ، زيارة :

أئمة اليمن ١ ص ٢٧٤ .

(٢) الخزرجي : العقود ٢ ص ٢١٤ - ٢١٥ ، المسجد ص ٥٢٩ .

(٣) الخزرجي : المسجد ص ٥٣٢ .

(٤) الخزرجي : العقود ٢ ص ٢١٩ ، المسجد ص ٥٣٢ .

(٥) العقود ٢ ص ٢٢١ ، المسجد ص ٥٣٣ .

وسحبته معها في مكان وعمر ، ولم يتمكن رجاله من تخليصه منها إلا بعقرها ، فأقام متألماً حتى توفي متأثراً بهذه الاصابة (١) .

وكان لوفاة الامام الناصر صلاح الدين أثره في إضعاف القوى الزيدية . وحدوث انقسام خطير في صفوفهم . فقد رأى البعض مبايعة ابنه علي بالامامة في حين رأى غيرهم إمامة أحمد بن يحيى المرتضى ، وباج كل من الفريقين بالامامة من كان يميل إليه ، ومن ثم بدأ صراع صيربين الامامين من أجل الانفراد بالامامة (٢) . واستمر الصراع بينهما إلى أن وقع الامام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى أسيراً في يد الامام المنصور علي بن صلاح الدين سنة ٧٩٤ هـ (٣) / ١٢٩٢ م . ولم يمض وقت طويل حتى قام لإمام آخر هو الهادي علي بن المؤيد بن جبريل سنة ٧٩٦ هـ (٤) / ١٣٩٤ م ، وازداد الظنين ببله أن تمكن الإمام الأسير من الفرار سنة ٨٠١ هـ (٥) / ١٣٩٩ م ، وانضم إلى الإمام الجديد الهادي ضد الإمام المنصور (٦) ، واشتد الصراع على هذا النحو بين الفريقين .

(١) الخزرجي : المقنود ج ٢ ص ٢٢٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٧ ، زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٢) زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢٨١ .

(٣) زيارة : نفس المرجع الجزء ص ٢٨ .

(٤) زيارة : نفس المرجع والجزء ص ٢١٥ .

(٥) زيارة : نفس المرجع والجزء ص ٢٨٩ .

(٦) زيارة : نفس المرجع والجزء ص ٢٩٠ .

وفي خضم هذا الصراع الزيدى استطاع عدد من القبائل الدخاين من التبعية للقوى الزيدية (١) . وبدأت هذه القبائل تتقرب إلى السلطان الأشرف وتوافد مشايخهم وعدد من أشرف الزيدية على السلطان ، ففي المحرم سنة ٧٩٤هـ / ديسمبر ١٣٩١ م توجه الشريف المهدي بن عز الدين الحمزي والشريف شمس الدين سليمان بن يحيى إلى السلطان ، كما قدم إليه الشيخ شمس الدين علي بن الرياحي الشرجي في شهر ربيع الأول سنة ٧٩٤هـ / فبراير ١٣٩٢ م على رأس وفد من أهله ، فأكرمهم السلطان وخلع عليهم (٢) . وفي شهر جمادى الأولى وصل شيخ الجهاد — من قبائل مذحج — في جمع من أتباعه ، كما وصل أيضا الشريف الزيدى أبو الفضائل الهدوي ، وتواترت القبائل من كل ناحية ، (٣) . وفي شهر ربيع الأول سنة ٧٩٥هـ / يناير ١٣٩٣ م جاءه أشرف جهران (٤) ، كما قدم الشريف صلاح بن علي بن مطهر الحسيني إلى السلطان في رجب ٧٩٧هـ / أبريل ١٣٩٥ م ، وتنازل للسلطان عن حصن ذروان ، فأكرم عليه وكساه ومنحه أربعين ألف درهم (٥) . وفي رمضان ٧٩٧هـ / يونيو ١٣٩٥ م وصل الشريف عماد الدين يحيى بن أحد الحمزي (٦) ،

(١) زيارة: أئمة اليمن ج ١ ص ٢٨٣ .

(٢) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٢٢٧ ، المسجد ص ٥٣٥ ، ٥٣٦ .

(٣) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٢٣٠ ، المسجد ص ٥٣٧ .

(٤) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٢٤٢ ، المسجد ص ٥٤٤ .

(٥) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٢٧٣ ، المسجد ص ٥٥٥ ، ابن الديبع:

قرة العيون ص ١٠٧ أ - ب ، زيارة: أئمة اليمن ج ١ ص ٢٨٧ .

(٦) العقود ج ٢ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ ، المسجد ص ٥٥٦ .

فأحسن السلطان استقبال الجميع وخاج عليهم الخلع السنوية .

وهكذا وبدون كبير عناء تهيأت أحوال اليمن للاستقرار ، وأصبح السلطان الملك الأشرف صاحب الكلمة النافذة في البلاد ، وتحسنت العلاقات بينه وبين الإمام المنصور على بن صلاح الذي أرسل في جمادى الآخرة ٧٩٩هـ / مارس ١٣٩٧م للسلطان هدية نفيسة (١) . واستمرت حالة الهدوء تسود البلاد حتى نهاية حكم الأشرف الذي توفي في تعز ليلة الثامن عشر من ربيع الأول سنة ٨٠٣هـ (٢) / أكتوبر سنة ١٤٠٠م ؛ بعد حكم دام قرابة ربيع قرن (٣) .

(١) الخزرجي : العقود ٢ ص ٢٨٩ ، المسجد ص ٥٦٤ ، زيارة : أئمة اليمن ١ ص ٢٨٧ .

(٢) الخزرجي : العقود ٢ ص ٢١٦ ، المسجد ص ٥٨٠ ، ابن تغرى بردى : المهمل الصافي ١ ص ٥٢٢ - ٥٢٣ ، ص ٢ ص ٥٠٤ ، النجوم الزاهرة ٢ ص ٢٥ ، حوادث الدهور ص ٢٧٦ ، زيارة : أئمة اليمن ص ٢٩٢ .
(لقد أنهى الخزرجي كتابيه العقود اللؤلؤية ، والمسجد المسبوك ، بتاريخ السلطان الأشرف الثاني إلى سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م ، ولم يذكر من تاريخ اليمن شيئاً بعد هذا التاريخ بالرغم من وفاته بعد ذلك بتسع سنوات أي سنة ٨١٢هـ . وما يذكر أن ناسخ كتاب المسجد المسبوك - نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية - قد أضاف بقية تاريخ نبي رسول إلى نهاية دولتهم وذلك نقلاً عن ابن الديبع ، وبمقارنة هذه الإضافة بما كتبه ابن الديبع اتضح أنها منقولة عن كتاب « بقية الاستيفيد في أخبار مدينة زيد » .

(٣) العيني : عقد الجمان مجلد ٦٦ ص ١٦٧ .

٣ - عهد السلاطين الضعاف ونهاية الدولة :

١ - عهد الناصر أحمد بن الأشرف اسماعيل :

كان السلطان الأشرف قد عقد - قبل وفاته بأيام - البيعة بالسلطنة لابنه الناصر أحمد ، وعمل الناصر منذ توليه عرش السلطنة على القضاء على خركات العصيان التي شملت معظم بلاد اليمن ، وإقرار الأوضاع فيها ؛ فبدأ بالاستيلاء على بعض الحصون التي خرج ولائها عن طاعته ، كما وجه حملاته إلى بلاد المعازبة فسارع هؤلاء بطلب الأمان فأمنهم (١) ، ولكنهم تظاهروا بالطاعة اكتساباً للوقت إذ لم يلبثوا أن عادوا إلى العصيان ، فعادت قوات السلطان إليهم وقتلت وشردت عدداً كبيراً منهم . وكان انتقام الناصر شديداً بحيث قضى على مقاومتهم ، فركنوا إلى الهدوء (٢) .

ونشط الناصر بعد ذلك في توجيه الحملات ضد العصاة والتمردين ، فاستولى في شوال سنة ٨٠٣ هـ ، مايو ١٤٠١ م على حصن المهور - أحد حصون وادي سهام - فساعدته ذلك على إحكام السيطرة على منطقة سهام . كما استولى في أول عام ٨٠٤ هـ (٣) / أغسطس ١٤٠١ م على حصن ريمة (٤) .

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٠ ، أ ، بغية المستفيد ص ٧٥ .

(٢) الخزرجي : المسجد ص ٥٨٣ ، قرة العيون ص ١١٠ ، أ ، بغية المستفيد

ص ٧٦ .

(٣) الخزرجي : المسجد ص ٥٨٣ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٠ ، أ ،

بغية المستفيد ص ٧٦ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٥٥٩ .

(٤) ريمة ، حصن يقع إلى الشمال من وضاب . إلى الجنوب من جبال برع

{ الويسى : اليمن الكبرى ص ١٧٠ } .

وفي ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م وجه حملة إلى بلاد المقاصرة: (١) وقتل منهم جمعا كبيرا، ونهب بلادهم وخرّبها، ثم استولى على مدينة دثينة (٢) قهراسنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م. وفي سنة ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م قاد إحدى الحملات ضد والي جازان — في شمال تهامة — الذي شق عصا الطاعة، فلما وصل إلى المدينة ألفها خالية قد تركها واليها وأهلها خوفا من تنكيه بهم. فأقام عدة أيام بها، جاءه في أثنائها رسول واليها يطلب الأمان فأمنه (٤). فلما وصل إليه أرسله إلى زيد (٥)، وولي واليها آخر على المدينة، فلما عاد السلطان إلى زيد تشفع بعض علماء زيد وصلحائها لديه، فاستجاب لهم وأعاد صاحب جازان إلى ولايته بعد أن سلع عليه وأعطاه عشرين ألف دينار وحمسين عبدا بالإضافة إلى الهدايا والتحف (٦). وكان السلطان الناصر قد توجه من جازان إلى مدينة حلي، وكان واليها

(١) المقاصرة، قبائل تقيم إلى الشمال من وادي سهام.

(٢) دثينة، بلدة من بلاد الجحافل (الجندي: السلوك ص ٤٤٤، الخزرجي).

العقود ١ ص ١٥٨) وتقع إلى الشمال من الحج

EL - Khazrejiyy : op. cit, vol. III, 3, p. 104, Note, 653, 654.

(٣) ابن الديبع: قرة العيون ص ١١٠ أ، بغية المستفيد ص ٧٦، يحيى بن

الحسين: غاية الأمان ص ٥٦٢.

(٤) يحيى بن الحسين: نفس المرجع والصفحة.

(٥) ابن الديبع: قرة العيون ص ١١٠ أ-ب، بغية المستفيد ص ٧٦.

(٦) الخزرجي: المسجد ص ٥٨٤، ابن الديبع: قرة العيون ص ١١٠ ب.

بغية المستفيد ص ٧٧.

موسى بن أحمد بن عيسى الحرّامى قد انفرد بولايتها بعد مقتل أخيه (١) ،
 فأصرع لمقابلة السلطان قبل انتراب ركبته من مدينة حلى حامله الهدايا والتحف .
 القيمة (٢) ، مجددا له الولاء والطاعة . ولما كان لزاما على مدينته أن تتحمل
 تمييز معسكر السلطان وجيشه أثناء إقامتهم فيها ، ولضعف إمكانياته تقدم
 مستعظما السلطان ، وقال له : « إن هذه البلد ضعيفة لا تطيق وطأة مولانا
 السلطان » فاستجاب له السلطان بعد أن ألزمه بتقديم عدد من الخيول كل
 عام (٣) .

ويذكر ابن حجر (٤) أنه قامت حروب بين موسى والى حلى وقبائل
 كنانة (٥) ، فانتهاز شريف مكة هذه الفرصة واستولى على حلى ، ولجأ
 واليها إلى السلطان الناصر أحمد ، فأرسل هذا إلى الشريف حسن بن عجلان أمير
 مكة يطلب منه ترك حلى وعدم التعرض لواليها ، فاستجاب لطلبه (٦) .
 وهكذا تمكن السلطان الناصر أحمد من أن يسيطر على الموقف في اليمن ،

(١) ابن حجر : أنباء الغمر - مخطوط - ج ١ ص ٧٥٥ ، العيني : عقود
 الجمان مجلد ٦٦ ص ١٦٦ .

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٦٣ .

(٣) الخزرجى : المسجد ص ٥٨٤ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٧٦-٧٧ .

(٤) أنباء الغمر ج ١ ص ٧٥٥ .

(٥) م ، بنو كنانة بن خزيمه بن مدركة بن الياص ، ودبارهم باليمن وبجبهات
 مكة (القلقشندي : قلائد الجمان ص ١٢٤) .

(٦) ابن حجر : أنباء الغمر ج ١ ص ٧٥٥ .

وسكنت الاضطرابات فيها لفترة تزيد على خمس سنوات (١) لم تحدث بعدها إلا حوادث قليلة متفرقة . حتى كانت سنة ٨١٨هـ / ١٤١٥م عندما خالف أهل وصاب فقام السلطان بإخماد ثورتهم واستولى على حصونهم (٢) .

وفي سنة ٨٢٠هـ / ١٤١٧م أغار الإمام علي بن صلاح الدين علي بن طاهر نواب السلطان في رداع (٣) ، فأسرع السلطان لنجدتهم ، وتمكن من التغلب على الإمام ، وقتل عددا كبيرا من أتباعه ، وتبع فلوله إلى وادي خبان (٤) . وواصل السلطان الناصر حملاته التأديبية إلى بلاد العجالم شمالي لحج ، ومنها إلى أبين وديننة ثم عدن ، وقفل عائدا بعدها إلى تعز فزيد (٥) .

وفي عهد الناصر قامت عدة محاولات ضده من أجل السيطرة على الحكم . وأولى هذه المحاولات ، تلك التي قام بها ضده أخوه حسين بن الأشرف ، إذ استطاع الاستيلاء على مدينة زيد سنة ٨٢٢هـ / ١٤١٩م ، وأعلن نفسه ساعطانا على البلاد (٦) ، وتلقب بالظافر . ولكن السلطان الناصر تمكن من اقتحام زيد

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٦٣ .

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٦٤ .

(٣) رداع ، مخلاف باليمن من بلد بني عيسى

(٤) إلى الجنوب . (EL - Khazrefiyy : op . cit . p . 83 , Note , 50)

الشرق من ذمار .

(٥) وادي خبان ، إلى الشمال من جبل بعدان .

(٦) الخزرجي : المسجد ص ٥٨٥ ، ابن الديبع : قرّة العيون ص ١١٠ بـ .

١١١ أ ، بغية المستفيد ص ٧٧ - ٧٨ .

(٦) العيني : عقد الجمان مجلد ٦٨ ص ٤٨٨ .

والدخول إليها قهرا وقبض على أخيه حسين وسجنه في حصن تعز ، ولكن حسين لم يلبث إلا قليلا حتى استولى على حصن تعز ، فأقام السلطان الناصر عليه الحصار حتى تمكن من القبض عليه مرة أخرى ، وعهد لأخيه الظاهر بكهجه ، فقام بسمل عينيه . وقد استنكر ابن الديبع هذا التصرف باعتباره وصمة عار يندى لها الجبين في تاريخ أسرة بني رسول ، وندم الناصر على ذلك ولام أخاه لتسرع في تنفيذ أمره الذي أصدره له ساعة غضب (١) .

ومن المحارلات التي وقعت في عهد الناصر لاقصائه عن السلطنة ، حركة محمد بن أبي القاسم نجاح الأشعري ، الذي سخر أمواله الكثيرة لانتزاع العرش السلطاني من صاحبه الشرعي . فتوجه إلى مدينة زيد وتمكن من الاستيلاء عليها في ربيع الأول ٨٠٦ هـ (٢) / ١٤٠٣ م ، ولكنه لم يحتفظ بالمدينة غير يوم واحد ، إذ لم يأت صباح اليوم التالي حتى كان قد تم القضاء عليه وقتله . فصارت حركته مثالا بين العامة فيقولون : « ملك نجاح ساعة وراح » (٣) .

استمر حكم السلطان الناصر أحمد أربعة وعشرين عاما وثلاثة أشهر ، تمكن بفضل حملاته من الحفاظ على عرشه وإقرار الأحوال في البلاد (٤) . وقد وصفه

(١) الخزرجي : المسجد ص ٥٨٥ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ١١١ أ ، بغية المستفيد ص ٧٨ ، باخرمة : قلادة الحجر ص ٣ ص ١١٠٤ .

(٢) ابن الديبع : قررة العيون ص ١١١ ب .

(٣) الخزرجي : المسجد ص ٥٨٦ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٧٩ .

(٤) الخزرجي : المسجد ص ٤٨٧ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ١١١ ب

— ١١٢ أ ، بغية المستفيد ص ٨ .

ابن تغرى بردى ، فإنه كان من شرار بنى رسول، وأن البلاد قد خرب معظمها في عهده لظلمه وعسفه وعدم سياسته وتدييره (١) . وكانت وفاته في جمادى الأولى سنة ٨٠٧ هـ / (٢) أبريل ١٤٢٤ م .

ب — عهد المنصور عبد الله بن الناصر احمد واخوه الأشرف الثالث إسماعيل : —

تولى المنصور عبد الله السلطنة بعد وفاة أبيه (٣) ومع أنه كان صغير السن، إلا أنه استطاع فرض هيئته وتثبيت سلطانه على البلاد، ويذكر ابن الديبع أنه « كان ذا رأى وتدير لسياسة الملكة على صغر سنه » (٤) . ولكنه لم يعمر طويلا ، إذ كانت وفاته في ربيع الآخر ٨٣٠ هـ (٥) / فبراير ١٤٢٧ م . بعد حكم لم يدم أكثر من ثلاث سنوات .

خلف الأشرف الثالث إسماعيل أخاه المنصور عبد الله على عرش بنى رسول، وكان هو أيضا صغيراً عندما تولى السلطنة ، ولهذا فقد قام بتدبير أمر الممكلة

(١) ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، المجلد الأول ج ١ ص ١٣٣ .

(٢) ابن تغرى بردى : نفس المصدر والجزء والصفحة ، حوادث

الدهور ص ٧٧ ، الدليل الشافي ص ٨ ب ، الخزرجى العنجد ص ٥٨ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٢ أ ، بغية المستفيد ص ٨٠ .

(٣) ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ج ١ ص ١٢٣ ، ج ٣ ص ٥١٤ ،

الدليل الشافي ص ٨ ب .

(٤) ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٢ أ .

(٥) الخزرجى : العنجد ص ٨٦ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٨٠ .

الله جماعة من أعيان دولته (١) . ولكن الخلاف لم يلبث أن دب بين القائمين بأمر الدولة ، وواجهت دولة بني رسول مشاكل عويصة ساعدت على ضمحلان الدولة وعجلت بانهارها السريع . فقد ترتب على خروج كثير من النبائل عن الطاعة ، وقيامهم بأعمال السلب والنهب ، أن انتشرت الفوضى في البلاد ، في نفس الوقت الذي ازدادت فيه المحن والقحط والجذب (٢) ، فتجراً الناس على سلطانهم ، وانتهى الأمر بقيام جماعة من المماليك والعبيد بالقبض على السلطان وخلعوه عن العرش (٣) ، وانتهبوا قصره في جمادى الآخرة سنة ٨٣١ هـ / مارس ١٤٢٨ م ، بعد عام وشهرين من ولايته (٤) .

ج - عهد الظاهر يتجى بن الأشرف اسماعيل بن العباس :

بعد خلع الأشرف ، استقر رأى الثوار على إقامة عمه الظاهر يتجى ، وكان الظاهر سجينا منذ أيام أخيه الناصر أحمد ، فأخرجه الثوار من سجنه وباعوه سلطاناً على البلاد ، فأمر بالتحفظ على ابن أخيه الخلع في حصن الدملوة ، فأقام فيه سجينا حتى وفاته (٥) .

وكان الظاهر يستشعر بالأخطار التي تحيط به ، خاصة من قبل العناصر

(١) الخزرجى : المسجد ص ٥٨٨ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٨٠ .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٢ ب .

(٣) ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ص ٣ ض ٥١٤ ، حوادث الدهور

ص ٣٧٦ .

(٤) الخزرجى : المسجد ص ٥٨٨ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٨٠ .

(٥) الخزرجى : المسجد ص ٥٨٨ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٢ ب ،

باجخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٠٤ .

التي عزلت سلفه ، ولكنه لم يتسرع في التخلص منهم ، وترث حتى واتته الفرصة ، وعندئذ لم يتردد في التنكيل بهم ، وتبعمهم نكلا ونشريدا (١) . كما عمل على التخلص من كبار رجال سلفه ، وعلى رأسهم الوزير القاضي شرف الدين إسماعيل بن عبد الله العلوي وأسرتة ، فصادرهم واستولى على أموالهم وشردهم (٢) .

وفي سنة ٤٨٠هـ / ٤٣٠م - ٣١م خرج عدد من العبيد بمدينة المحالب عن طاعة السلطان وتوجهوا إلى بلاد الرعاظت بالقرب من المحالب، واتخذوها قاعدة لشن الهجمات على مدن تهامة وقرها ، فأسرع الساطن الظاهر إلى مدينة المهجيم ليكون قريبا من مسرح الممارك ، ويعمل من هناك على إقرار الأوضاع ، ولكن حملاته لم تقض على هؤلاء المتمردين . ولحسن حظ الساطن اضطر العبيد إلى الاشتباك مع قبائل المدخلة ، وقد ساعدت هذه الاشتباكات على التخلص من العبيد ، بعد أن قتل فيها أعدادا كبيرة منهم (٣) ، ومخربت مدينة المحالب واشعلت فيها النيران (٤) .

ولم تستقر الأحوال في منطقة تهامة ، فقد شنت انتورات بعضها -

(١) الخزرجي : المسجد ص ٥٨٨ ، ابن الديبع : بنية المستفيد ص ٨١ ، يحيى بن الحسين : فاية الأمانى ص ٥٦٧ - ٥٠٨ .

(٢) الخزرجي : المسجد ص ٥٨٨ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ١١٣ أ. ، باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٠٥ .

(٣) يحيى بن الحسين : فاية الأمانى ص ٥٦٨ - ٥٦٩ .

(٤) ابن الديبع : قررة العيون ص ١٠٤ أ .

وتغلبت القبائل على ناحية حررض ، وقام أهل سهام بالخروج عن الطاعة ، وأخربوا وأحرقوا مدن انكدراء والقحمة ونشال في منطقة سهام (١) . كما عاد القرشيون إلى العصيان ، وكثرت اللاتن والاضطرابات (٢) . وتعذر على السلطان الظاهر القضاء على هذه اللاتن إلى أن وافته المنية في شهر رجب سنة ٨٤٢ هـ (٣) / يناير ١٤٣٩ م .

د - عهد الأشرف الرابع اسماعيل بن الظاهر يعقوب :

تولى الأشرف الساطنة بعد وفاة أبيه بإجماع كبار رجال الدولة وأهل الحل والعقد (٤) . وانتهج الأشرف سياسة تقوم على الحزم والتشدد مع القبائل . والثائرة (٥) وتوالت حملاته التي باشرها بنفسه لتقضاء على عصيان هذه القبائل ، إلى حد أنه انبأ بالمجنون ، لاقدامه وشدة بأمه وجراته (٦) . ويذكر

(١) يحيى بن الحسين : فباية الأمانى ص ٥٦٩ .

(٢) الخزرجى : المسجد ص ٥٩٢ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٨٥ .

(٣) الخزرجى : المسجد ص ٥٩٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٥ ب .
بغية المستفيد ص ٨٥ ، بانخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٠٦ ، ابن تغرى .
بردى : المنهل الصافى ج ٢ ص ٥١٩ ، حوادث الدهور ص ٣٧٦ .

(٤) الخزرجى : المسجد ص ٥٩٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٨٥ ،
بانخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٠٩ .

(٥) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ج ٣ ص ٥١٩ ، حوادث الدهور

ص ٣٧٦ .

(٦) الخزرجى : المسجد ص ٥٩٣ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٦ أ .

بغية المستفيد ص ١١٦ ، بانخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٠٩ .

يحيى بن الحسين أنه « كان شابا تغلب عليه رأى الجهل والسفه ، فسفك
 ظلدهما ، وأثار الفتن العظمى » (١) .

ورغم اصطناعه العنف مع الثوار ، فإن هجمات القرشيين والمعاوية
 تزايدت ، ودارت بينه وبينهم مواقع عديدة سنة ٨٤٣ هـ / ١٤٣٩ م ، تبادل
 فيها معهم النصر والهزيمة ، ولكن معظمها انتهى بهزيمة قواته ، وسقوط
 الكثير من أجناده بين قتلى وأسر (٢) ، الأمر الذي نستدل منه على مدى
 ما وصلت إليه دولة بني رسول من ضعف ، وعدم قدرة الحكومة المركزية
 على مواجهة ثورات القبائل التي كانت تستهدف القضاء عليها . وبلغ من
 قوة القبائل أنها استطاعت التغلب على السلطان وجيشه في معركة عنيفة دارت
 بينها في ذي القعدة سنة ٨٤٣ هـ / أبريل ١٤٤٠ م ، ولم يصمد فيها عسكره
 إلا قليلا ، وفر السلطان بنفسه بأعجوبة (٣) في عدد يسير من خاصته (٤) .

وبسبب تخرج موقف السلطان الأشرف أمام الهزائم المتكررة التي منى
 بها ، واستفحال خطر القبائل تظاهر بالرغبة في إزالة أسباب ثورتهم ، ودعاهم

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٨٧ .

(٢) الخزرجي : المسجد ص ٥٩٣ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٦ أ-
 ب ، بغية المستفيد ص ٨٦ - ٨٧ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٧٨ -
 ٥٧٩ ، باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٠٨ .

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٧٩ .

(٤) الخزرجي : المسجد ص ٥٩٣ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٦ ب ،
 بغية المستفيد ص ٨٧ .

إلى ولاية أقالها في قرية بيت المقية شمال زيد في جمادى الأولى سنة ٨٤٥ هـ / سبتمبر ١٤٤١ م بقصد التفاهم معهم ، حضرها جماعة من مشاهير المعازبة ومشايخهم ، فلما جلسوا إلى السباط أمر بضرب أعناقهم ، فقتل منهم أربعة من رجلا ، وتمكن الباقيون من الفرار (١) .

ولم تضع هذه الجريمة الشنعاء حداً لثورات القبائل التي استمرت بغير هوادة دون أن يتمكن من إخمادها أو التخفيف من حدتها (٢) إلى أن توفي في شوال سنة ٨٤٥ هـ (٣) / فبراير ١٤٤٢ م .

٥ - سلطنة المظفر الثاني :

كان المظفر يوسف الثاني بن عمر بن إسماعيل بن العباس الرسولي ، قد لازم منطقة وصاب خوفاً من ابن عمه الأشراف الرابع ، لما توفي أجمع أهل الحل والعقد على إقامة المظفر الثاني سلطاناً على اليمن خلفاً للأشرف ، لما كان يتحلى به من العدل وحسن السيرة (٤) . ولكن الدولة كانت قد قطعت شوطاً

(١) الخزرجي : المسجد ص ٥٩٤ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٤٨٧ .
باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٠٩ ، ص ١١١٣ .
(٢) ابن الديبع : قررة العيون ص ١١٦ ب ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان .
ص ٥٧٩ .

(٣) الخزرجي : المسجد ص ٥٩٤ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ١١٦ ب .
باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٠ .

(٤) الخزرجي : المسجد ص ٥٩٤ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ١١٧ أ .
بغية المستفيد ص ٨٨ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٥٧٩ .

كبيراً نحو الانهيار ، ولهذا فقد شتمت عهده التوضي والاضطراب (١) منذ اليوم
الذي تولى فيه السلطنة . فلم يكفد يعتلى العرش حتى خرج عليه جماعة من جنده
بزعامه قائدهم يشبك الخاصكى ، وأقاموا أحد أبناء رسول وهو محمد بن اسماعيل
ابن عثمان بن الأفضل عباس سلطاناً على البلاد في المحرم ٨٤٦ هـ / مايو ٤٤٢ م .
ولقبوه بالمفضل ، وجعلوا من زيد مقراً له ، فعمل المفضل هذا على اجتذاب
القبائل النائرة - وخاصة الممازية والقرشيين - إلى جانبه ، فاستدعاهم إلى زيد
وأفق فيهم الكثير من الأموال ، ووزع عليهم الخيل والسلاح ، فزادوا
بذلك قوة على قوة (٢) . ولكن السلطان المظفر الثانى أرسل حملة بقيادة بعض
كبار قادته تمكنت من اقتحام مدينة زيد والقبيص على المفضل فى الثامن من
ربيع الآخر سنة ٨٤٦ هـ (٣) / ١٦ أغسطس ١١٤٢ م وإرساله معتقلاً إلى
تعز (٤) ، أما أهل زيد فقد أرسل المظفر إليهم منشوراً بالأمان قرىء فى
جامعها (٥) . وعمل على الانتقام من المماليك المخالفين الذين أقاموا الأفضل
سلطاناً ، فتمكنت قواته من التغلب عليهم وقتل قائدهم يشبك الخاصكى (٦) .

(١) ابن تفرى بردى : حوادث الدهور ص ٣٧٦ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٨٨ ، بامخرمة : قلادة النحر ص ٣

ص ١١١٢ .

(٣) بامخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٠ و ١١١٣ .

(٤) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٨٠ .

(٥) الخزرجى : المسجد ص ٥٩٥ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٧

ب ، بغية المستفيد ص ٨٩ .

(٦) الخزرجى المسجد ص ٥٩٥ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٨٨ ،

بامخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٣ .

وعاقب السلطان من استمر على عصيانه منهم بقطع جامكيتنه ، فأدى ذلك إلى قيامهم بنهب غلال الأراضى المهيطة بزبيد (١) ، واشعالهم نار الفتنة ، وحدوا على البحث عن يتعاون معهم من بنى رسول ، حتى عثروا على أحدهم فى مدينة حليس وهو الناصر أحمد بن الظاهر بن يوسف بن عبد الله بن المجاهد ، فولوه ساطانا بزبيد فى جمادى الآخرة سنة ٨٤٦ هـ / أكتوبر ١٤٤٢ م بحجة أن المظفر لم يعد قادرا على القيام بأعباء الحكم وأنه لا يصلح للسلطنة (٢) .

وزادت سطوة المماليك مرة أخرى ، إذ تجمعوا فى شهر رجب ٨٤٦ حول قصر زبيد وانفقوا على نهب المدينة ، فانتشروا ينهبون ويقتلون ويشيرون الرعب والفرزع فى المدينة دون أن يتجرأ أحد على التصدى لهم (٣) . ومن ناحية أخرى استغل جماعة من أهل زبيد خروج الناصر أحمد بن الظاهر إلى وادى زبيد فى شعبان سنة ٤٦ ر هـ (٤) / ديسمبر ١٤٤٢ م ، وأقدموا على إغلاق أبواب المدينة فيما عدا باب واحد لم يتمكنوا من إغلاقه بسبب قيام أصحاب الناصر بحراسته . وكان هؤلاء للقوم يهدفون من وراء إغلاقهم أبواب المدينة أن يمنعوا الناصر من العودة إلى زبيد تخلصها من الأخطار التى قد تلحقهم

(١) باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٣ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٨٠ .

(٢) الخزرجى : المسجد ص ٥٩٦ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٧٧ ، بغية المستفيد ص ٨٩ ، باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٠ و ١١١٣ .

(٣) الخزرجى : المسجد ص ٥١٦ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٧٧ ، بغية المستفيد ص ٨٩ ، باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٣ .

(٤) باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٠ .

بسببه ، ولكنهم لم يلبثوا أن اضطروا إلى الفرار عندما اكتشفت محاولتهم .
 أما الناصر فقد أسرع بالعودة ، وانتبهت المدينة بأمره نها شتبهها وقتل ،
 أهلها أعداد كبيرة ، حتى « أصبحت زيد حميدا كأن لم تغن بالأمس (١) »
 | وتفرق أهلها » (٢) .

ولم تمدنا المصادر بما قام به السلطان المظفر الثاني ضد تلك الحركات التي
 قام بها المماليك المعززون الذين استبدوا واستفحل خطرهم وعانوا في البلاد
 الفساد . ويبدو أنهم لم يحققوا أهدافهم من إقامة الناصر أحمد بن الظاهر ،
 ولهذا عزلوه في ربيع الأول سنة ٨٤٧هـ / يولية ١٤٤٤ م ، وأخرجوه من
 زيد (٢) .

و - المسعود صلاح الدين أبو القاسم بن الأشرف وسقوط دولة بني وسوق :
 لم يخلع المماليك السلطان الناصر أحمد بهدف هزمهم على العودة لطاعة
 السلطان المظفر الثاني وإنما لقيموا سلطانا آخر ينافسون به المظفر ، فأقاموا
 المسعود صلاح الدين أبو القاسم بن الأشرف سلطانا في زيد في ربيع الأول
 ٨٤٧هـ / يولية ١٤٤٣ م . وكان المسعود - وقت اختياره - صغيرا لم يبلغ
 الثالثة عشر من عمره ، لهذا كان الواجبة التي عمل المماليك من ورائها ضد

(١) باخرمة : نفس المصدر والجزء ص ١١١٠ و ١١١٤ .

(٢) الخزرجي : المسجد ص ٥٩٦ ، ابن الديبع : قرة العميون ص ١١٨ أ -
 يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٥٨٠ .

(٣) الخزرجي : المسجد ص ٥٩٦ ، ابن الديبع : بقية المستفيد ص ٩٠ -
 باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٠ .

المظفر ، وبدأوا تشاطهم - تحت رايته - بالتوجه إلى عدن واستولوا عليها في ذى القعدة سنة ٨٤٧ هـ^(١) / فبراير ١٤٤٤ م . ثم توجهوا إلى لحج وكان فيها بنو طاهر ، الذين كانوا يدورم بطمعون في الاستبداد بملك اليمن . وكان يهيمهم زيادة ضعف بنو رسول ، لينسبل عليهم القضاء على دولتهم . ولهذا لم يقاوم بنو طاهر المسعود وقواته وتركوا لهم لحج فدخلها المسعود وأتباعه سنة ٨٤٨ هـ /^(٢) ١٤٤٤ م .

ولم يلبث المسعود أن زحف بقواته إلى تعز سنة ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م ودخلها ، وكان المظفر متحصناً بقلعتها فأحكم المسعود الحصار عليه حتى يش من النجاة ، فاستنجد بنو به بنو طاهر ، فجاءه الشيخ طاهر بن طاهر على رأس حملة تمكنت من إجبار المسعود على فك الحصار ومفادرة تعز ، وذلك في رمضان سنة ٨٥٢ هـ^(٣) / أكتوبر ١٤٤٨ م والتوجه إلى عدن^(٤) . أما المظفر فقد أعد حملة قادتها وبصنعبه بنو طاهر إلى لحج، ودارت بينهم وبين المسعود وقواته معركة في ذى القعدة ٨٥٢ هـ / يناير ١٤٤٩ م ، قتل فيها عدد من أتباع المسعود^(٥) . ولكن يبدو أن المسعود استطاع بعد ذلك إرغام المظفر على

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٨ أ ، باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٤ .

(٢) الخزرجي : المسجد ص ٥٩٧ ، ابن الديبع : بنية المستفيد ص ٩٠ .

(٣) باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٤ .

(٤) الخزرجي : المسجد ص ٥٩٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٨ ، بنية المستفيد ص ٩١ .

(٥) باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٥ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان

التخلي عن السلطنة ، ذلك أن المصادر تذكر أن المسعود تسلم حصن تعز في سنة ٨٨٤ هـ (١) / ١٤٥٠ م . ولم يرد ذكر للمظفر في المصادر بعد ذلك إلى نهاية الدولة .

ويبدو أن المماليك الساخطين لم يرق لهم انفراد المسعود بالسلطنة ، لذلك أقاموا سلطانا آخر هو المؤيد حسين بن الملك الظاهر بن الأشرف ، وذلك في شعبان سنة ٨٤٥ هـ (٢) . فلما علم المسعود بتولية المؤيد توجه على رأس حملة إلى زيد في رمضان ٨٥٥ هـ / أكتوبر ١٤٥١ م ، وأقام الحصار عليها ، ولكنه باضطر - عندما أحس بالحياة في صفوف قواته - إلى العودة إلى تعز (٣) ومنها إلى عدن (٤) . أما بنو طاهر فقد نشطوا لتنفيذ أطماعهم في الاستيلاء على السلطنة ، وتقدموا في المحرم سنة ٨٤٨ هـ / يناير ١٤٥٤ م إلى عدن ، حيث دارت بينهم وبين المسعود عدة معارك خارج المدينة أسفرت عن انتصار بني طاهر في بعضها وهزيمتهم في البعض الآخر ، وانتهى الأمر بدهور أحوال المسعود ، ولم يعد مسموع الكلمة ، وأصبح «صورة» له الخطبة

(١) الخزرجي : المسجد ص ٥٩٨ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ١١٨ ب ، بغية المستفيد ص ٩٢ .

(٢) الخزرجي : المسجد ص ٥٩٨ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٩٢ ، باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٥ .

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٥٨٤ .

(٤) الخزرجي : المسجد ص ٥٩٨ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ١١٨ ب ، ١١٩ أ ، بغية المستفيد ص ٩٢ ، باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٢

بوالسكة لا غير،^(١) في عدن ، مما اضطره إلى التخلي عن السلطنة في السادس من جمادى الآخرة سنة ٨٥٨ هـ (٢) / ٢ يونيو ١٤٥٤ م .

أما السلطان المؤيد حسين فإنه ما أن علم بتنازل المسعود وخروجه من عدن ، حتى طمع في الاستيلاء عليها ، ونجح في ذلك ودخلها في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ٨٥٨ هـ (٣) / ٢١ يونيو ١٤٥٤ م فتوجه بنو طاهر إلى عدن في جيش كبير وتمكنوا من الاستيلاء عليها في الثالث والعشرين من رجب وأمنوا المؤيد وحددوا إقامته ، ثم سمحوا له بالتوجه إلى زيد ومنها إلى مكة (٤) .

وهكذا قويت شوكة بني طاهر واستولوا على البلاد ، واستحوذوا على مقاليد الأمور وأقاموا دولتهم على أنقاض دولة بني رسول التي عمرت ما يقرب من مائتين وثلاثين عاما .

(١) باخرمة : نفس المصدر والجزء ص ١١١٥ .

(٢) الخزرجي : المسجد ص ٥٩٨ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٨ ب ، ١١٩ أ ، بنية المستفيد ص ٩٢ ، باخرمة : قلادة النجر ج ص ١١١٥ .

(٣) باخرمة : نفس المصدر والجزء ص ١١١٥ - ١١١٦ .

(٤) باخرمة : نفس المصدر والجزء ص ١١١٢ .

الفصل الثالث

دولة بني طاهر

أولاً :- الأوضاع السياسية عند قيام دولة بني طاهر :-
١ - نسب بني طاهر :-

تعتبر دولة بني طاهر - في حقيقتها - امتداداً لدولة بني رسول ، ذلك أن الطاهريين استغلوا كونهم نواباً للرسوليين ، وانتهزوا حالة الضعف والانقسام التي مرت بها للدولة الرسولية في منتصف القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ونجحوا في تأسيس دولتهم سنة ٨٥٨ / ١٤٥٤ م .

وينسب بنو طاهر إلى الفرع الأموي من قريش (١) ، ويقال أنهم من نسل الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٢) . وقد نسبهم ابن تفرى بردى إلى قبائل القرشية في اليمن (٣) . ويعتبر موضوع النسب بصفة عامة من أهم

(١) باخترمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٢١ ، ١١٢٧ ، الشبلي اليماني :
«السنة الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر - مخطوط رقم ٢٠٣٣ -
تاريخ تيمور بدار الكتب المصرية - ص ١٩٩ ، يحيى بن الحسين : غاية
الأماني ص ٥٨٦ ، المرشي : بلوغ المرام ص ٤٦ .
(٢) باخترمة : نفس المصدر والمنفحات ، الشبلي اليماني : نفس المصدر
والمنفحة .

(٣) ابن تفرى بردى : حوادث الدهور ص ٣٧٣ و ٣٧٦ .

ما ركز على إثباته بعض حكام اليمن، بهدف إضفاء الصفة الشرعية على حكمهم. ومن اهتم بذلك الامم إسماعيل بن طغتكين - أحد سلاطين الأيوبيين في اليمن (١) - وتتمه في ذلك بنو رسول (٢)، وهو أمر لم يثبت صحته .

أما عن نسب بني طاهر إلى الأمويين ، ولحاقهم بأعقاب عمر بن عبد العزيز ، فأمر لم تثبته المصادر العربية ، بل يشير لدينا الشك والارتياب ؛ لعاملين : الأول : ان العباسيين عملوا على استئصال الأمويين ، وبصفة خاصة في البلاد التي خضعت لسيطرتهم ، وكانت بلاد اليمن في جملة مناطق نفوذهم ، وكان يتولاها نواب من قبلهم حرصوا - كغيرهم من نواب العباسيين في الولايات الأخرى - على التخلص من بقايا البيت الأموي .

أما العامل الثاني : فإن المصادر التي أوردت النسب للطاهري لم تلق أى ضوء على كيفية وصولهم إلى اليمن ، وتاريخ هذا الحدث ، أو ذكر شيء من أخبارهم قبل القرن التاسع الهجري .

أما رواية ابن تغري بردى في نسبة بني طاهر إلى قبائل القرشية ، فغير قائمة على أى أساس لعدم أسباب منها ، أن بني طاهر كانوا يسكنون مدينتي المقرانة وجبن بمخلاف رداع - الواقع إلى الجنوب الشرقي من ذمار - في حين أن قبائل القرشية كانت قد استقرت بأسفل وادي رمح (٣) بمنطقة تهامة إلى الشمال من زيد ، وإليهم تنسب قرية القرشية في تلك المنطقة (٤) . وهكذا

(١) انظر ، محمد عبد العال أحمد: دولة بني أيوب في اليمن، النصل الخامس

(٢) انظر ما سبق ص ٣٩ وما بعدها .

(٣) الشرجي : طبقات الخواص - طبع مصر سنة ١٣٢١هـ - ص ١٧٨

(٤) الخزرجي : العقد الناخر الحسن ج ٢ ص ١٥٠ أ .

يتضح اختلاف مضارب كل منها في الوقت الذي استقرت فيه القبائل في مناطق محددة . يضاف إلى ذلك أن قبائل القرشية كانت من أكثر قبائل البين اضطراباً أيام بني رسول ، ومن المستبعد أن يعدل بنو رسول إلى الطاهريين أو يعتمدون عليهم إذا ما كانوا فعلاً من قبائل القرشية . ثم أن ثورات القرشيين استمرت في عهد بني طاهر ، وبذل سلاطين تلك الدولة جهوداً كبيرة لإخمادها ، فلو أن بني طاهر كانوا ينتسبون حقيقة إلى القرشية لما أقدم هؤلاء على الثورة عليهم .

وهكذا يتضح أن انتساب بني طاهر إلى بني أمية أو إلى قبائل القرشية اليمنية لا يقوم على أساس . وأياً ما كان الأمر ، فإن بني طاهر يمتنون ، اشتغالوا بزراعة الفوة (١) واهتموا بالتجارة واحترفوها (٢) .

٢ - ظرير بني طاهر ودورهم في انصرافات بين سلاطين بني رسول :-

لم يرد ذكر بني طاهر في المصادر العربية إلا ابتداء من القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، أي عند بدء دخولهم في خدمة بني رسول . وبالتدريج أصابوا بعض الشهرة إلى أن أصبحوا أمراء سلاطين بني رسول على التجارة ووكلاء عنهم في عدن (٣) ، ونواباً لهم في مخلاف رداع وهي

(١) الفوة نوع من النباتات يستخدم في الصباغة (ابن تغري بردي : حوادث

الدهور ص ٣٧٠) .

(٢) باخرمة : قلادة النجر ج٢ ص ١١١١ ، تاريخ نجر عدن ج١ ص ١٢٠ .

(٣) الخزرجي : المسجد ص ٥٨٥ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٠ ب

بغية المستفيد ص ٧٧٠ . باخرمة : قلادة النجر ج٢ ص ١١٥٨ ، الجرافى :

المنتصف ص ٨٢ ، الواسع : تاريخ اليمن ص ١٨٨ .

منطقة هامة ، إذ كانت تعبر خط دفاع أموي ضد التوسع الزيدي جنوبى ذمار ، فلقد تعرضت تلك المنطقة سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م لاغارات الامام الزيدى على ابن صلاح الدين ، وذلك منذ بداية سلطنة الناصر أحمد بن اسماعيل بن العباس الرسول . ونظراً لضعف دولة بنى رسول ، لم يتمكن نائبهم الشيخ على بن طاهر من الصمود فى وجه الامام ، ووافق على التنازل له كرها عن إحدى القلاع الهامة فى منطقة رداح ، ولكن ما أن قفل الامام عائداً إلى ذمار ، حتى نكث بنو طاهر عهدهم معه ، فعاد الامام إليهم واتبع معهم سياسة تقوم على العنف ، فأخذ يحرق بلادهم ويدمر ممراتهم ، ولم ينصرف عنها إلا بعد أن وفد بنو طاهر عليه واعتذروا له عما بدر منهم (١) .

وكان الشيخ معوضة (٢) بن تاج الدين - جد بنى طاهر - معاصراً للسلطان الناصر أحمد الرسول ، وتشير المصادر إلى اتصال بنى طاهر بسلاطين بنى رسول وتعاونهم معهم وارتباطهم بهم ، فى سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م وفد الشيخ طاهر بن معوضة على السلطان الناصر أحمد الرسول ، فأكرمه (٣) وأنعم

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٥٨ - ٥٥٩ .

(٢) هو معوضة بن تاج الدين بن محمد بن سعيد بن عامر ، ويرفع بعض المؤرخين نسبه إلى وهب بن منبه بن حرب القرشى الأموى . (الكبرى : اللطائف السنية ص ٢٢٨ ، الجرافى : المتقطف ص ٨٢) . وكانت وفاته فى جمادى الأولى سنة ٨١٢ هـ / أكتوبر ١٤٠٩ م (الجزرجى : المسجد ص ٥٨٤ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٠ ب ، بغية المستفيد ص ٧٧ ، باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٥٧) .

(٣) يحيى بن الحسين : غايه الأمانى ص ٥٦٣ .

عليه وعلى من جاء بصحبته . والظاهر أن الساطان استوثق من ولاء طاهر وبنيه له ، فاعتمد عليهم في إقرار الأوضاع بمدينة القرانة وما إليها من خلاف رداع ، وأسند إليهم مهمة التصدي للقوى الزيدية التي تطمع في التوسع جنوبي دمار . فلما أثار الامام الزيدي علي بن صلاح الدين مرة أخرى علي مدينة المقرانة سنة ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م خشي بنو طاهر الهزيمة وسارعوا إلي الاستنجاد بالسلطان الناصر أحمد ، وتمكنوا - بمعاونته - من التصدي للامام وإيقاع الهزيمة بقواته (١) ، ومطاردة قلوله إلى وادي خبان الواقع إلى الشمال الشرقي من مدينة لب (٢) .

ويستمر ولاء بني طاهر لبني رسول ، ويستمر أيضا توافدهم على تعز حاصمة الرسولين ، ففي سنة ٨٣٥ هـ / ١٤٣١ - ٢٢ م مثل الشيخ علي بن طاهر بين يدي السلطان الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل الرسولي ، فحظي عنده بمثل ما كان يحظى به أبوه من الاكرام والانهام . وتوطدت الصلات بينها بزواج هذا السلطان من ابنة الشيخ طاهر بن معوضة (٣) ، ومن ثم أخذ نفوذ بني طاهر في الازدياد وبرز دورهم ، وأسهموا بنصيب كبير في الأحداث التي وقعت في أواخر حكم الرسولين .

ففي سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م تولى المظفر يوسف بن المنصور عمر بن الأشرف

(١) الكبس : اللطائف السنية ص ٢٥٩ .

(٢) الحزرجي : المسجد ص ٥٨٥ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٠ بنية المستفيد ص ٧٧ ، باخرمة : قلادة النجوم ص ٣ ص ١١٥٨ .

(٣) الحزرجي : المسجد ص ٥٨٩ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٣ بنية المستفيد ص ٨٠ .

الرسولي السلطنة ، ولكن لم يلبث بعض من بايعه من المماليك أن خرجوا عن طاعته وتآمروا عليه ، وأقاموا في المحرم سنة ٨١٦ هـ / مايو ١٤٤٢ م سلطانا آخر في زيد لمنافسته ، هو المفضل بن أسد الدين محمد بن إسماعيل بن عثمان ابن الأفضل الرسولي (١) ، وعندئذ أصدر السلطان المظفر أوامره إلى الشيخ علي ابن طاهر بالتصدي لهذه الحركة ، فتوجه على رأس قوة كثيفة إلى زيد ، وأرغم الثوار على العودة إلى الطاعة بل واضطروهم إلى اعتقال ساطانهم المفضل بن أسد الدين وتسليمه إلى الساطان المظفر (٢) تجنبا لما قد يصيرون من عقاب السلطان الشرعي .

وما كاد المماليك المتمردون يستعيدون ثقة المظفر بهم ، حتى قاموا بتدبير مؤامرة جديدة ، ولم يمض وقت طويل حتى عادوا إلى العصيان وأقاموا في جمادى الآخرة سنة ٨٤٦ هـ / (٣) أكتوبر ١٤٤٢ م سلطانا آخر هو أحمد بن الظاهر بن يوسف بن عبد الله الرسولي ، ولقبوه بالناصر . ويبدو أنهم تهجلوا في تنصيبه سلطانا ، ذلك أنهم خلعوه في ربيع الأول سنة ٨٧٧ هـ / يولييه ١٤٤٣ م ، وأقاموا مكانه في نفس الشهر المسعود صلاح الدين بن الأشرف بن الناصر الرسولي ، فبدأ بالاستيلاء على عدن في ذى القعدة سنة .

(١) الخزرجي : المسجد ص ٥١٥ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٨٨ ، الكبسي : اللطائف ص ٢١١ .

(١) ابن الديبع : قررة العيون ص ١١٧ ، باخرمة : قلاده الحجر ص ٣٠٠ ص ١١١٠ و ١١١٣ .

(٢) الخ-زرجي : المسجد ص ٥١٦ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ١١٧ ب ، بغية المستفيد ص ٨٩ .

٨٤٧ هـ / فبراير ١٤٤٤ م . واضطر السلطان المظفر إلى الاستعانة ببني طاهر لوضع حد لهذه الحركة ، وأرسلهم في جموع أتباعهم المرابطة في الحج ومراقبة تطورات الأحداث عن كثب ، غير أن بني طاهر وإن كانوا يظهرون الولاء للسلطان المظفر ، إلا أنهم كانوا يخططون بدورهم للاستيلاء على ملك بني رسول مستغلين الظروف الصعبة التي كانت تلك الدولة تمر بها آنذاك ، من الانقسام والتفتت وعدم ولاء الجند ، مما أدى إلى ضعف هؤلاء السلاطين وانكماش ظلهم من مناطق كثيرة ، وقيام الطامعين والمتنافسين على عرش السلطنة (١) .

أما المسعود فقد رأى في وجود قوات المظفر بقيادة بني طاهر في الحج ، خطرا يهدده في عدن ولهذا قرر مواجهتهم بنفسه ، فخرج على رأس حملة في ١٤٤٨ هـ / ١٤٤٤ م ، وتمكن من انتزاع الحج منهم (٢) . وهكذا بدأت كفة المسعود ترجح ، وطمع في التخلص من السلطان المظفر ، فزحف إلى تعز في سنة ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م وحاصره في قلعتها ، فلما طال عليه الحصار أستجده ببني طاهر ، فقدموا لنجدته (٣) وأرغموا المسعود على فك الحصار عنه في سنة ٨٠٢ هـ / ١٤٤٨ م وتعقبوا فلوله وطاردوه إلى عدن (٤) ، ودارت بين الجانيين في ظاهر تلك المدينة عدة معارك لم تسفر عن نتيجة حاسمة . فلما فشل

(١) با مخزومة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٤ ، الكبسى : اللطائف السفية

ص ٢١٢ .

(٢) با مخزومة : نفس المصدر والصفحة .

(٣) با مخزومة . نفس المصدر والصفحة ، الكبسى : نفس المرجع والصفحة

(٤) با مخزومة : نفس المصدر والجزء ص ١١١٥ .

جنو طاهر جابدين إلى قاعدتهم حاول المسعود من جديد الاستيلاء على تعز ،
ونجحت محاولته أخيرا ، وتمكن من الاستيلاء على المدينة وقلعته في سنة ١٤٨٤هـ /
١٤٥٠ م بعد أن فر للظفر منها (١) .

وهكذا أثبت المسعود قدرته في السيطرة الجزئية على بعض المناطق ،
وركز قواه على للتخلص من السلطان المظفر ، تمهيدا للاتفراد بملك بني
رسول ، متناسيا بذلك أن الممالك الذين أقاموه كانوا يستهدفون من وراء
توليته مجرد استمرار التنافس بين بني رسول على عرش السلطنة ، وعدم
إتاحة الفرصة لاتفراد أحدهم بالملك ، وهو أمر استغله بنو طاهر لتحقيق
مخططاتهم في الاستيلاء على البلاد وإقامة دولة باسمهم .

٣ - سقوط دولة بني رسول :

أصبح بمالك بني رسول يشكلون أكثر العناصر خطورة على الدولة ،
فقد قويت شوكتهم وأصبحوا يتحكمون في عزل السلاطين وتنصيبهم ، وكان
لا يهمهم سوى استمرار سيطرتهم والقضاء على الجهود الرامية لإقرار
الأوضاع في اليمن . فلما أحسوا بمقدرة المسعود واحتمل نجاحه في السيطرة
الكاملة على البلاد ، أقاموا في شعبان سنة ٨٥٥هـ / سبتمبر ١٤٥١م سلطانا ثالثا
هو المؤيد حسين بن الظاهر الرسولي . فأدى ذلك إلى زيادة التنافس بين
السلطين الثلاثة على العرش ، فبادر المسعود للتخلص من هذا المنافس الجديد
قبل أن يستفحل أمره ، ولكنه اضطر إلى العودة إلى عدن عندما أحس بعدم
ولاء عسكريه له (٢) ، فلما أماد تنظيم قواته تحول مرة أخرى إلى مواجهة

(١) باخرمة : نفس المصدر والصفحة ، الكبسى : نفس المرجع والصفحة .

(٢) باخرمة : نفس المصدر والصفحة .

مقتسكز المظفر ممثلاً في بني طاهر (١) .

وكان بنو طاهر قد تميزوا بدورهم للاستيلاء على عدن ، فتصدى المسعود لهم وبادرم بالقتال في الحج في أوائل سنة ٥٨٥٨ / ١٤٥٤م ، ولكن المعركة لم تسفر عن أى نتيجة حاسمة ، واضطر المسعود للعودة إلى عدن بسبب الاضطرابات التي نشبت بين فرعى قبيلة يافع من آل أحمد وآل كلد المقيمين فيها ، فقد اختل صمام الأمن بسبب ذلك ، وتعرضت بيوت التجار والأغراب في عدن للسلب والنهب ، وكان آل كلد يؤلفون السواد الأعظم من سكان المدينة ويسيطرون عليها من الداخل ، فلما أحس آل أحمد بسطوة آل كلد وازدياد خطرهم ، لجأوا بحكم سيطرتهم على حصون المدينة وأسوارها إلى الانتقام من بني كلد ، وذلك بأن استغلوا فرصة قيام بني طاهر بعمار عدن ، واتصلوا بهم وتحالفوا معهم وتمهدوا لهم بتذليل مهمة الاستيلاء عليها ، واشترطوا عليهم مقابل ذلك ضمان الاحتفاظ بمكانتهم والعمل على تخليصهم من أعدائهم آل كلد وإخراجهم من عدن . فلما استولى بنو طاهر - بمعاونة آل أحمد - على عدن في رجب ٥٨٥٨ (٢) / يولية ١٤٥٤م قام الطاهريون بتأمين أهلها ، وأمهلوا آل كلد ثلاثة أيام ليغادروا المدينة .

(١) الخزر جنى : المسجد من ٥٩٧ - ٥٩٨ ، ابن الديبع : قرّة العيون .

ص ١١٨ ب - ١١٩ أ ، بقية المستفيد ص ٩١ - ٩٢ .

(٢) ابن الديبع : قرّة العيون ص ١١٩ ، بقية المستفيد ص ٩٣ ، باخرنة .

قلادة النحر ج ٢ ص ١١٢١ ، الشبله البني : السنة الباهر ص ١٩٩ ، الكبسى .

اللطائف السنية ص ٢٢١ .

وأبا حوادم من يبقى منهم بعد انقضائها ، فتنفرق آل كاد وتوجه معظمهم إلى
للشعر ولجأ الباقر إلى زبلع وبربرة وغيرها (١) .

وكان المسعود قد وفق في الخروج من عدن قبل أن يحتلها بنو طاهر ،
وانتهى به الأمر إلى خلع نفسه من السلطنة (٢) . وكان السلطان المؤيد
حسين بن الظاهر يحيى قد تمكن من دخول عدن أثناء محاصرة بنو طاهر
لها ، وبعد خروج المسعود منها ، وظل مقبلاً بها حتى استولى بنو طاهر عليها ،
فأحسنوا إليه ورتبوا له راتباً ، وحددوا إقامته ، ثم سمحوا له بمغادرة عدن
بعد أن اشتروا منه ما معه من خيل وسلاح ومناجى (٣) . فلما خرج المؤيد
قصد زبيد ، وأصبح وليس له من أمر السلطنة إلا اسمها ، في حين استبد
الماليك بأمر السلطنة .

وكان لسيطرة هؤلاء الماليك على زيد أكبر الأثر في الإضرار بأهلها
واستئثارهم عليهم ، وحتى يمكن التخلص من خطرهم قام بعض أعيان المدينة

(١) باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٦ .

(٢) لا يخرج المسعود من عدن استجار بأحد العمالحين وأقام عنده ، ثم
جاءه بعض الماليك وطلبوا منه التوجه معهم إلى زيد ، فلما استوثق منهم
دخل المدينة معهم في رمضان ٨٨٥٨ ، ولكنه لم يبق بها طويلاً ، فقد غادرها
في آخر شوال ، وخلع نفسه ثم رحل إلى مكة (ابن الديبع : قررة العيون
ص ١١٩ ب ، بغية المستفيد ص ٩٣ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص
٥٨٥ ، والكبسي : اللطائف السنية ص ٢٢١) .

(٣) ابن الديبع : قررة العيون ص ١١٩ أ ، بغية المستفيد ص ٩٣ ، باخرمة :
قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٦ ، الكبسي : اللطائف السنية ص ٢٢١ .

بمكاتبه المجاهد علي بن طاهر في عدن وإعلان تأييدهم وولائهم له ، وقد كان ذلك مبررا اصطفاً ابن طاهر للتحايل على الاستيلاء على زيد بغير حرب ، واتفق مع الأمير الدين زين جياش بن سليمان السنبلي على الخروج من عدن على هيئة المطرود منها ، حتى يسهل عليه الدخول إلى زيد دون إثارة شكوك المالِك فيه ، باعتباره من أعداء بني طاهر ومطاريدهم فتوجه الأمير جياش أولاً إلى مدينة موزع ^(١) ، وشرع في مكاتبه مالِك زيد ، وعرض خدماته عليهم للتعاون ضد الطاهريين ، فاستمر رأى غالبيتهم على السماح له بدخول زيد ، وتظاهر جياش لهم بالولاء وحسن المشورة حتى آمنوا له ، ووثقوا فيه ، ولكنه كان يضمّر في قرارة نفسه تمزيق شمّلتهم والوقية بينهم ، ونجح في استمالة عدد منهم إلى بني طاهر ^(٢) ، وعندئذ أرسل إلى المجاهد علي ابن طاهر يستحثه على الحضور فلم يتردد في ذلك ، ولما عمل على تخادعة مالِك زيد ، وتوجه في شوال سنة ٨٥٩هـ / سبتمبر ١٤٥٥م إلى تعز ، وهناك أدرّكه حشد كبير من القرشيين للانضمام إليه والدخول في خدمته ، فأكرمهم ووعده بمكافأتهم وواصل تقدمه بهم إلى زيد . فلما علم مالِكها بمقدمه ، سقط في أيديهم وفر عدد كبير منهم من المدينة ^(٣) . وكان الأمير جياش قد أعلن

(١) تقع بلدة موزع على مسافة ١٥ ميلاً تقريباً إلى الشرق من ميناء المخا .
(EL-Khazrejiyy : The Pearl Strings, vol. III, 3, p, 147.
Note, 952.)

(٢) يحيى بن الحسين غاية الأمانى ص ٥٨٦ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٩ ، بغية المستفيد ص ٩٤ - ٩٥ ،
الكبسي : اللطائف ص ٢٢٢ .

أن المدينة قد آلت للبك المجاهد الطاهري ، فكان لتصرفه هذا أكبر الأثر في إثارة ما تبقى من المالك وزعمائهم الذين توجهوا إليه واستنكروا عليه ذلك أولئك تشدد معهم ، وقام أهوانه بقتل أحد زعمائهم وإلقاء رأسه إلى المالك المتجمهرين حول الدار ، واعتقل عددا آخر منهم ، ففرق الباقون وآثروا النجاة بأنفسهم خارج المدينة (١) ، وتم ذلك يوم الجمعة ثاني أيام عيد الأضحى الموافق ١١ ذى الحجة سنة ٥٨٥٩ / ٢٣ نوفمبر ١٤٥٥ م ، فأصبحت الخطبة على منابر زيد في ذلك اليوم للسلطان الظافر طاهر الثاني بن طاهر (٢) في حين كانت خطبة العيد في اليوم السابق للسلطان المؤيد (٣) . واستمرت الخطبة للظافر طاهر الثاني رغم كونه أصغر من أخيه المجاهد علي (٤) ، ودانقت له العربان وذلت له الأقران ، ودانت له العباد وأمنت به البلاد ، واتقمت به المفسدون ، (٥) .

وهكذا استطاع بنو طاهر إقامة دولتهم على أقاص دولة بني رسول ، وكان لحالة الضعف والتفكك التي كانت تمر بها دولة بني رسول أثرها في

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٥٨٧ .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٠ ب ، بنية المستفيد ص ٩٥ - ٩٦ ، باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٧ ، وص ١١١٩ ، الكبسي : اللطائف ص ٥٨٨ .

(٣) تمكن المؤيد من مغادرة اليمن إلى مكة ومنها توجه إلى مصر حيث أكرمه السلطان إبنال ورتب له مرتبا يقوم بكمايته في مكة ، فرحل إليها وأقام بها بقية عمره . (باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٢) .

(٤) يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٥٨٨ .

(٥) ابن الديبع : بنية المستفيد ص ٩٦ ، باخرمة : قس المصدر ص ١١١٧ -

سقوط تلك الدولة التي استمر حكمها مئتين وثلاثين عاماً، تضافرت قرب نهايتها الأسباب، التي عجلت بانتهيارها، فمن صراع خول عرش السلطنة وتمرد القبائل على الدولة، وخروج مهاليك بنى رسول عن الطاعة، ومحكمهم في إقامة السلاطين وعزلهم، وتشجيعهم التنافس على العرش. هذا بالإضافة إلى القوى الزيدية المتربصة للانقضاض على الحكم القائم، وقد أتاح لها هذا الاضطراب فرصة النجاح في السيطرة على المنطقة الممتدة من زمار وصنعاء جنوباً إلى صعدة ومايلها من جبال اليمن شمالاً. وكان في الامكان أن تقدم الامامة الزيدية ببطء فتوزعها على بلاد اليمن وإقامة حكم زيدى كامل فيها، لولا تفرق كلمتهم ونشوب الصراخ بين زعمائهم حول الوصول للامامة والانفراد بها .

وهكذا فقد استنفذ اشتغال بنى رسول في القضاء على حركات التمرد والعصيان، ومواجهة المناوئين لسلطانهم من بنى قرايهم كل طاقتهم المادية والمعنوية، والتهم كثيراً من الأموال للاتفاق على تلك الحروب الداخلية، وكانت الموارد الضعيفة للدولة، وخاصة ما يتعلق بهائد ميناء عدن من الرسوم الجبركية تسمح بالاتفاق على تلك الحملات المتوالية، إلا أن ازدهار جدة نتيجة وصول السفن التجارية إليها رأساً، لم يلبث أن أضعف من شأن ميناء عدن لتحويل السفن عن الرسو فيها، وأطاح بالمورد الرئيسي لدخل بنى رسول، فكان ضياعه سبباً في زيادة ضعفهم وعجزهم عن الاتفاق على الجند الذين فقدوا الولاء للدولة. واستغل بنو طاهر هذا العجز أحسن استغلال، وتمكنوا في نهاية الأمر من الاستقلال بملك اليمن .

ثانياً : قيام الدولة الطاهرية :

١ - سلطنة الظاهر عامر لاول واخيه للمجاهد على بن طاهر :
يرجع الفضل في قيام دولة بنى طاهر إلى الجهود الكبيرة التي بذلها

الأخوان للظافر حاصر الأول والمجاهد علي بن طاهر ، فقد قاما بقيادة أتباعها وتوليا عملية الاستيلاء على ملك بني رسول ، وأسسوا دولتهما على أنقاضها ، وقاما بأمر السلطنة شريكين في الحكم . إلا أن الظافر عامر استأثر بالخطبة والسكة دون أخيه رغم كونه الأصغر ، ويبدو أن ذلك قد تم برضاء أخيه الأكبر المجاهد علي . وقد ظل الأمر على ذلك إلى سنة ٥٨٦هـ (١٤٤٩/١ - م عندما أعلنت الخطبة للمجاهد علي وضربت السكة باسمه^(٢) في جميع أنحاء الدولة برضاء أخيه الأصغر الظافر عامر أيضا^(٣) .

ومن الملاحظ أن المصادر لم توضح أسباب اشتراك الأخوين في السلطنة ، وانفراد الظافر عامر بأمر الخطبة والسكة في بداية الدولة ، أو سبب تحولها للمجاهد منذ عام ٥٨٦هـ . وأغلب الظن أن الهدف من اشتراكها في السلطنة يرجع إلى حرص بني طاهر على تجنب وقوع صراعات حول عرش السلطنة بين الأخوين ، إذ أن هذا التنافس كان من أهم الأسباب في انهيار دولة أسلافهم . ونه. قد أن إعلان الخطبة والسكة للظافر عامر رغم كونه الأصغر قد ترجع إلى الدور الكبير الذي قام به في تأسيس دولة بني طاهر ، أو لأنه كان صاحب فكرة الاستيلاء على ملك بني رسول . وأيا ما كان الأمر فإن اشتراكها في الحكم كان ضرورة حتمتها الظروف لتجنب المنافسات على عرش السلطنة وضمان تدعيم أركان الدولة الناشئة . ومن الأدلة التي تثبت حرصها

(١) باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٢١ .

(٢) الكبيسي : اللطائف السنية ص ٢٢٣ .

(٣) ابن الديبع : قررة العيون ص ١٢٢ ، بغية المستفيد ص ١٠٠ .

على ذلك، الخلاف الذي وقع بين الأخوين الشريكين في سنة ٥٨٦٨/ ١٤٦٣ م بسبب اضطهاد الظافر عامر للشريف علي بن سفيان والى زيد، وعزله وتولية أخيه عبد الملك بن طاهر مكانه ، دون التحقق من صحة مانسبه أهل زيد لآليه (١). أو في قول آخر بسبب قيام المجاهد علي بعزل أخيه عبد الملك عن ولاية زيد وإعادة الشريف علي بن سفيان إليها ، ولجوء عبد الملك إلى أخيه الظافر عامر شاكيا من أخيه المجاهد ، فأثار ذلك غضب المجاهد واستيائه فأبدى زهده في السلطنة رغم أنه صاحب الخطبة والسكة ، واعتزم ترك البلاد (٢). وتوجه إلى الساحل ليستقبل مراكبا إلى بلاد الحجاز ، ولم يعدل عن رأيه إلا بعد أن ألح عليه أعيان مدينة زيد وفقهاؤها بالبقاء ، كما سارع أخوه الظافر عامر بالتوجه إليه وطيب خاطره واسترضاه، حتى عدل عن قراره، وهكذا يتضح مدى حرص المجاهد علي على تعاضد المنافسات والصراعات، فرغم كونه الأكبر سنا وصاحب الخطبة والسكة ، إلا أنه آثر مغادرة البلاد وعدم الدخول في صراعات أسرية حرصا على وحدة كيان الدولة وضمان استمرار تماسكها .

٣- الاحوال الداخلية عند قيام دولة بني طاهر :

ورث بنو طاهر بلادا تسودها الفوضى والاضطرابات وتمزق القطن الداخلية والانتقاسات الدائمة فالامامة الزيدية ، تمكنت من استغلال ظروف الضعف

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٣ أ ، بغية المستفيد ص ١٠٣ - ١٠٤ ،

بناخرمة : قلادة النحر ج ٢ ص ١١٢٨ .

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٩٦ .

الحروب ضد الصليبيين والمنازعات بين أفراد الأسرة الحاكمة ، ثم توالى على حكمها ملوك ضعاف ، لا يملكون من رسوم الملك سوى ذكر أسمائهم في الخطبة بعد الخليفة العباسي ، ونقش الاسكة ، والركوب بالمظلة في المناسبات . أما الأمر والنهي والتدبير فقد استأثر به عبيدهم الذين قاموا بأمر الوزارة لهم^(١) إلى أن سقطت دولتهم سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م .

أما المرحلة الثالثة ، فتبدأ بظهور على بن مهدي وتأسيس دولته^(٢) هلى

= بدار الكتب المصرية رقم ١٢٤٧ تاريخ ص ٥٢ ، الشرفى ، احمد بن محمد بن صلاح : اللآلى المضية فى أخبار أئمة الزيدية - مخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء رقم ١٠٨ - ج ٢ ورقة رقم ١٣١ العرشى - بلوغ المرام ص ٢٩ ، الواسعى : تاريخ اليمن ص ١٦٦ ، حسين الهمداني وحسن سليمان محمود : الصليحيون ص ٢٣٩ .

(١) محمد عبد العال احمد : دولة بنى أيوب فى اليمن ص ٢٦ وما بعدها .

(٢) انظر ، عمارة : تاريخ اليمن ص ٩٢ ، ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ص ١٨٧ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ورقة ٤٢ ب ، ابن الوردى ، عمر بن المظفر : تاريخ ابن الوردى - القاهرة ١٢٨٥ هـ - ج ٢ ص ٦١ ، ابن رسول : الملك الأفضل عباس : نزهة العيون فى تاريخ طوائف القرون ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٥١ تاريخ ، الخزرجى : العسجد ص ١٤٦ ، المقدر الفاخر الحسن ج ٢ لوحة ٥٥ ب ، القلقاشندى : صبح الأغشى ج ٥ ص ٢٩ ، ادريس عماد الدين : نزهة الأفكار وروضة الأخبار فى ذكر من قام باليمن الميمون من الملوك الكبار والدعاة الأخيار ، مخطوط بمكتبة أحد علماء حراز باليمن ص ٦ ، ابن الديبع ، أبو عبد الله عبد الرحمن بن على : بغية المستفيد فى أخبار مدينة زيد مخطوط مصور رقم ١١٩ م تاريخ بدار الكتب المصرية ، =

وأيا ما كان الأمر ، فقد عمل سلاطين بني طاهر على توطيد أركان دولتهم ،
 ووجدوا العديد من المحاولات للسيطرة على البلاد والقضاء على حركات التمرد
 الداخلية فيها ، فبدأوا بالاستيلاء على عدن وتعز وزيد وما بينهما من المناطق
 كما سبق ذكره . ثم استولوا في ذي القعدة ٨٥٨ هـ على حصن التمسك (١) ،
 وأعلنت بعض القبائل ولاءها لهم ، ومن وفد على بني طاهر بعد استيلائهم
 على عدن الشيخ يحيى بن عمر الثائبي صاحب مدينة الحديدة ، فبعد أن
 تأكدوا من ولاءه وأقسم لهم على الطاعة (٢) ، كلفه السلطان المجاهد على
 بالتوجه إلى منطقة بيت النقيه شمالي زيد وزوده بالأموال الطائلة ليستخرها
 في استمالة قبائل المنطقة ، ويضمن بذلك ولاءهم لبني طاهر (٣) .

وجرّص بنو طاهر على تجنب الوقوع في منافسات على العرش بين أمراء
 البيت الطاهري ، ولذلك نلاحظ أن السلطان الطاهري كان يستصحب معه
 أمراء أسرته في معظم حملاته أو في جولاته التي كان يتفقد فيها المناطق التي
 كان يتوجه لزيارتها (٤) .

كما لم يتوان بنو طاهر في الضرب بشدة على أيدي العابثين ، ففي الحرم

(١) باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١١٦ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٩٤ .

(٣) ابن الديبع : نفس المصدر ص ٩٤ - ٩٥ .

(٤) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٧١ أ ، ١٢٤ ب ، بغية المستفيد

ص ٩٧ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١٢٨ ، ١١٣٠ ،

١١٣٣ ، ١١٤٠ ، ١١٦٧ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٩٣ ، ١١٩٦ .

سنة ٥٨٦١هـ / ديسمبر ١٤٥٦م استولى أحمد الثوار وبدعى ابن لبين على حصن تعز، فأرسل السلطان المجاهد على حملة إلى تعز تمكنت من استعادتها، ووقع ابن لبين أسيرا وقتل خمسين من أتباعه (١)، كذلك أهتم بنو طاهر بتأمين الطرق والقضاء على المفسدين وتبديد شتمهم والتخلص من أخطارهم (٢).

٣ - وقف صاحب الشجر من قيام دولة بنو تاهر :

خضعت بلاد الشجر لليمن منذ استيلاء السلطان المنظف يوسف ثاني سلاطين بني رسول عليها (٣)، فلما ضعفت دولتهم خرجت ناك البلاد عن حكمهم، واستقرت السلطة فيها لقبيلة كندة (٤). وبسقوط دولة بني رسول وقيام الدولة الطاهرية، قام الطاهريون بطرد آل كاند اليافعين من عدن، فرحل معظمهم إلى الشجر وأغروا صاحبها أبادجانة محمد بن سعيد بن فارس الكندي بالاستيلاء على عدن، وأرشدوه على مواضع يعرفونها بسهولة على قواته اقتحام المدينة منها. فتجهز أبو دجانة في تسعة مراكب (٥) وأبحر.

(١) ابن الديبع: قررة العيون ص ١٢١ أ، بغية المستفيد ص ٩٨، باخرمة: قلادة النجر ج ٣ ص ١١٢٥.

(٢) ابن الديبع: قررة العيون ص ١٢٢ أ، بغية المستفيد ص ١٠١، باخرمة: قلادة النجر ج ٣ ص ١١٢٧.

(٣) انظر تفصيلات استيلاء المنظف على الشجر في الفصل الرابع،

(٤) صلاح البكري: تاريخ حضرموت السيامي - القاهرة ١٩٥٦ - ص ١٠٩.

(٥) ابن الديبع: بغية المستفيد ص ٩٨، باخرمة: قلادة النجر ج ٣ ص ١١٢٥.

بها من بلده في شهر ربيع الآخر سنة ٨٦١ هـ / مارس ١٤٥٦ م . وعلى الرغم من تكتمه الشديد على تحركاته بهدف مفاجأة المدينة والاستيلاء عليها دون مقاومة ، فقد تسرب خبر الحملة وتسلل الفيف من المرابن لبني طاهر والمعادين لأبي دجانة في قارب من ميناء الشعير خفية في الليل ، وهمكوا من الوصول إلى عدن قبل وصول الحملة ، وأباغوا الأمر إلى واليها الشريف علي بن سفيان الذي لم يكن متوفرا لديه وقتئذ العدد الكافي من الجند لمواجهة الموقف ، ولهذا بادر بالكتابة إلى الظافر عامر والمجاهد علي يستحثهما لانقاذ المدينة (١) . ومبالغة منه في الحيلة أسرع بالتأهب لمقاومة الحملة إلى حين وصول الامدادات . فلما وصل أبو دجانة أمام عدن تعرضت سفنه لعاصفة عاتية تسببت في تحطيم اثنتين منها (٢) .

أما السلطان الظافر عامر بن طاهر فقد أسرع في جمع جيشه إلى عدن ، فأطمأن بوصوله أهلها ، وفي نفس الوقت تسرب اليأس إلى نفس أبي دجانة واستقر عزمه على القبول بسفنه ، ولكن لسوء حظه فقد عبثت الرياح بسفينته وجرفتها إلى الشاطئ ، فنلقمتها قوات بني طاهر وأسرت أبا دجانة وابن

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢١ ب ، باخرمة . قلادة النجر ج ٣ ص ١١٢٥ ، صلاح البكري : تاريخ حضرموت السياسي ج ١ ص ٩٣ ، سعيد عرض باوزير : صفحات من التاريخ الحضرمي - القاهرة ١٣٧٨ هـ ص ١١٥ - ١١٦ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٩٨ ، باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١٢٥ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٥٨٨ .

أخية ومن كان بسفيته من أتباعه (١) وكان من بين الأسرى أحد زعماء
يافع من آل كاد ويدعى مبارك الشايقى الياغى ، فقتله أعداؤه آل أحمد بعد
أن اتهموه بتجريس أبي دجانة على غزو عدن (٢) .

وكان أبو دجانة قد أناب عنه أمه (بنت مماشر) ، وكانت امرأة كاملة
ذات ، حزم وعزم ، فقامت بأمر البلاد أثناء غيابه خير قيام ، ويروى أنها أبدت
اعتراضها على الجملة ، ولكنه لم يأخذ برأيها . فلما وقع في الأسر حزنّت عليه
كثيراً ، وحرمت أمرها وتوجهت بنفسها إلى عدن سعياً في أمر إطلاقه مقابل
الانزال عن الشجر ابني طاهر ، وكان ذلك من حسن طالعهم ، فقد جاء أبو
دجانة الاستيلاء على عدن ، فقدد بلاده وعرشه وحياته ، ذلك أن السلطان
الظافر عامر وافق على العرض الذى تقدمت به أم أبي دجانة ، وأمر بإطلاق
إبنها من السجن ، ولكنه استبقاها في عدن حتى تم تسليم الشجر لنائب بنى
طاهر ، ثم أذن لها بالعودة ، ونيل أن أبا دجانة لم يخرج من عدن إلا
مسموماً (٣) .

ودخلت الشجر على هذا النحو في فلك الدولة الطاهرية ، وأسند بنو

(١) انكسبي : اللطائف السنوية ص ٢٢٣ ، محمد بن هاشم العلوى : تاريخ الدولة
الكثيرية - القاهرة ١٩٤٨ - ص ٢٩ ، حمزة على ابراهيم لقمان : تاريخ عدن
وجنوب الجزيرة العربية - القاهرة ١٩٦٠ - ص ١١١ .

(٢) ابن نديع : فرة العيون ص ١٢١ ب ، بنية المستفيد ص ٩٨ ، بانخرمة
قلادة النحر ص ٣ ص ١١٢٥ .

(٣) بانخرمة : قلادة النحر ص ٣ ص ١١٢٥ .

طاهر ولايتها إلى الأمير جياش بن السنبل سنة ٨٦٣ هـ (١) / ١٤٥٩ م الذي دخلها نيابة عن بني طاهر في ذي القعدة من تلك السنة (٢) ، واستمرت تحت حكم بني طاهر حتى سنة ٨٦٦ هـ عندما تمكن أحد إخوة أبي دجانه من الاستيلاء على الشعر وطرد نائب بني طاهر منها (٣) ، ولم يلبث أن تحكّم في طرق الملاحة ، وأخذ يعترض المراكب الموجهة إلى عدن (٤) . وأثارت تلك التصرّفات نائرة السلطان الظاهر طاهر فتجهز بنفسه في حملة كبيرة لتأديبه ، وما يذكر أن أبحر الجمال التي استخدمت لحمل أنقلاها يقدر بثمانى عشر ألف دينار ؛ وقد سلكت الحملة الطريق البرى الساحلى في صفر ٨٦٦ هـ / نوفمبر ١٤٦١ م ، فلما اقتربت من الشعر فر صاحبها ، وتمكن السلطان من استرجاعها (٥) . ولما دخلتها قواته استباحت المدينة ونهبها ، ولم تكف عنها إلا بعد أن أمر السلطان بذلك . أما الأسرى ، فقد أرسلهم السلطان في السفن إلى عدن ، فلما أقر الأوضاع فيها أناب بها أحد أتباعه ، وعضده يسدر بن عبد الله الكثيرى صاحب ظفار وحضرموت (٦) . وكان آل كثير - وهم

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٨٩ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٠ .

(٣) بانخرمة : نفس المصدر والجزء ص ١١١٨ .

(٤) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٩١ .

(٥) بانخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٩ ، الكبسى : اللطائف السننية

ص ٢٢٣ .

(٦) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٢ أ ، بغية المستفيد ص ١٠٢ ،

بانخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١٠٢٧ .

من همدان - يتقمون على أسرة أبي دجانة الكندي منذ انزعاجهم الشحر منهم .
سنة ٨٣٨ هـ / (١) ١٤٣٤ - ١٤٣٥ م .

٤ - مقتل السلطان الظافر عامر وانفراد أخيه اللجج هت علي بالسلطنة :

أبدى بنو طاهر نشاطا حربيا ملحوظا لمد نفوذهم على صنعاء وما يليها شهلا ، بهدف القضاء على سيطرة الإمامة الزيدية عليها (٢) . ولم يتردد السلطان الظافر عامر في اغتنام الفرص المواتية لتحقيق هذا الهدف ، ففي ذى القعدة ٨٧٠ هـ / يونيو ١٤٦٦ م خرج من عدن على أمر دعوة تلقاها من صنعاء يمرض فيها أصحابها استعدادهم لمساعدته في الاستيلاء عليها ، وعلى الرغم من تحذير أخيه المجاهد علي له من هذه المغامرة وتخوفه من الوقوع في مكيدة ربما يكون أهل صنعاء قد دروها للايقاع به ، إلا أنه لم يأخذ بتحذيره . فلما وصل إلى صنعاء حملت القوات الزيدية عليه قبل أن يستعد للقتال ، فانهزم عسكره ، وثبت هو في قلعة من خلصائه حتى سقط صريحا في السابع من ذى القعدة سنة ٨٧٠ هـ / (٣) ٢١ يونيو ١٤٦٦ م - ودوى خير معرفته في الآفاق ، وكان له أعمق الأثر في اضطراب البلاد وفي تحريك مطامع القبائل المتمردة ، سيما

(١) صلاح البكري : تاريخ حضرموت السياسي ج ١ ص ٩٠ ، محمد بن هاشم العلوي : تاريخ الدولة الكثرية ص ٢٩ .

(٢) انظر تفصيلات الصراع بين بنو طاهر والإمامة الزيدية في نهاية هذا الفصل ص ٣١٣ وما بعدها .

(٣) ابن الديبع : قررة العيون ص ١٢٤ أ ، بغية المستفيد ص ١٠٧ .
ياخرمة : فلادة البحر ص ٣ ص ١١٢٩ .

للقبائل الضاربة بمنطقة تهامة ، وزاد ذلك من ثقل التبدات الملقاة على عاتق رالي .
زيد الذي بذل جهودا هائلة لإقرار الأوضاع في البلاد .

كان الساعطان المجاهد على إبان تلك الأحداث مشغولا بحصار حصن حنب
بمخلاف بعبان ، وقد أحكم حصاره على الحصن إلى حد أنه قطع المسيرة
والأقوات عن أهله حتى أشرفوا على الاللاك جوعا (١) ، فاضطروا إلى تسليمه
لمليه في رجب ٨٧٠ هـ / فبراير ١٤٦٦ م . وما أن تحقق للمجاهد ذلك حتى
قفل نائداً إلى عدن (٢) فلما بلغه فيها خبر مقتل أخيه غادر عدن إلى منطقة
رداع ثم رحل منها إلى ذي جبلة ومنها إلى زيد ، وذلك بعد نجاح واليهما في
تهديم الأوضاع في تهامة وتخفيف حدة التوتر في المنطقة (٣) .

وفي عهد المجاهد اضطرت قبائل تهامة فاضطر إلى تجريد الحملات لاختعاد
حرركاتهم التي استمرت تستخدم طوال عصر الطاهريين . وقد واصل الساعطان
المجاهد حملاته ضد تلك القبائل ، كما قام بحملات تنفذ فيها بلاده إلى أن توفي
في العاشر من ربيع الآخر سنة ٨٨٣ هـ (٤) / ١١ يوليو ١٤٧٨ م ، بعد حكم دام .

(١) ابن الديبع : قره العيون ص ١٢٤ أ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٧ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان

ص ٦٠٠ .

(٣) ابن الديبع : قره العيون ص ١٢٤ ب ، بغية المستفيد ص ١٠٨ .

بانخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١٢٩ .

(٤) ابن الديبع : قره العيون ص ١٢٨ أ ، بغية المستفيد ص ١٢٤ .

بانخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١٤١ الشبلي اليمنى : السنة الباهر

ص ٢٠٠ ، ١٢٠ .

ربيع قرن ، قضى نصفه الأول شريكاً لأخيه الظافر عامر ، وانفرد في النصف الثاني بعرش السلطنة وقد تجنب - طوال عهده - الاصطدام بالقوى الزيدية . ووقع بإقرار الأوضاع في البلاد وإخماد حركات القائل المتعمدة .

١٤٤٠ - الدرّة الظاهرة بعد المجاهد :

١ - سلطنة المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر :

خصّ المجاهد علي بن طاهر ابن أخيه عبد الوهاب بن داود بزعامته لما توسم فيه من كفاية ومقدرة ، فأدناه إليه ورفع منزلته ، واختاره ولياً لعهدته قبل وفاته بست سنوات ، ففي المحرم ٨٧٧ هـ / يونية ١٤٧٢ م مرض المجاهد علي مرضاً شديداً أشرف منه على الموت ، فاستدعى ابن أخيه عبد الوهاب بن داود وعهد إليه بأمر البلاد من بعده ، ولكن المجاهد لم يلبث أن تماتل للشفاء (١) وامتد به لأجل ست سنوات أخرى . فلما توفي في ربيع الآخر ٨٨٣ هـ / يولية ١٤٧٨ م أجمع بنو طاهر على تولية عبد الوهاب بن داود - تنفيذاً لعهد المجاهد له - واقبوه بالمنصور . وكان سلاطين بني طاهر يحرضون على تأكيد سيطرتهم على عدن خشية أن تخرج عن طاعتهم فيفقدون بذلك مورداً رئيسياً من موارد دولتهم طالما حرصوا على بقائه وتميته ، ولهذا السبب بادر المنصور عبد الوهاب على أثر مبايعته بالتوجه إلى عدن (٢) ، فوصلها بعد ثلاثة أيام من وفاة عمه (٣) . ولما كان دخول عدن لا يتم إلا

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٦ أ ، ١٢٨ ب ، بغية المستفيد ص ١١٥ ، باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ١١٣١ و ١١٣٧ .

(٢) باخرمة قلادة النجر ج ٢ ص ١٢٣٤ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٨ ب ، بغية المستفيد ص ١٢٧ .

بعض ریح خاص من السلطان بسبب حرص بنی طاهر الشدید وخوفهم من
الانقسامات والصراعات علی العرش بین أفراد أسرهم ، وفي نفس الوقت
لم یکن والی عدن قد علم بوفاة المجاهد واستخلاف المنصور عبد الوهاب ،
ولهذا عمد السلطان الجدید إلى تجنب هذا الموقف ، وأبرز إذنا بدخولها كان
قد وقعه السلطان المجاهد له قبل وفاته بقليل ، للسماح له بدخول عدن
لاستقبال السفن الواردة ، وتجهيز البضائع الصادرة (١) . فلما استقر بالمدينة
اجتمع بالیهب وكبار رجالها وأهل الحل والعقد فیها وأخیرهم بوفاة عمه
واعتلانه عرش السلطنة فیا بعوه ، ولم یلبث أن غادرها بعد أن دبر أمورها
وقرر قواعدها وسار بالناس سیرة جمیلة وفرق فی العسكر أموالا جزیلة
وكساوی جليلة ، (٢) .

٢ - المنافس علی عرش السلطنة :

حرص بنو طاهر منذ قیام دولتهم علی عدم الدخول فی مناسبات علی
الملك ، ولذلك اشترك الأخوان الظافر عامر والمجاهد علی فی عرش السلطنة
ولهذا السبب أيضا كان الدخول إلى أیة مدينة محظورا بغير إذن موقع من
السلطان ، كما كان السلطان یستصحب معه رجالات الأسرة إذا توجه علی
رأس حملة ، أو خرج لتفقد أحوال بلاده ، حتى لا یهیب لأحد منهم انتزاع
الملك منه أثناء غیابه . وقد نجحت هذه السیاسة فی فترات اشترك الظافر عامر
والمجاهد علی فی الحكم .

(١) باخزمة : قلادة البحر ص ٣٠ ص ١١٤١ .

(٢) ابن الدبیح : قرة العیون ص ١٠٨ ب ، باخزمة : قلادة البحر ص ٣٠ .

فلما توفي الظافر عام الأزل ، واستقل أخوه الأكبر المجاهد علي بالملك وواصل تنفيذ هذه السياسة . ويسور أن السلطان المجاهد لم يخلف عقباً ، ولذلك عهد بالملك من بعده إلى عبد الوهاب بن داود ابن أخيه ، مما أثار سخط بعض أبناء السلطان الظافر عامر بن طاهر الذين كانوا يرون أنهم أحق بالسلطنة منه ، باعتبار أن أباهم كان شريكاً للمجاهد في الملك . وهم على هذا النحو أصحاب الحق الشرعي في وراثة الملك عن أبيهم سيما أن المجاهد لم يكن له عقب .

ومع أن أبناء الظافر عامر قد امتثلوا لعهد عمهم ، وباعوا المنصور عبد الوهاب بن داود بالسلطنة ، إلا أن ذلك لم يتم عن اقتناع ، فقد عجز عليهم أن تخرج السلطنة منهم فقررروا النكث ، واستغلوا فرصة توجه المنصور عبد الوهاب إلى عدن لإفراز الأوضاع فيها ، والعمل على تأكيد سيطرته على البلاد ، حتى شق يوسف بن الظافر عامر عصا الطاعة ، وأعان الخروج على السلطان الجديد (١) ، ولم يلبث أن استقل بحكم مدينة زبيد واتخذها قاعدة له طمعا في استكمال السيطرة على بقية البلاد والاستيلاء على عرش السلطنة ، ثم أقدم على إبطال الخطبة في زبيد للسلطان المنصور عبد الوهاب ، وجعلها لبني طاهر عامة (٢) ، واستعد لمواجهة السلطان ، فرتب المقاتلة على سور المدينة وأرغم أهلها على حمل السلاح والدفاع عنها ، وهددهم بالانتقام إذا حارلوا الانتفاض عليه والخروج عن طاعته . فلما علم السلطان المنصور

(١) باخرمة : قلادة النحر ص ٣٠١ .

(٢) ابن الديبع : بقية المستفيد ص ١٢٧ .

عبد الوهاب بذلك أسرع بالتوجه إلى زبيد، فوصلها في جمادى الأولى سنة ١٥٨٣هـ / أغسطس ١٤٧٨ م ، وبدأ بالسعى لاقناع يوسف بن عامر بالعدول عن الخلفاء والعودة إلى طاعته ، ولكن ذلك لم يزد إلا تمسكا بالخلاف (١) .
 ثم أنه أقدم علي الاستعانة بمماليك زبيد لمواجهة الموقف ، فأمر بخروجهم للدفاع عن المدينة من الخارج إذا ما اقتربت قوات السلطان من السور ولكن المماليك أسرعوا بمجرد خروجهم بالتوجه إلى معسكر السلطان ، وأعلنوا انضمامهم إليه ، فلما رأى يوسف ذلك خرج في أثرهم من المدينة لإعادتهم (٢) ولكن أهل زبيد أغلقوا باب المدينة ، وصاح صائحهم بالطاعة للملك المنصور عبد الوهاب ، ولم يمكنوا يوسف بن عامر من العودة إليها . وكان يوسف قد شحن حصن قوارير بالقرب من زبيد بالطعام والسلاح ، فأراد التوجه إليه والتحصن فيه ، ولكنه لم يتمكن من الوصول إليه لشدة الظلام ، وخشى أن يقع أسيراً ويتعرض للانتقام السلطان ، فنصح به بعض أتباعه بالتوجه إلى السلطان والاعتذار له والدخول في طاعته ، فسار بمن معه تجاه معسكر السلطان ، فلما اقترب اضطرب المعسكر ظنا منهم أنه إنما جاء للحرب . ولكن لم تكن قلوبهم إلا بعد ما أعلن أنه إنما قدم طائعا للسلطان ، وأظهر ندهه عما يدر منه (٣) .

أما السلطان المنصور عبد الوهاب ، فقد استقبل ابن عمه يوسف بن عامر

(١) ابن الديبع : قره العيون ص ١٢٩ أ ، بغية المستفيد ص ١٢٧ ، باخرمة قلادة النحر ج ٣ ص ١١٤٢ .

(٢) ابن الديبع : قره العيون ص ١٢٩ أ ، بغية المستفيد ص ١٢٨ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦١٠ .

(٣) ابن الديبع : قره العيون ص ١٢٩ ب ، بغية المستفيد ص ١٢٨ ، باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٤٢ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦١٠ .

استقبالا حسنا ، ولم يزد عن مجرد معاينته برفق ، وكفل له الاطمئنان وانزله
 بمخيم أخيه أحمد بن عامر الذي ظل على ولائه للسلطان . فلما كان صباح اليوم
 التالي ، الثاني عشر من جمادى الأولى ٥٨٨٣ / ١١ أغسطس ١٤٧٨ م دخل
 الجميع مدينة زبيد^(١) ، وهناك أقبلت وفود القبائل معربة عن ولائها للسلطان ،
 فأجزل لها العطاء^(٢) . وأقام فترة في زبيد لإقرار الأوضاع فيها .

لم يطمئن يوسف بن عامر ، وتوجس خيفة من انتقام السلطان ، ولهذا طالب
 السامح له بالخروج من زبيد ومغادرة اليمن ، ولم يوافق السلطان إلا بعد إلحاح من أحمد
 ! بن عامر - أخى يوسف - الذى كانت له هند السلطان منزله رقيقة . وخرج
 يوسف من زبيد فى الثالث عشر من جمادى الأولى ٥٨٨٣ / ١٢ أغسطس
 ١٤٧٨ م وركب إحدى السفن إلى الحجاز ، فأقام مكرا ما لدى الشريف محمد
 ابن بركات أمير مكة^(٣) . وحاول يوسف أثناء مقامه فى مكة الحصول على
 مساعدة شريفها للاستيلاء على اليمن ، ولكن الشريف لم يوافق على ذلك^(٤) .

(١) ابن الديبع : قرّة العيون ص ١٢٩ ب ، باخرمة : قلادة النحر ج ٣

ص ١١٣٤ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٢٨ ، باخرمة : قلادة النحر ج ٣

ص ١١٤٢ .

(٣) ابن الديبع : قرّة العيون ص ١٢٩ ب ، بغية المستفيد ص ١٣٠ .

باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٤٢ .

(٤) الكبسى : اللطائف السنية ص ٢٢٦ .

ولعل هذا الموقف من أمير مكة أياً سه من نصرته، فقد ظل يوسف بن عامر يرأوده الأمل للوصول إلى العرش، ولهذا السبب قرر العودة إلى اليمن، وتم ذلك في سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م. ولخوفه من السلطان المنصور عبد الوهاب اتصل ببني حفيص^(١) الزبديين^(٢) الثأرين على أبي طاهر واستجار بهم، فأكرمهم زعيمهم الشيخ أحمد بن أبي الغيث وزوجه بإبنته، فلما علم السلطان بذلك توجه على رأس حملة إلى بلاد بني حفيص شمالي زييد، واستصحب معه أحمد بن عامر - أخا يوسف بن عامر - ولم يلجأ السلطان إلى القتال إلا بعد أن أخفق في تسوية الخلاف. ودارت المعركة في ذي القعدة سنة ٨٨٤ هـ^(٣) / يناير ١٤٨٠ م، وتمكن بنو حفيص من قتل أحمد بن عامر. فلما علم أخوه يوسف بمقتله انضم إلى المعسكر السلطاني طلباً لثأر أخيه من بني حفيص، وانتهت المعركة بهزيمة بني حفيص ومقتل عدد كبير منهم، وعاد يوسف بن عامر مع السلطان المنصور عبد الوهاب إلى زييد ومنها إلى تعز^(٤). والظاهر أن يوسف ظل يسعى إلى السيطرة على العرش، إذ صدر الأمر بإعتقاله في سنة ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م بحجة عدم ولائه، وظل سجيناً بسجن مدينة رداع^(٥)

(١) عن ثورات بني حفيص الزبديين انظر فيما يلي ص ٣٠٠ .

(٢) الزبديون قبائل - خلاف أتباع المذهب الزيدي - ويقطنون المنطقة الواقعة شمالي زييد في مدينة الزيدية المماه باسمهم، وما حولها .

(٣) بانخرمة : قلاده النجر ح ٣ ص ١١٣٤ .

(٤) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٣٠ - ١٢١ ، بانخرمة : نفس المصدر

ص ١١٦٣ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٦١١ .

(٥) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٣١ ، بانخرمة : نفس المصدر

حتى توفي في سنة ٨٩٥ هـ / (١) / ١٥٠٢ م .

ولكن وفاته لم نضج حداً لمحاولات أبناء الظافر عامر بن طاهر للاستيلاء على العرش ، ففي جمادى الأولى سنة ٨٩١ هـ / مايو ١٤٨٦ م قام إبراهيم بن عامر بمحاولة أخرى ، ولكنها باءت بالفشل وانتهى أمره بالقبض عليه وإيداعه سجن رداغ قبل أن يستفحل أمره (٢) .

وهكذا كرس المنصور عبد الوهاب جهوده للقضاء على منافسات خصومه التي بدأت في عهده ودافع عن عرشه ، وجهد الكثير من الحملات للقضاء على الحركات الداخلية المعادية . ولم تفت عزيمته حتى توفي بمدينة جين من بلاد رداغ ليلة السابع من جمادى الأولى سنة ٨٩٤ هـ (٣) الموافق ٨ إبريل ١٤٨٩ م .

٣ - عهد الظافر عامر الثاني :

كان المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر قد عهد بالملك من بعده لابنه صلاح الدين عامر . فلما توفي المنصور بويغ مع ابنته عامر سلطانا على البلاد ، ولقب بالسلطان الظافر . فلما تمت بيعته بدأ في ترتيب أمور دولته ، وأخذ يطوف في أنحاء بلاده ليتفقد أحوالها ويقر الأوضاع فيها (٤) .

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٣٠ أ .

(٢) ابن الديبع : بغية ص ١٤٢ ، باخرمة : نفس المصدر ص ١١٦٦ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٣٢ أ ، باخرمة : نفس المصدر ص ١٣٧ و ١٦٨ ، الشبلي : السنة الباهر ص ٢٠٠ .

(٤) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٣٣ ب - ١٣٤ أ ، بغية المتفيد ص ١٤٩ ، باخرمة : قلادة النحر ص ٣ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٦١٥ - ٦١٦ .

وكان أبناء الظافر عامر الأول يطمعون في الاستيلاء على السلطنة منذ انتقالها من المجاهد على إلى ابن أخيه عبد الوهاب بن داود . وكان لاستمرار السلطنة في أعقاب عبد الوهاب بن داود ممثلة في الظافر عامر الثاني أعظم الأثر في قيام كل من عمر ومحمد وعبد الله أبناء الظافر عامر الأول بالثورة على السلطان الجديد ، وقامت جموع أتباعهم وغيرهم من الناقمين بنهب مدينة جبن من بلاد رداق ، واستولوا على حصنها ، ولم يتردد الظافر عامر الثاني في التحرك ، فخرج في جمادى الأولى سنة ٨٩٤ هـ / أبريل ١٤٨٩ م على رأس حملة ضخمة للقضاء على ثورتهم (١) . فلما علم عبد الله بن عامر بقرب وصوله ، خرج من مدينة جبن في مجموعة من أتباعه ، وقام السلطان بحصار حصن جبن ما يقرب من شهرين ، إلى أن تم التوصل إلى عقد صلح مع عمر ومحمد ابني عامر على أن يقطعها السلطان إقطاعات حدداها بالإضافة إلى جامكية سنوية قدرت بأربعمائة ألف دينار (٢) .

قام السلطان يرفع الحصار عن مدينة جبن بعد عقد الصلح وتسوية الخلافات مع أبناء الظافر عامر الأول، ولكنه ما أن رحل عنها لتفقد بعض المناطق حتى يبلغه قيام أبناء عامر بن طاهر بتفرض الصلح، وخروج محمد بن عامر على رأس حملة للاستيلاء على تعز ، فلقى مقاومة عنيفة من أهلها ، وباءت حملته بالفشل (٣) .

(١) باخرمة : فتاوة النجر ح ٣ ص ١١٦٩ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٥٠ ، باخرمة : فتاوة النجر ح ٣ ص ١١٦٨ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦١٦ .

(٣) ابن الديبع : قررة العيون ص ١٣٤ ب ، بغية المستفيد ص ١٥١ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦١٦ .

كما أسرع السلطان لمواجهته ، ووقعت بيده وبين السلطان معركة ضارية في رمضان سنة ٨٩٤ هـ / أغسطس ١٨٩٠ م ، أسفرت عن هزيمة ابن عامر ومقتل خمسمائة وأربعين رجلا من أتباعه ، وغنم السلطان كثيرا من الأموال والعتاد^(١) .

لم يهنا السلطان بانتصاره ، إذ سرعان ما انضم عبد الباقي بن محمد بن طاهر إلى الثوار ، وخرج على رأس حملة ثانية إلى عدن في رمضان سنة ٨٩٤ هـ / أغسطس ١٨٩٠ م ، ومعها مجموعة من السلام الحشيشية ليستخدمها رجاله في احتحام أسوارها^(٢) . ولكنه لم يستطع الاقتراب بقواته من الأسوار لشدة مقاومة القائم بالحراسة عليها . وفي نفس الوقت استشعر محمد بن عبد الملك بن داود والى عدن وابن عم السلطان بالمخطر لعدم توفر العدد الكافي من الجنود للدفاع عن المدينة ، ولهذا انتهاز فرصة وجود السفن التجارية بميناء عدن ، وكانت تضم حراسا مسلحين ، فاستعان بهم ورتبهم للدفاع عن المدينة^(٣) ، وقد قبل أصحاب السفن قيام رجالهم بهذه المهمة خوفا من أن يتعرض بضائعهم للنهب في حالة سقوط المدينة في أيدي المجرمين . فلما أحس والى عدن بنجاحه في الدفاع عن المدينة ، أعد العدة وخرج من عدن لمحاربة عبد الباقي وأتباعه وتمكن من إيقاع الهزيمة به وأسر عدد كبير من أتباعه ، سجن بعضهم وقام بكحل الباقين^(٤) ، أما عبد الباقي بن محمد بن طاهر فقد أفلح في النجاة

(١) بانخرمة : قلادة النجر - ص ٣ ص ١١٦٩ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستنيد ص ١٠٢ .

(٣) بانخرمة : قلادة النجر ج - ص ١١٦٠ .

(٤) بانخرمة : نفس المصدر والملاحظة .

بتنفسه (١) .

أما زيد فقد كان يتولاها الأمير محمد بن عيسى البغداني ، وكان معظم عساكره زيد خليط من أجناد يذتمون إلى المدن التي استولى عليها عبد الله ابن عامر ، ولذلك فقد كانوا يميلون إلى عبد الله بن عامر تجنباً لانتقامه من ذريتهم إذا ما ساءدوا أعداءه ، ضده ، وبجح هؤلاء الجند في ضم أحمد بن محمد المعروف بالمقرطس شيخ دار الضرب بزيد إليهم ، وكان الوالي البغداني متزوجاً

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٥ أ ، بغية المستفيد ص ١٥٢ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦١٧ . (لم يأمن عبد الباقي علي نفسه بعد الهزيمة ، ففر إلى ساحل إفريقية الشرقى في شعبان سنة ٨٩٧ هـ / يونية ١٤٩٢ م ، فلما علم السلطان الظاهر الثاني أرسل إلى المجاهد بن سعد الدين أحد أمراء ممالك الطراز الإسلامى يطالب منه التحفظ عليه وإعادته ، فقام هذا بالتقبض عليه . وحدث أثناء وجوده هناك أن أغار صاحب الحبشة على ابن سعد الدين فاشترك عبد الباقي في الجهاد وقام بدور كبير في مساندة قوات المسلمين . فأكرمه ابن سعد الدين ولم يتعرض له بسوء ، وسمح له بالعودة إلى اليمن ، فلقياً إلى قبائل يافع واستقر عندهم) باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٧٢ ، (وظل مقيمًا هناك حتى تم اعتقاله وسجنه في جمادى الآخرة سنة ٩٠٣ هـ / يناير ١٤٩٨ م) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٤٢ أ ، الفضل المزيد على بغية المستفيد - مخطوط مصور يدار الكتب رقم ٩٠٨٧ تاريخ - ص ٣٣ أ ، باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٨٧ . (فظل سجيناً إلى أن عفا السلطان عنه سنة ٨٩٢ / ١٥١٥ م وأخرجه مع ابراهيم ومحمد ابني عامر) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٥ أ . (عندما اضطربت أحوال البلاد داخليةا وتعرضت للغزوات الجراكسة من ناحية أخرى) .

من أخت المقرطس الذي كان بحكم المصاهرة مقرباً من هذا الوالي يدخل عليه .
وقد شاء بغير استئذان ، فاستغل المقرطس هذه الصلة وتآمر على قتله (١) .
تمهيدا للاستيلاء على زيد لعبد الله بن عامر . ففي الثاني عشر من رمضان سنة
٨٠٤ هـ / ٩ أغسطس ١٤٨٩ م دخل المقرطس وبصحبه رجلين من أتباعه .
على الوالي الذي لم يكن عنده وقتئذ إلا خادمه الذي اعتاد ملازمته ، فلما هم
المقرطس بالاقضاض عليه أشار البعداني إلى خادمه فضرب المقرطس بالسيف
ضربة قطع بها عضده ، ونجا الوالي وتمكن من قتل المقرطس وزمياه والقبض
على شركائهم (٢) . وعلى إثر ذلك أرسل الوالي إلى السلطان يبلغه بحجم المؤامرة
ويطلب إليه إمداده بقوة عسكرية عوضاً عن الحماية التي لم يعد يأمن جانبها .
وتأميناً للموقف استعان بأهل وصاب فأمدوه بخمسة مائة رجل إلى أن وصلته
الامدادات من السلطان ، فأنعم على أهل وصاب وكافأهم وأعادهم
مكرمين إلى بلدهم (٣) .

لم تتوقف المنازعات في سنة ٨٩٥ هـ / ٤٩٠ م ، وخاصة بعد أن تمكن أبناء
عامر بن طاهر من السيطرة على بعض الحصون والمناطق (٤) ، ودارت بينهم
وبين السلطان الظاهر الثاني عدة معارك انتصر السلطان في معظمها (٥) . وكان

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٣٥ أ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٥٢ ، باخترمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١٢٨ .

١١٦٩ — ١١٧٠ .

(٣) ابن الديبع : نفس المصدر ص ١٥٤ ، باخترمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٧٠ .

(٤) باخترمة : نفس المصدر والمفتحة .

(٥) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٥٦ ، باخترمة : نفس المصدر ص

١١٧٠ — ١١٧١ .

عبد الله بن عامر أكثر إخوته نشاطاً فقد نجح في الاستيلاء على حصن جبن، ولكن السلطان بادر بمحاصرته في ربيع الأول سنة ٨٩٥ هـ / يناير ١٤٩٠ م، ونشبت بينهما عدة معارك قتل فيها عدد كبير من المتمردين، غير أن عبد الله ابن عامر تمكن من الفرار بأهله وأمواله إلى رباط قريب من مدينة جبن، ينشد فيه المنعة والأمان، ويتخذ مركزاً يث منه القارات على أطراف معسكر السلطان أثناء قيامه بحصار مدينة جبن (١)، فلما تعددت إغاراته لم يجد السلطان بداً من الاغارة على الرباط وانتهاك حرمة، فاختر من كل قبيلة من القبائل الموالية له جماعة وأمرهم بقتل كل من يجدوه بالرباط دون الإقدام على نهه. وعلى هذا النحو تمكن من إيقاع الهزيمة بعد الله بن عامر الذي تمكن من النجاة مرة أخرى. وغنم عسكر السلطان كثيراً من الغنائم، ولكن السلطان أمرهم برد ما استولوا عليه، ما عدا ما يتعلق بالشوار من بني طاهر (٢).

وواصل السلطان حصاره لحصن جبن إلى أن تسلمه في جمادى الأولى سنة ٨٩٥ هـ / مارس ١٤٩٠ م بعد أن أصدر أماناً لجميع المحصورين فيه (٣)، وبر السلطان بوعدة معهم فيما عدا والدة يوسف بن عامر، فقد تحفظ عليها

(١) باخرمة: نفس المصدر ص ١١٧١.

(٢) ابن الديبع: نفس المصدر ص ١٥٦-١٥٧، باخرمة نفس المصدر والصفحة.

(٣) ابن الديبع: قرة العيون ص ١٣٩ أ، يحيى بن الحسين: غاية الأمان ص ٦١٢.

باعتبارها المحرّضة على إشعال نار هذه الفتنة (١) .

وعلى الرغم من نجاح السلطان في إحباط الثورة ، إلا أنه واصل مطاردة
زعماؤها خوفاً من تجدد ثورتهم وتمكن في نهاية الأمر من القبض عليهم . ففي
شوال سنة ٨٩٦ هـ / أغسطس ١٤٩١م حاصر محمد بن عامر ، وتمكن في أول
نذى الحجّة من اعتقاله وإيداعه سجن رداع واستولى على ما كان بيده من
الحصون (٢) .

أمّا عبد الله بن عامر فكان قد أرسل عبداً له إلى تعز في مهمة فأكتشف
أمره ، ولما قضى عليه في شوال سنة ٩٠٥ هـ / مايو ١٥٠٠ م دل على مخبأ
سيده فسهل بذلك عملية اعتقاله . وقيل أنه كان مختبئاً بإحدى قرى وادي
مكسب — بالقرب من مدينة بفرس من أعمال الحجرية — فتعرف عليه حداد
وأبلغ عنه شيخ الناحية الذي تمكن من اعتقاله ، وتوجه به إلى تعز بناء على
أمر السلطان ، ولما تأكد السلطان من القبض عليه أرسل له قميصاً وعمامة
ورداً آمناً له ، واستقبله لدى وصوله إلى تعز إستقبالاً حسناً ، ولكنه لم
يلبث أن اعتقاله وقيده (٣) وأودعه سجن رداع (٤) فظل سجيناً فيه حتى توفي

(١) ابن الديبع: قرة العيون ص ١٣٦ أ، بقية المستفيد ص ١٤٧ ، باخرمة :
قلادة النجر ج٣ ص ١١٧١ .

(٢) باخرمة : نفس المصدر ص ١١٧٢ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى
ص ٦١٩ .

(٣) ابن الديبع : الفضل المزيّد على بنيه المستفيد ص ٣٥ أ .

(٤) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٤٢ ب ، الفضل المزيّد ص ٣٥ ب ، باخرمة :
نفس المصدر ص ١١٨٨ .

في شوال سنة ٩٠٧ هـ / (١) إبريل ٢ ١٥ م . وباعتقاله انتظم ولاء أبناء الأسرة للسلطان الظافر عامر الثاني (٢) . ولهذا تفرغ للقضاء على حركة القبائل الخارجة عن الطاعة ، وتمكنت قواته من فرض السيطرة على البلاد وتوالت وفود القبائل عليه للاعراب له عن الطاعة والولاء ، فأجزل لهم السلطان العطاء (٣) .

وهكذا صرف السلطان الظافر عامر الثاني جهوده للتخلص من المنافسين له من أسرته ، كما بذل جهدا كبيرا للقضاء على ثورات القبائل ، ولم يشغله ذلك على العمل لبيسط نفوذه على المناطق التي كان أئمة الزيدية يسيطرون عليها ، حتى تحقق له الاستيلاء على صنعاء وعلى كثير من المدن والحصون الواقعة إلى الشمال منها . ويمكننا القول بأن دولة بني طاهر بلغت في عهده أقصى اتساع لها .

وكان لظهور الخطر البرتغالي في المحيط الهندي والبحر الأحمر في عهد السلطان الظافر عامر الثاني ، كما كان لموقفه المعادي من الحملات التي أرسلها السلطان الغوري لمحاربة البرتغاليين أثره في تحول القوات المملوكية عن مهمتها الأساسية، إلى القيام بغزو اليمن والتوغل إلى صنعاء ، ومقتل السلطان الظافر عامر

(١) ابن الديبع: قرة العيون ص ١٤٦ أ، الفضل الزيد ص ٣٧ ب ، باخرمة: نفس المصدر ص ١٨٠ أو ١١٩٠ .

(٢) ابن الديبع: قرة العيون ص ١٤٤ أ .

(٣) ابن الديبع: الفضل المزيدي ص ٣٧ أ .

الثاني في إحدى معاركه ضد المماليك عند صنعاء في الثالث والعشرين من ربيع
الآخر سنة ٩٢٣ / (١) ١٥ مايو ١٥١٧ م .

٤ - الموقف بعد مقتل السلطان الظاهر عامر الثاني -

تدهورت الأحوال في البلاد وازدادت سوءا بعد مقتل السلطان الظاهر
عامر بن عبد الوهاب فقد نشط أئمة الزيدية لاستكمال السيطرة على بلاد اليمن .
كما اضطرت القسوات الجركسية إلى الاستقرار في اليمن بعد أن أعلن فائدها
الولاء للفتاح العثماني السلطان سليم ، الذي أجهز على دولة الجراكسة ،
واستولى على الشام ومصر ، ودخلت الحجاز في طاعته .

أما فيما يتعلق بيني طاهر ، فيجدر القول بأن دولتهم سقطت بمقتل السلطان
الظاهر عامر بن عبد الوهاب في سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م ، على الرغم من احتفاظ بعض
أمراء الأسرة ببعض المناطق وأهمها عدن ، ومن العجب أن يستمر التنافس
والصراع بين بقايا بني طاهر رغم كل تلك المخاطر التي كانت تستوجب تكتل
جهودهم ووحدة صفوفهم لإحياء دولتهم . وعلى الرغم من وفاة السلطان
الظاهر في ربيع الآخر سنة ٩٢٣ هـ ، فقد استمرت الخطبة في عدن باسمه إلى
الجمعة الأولى من عام ٩٢٤ هـ . وكان أحمد ابن السلطان القتيل هو القائم بالأمر
والنهي في مدينة المقرانة ببلاد رداع . كما كان مرجان بن عبد الله الظافري
يقوم بتنفيذ أوامره ، ولكنه لم يبدأ في إعلان الخطبة له في عدن إلا ابتداء

(١) العبدروسي : النور المسافر ص ١١٨ ، الشبلي اليمني : السنا الباهر ص
١١٩ و ٢٠٤ ، الكبيسي : اللطائف السنوية ص ٢٣٩ . (لمزيد من التفصيلات
انظر ، الفصل الخامس) .

من الجمعة الثانية من سنة ٥٩٢٤هـ/يناير ٨ ١٥٠٨م، ولم يقدر لهذه الخطبة أن تستمر له أكثر من جمعتين لوفاته (١)

وهكذا أصابت الكوارث دولة نبي طاهر وعصفت بهم النوايب والنكبات ولكن من بقي منهم لم يعتبر بكل هذا ، ولم يسع إلى نضافر الجهود لاستعادة أركان تلك الدولة المنهارة ، وإنما انساقوا وراء أطماع الملك ، فحرفهم تيسار التنافس . فلما توفي أحمد بن الظافر عامر الثاني في أوائل سنة ٥٩٢٤هـ ، اتفق أهل الحل والعقد في مدينة المقرانة على مبايعة عامر بن عبد الملك بن داود وخطب له في عدن بأمر واليها مرجان الظافري ، كما خطب له أيضا في البلاد التي ظلت تحت سيطرة بني طاهر كالمقرانة ورداع ولاب وذى جبلة (٢) ولكن لم يمض وقت طويل حتى خرج أحمد بن محمد بن عامر بن طاهر عن طاعته واستقل بحكم مدينة رداع ، فسير إليه عامر بن عبد الملك قوة أوقعت به الهزيمة ، فتحصن بقلعة المدينة ، وقام جنود عامر بنهب المدينة وتخريب مزارعها ، فاضطر أحمد بن محمد بن عامر إلى طلب الدخول في طاعة عامر بن عبد الملك وعقد صلح معه ، وأقام في المقرانة إلى أن توفي عامر بن عبد الملك مسموما في آخر رمضان ٥٩٢٥هـ (٣) /سبتمبر ١٥١٩م .

وعلى الرغم من اتفاق أهل الحل والعقد في مدينة المقرانة على تولية أحمد بن محمد بن عامر بن طاهر السلطنة من بعده ، إلا أنه لم يحظ بتأييد الأعيان

(١) بانخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١٢٠٧ .

(٢) بانخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ٢٠٧ .

(٣) بانخرمة : نفس المصدر ص ١٢٠٨ .

مرجان الظافري والى عدن الذي : « لم نطلب نفسه بمبايعته » ، ولكنه لم يمكنه في الظاهر إلا موافقة الجماعة. (١) . وكان مرجان يخشى أن ينزع بنو طاهر عدن منه ، ولهذا حرص على عدم تمكينهم منها ، وتمايل على إختلاق المشا كل وشغلهم بحاها وتوريطهم في حروب تصرفهم عن قصد عدن ، فأرسل مرجان إلى أحمد بن محمد بن عامر بغريه بمحاربة القوات المملوكية الموجودة في مدينة تعز . وإخفاء نواياه قام بإمداده ببعض القوات تعزيرا له ، فلما التحمت قوات أحمد بن محمد بن عامر في معركة مع المماليك حول تعز ، وكاد أن يحرز النصر عليهم ، انسحبت الفرقة التي أرسلها مرجان من ميدان المعركة وخذات أحمد بن محمد بن عامر وتركته في قلبه من أتباعه ، مما أدى إلى هزيمته ، ولم يتمكن من الفرار إلا بعد عناء (٢) . ولم يكتف مرجان الظافري بذلك ، وإنما أخذ يبتث الأموال بين القبائل التي كانت تؤيد أحمد بن محمد بن عامر حتى تخلت عنه (٣) .

واستمر مرجان الظافري يعمل على تقويض البقية الباقية من بني طاهر كما سعى إلى إشعال التنافس بينهم من جديد ، فأظهر ميله إلى أحدهم وهو عبد الملك بن محمد بن عبد الملك ، واجتمع به خارج عدن سنة ٥٢٦ / ٥٢٠ م وبإيعاده ، ووعده بالسماح له بدخول عدن بعد القيام بمحاربة أحمد بن محمد بن عامر والتخلص منه (٤) . وهكذا يتضح لنا أن السيطرة على عدن كانت

(١) باخترمة : نفس المصدر والصفحة .

(٢) باخترمة ; نفس المصدر والصفحة .

(٣) باخترمة : نفس المصدر السابق ص ١٢٠٩ .

(٤) باخترمة : نفس المصدر ص ١٢١٠ .

في حد ذاتها الفيهـل لإثبات المقدرة على استحقاق السلطنة ، بحيث أصبحت القبائل لا تنقاد لأحد من بني طـاهر إلا إذا كان مسيطرا على تلك المدينة . متصرفا في أمورها ، يدخلها متى شاء دون أن يعترضه واليها . ومن الجدير بالذكر أن الرسوم المتحصلة على التجارة في عدن لم تعد تكفي لمجرد مواجهة الاعباء الخاصة بها والدفاع عنها فعد أن كان السلطان يعتمد على جزءه من مواردها ، لجأ الوالي مرجان الظافري إلى الاستيلاء على مغل لحج ليستعين به في مواجهة مطالبائه (١) ، واتسمت تصرفاته بالتحكم المطلق في نदन وأصبح صاحب الأمر النهى فيها ، ولهذا كان يخشي دخول أحد أفراد البيت الطاهري إليها خوفا على مركزه . وقد حاول عبد الملك بن محمد بن عبد الملك دخول المدينة ، ولكن مرجان كان يسوف ويماطل ، ولم ييأس عبد الملك ، فما زال يكتبه ليأذن له في المدخول إليها والمقام فيها ولو لأيام يتمكن خلالها من التجهيز لمقابلة غريمه أحمد بن محمد بن عامر ، وأخير أسمح له مرحان بدخولها في ربيع الأول سنة ٩٢٧ هـ / فبراير ١٥٢١ م ، وتظاهر مرجان بالاحتفال بمقدمه ولكنه كان يترصده ويحصى عليه حركاته ، ويبت حوله العيون ، فكان لا يدخل إليه . أخذ من الناس إلا وهلم به مرجان (٢) . وكان عبد الملك يعلم بهذا الحصار الذي فرضه عليه مرجان ، ورغم ذلك كان عبد الملك يمد لضم العسكر إلى صفه ، وأسفرت جهوده عن استماله قبائل يافع إلى طاعته . فلما فطن مرجان إلى ذلك أخذ يطالب عبد الملك بالخروج من عدن للتخلص من أحمد بن محمد بن عامر ، ولكن عيد الملك كان يعتذر بقلة ماله من المال للنفقة ، واستكمال تجهيز العدد اللازم من الجند لمحاربة منافسه ، وكان عبد الملك يرمى من وراءه .

(١) باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١٢١٠ .

(٢) باخرمة : نفس المصدر والصنحة .

ذلك أن يمدّه مرجان بالعسكر الذي يستطيع استخدامه في محاربة مرجان نفسه وانتزاع عدن منه .

وندم مرجان الظافري على سماحه بدخول عبد الملك إلى عدن ، وأدرك أنه تورط في هذا الأمر ، وأحس بنواياه العدوانية ، وعندئذ أخذ يدير اغتياله أثناء قيامه بالصلاة بالمسجد ، ولكن عبد الملك اكتشف المؤامرة ولم يتوجه للصلاة ، وأصبح محتماً عليه مواجهة مرجان ومحاربته تمهيداً للسيطرة على عدن (١) .

وتتوقف المصادر عن متابعة الأحداث الداخلية بعدن التي انحصرت فيها بجايابا بنى طاهر . وأياً ما كان الأمر فقد استطاع عبد الملك الاستيلاء على عدن بعد وفاة مرجان سنة ٩٢٧م (٢) ، ثم أعقبه عليها عامر بن داود آخر بنى طاهر فيها (٣) ، وهو الذي انتهز فرصة مرور سليمان باشا العثماني سنة ١٥٤٥ / ١٥٣٨م في طريقه إلى الهند لمحاربة البرتغاليين وأعلن ترحيبه به ، وفتح له أبواب عدن ، ولكن سليمان أمر بشنقه (٤) ، واستولى منه على عدن غدرا . وكان ذلك سبباً في تقور أهل الهند منه ، وامتناعهم من معاونته ضد القوى البرتغالية (٥) .

(١) باخرمة: نفس المصدر ص ١٢١١ .

(٢) العيدروسى : النور السافر ص ١٣٢ .

(٣) العيدروسى : نفس المصدر ص ٢٠٢ .

(٤) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٨٤ .

(٥) النهروالى : البرق اليماني في الفتوح العثمانى - الرياض ١٩٦٧

وابعا - اتفن والنرات الداخية في عدن بنى طاهر :

لم تقتصر المصائب التي واجهت سلاطين بنى طاهر على الصراعات التي خشت بينهم وبين الطامعين من أمراء أسرهم في السلطنة ، وإنما تعرض حكمهم الكثير من حركات العصيان واحتدمت الثورات في مناطق متعددة من بلاد اليمن ، ففي الجنوب نارت قبائل يافع ، وفي تهامة رفعت قبائل القرشية والمعازبة وبنى حنيفص لواء العصيان ، وتسببت في الاضطرابات التي شغلت الطاهريين لفترة طويلة من الزمن ، وفي منطقة الجبال تكررت ثورات الحيشي ، كما اشتد الصراع بين بنى طاهر والإمامة الزيدية .

ولما كانت معظم تلك الثورات قد استمرت طوال حكم هذه الدولة ، لذلك كان من الأفضل إعداد دراسة موضوعية لها لبيان المراحل المتكاملة لكل منها .

١ - موقف قبائل يافع من بنى طاهر :

كانت غالبية قبيلتي آل أحمد وآل كمال - اليافعيتين تنزل في عدن ، وقد بلغ التنافس والتنازع فيما بينها أقصاه في أواخر عهد دولة بنى رسول ، فأدى ذلك إلى انهدام الأمن وشيوع المعتنة والاضطراب في عدن ، وتعرض بيوت للتجار والأغراب فيها للسلب والنهب ، ولم يسلم من ذلك إلا من دخل في حيازة إحدى القبيلتين نظير ما تقرره عليه من مال . فكان شيخ القبيلة التي ينتصرون بها ، يبعث نفرا من أتباعه ، يرابطون على سطح الدار ويرشقون بالسيجارة من يحاول الاقتراب منها ، ويرغمونه على الفرار . وكان آل كمال يسيطرون على المدينة من داخلها وينتشرون في أحيائها ، في حين كانت سيطرة آل أحمد على حصون المدينة وأسوارها . فلما تفوق آل كمال عليهم وغلبوم على أمرهم ، استبغلوا

الحصار الذي فرضه الطاهريون على عدن سنة ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤ م ، وعمدوا إلى الاتصال بهم ، وعرضوا عليهم تقديم ضروب العون والمساعدة تسهيلا لمهمة الاستيلاء على عدن (١) ، لقضاء التمهيد برفع منزلاتهم وطرده آل كلد عن عدن بعد استيلاء بني طاهر على المدينة .

وتنفذا لهذا الاتفاق انطلق المجاهد علي بن طاهر مع زعماء آل أحمد فأدخلوه عدن مع جمع من عسكره من سور الجبل ليلة الثالث والعشرين من رجب سنة ٨٥٨ هـ / ١٩ / يولية ١٤٥٤ م ، وما أن تم لبني طاهر ذلك حتى دقوا الطبول ليلا ، ورددوا صيحتهم « بالنصر للمشايع بني طاهر » . فلما سمع آل كلد ذلك أيقنوا بالهلاك ، وتركوا بيوتهم وقضوا الليل خارجها حائرين ، فلما أدرهم الصباح وفتحت أبواب عدن ، دخل الظافر عامر بن طاهر مع باقي عسكره ، وأعلن الأمان لأهلها ، باستثناء آل كلد فقد أمهلهم ثلاثة أيام الرحيل من عدن ، تحمل له بعدها دماهم . « ففرق آل كلد شذر منذر ، منهم من خرج إلى زيلح وإلى بربرة وإلى سائر بر العجم وخرج غالبهم إلى الشحر ، (٢) وصى أن تواتبهم الفرصة لينتقموا لأنفسهم من بني طاهر .

وفي الشحر التفت من وصلها من آل كلد حول صاحبها أبا دجانة محمد بن سعيد بن فارس الكندي ودخلوا في خدمته ، واكتسبوا ثقته ، ثم أخذوا يغرونه بغزو عدن ، ويدلون له مهمة الاستيلاء عليها ، مستغلين في ذلك .

(١) باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١١٥ .

(٢) باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١١٦ .

درايتهم بعورات المدينة التي يمكن عن طريقها اقتحامها في يسر وسهولة دون أن يصادفوا مقاومة من ناحية تلك المنافذ . وما زالوا به يهونون عليه أمر فتحها وبدفعوته إلى ذلك . فلما اقتنع برأيهم وعزم على توجيه حملته ، انضم آل كلد إليها ، غير أن أخبار تلك الحملة تسربت إلى عدن ، وانتهت بالنشل ووقوع أبو دجانة وعدد من أتباعه في أسر السلطان الظافر عامر الأول^(١) . من بينهم أحد زعماء آل كلد اليافعيين المحرضين لصاحب الشجر علي غزو عدن ، فتسلمه أعداؤه آل أحمد وقتلوه^(٢) .

ومما لا شك فيه أن نجاح بني طاهر في طرد آل كلد اليافعيين من عدن وتشريدهم لهم من جهة ، ثم فشل محارلة هؤلاء باتفاق مع صاحب الشجر في توجيه ضربة لبني طاهر بالاستيلاء على عدن من جهة ثانية ، كان لذلك أعظم الأثر في إضعاف آل كلد واستكانتهم لفترة طويلة ، إلى أن أتاحت لهم الفرصة للانتقام . فقد تولى الظافر عامر الثاني السلطنة بعد وفاة أبيه السلطان المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر سنة ٨٩٤ هـ / ١٤٨٩ م ، فقوبلت سلطنته بمعارضة شديدة من أبناء الظافر عامر الأول بن طاهر . وكان لتلك المعارضة أثرها القوي في إثارة القوى المعادية لبني طاهر ، وكان من الطبيعي أن ينضم بنو يافع إلى المعارضين للسلطان الظافر عامر الثاني ، تأييداً لعبد الله بن عامر

(١) الكبسي : اللطائف السنية ص ٢٢٣ ، محمد بن هاشم العلوي : تاريخ الدولة الكثرية ص ٢٩ ، حمزة علي إبراهيم لقمان : تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ص ١١١ .
(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢١ ب ، بغية المستفيد ص ٩٨ ، باخرمة : نفس المصدر ص ١١٢٥ .

ابن طاهر . فكذب الظافر الثاني لى واليه فى عدن بأمره بطرد من بقى فى عدن من يافع انتقاما منهم على نصرتهم لأعدائه ، فطرد والى عدن حوالى خمسمائة منهم (١) . وواصل السلطان سياسته الانتقامية منهم ، ولم يتردد فى مهاجمتهم وانزاع مابأيديهم من حصون . ثم دارت معركة كبيرة بين الجانبين فى ربيع الأول سنة ٨٩٨ هـ / يناير ١٤٩٣ م انتصرت فيها قوات السلطان وقتلت من يافع أكثر من مائة وأسرت مثل ذلك العدد واستولت على عدد من حصونهم (٢) .

وترقب على نجدد عصيان يافع ، ومناهضتهم للسلطان ونصرتهم للطامعين فى السلطنة من آل طاهر (٣) ، أن عازد الظافر عامر الثاني الاغارة عليهم . ودارت بينهم معركة كبيرة فى جمادى الآخرة سنة ٩٠٣ هـ / يناير ١٤٩٨ م انهزمت فيها يافع هزيمة نكراء (٤) واستولى السلطان الظافر عامر على بلادهم وحصونهم دون كبير عناء . ولم يكن منهم أمر متعب بعد ذلك مع كثرتهم واتساع بلادهم ودماويهم العريضة . وكان استفتاح بلادهم من أسهل الفتوح فدخلوا عليه وأذم عليهم ، فتباؤوا من الخلف نوبة نصوحا ، وسار منهم جماعة تحت ركا به (٥) ، أما عبد الباقي بن محمد بن طاهر الذى كان لاجئًا عندهم ، فقد

(١) باخرمة : نفس المصدر ص ١١٦٨ .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٣٨ ب ، بغية المستفيد ص ١٦٤ - ١٦٥ ، باخرمة : نفس المصدر ص ١١٧٣ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٢٠ .

(٣) باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١٧٢ .

(٤) ابن الديبع : الفضل المزيّد ص ٣٢ ب - ٣٣ أ .

(٥) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٤٢ أ ، باخرمة : قلادة النجر ج ٣

ص ١١٨٧ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٢٤ .

أمكن اعتقاله وأمر السلطان بسجنه^(١) فظل سجينا حتى عفا عنه سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م .

٢ - ثروات قبائل القرشية :-

استقرت قبائل القرشية^(٢) في منطقة تهامة شمالي مدينة زيد ، وكان القرشيون وجيرانهم المعازبة من أكثر قبائل اليمن ميلا إلى الثورة وجنوحا إلى الاضطراب منذ أيام بني رسول ، كما كانوا من العوامل الرئيسية في سقوط دولة بني رسول ، فلما استولى بنو طاهر على ملك اليمن ، عملوا على مهادنة تلك القبائل ، واجتهدوا في ارضائها . ولهذا السبب لم يتردد القرشيون في الدخول في طاعة بني طاهر والتعاون معهم في بداية دولتهم ، وليس أدل على ذلك من انضمامهم إليهم واشتراكهم معهم في حملتهم التي استهدفت الاستيلاء على مدينة زيد من بقايا بني رسول سنة ٨٥٩ / ١٤٥٥ م . وكان من الطبيعي أن يقتحم القرشيون معهم المدينة ويقوموا بأعمال السلب والنهب فيها ، وقد روى أن السلطان المجاهد علي بن طاهر كان قد أذن لهم بنهب المدينة لقاء نصرتهم له ، غير أنهم ما كادوا يشرعون في انتهاكها حتى تجمع أهل زيد وتصدوا

(١) ابن المديح : نرة العيون ص ١٤٢ أ ، الفضل المزبد ص ٣٣ أ ،
بإحزمة : نفس المصدر والصفحة . (وكان عبد الباقي بن محمد طاهر قد نر إلى
ساحل إفريقيا الشرقية خوفاً من السلطان ، فلما عاد إلى اليمن لجأ إلى يافع واستقر
عندهم) انظر ما سبق ص ٢٧٦ هامس ١ .

(٢) ابن المديح : قررة العيون ص ١٥٥ أ .

(٣) إليهم تنسب قرية القرشية على بعد فرسخ من مدينة زيد (ابن الجاور :
وصفة بلاد اليمن ج ٢ ص ٢٨) .

لهم وتغلبوا عليهم ، وقتلوا عددا منهم ، وطاردوا الباقين وأرغموهم على الفرار من المدينة (١) . وأعقب تلك الهزيمة التي منى القرشيون بها ، وفاة شيخهم الصديق بن محمد غراب في نهاية عام ٨٦٠ / ١٤٥٦ م ، وتسميت وفاته في إضماغ شوكتهم (٢) .

ولم يكن بنو طاهر غافلين عن حركات القرشيين وثوراتهم ، فأخذوا يحصون عليهم حركاتهم تمهيداً للقضاء عليهم . ويبدو أنه ظهر للسلطان المجاهد على منهم ما أغضبه ، لذلك قرع عزمه على أن يمنع عنهم النفقة التي كان قد قررها لهم ، وأقدم في سنة ٨٦٢ / ١٤٥٨ م على اعتقال جماعة من زعمانهم ، فقيدهم وحبسهم في مدينة المقرانة (٣) . والظاهر أن ذلك الإجراء لم يكن كافياً لإجبارهم على الطاعة ، أو أنه أثار ثأرتهم ، بدليل قبام السلطان المجاهد في العام التالي بالقبض على جماعة أخرى منهم في مدينة زيد ، ومصادرتهم بعشرين ألف دينار (٤) .

وما زال بنو طاهر يتشددون مع القرشيين ويترصّدون حركاتهم .

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٠ ب ، بغية المستفيد ص ٩٦ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٨٧ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٩٨ ، بانخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١١٨ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢١ ب ، بغية المستفيد ص ٩٩ ، بانخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٢٦ .

(٤) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٢ أ ، بغية المستفيد ص ١٠٠ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٨٩ .

...يوتمكنوا - لفترة طويلة - من كبح جماحهم ، حتى كانت سنة ٨٨٧هـ / ١٤٧٠م .
عندما تحالفوا مع قبائل المعازبة وشقوا عصا الطاعة على السلطان المجاهد ،
وشنوا الغارات على قرى وادي زبيد ، الأمر الذي أطمع غيرهم من القبائل في
التدبير للاستيلاء على مدينة زبيد . ولكن أهل المدينة استبسوا في الدفاع عنها
حتى واقتهم إمدادات السلطان من عدن وقضت على حركات تلك القبائل (١) .

ومع ذلك فإن عزيمة القرشيين وروحهم القتالية لم تنفتر ، وأخذوا يتحينون
الفرص للثورة ، ولم تلبث محاولاتهم أن تجددت في صفر سنة ٨٧٨هـ / يوليو
١٤٧٣م ، ولكن والى زبيد استطاع القضاء على تمردهم واعتقل عددا منهم
أرسلهم إلى السلطان في تعسر (٢) ، كما قام يوسف بن عامر ابن أخي السلطان
المجاهد على بالقضاء على محاربة أخرى للتمرد حدثت في ربيع الأول سنة
٨٨٢هـ / يونيو ١٤٧٧م ، وأمر بقتل أحد زعمائهم لما نسب إليه من تحريض
لهم على التمرد (٣) . وهكذا ضعف أمرهم واستنفذت قواهم ووهنت عزائمهم
ولم يعودوا يشكلون أي خطر على بني طاهر .

٣ - ثروات قبائل المعازبة : -

المعازبة من قبائل تهامة ، وتقع منازلهم إلى الشمال من زبيد ، وكانوا مثل
جيرانهم القرشيين مصدر متاعب كثيرة للحكام اليمن منذ أيام بني رسول . فلما
قامت دولة بني طاهر حاول سلاطينهم اجتذاب المعازبة وكسب قلوبهم وحملهم

(١) ابن الدبيع : بغية المستفيد ص ١١٤ .

(٢) ابن الدبيع : قررة العيون ص ١٢٦ ب ، بغية المستفيد ص ١١٧ .

(٣) ابن الدبيع : قررة العيون ص ١٢٧ ب ، بغية المستفيد ص ١٢٢ .

على الطاعة ، فأرسل إليهم السلطان المجاهد على يدعوم إلى التعاون معه والكف عن أعمال السلب والنهب، فلما لم يستجيبوا له توجه في شهر المحرم سنة ٥٨٦٠هـ / ديسمبر ١٤٥٥ لمحاربتهم (١) . وكان قد أرسل في الوقت ذاته الشيخ يحيى ابن عمر الثاقبي صاحب الحديدة إلى ناحية مدينة بيت الفقيه بالقرب من موطن المعازبة، وأمدّه بكثير من الأموال لاستخدام عرب المنطقة وضمان ولائهم (٢) . فلما توجه السلطان المجاهد على إلى الحاربة المعازبة انضم إليه صاحب الحديدة بمن تجتمع معه، كما شاركه القرشيون في تلك الحملة. وكادت قبائل المعازبة من القوة بحيث استطاعت الصمود وكادت تحقق النصر، لولا نيات السلطان في ساحة المعركة إلى أن تحقق النصر له وأنزل بالمعازبة هزيمة نكراء (٣) .

أسكنت هزيمة المعازبة هذه نائرتهم لمدة عام ، ولكن جمعهم لم تلبث أن داودت الإغارة على مدينة فшал (٤) الواقعة شمالي زيد، واشتبكت مع حاميتها في المحرم ٥٨٦١هـ / ديسمبر ١٤٥٦م ، وقتلت عددا من أفرادها واستولت .

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٠ ب ، بغية المستفيد ص ٩٧ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٩٤ - ٩٥ ، باخرمه : قلادة النحر

ج ٣ ص ١١١٦ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٠ ب ، بغية المستفيد ص ٩٧ .

(٤) تقع فшал على وادي رمع بين زيد وبيت النقيه، وهي على خط عرض .

٢٥° ١٤' شمالا ، وخط طول ٢٥° ٣٠' شرقا . (op. : Khazrejiyy - EL

.rit Vol. 3, p. ٦3, Note, 424.)

وهي المدينة المعروفة الآن بالحسينية (زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢٥١) .

على بعض الخيول (١) ، فأسرع المجاهد على للانتقام ، ولما وقع القتال وكادت الهزيمة تلحق بالمعازبة ، بادروا إلى طلب الصلح والدخول في طاعة السلطان وقدموا له ستين رأسا من الخيل (٢) .

وتظاهر المعازبة بالطاعة بحكم ضيقهم ، إلى أن استعادوا قوتهم ، ولكن والى زبيد لم يمهلهم ، وأغارت قواته على بلادهم في جمادى الآخرة سنة ٨٦٣هـ / مايو ١٤٥٩ م واستولت على مواشيهم (٣) . فاضطروا إلى التظاهر من جديد بالطاعة والولاء وقدموا للسلطان عددا من الخيول سنة ٨٦٥هـ (٤) / ١٤٦١ م .

ومع ذلك لم تحمد ثورات المعازبة ، ولم تفتت حركاتهم ، ففي ذى القعدة سنة ٨٦٨هـ / يوليو ١٤٦٤ م عادوا مرة أخرى إلى السلب والنهب وأغاروا على قرية التحيتا (٥) ، وقتلوا عددا من أهلها (٦) . ولم يتمكنوا بعض أتباع السلطان من مزاوله عملهم في بلادهم ، وتصدوا لهم وقتلوا جماعة منهم في ربيع

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢١ أ ، بغية المستفيد ص ٩٨ .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢١ ب ، بغية المستفيد ص ٩٩ ، يحيى ابن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٨٨ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٢ أ ، بغية المستفيد ص ١٠٠ .

(٤) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٢ أ .

(٥) التحيتا إحدى قرى زبيد ، ونقع إلى الغرب منها على خط عرض ١٢ ر ١٤ شمالا ، وخط طول ٤٣ ر ١٢ شرقا .

(EL - Khazrejiyy : op. cit. p. 26, Note, 1585.) .

(٦) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٦ .

الأول سنة ٨٦٩هـ / نوفمبر ١٩٦٤ م . فبادر السلطان بغزو بلادهم والانتقام منهم وتمكن جيشه من قتل عدد كبير منهم ، كما وقع بعضهم في الأسر (١) وتمكن والي زبيد من القبض على شيخهم محمد بن يوسف وعاد به مقيدا إلى زبيد في جمادى الأولى سنة ٨٦٩هـ (٢) / يناير ١٠٦٥ م ، غير أن بعض المقربين للسلطان تشنعوا فيه عند السلطان المجاهد على حتى أطلقه (٣) . وقد استهدف السلطان من وراء ذلك امتصاص نفمة المعازبة ، ووضع حد لثوراتهم، ولكن حسن النية التي أبداها السلطان نحوهم لم تغير من الأمر شيئا ، إذ لم يلبثوا أن أغاروا في آخر ذي الحجة سنة ٨٦٩هـ / أغسطس ١٤٦٥ م على قرية الشبارق الواقعة إلى الشرق من زبيد وأعملوا الساب والنهب فيها ، ولم تهدأ ثأرتهم حتى خرج والي زبيد على رأس حملة في ربيع الأول سنة ٨٧٠هـ / أكتوبر ١٤٦٠ م للقضاء على تجمعاتهم ، وأسفرت الحملة عن قتل عدد كبير منهم والاستيلاء على الكثير من أموالهم ومواشيهم (٤) .

كان لقتل السلطان الظافر ناصر الأول بن طاهر أثناء حصاره لصنعاء سنة ٨٧٠ / ١٤٦٦ م أعظم الأثر في ازدياد مطامع المعازبة وغيرهم من القبائل اليمنية ، وعلى الأخص قبائل تهامة ، مما ألحق عيضا كبيرا على عاتق والي زبيد الذي تصدى لمقاومة حركات المعازبة وغيرهم ، وصمد أمامهم إلى أن جاءه

(١) ابن الديبع: نفس المصدر والصفحة .

(٢) ابن الديبع: نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن الديبع: قررة العيون ص ١٢٣ ب .

(٤) ابن الديبع: قررة العيون ص ١٢٣ ب ، بغية المستفيد ص ١٠٧ ،

بمخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٢٩ .

السلطان المجاهد علي في ربيع الأول ٨٧١هـ / أكتوبر ١٤٦٦م في قوة من العسكر اشتبكت مع المعازبة بالقرب من مدينة بيت الدقيه شمالي زبيد وانتصر عليهم ، وتابع فلولهم قتلا وأسرا ، وغنم منهم الكثير ، واستمر يطاردهم حتى أذعنوا للطاعة وسلموا له اثنين وخمسين فرسا (١) .

وأخذ السلطان المجاهد يترصّد حركات المعازبة ويسعى لإخمادها أولا بأول ، فعام في أوائل سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م بشنّ الإغارات عليهم وقتل عدد منهم (٢) . وفي سنة ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م شدد السلطان هجانه على المعازبة ، وأغار عليهم ثلاث مرات وقضى على عدد كبير منهم ، ونهب بلادهم نهبا شنيعا (٣) ، وسقط في مقدمة القتلى شيخ المعازبة الشيخ عبد الله بن حسن العنبري ، وترتب على مصرعه عودتهم إلى الطاعة وتسليم عدد من الخيول دليلا على الولاء والطاعة (٤) . ولكن هذه الطاعة كانت قصيرة الأمد ، فلم يابث المعازبة أن باغتوا بعض رجال السلطان الذين ظلوا في بلادهم لمباشرة بعض الأعمال فيها ، وغدروا بهم في سنة ٨٧٦هـ / ١٤٧١م ، فأثار ذلك غضب السلطان الذي سير إليهم حملة قادسية تمكنت من إيقاع الهزيمة بهم وقتل عدد كبير منهم ، فأضطروا للعودة

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٤ ب ، بغية المستفيد ص ١٠٨ ،
بامخرمة : نفس المصدر ص ١١٢٩ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٦٠٣ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٩ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٤ أ - ب ، بغية المستفيد ص ١١٢ ، ١١٣ ،
بامخرمة ، قلادة النجر ج ٣ ص ١١٣٠ - ١١٣١ .

(٤) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١١٣ .

إلى الطاعة (١) .

وفي شوال سنة ٨٨٧٩هـ/فبراير ١٤٧٥م قام والي زبيد بالانغارة على المعازبة ، وقتل أعدادا منهم ، كما قام بنهب بيوتهم واستولى على مواشيهم (٢) . وكان سلاطين بني طاهر يعتمدون على والي زبيد لإقرار الأوضاع بمنطقة تهامة ، ومحاربة القبائل النائرة بها . ففي سنة : ٨٨٩هـ/١٤٨٩م قاد والي زبيد حملة للقضاء على عصيان المعازبة (٣) ، ثم أتبعها السلطان بحملة أخرى في شويان ٨٩٥هـ/يونيه ١٤٩٠م أحسكت الحصار عليهم ، وأرغمتهم على بذل الطاعة وتسليم تسعين فرسا . ولكن لم تكفد قوات السلطان ثققل عائدة حتى عاودوا عصيانهم . ففاجأهم تلك القوات مرة ثالثة ، وقتلت منهم أكثر من أربعين رجلا (٤) بالإضافة إلى ضحايا المعركتين السابقتين . لم تفت تلك الهزائم في عهد المعازبة ، فعلى الرغم من ذلك كله تواصلت تلك القبائل ثورتها وانشقاقها ، الأمر الذي دعا السلطان إلى الخروج بنفسه على رأس حملة سنة ٨٩٦هـ/١٤٩١م لاستئصالهم (٥) .

(٤) ابن الديبع : قررة العيون ص ١٢٦ ، بغية المستفيد ص ١١٥ ، يحيى ابن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٥٥ .

(٥) ابن الديبع : قررة العيون ص ١٢٧ أ ، بغية المستفيد ص ١١٨-١١٩ ، باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١٣٢ .

(٦) ابن الديبع : قررة العيون ص ١٢٥ أ ، بغية المستفيد ص ١٥٣ .

(٧) ابن الديبع : قررة العيون ص ١٣٦ ب ، بغية المستفيد ص ١٥٨ ، باخرمة : نفس المصدر ص ١١٧١ .

(٨) باخرمة : نفس المصدر ص ١١٧٢ .

فدحر بلادهم وسحق قوتهم وأباد عددا كبيرا منهم وانتهى منهم شر انتقام (١) ، ولم يكن بذلك بل عهد إلى والي زبيد بمواصلة الغارات عليهم ، فتوجه الوالي في شعبان سنة ٥٨٩٦ / يونية ١٤٩١ م لمحاربتهم ، فتصدت له قواتهم ، وكاد الوالي أن ينتصر عليهم وتمكن من قتل نحو ستين من رجالهم ، إلا أنهم تمكنوا من إعادة تنظيم صفوفهم وحملوا عليه حملة قوية وتمكنوا من تطويقه وقتله (٢) . فلما علم السلطان الظافر عامر الثاني بذلك ، خرج في سنة ٥٨٩٧ / ٩٢ م على رأس حملة وأحكم عليهم الحصار وأرغمهم على الاذعان له بالطاعة ، فقدموا للسلطان أربعين فرسا لإثبات لولائهم له (٣) .

ولقد تميزت قبائل المعازة بالعناد والتمرد المستمر ، فلم يتمكن بنو طاهر رغم حملاتهم المتعددة على مواقعهم من إخماد ثوراتهم . فلم يمض عامان على استئصال السلطان لهم حتى عاودوا العصيان ، واضطر السلطان الظافر عامر الثاني إلى القيام بحملة على بلادهم سنة ٥٨٩٩ / ١٤٩٤ م فأباد منهم جمعا ، ونهب أموالهم ومواشيهم ، (٤) . وتكررت الاغارات عليهم خلال تلك السنة (٥) لعدم وفائهم بما التزموا به للسلطان .

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦١٨ .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٣٧ أ - ب ، بغية المستفيد ص ١٦٠ .
يا مخزومة : هلافة النجر ج ٣ ص ١١٢٩ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٣٨ أ . بغية المستفيد ص ١٦٣ ، يحيى بن الحسين . غاية الأمانى ص ٦٦٩ .

(٤) يا مخزومة : نفس المصدر ص ١١٧٣ وراجع ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٦٨ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦١٨ .

(٥) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٧٢ .

وفي شعبان ٩٠٣ هـ / مارس ١٤٩٨ م تابع السلطان حملاته على بلاد المعازبة . فتمكنت قواته من قتل وأسر عدد كبير منهم (١) . وأدت تلك الحملات إلى الخلد من ثورتهم وإنهاء قواهم . وبالتدريج خفت حدة تلك الثورات التي اعتادوا القيام بها ، ولم تعد تحدث إلا على فترات متباعدة . ففي شعبان ٨٠٨ هـ / فبراير ١٥٠٣ م عاد المعازبة إلى الخلف وقاموا بأعمال السلب والنهب في المناطق المجاورة لهم . ولكن سرعان ما هدأت حركتهم قبل وصول عسكر السلطان إليهم ، وقاموا برد ما استولوا عليه ، فعفا السلطان عنهم (٢) . ولكنهم شقوا عصا الطاعة من جديد بعد عام واحد ، وتعرضوا للقوافل المارة بالدمج ووقفوا الطريق عليها ، فتوجه والي زبيد على رأس حملة لإقراار الأمن في منطقتهم ، ولما علموا بالحجاة تركوا قراهم ولاذوا بالأودية والشعاب ، فانتهت القوافل ديارهم ودوابهم وألقى القبض على بعضهم ، فأمر عوا إلى طلب الصلح وتقديم الرهائن (٣) . ومنذ ذلك الحين خمدت ثورتهم ولم يصدر عنهم ما يعكر الصفوف ، إذا ما استثينا محاولتين قاموا بهما في عامي ٩١٧ ، ٩١٩ هـ (٤) (١٥١١ و ١٥١٣ م) لم تسفر أي منها عن شيء .

٤ - ثورات بني حفيص الزيديين:

ليس المقصود بالزيديين هنا اتباع المذهب الزيدي ، وإنما نغني بهم القبائل التي كانت تنزل في تهامة تجاه جزيرة كمران ، حيث تقع مدينة الزيدية - المصمك

(١) ابن الديبع : الفضل المزيد على بغية المستفيد ص ٣٣ أ .

(٢) ابن الديبع : الفضل المزيد ص ٣٨ ب .

(٣) ابن الديبع : الفضل المزيد ص ٣٩ أ .

(٤) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٠ أ ، ١٥١ ب .

بانسهم - وما حولها . ويعتبر بنو حفيص من رؤسائهم ، وهم من أتباع المذهب السني ، ولا يمتنون للمذهب الزيدي بصلة .

لم يكن لبني حفيص الزيديين ذكر فيما أثير من شغب وتمرد أيام بنو رسول وما قبلهم . ويبدو أنهم ظلوا مسالمين طائعين لبني طاهر الذين خافوا بنو رسول في الساطنة . ففي سنة ٨٦٧ هـ / ١٤٦٣ م وفد جماعة منهم يتقدمهم بعض مشايخهم ، منهم أحمد بن أبي الغيث بن حفيص ومجد بن القاسم ، على بلاط السلطان الطاهري المجاهد علي ، فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم (١) .

واستمر بنو حفيص الزيديين على ولائهم لبني طاهر فترة طويلة . ولم تمدنا المصادر بأسباب تحولهم إلى العصيان ، ونعتقد أن الدافع الأساسي الذي دعاهم إلى هذا التحول إنما يرجع إلى تأثيرهم بحركات العصيان والتمرد التي اشتهر بها جيرانهم القرشيون والمعاوية . ففي سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م توجه والي زيد علي رأس حملة لمحاربة بنو حفيص ، وهاجمهم في الثامن عشر من رجب (٢١ يناير) وقتل زعيمهم أبا الغيث (٢) بن مجد بن حفيص في جماعة من أهله وأتباعه بزبدون علي الثلاثمائة (٣) واستولي علي بعض قراهم وترك فيها حامية . ترابط فيها (٤) . ولكن ما أن غادر والي زيد بلادهم متوجها إلى مقره .

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٣ أ ، بغية المستفيد ص ١٠٣ .

(٢) بانخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٣٢ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٥ أ ، بغية المستفيد ص ١١٠ ، يحيى

ابن الحسين : غاية الأمان ص ٦٠٤ .

(٤) بانخرمة : قلادة النحر ج ٢ ص ١١٣٠ .

حتى تمكن أحمد بن أبي الغيث من الاستنجاد ببعض القبائل المجاورة ، وإدراكه
بمهاجمة الحامية في رمضان من نفس العام . وقام بقتل عدد كبير منهم : وأرغم الباقون
على الفرار ، واستعاد بنو حفيص الزيديين ما فقدوه من بلادهم (١) . فلما
علم السلطان بذلك أسرع في إرسال حملة في المحرم سنة ٨٧٥ هـ / يولية ١٤٧٠ م
بقيادة ابن أخيه عبد الوهاب بن داود وبصحبته الشريف علي بن سفيان والي
زيد للانتقام من بني حفيص ، ودارت بين الطرفين معركة عنيفة لاذى فيها
الشريف علي بن سفيان مصرعه . وقاوم بنو حفيص واكنهم انتبهوا في
النهاية وقتل منهم عدد كبير فأذعنوا للطاعة (٢) .

والظاهر أن السلطان المجاهد علي بن طاهر رأى اضطنائهم ، فعندما توجه
أحد رؤسائهم وهو عز الدين بن حفيص بعد المعركة إلى زيد وبمثل بين يدي
السلطان ، أحسن استقباله وخلع عليه وعلى من جاء معه وأنعم عليهم . ومنحهم
أثني عشر ألف دينار لاستخدامها في استمالة القبائل المحيطة بهم للسلطان . غير
أن بعض القبائل لم يكن من مصلحتها أن يسود الاستقرار المنطقة ، فاعترضوا
طريق ابن حفيص عند عودته إلى بلاده في ربيع الأول سنة ٨٧٥ هـ / سبتمبر
١٤٧٠ م ، واستولوا على مامعه . فلما علم السلطان المجاهد بذلك توجه على
وأس حملة للانتقام من تلك القبائل والقضاء على تمردهم (٢) .

(١) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١١١ ، باخرمة : قلادة النحر ص ٣

ص ١٢٠ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١١٢ ، باخرمة : قلادة النحر ص ٣

ص ١١٢٠ - ١١٢١ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٠٤ .

(٣) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١١٢ - ١١٣ ، قرّة العيون ص ٢٥ ، ب

يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٠٤ .

وتتوزع العائلات مسرة أخرى ، ويتوجه السلطان المجاهد علي بن علي رأس
 حامية كبيرة إلى بلاد بني حنيفة ، فلما اقترب منها جاءه أحمد بن أبي الغيث
 ابن حنيفة حاملا المصحف الشريف علي رأسه ومنتشعا بالعناء والصلحين
 لطلب الأمان ، فعفا السلطان عنه (١) . ومما يذكر أن أخاه علي بن أبي الغيث
 كان معتقلا في زيد منذ أوائل سنة ٨٧٦ هـ (٢) / ١٤١١ م ، فلما صفح
 السلطان عن أحمد بن أبي الغيث استنابه عنه علي بلانه وأسرك معه عز الدين
 ابن عبد بن أبي القاسم بن حنيفة ، وترك معها بعض جنده وعاد في
 رجب سنة ٨٨٠ هـ / نوفمبر ١٤٠٥ م إلى زيد (٣) . واستمر بنو حنيفة علي
 ولائهم لبني طاهر ، فعندما أرسل السلطان المجاهد بن أخيه يوسف بن عامر
 إليهم في شعبان سنة ٨٨١ هـ / نوفمبر ١٤٧٦ م ، استقبلوه استقبالا حسنا وقدموا
 إليه المقررات السنوية التي اشترطها السلطان عليهم (٤) . كما جاءته وفود
 القائل بمجددة للطاعة فاستقبلهم وأجازهم بالجوائز السنوية (٥) . وانتظم بنو
 حنيفة في الطاعة وأرسلوا ما عليهم من مقررات سنة ٨٨٢ هـ (٦) / ١٤٧٧ م .

(١) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١١٩ ، بالخرمة : قلادة النحر ج ٣

ص ١١٣٢ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١١٥ ، قره العيون ص ١٢٦ أ .

(٣) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٢٠ ، قره العيون ص ١٢٧ .

(٤) ابن الديبع : قره العيون ص ١١٧ أ .

(٥) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٢١ ، بالخرمة : قلادة النحر ج ٣

ص ١١٤٠ .

(٦) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٢٣ ، قره العيون ص ١٢٧ ب .

فلما تولى السلطان المنصور عبد الوهاب بن داود السلطنة ، وخرج ابن عمه يوسف بن عامر عن طاعته ، انتهى به الأمر إلى الانتحار سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م إلى بني حفيص للاحتماهم بهم وتزوج بابنة زعيمهم أحمد بن أبي الفيث (١) ، مما أساء العلاقات من جديد بينهم وبين السلطان الطاهري المنصور عبد الوهاب ولهذا توجه على رأس حملة للقضاء على عصيان ابن أخيه والانتقام من بني حفيص لمناصرتهم له . فلما وصل السلطان إلى مشارف بلادهم عمل في البداية إلى السعي لعقد الصلح وتصفية الأمور سلميا ، ولـ كن بني حفيص أبوا أن يسلموا غريمه يوسف بن عامر إليه ، فغضب السلطان واشتبك معهم في قتال عنيف ، أبدى فيه بنو حفيص شجاعة وصمودا لا نظير لهما ، وتمكنوا من دبل أحمد بن عامر — أخى يوسف — وكادت المعركة تنتهي لصالحهم ، لولا انضمام يوسف بن عامر إلى القوات السلطانية ، وقيامه بدور كبير حتى أمكن التغلب على بني حفيص في ذى القعدة سنة ٨٨٤ هـ / يناير ١٤٨٠ م وقتل أكثر من أربعائة منهم (٢) ، وعاد يوسف بن عامر مع السلطان إلى زيد ، ولكن السلطان لم يلبث أن أمر باعتقاله سنة ٨٨٥ هـ (٣) / ١٤٨١ م .

أما بنو حفيص فقد عارذت قوات السلطان الإغارة عليهم في سنة ٨٨٥ هـ

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٩ ب .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٣ — ١٣١ ، باخرمة : قلادة النحر

ج ٢ ص ١١٢٤ و ١١٦٣ .

(٣) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٣٠ — ١٣١ ، قرة العيون ص ١٣٠ أ .

باخرمة : المصدر ص ١١٦٣ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦١١ .

واشعلت النيران في قرانهم وقتلت عددا آخر منهم^(١) . وفي العام الثاني وجه السلطان حملة كبيرة إليهم ، ولكنهم بادروا بالدخول في الطاعة ، وعند عودة الحملة إلى زيد توجه معها بتد من رؤساء بني حفيص ومعهم أولاد زعيمهم أحمد بن أبي الغيث لتركرم رهائن لدى السلطان ضمانا لعدم العودة إلى العصيان^(٢) . غير أن أحمد بن أبي الغيث خشي تجديد الخلاف من قبيلته مما يعرض أولاده للخطر ، لذلك ترك بلاده وفر بمن تبقى من أسرته وحاشيته ، واستقر بمدينة أبي عريش بمنطقة جازان شمال تهامة ، فترة من الزمن ثم عاد متخفيا إلى مدينة الزيدية^(٣) . فلما علم السلطان بذلك أرسل إليه قوة في سنة ٥٨٨٧ / ١٤٨٢م تمكنت - بعد عناء شديد - من اعتقاله وجملة إلى زيد وأدخلوه على جبل ذابلا مقيدا حاسر الرأس في مستهل ذي القعدة سنة ٥٨٨٧^(٤) / ديسمبر ١٤٨٣م .

وبدوا أن هذا التصرف الشائن أثار حفيظة قبيلته واعتبرته وصحة عار

(١) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٣٢ ، قررة العيون ص ١٣٠ أ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٢٤ ، قررة العيون ص ١٣٠ ب ،
باخرمة : نفس المصدر ص ١١٦ .

(٣) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٧ ، قررة العيون ١٣١ أ ، باخرمة :
نفس المصدر ج ص ١١٢٥ ، ١١٦٥ .

(٤) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٢٧ ، باخرمة : نفس المصدر ص ١١٦٥
(ظل أحمد بن أبي الغيث سجينا في حصن تعز حتى توفي في ربيع الآخر سنة
٥٨٨٩ / مايو ١٤٨٤م) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٢٩ ، باخرمة : قلادة
النحر ص ٣ ص ١١٢٥ و ١١٦٦ .

لطمت جبينها، لذلك ثار بنو حفيص في صفر ٥٨٨٨هـ / مارس ١٠٨٣م على الحامية المرابطة في بلادهم ، وتمكنوا من قتل بعض أفرادها ، وأجبروا الباقين على الفرار . فكان لذلك رد فعل عنيف لدى السلطان المنصور عبد الوهاب ، فأمر والي زبيد بالوجه على رأس حملة انتقامية ضد بني حفيص ، ولم يلبث أن توجه بنفسه على رأس حملة أخرى ، وأمر بنهب بلادهم وأحرق إحدى قراهم وانتقم منهم شر انتقام ، ورتب في بلادهم حامية كبيرة وعاد إلى زبيد (١) .

واستمر السلطان المنصور عبد الوهاب يواصل ضغوطه العسكرية ضد بني حفيص ، فأرسل حملة أخرى في شوال سنة ٥٨٩٠هـ / أكتوبر ١٤٨٥م بقيادة ابنة عامر لمحاربة العترة الباغية منهم ، فقام بمحاصرتهم وقطع موارد المياه عنهم حتى أذعنوا للطاعة (٢) ، وساموا مائة وثلاثين فرسا وأربعين جملا بالإضافة إلى أربعين ألف دينار (٣) . وتعهد السلطان بموالاة بني حفيص وغيرهم من قبائل تهامة بالحملة ، فقبض شعبان ٥٨٩١هـ / أغسطس ١٤٨٦م أنفذ حملة كبيرة إليهم ، وقد بالغ قائدها قاسم بن وهبان في تحصيل المقررات المفروضة عليهم ، فتكاتفوا ضده وأوقعوه في كمين نصبوه له وقتلوه في جماعة من عسكره (٤) . فلما علم السلطان سير إليهم قوة بقيادة عمر بن عبد العزيز للانتقام لمقتل ابن

(١) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٣٠ ، بامخرمة : قلادة النجر ج ٣

ص ١١٩٦ .

(٢) ابن الديبع : قرة العينون ص ١٣١ ب .

(٣) ابن الديبع : بغية ص ١٤١ ، بامخرمة : نفس المصدر ص ١١٦٦ .

(٤) ابن الديبع : بغية ص ١٤٢ ، بامخرمة : نفس المصدر ص ١١٣٧ و

١١٦٦ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦١٤ .

وهبان . فلما وصلت القوات إلى المنطقة جنحت تلك القبائل إلى المسألة تجنباً
 للقتال ، وسلمت كل قبيلة ما عليها من مقررات ، فأرسل بها عمر بن عبد العزيز
 إلى السلطان (١) . وبقي في قلة من أتباعه في بلاد بني حفيص لإقرار الأوضاع
 فيها ، فانتبه هؤلاء فرصة لإشغاله وفاجأوه في جمادى الآخرة سنة ٨٩٢هـ /
 مايو ١٤٨٧م فخرج منهزماً من بلادهم ، وأرسل يبالغ السلطان بتفاصيل
 الحادث ، فتجهز في جيش كبير وعزم على الانتقام من بني حفيص ، فلما وصل
 إلى بلادهم وجدهم قد غادروها خوفاً من إنتقامه ، فأمر بهدم دورهم وإحراقها
 إنتقاماً منهم (٢) وعاد السلطان بعد ترك عمر بن عبد العزيز واليا على بلاد بني
 حفيص وأمه بتميزات جديدة في ذى النعدة سنة ٨٩٢هـ (٣) أكتوبر ٤٨٧م .
 ورغم ذلك عاد بنو حفيص إلى المصيان مرة أخرى ، فتوجه السلطان إليهم في
 العام التالي ، فاضطروا إلى الطاعة وتسليم ما ألزمهم به من المال والخيل (٤) .

فلما توفي السلطان المنصور وخلفه ابنه الظاهر عامر الثاني ، عاد بنو
 حفيص إلى التمرد ، فأرسل الظاهر معظم مسكره بقيادة محمد بن عيسى البغداني
 والي زبيد لمحاربتهم ، فأخذن فيهم وأرغمهم على الانصياع للطاعة هم وغيرهم من
 قبائل تهامة ، وبيدوا أن السلطان أراد معاملتهم بالدين فأظهر رضاه عنهم
 وأفرج عن رهائنهم ، أبناء أحمد بن أبي الفيث وأنعم عليهم وكساهم ، ثم

(١) ابن الديبع : بغية ص ١٤٣ ، قررة العيون ص ١٢٢ أ ، يحيى بن الحسين :

غاية الأمانى ص ٦١٤ .

(٢) ابن الديبع : قررة العيون ص ١٣٢ أ ، بغية ص ١٤٤ ، بامخرمة :

نفس المصدر ص ١١٦٦ — ١١٧ .

(٣) بامخرمة : نفس المصدر ص ١١٦٧ .

(٤) ابن الديبع بغية : المستفيد ص ١٤٦ ، قررة العيون ص ١٢٢ ب .

ردم إلى بلادهم ، بعد أن أقسموا له على الطاعة ، وقدموا رهائن آخرين .
 تأكيداً لطاعتهم له ووفاء بما أقسموا عليه من عدم الخلف (١) ، وفي عام ٩٥ هـ /
 ١٤٩٠م أرسلوا إليه ما كان مفروضاً عليهم من مقررات (٢) . ويبدو أيضاً
 أن بنى حنيفص عاودوا الخلف بعد عام واحد ، بدليل توجه السلطان الظاهر
 ناصر الثاني للاغارة على بلادهم في صفر سنة ٨٩٦ هـ / ديسمبر ١٤٩٠ م ، فلما
 اقترب منها سارع جماعة من زعمائهم ، لاستقباله ولكنه أمر باعتقالهم لآتهامات
 وجهت إليهم (٣) .

وترتب على سياسة القمع والعنف التي اتبعتها بنو طاهر مع بنى حنيفص أن
 فقدوا القدرة على الخلف والعصيان وحنجوا إلى الطاعة - مرغمين - لبنى
 طاهر ما يقرب من عشر سنوات ، إلى أن نجحت غارات الظاهر بن عليهم ،
 وعلى القبائل المجاورة لهم في جمادى الأولى ٩٠٤ هـ / ديسمبر ١٤٩٩ م ، وفتكوا
 بهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً ، حزوا رؤوس بعضهم ودخلوا بها إلى زيد (٤) .
 فخيم الهدوء على أثر تلك الغارة من جديد على المنطقة . ولم تزودنا المصادر
 بأخبار عن حدوث تمرد منهم لفترة تزيد عن خمسة عشر عاماً . ولكن الأمور
 تغيرت بعد ذلك ، ففي سنة ٩٠١ هـ / ١٥١٥ م كان الخطر البرتغالي قد بلغ مداه ،

(١) ابن الديبع : بغية المستنيد ص ١٤٧ - ١٤٨ ، قرة العيون ص ١٣٣ أ ،
 بامخرمة : قلادة النحر ج ٢ ص ١١٦٨ .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٣٦ ب .

(٣) ابن الديبع : بغية المستنيد ص ١٦٥ . قرة العيون ص ١٣١ أ ، بامخرمة
 نفس المصدر ص ١١٢ .

(٤) ابن الديبع : الفضل المزد ص ٤٠ ب .

تعمدت الأحوال في اليمن نتيجة لموقف السلطان الطاهري من الحملات المملوكية التي أرسلها السلطان الفوري لمقاومة البرتغاليين في المياه الهندية ، ومنع خطرهم عن البحر الأحمر ، فاستغلت القبائل اليمنية المعادية للطاهريين إمتناع السلطان الظافر الثاني عن التعاون مع القوات المملوكية ، وأغارت جموعهم التي بلغت أكثر من ستة آلاف رجل ومائة فارس على مدينة الضحى الواقعة جنوبي مدينة الزيدية ، ولكن واليها استطاع — بما لديه من قوات قليلة — التصدي لهم وألحق الهزيمة بهم^(١) ، وفي نفس الوقت أسرع السلطان بإرسال حملة بقيادة ابنه عبد الوهاب لإمداد حامية الضحى ، فلما وصلها أسرع مشايخ بني حنيفس إلى المئول بين يديه متعهدين بتأدية ما يقرره عليهم غير أنهم لم يثبتوا على الطاعة ونقضوا عهدهم فاستؤثقت الغارات عليهم واعتقل زعماءهم وأجبروا على الطاعة^(٢) . ولكن ما أن بدأ الغزو المملوكي لليمن حتى أسرع بنو حنيفس وغيرهم من قبائل تهامة إلى التعاون الكامل مع تلك القوات تكاية في بني طاهر^(٣) ، فكان لتعاون تلك القبائل أثره في إلحاق الهزائم المتكررة بالسلطان الطاهري وقواته والقضاء على دولته^(٤)

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٤ أ ، الفضل المزيدي ص ٥٣ ب ،
بامخرمة : نفس المصدر ص ١١٩ ، يحيى : غاية الأمانى ص ٦٤٢ .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٤ أ - ب ، الفضل المزيدي ص ٥٤ أ ،
بامخرمة : نفس المصدر ص ١١٩٣ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٦ أ ، بامخرمة نفس المصدر ص ١١٩٨ .

(٤) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٦٠ أ ، بامخرمة : نفس المصدر ص ١٢٠٤ ،

الشلبلى اليمنى : السنة الباهر ص ٢٠٤ .

٥ - ذوات الحبيشى :-

والحبيشى ، هو عباس بن الجلال بن عبد الباقي ، وهو ممن رفع لواء التمرد .
والعصيان في منطقة الجبال على السلطان المجاهد على بن طاهر ، وقام في
ذى الحجة سنة ٨٦٩ هـ / أكتوبر ١٤٥٧ م بالاستيلاء على الخلافة من بلاد ذى جبلة .
بمنطقة اليمن الأوسط . وكان لابد للسلطان الطاهري من مواجهة تلك الثورة ،
فزحف بمجموع كثيفة من قواته إلى مدينة ذى جبلة وأقام هناك إلى ربيع الأول
٨٦٢ هـ / يناير ١٥٨١ م مراقبا للموقف ، إلى أن تبيأت له الفرصة للاغارة على
الحبيشى والتغلب عليه وقتل عدد كبير من أتباعه (١) . وواصل السلطان
حملاته على منطقة نفوذ الحبيشى وتمكن في ذى القعدة من نفس العام من الاستيلاء
على عدد من الحصون التي كانت تحت سيطرته (٢) . وتوقفت حملات السلطان
بضبح سنوات ثم استؤنفت في جمادى الآخرة سنة ٨٦٦ هـ / مارس ١٤٦٢ م
لاستعادة بعض الحصون التي كان الحبيشى قد سيطر عليها (٣) . وقد وفق
المجاهد في إخماد حركته ، وأرغمه على طلب الدخول في الطاعة ؛ وقبل طلبه
وتم التوصل إلى الصلح في أواخر ٨٦٨ أو أوائل ٨٦٩ هـ / ١٤٦٤ م وأنعم .

(١) ابن الديبع : قره العيون ص ١٢١ ب ، بغية المستفيد ص ٩٩-٩٤ .
بمخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٢٦ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٩٩ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى...
ص ٥٨٩ ، الكبشى : اللطائف ص ٢٢٣ .

(٣) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٣ ، قره العيون ص ١٠٣ ب ،
بمخرمة : نفس المصدر ص ١١٢٦ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٩٥ .

عليه (١) .

وقد أثبتت الأحداث أن الدخول في الطاعة كانت وسيلة تلجأ إليها القبائل لتخفيف ما كان يصيبها من تفكيك السلطان بأمرائها ، فهي بمثابة مدينة مؤمنة تقبلها القبائل النائرة إلى أن تستعيد قواها أو تتساح لها الفرص للثورة من جديد . ويبدو أن عباس الحبشي أثر الجنوح إلى الطاعة ، ولكن أخاه إدريس بن الجلال الحبشي هو الذي بدأ بالعصيان في هذه المرة في سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م ، فأضطر السلطان المجاهد إلى السير إليه في شعبان سنة ٧٧٠هـ / يناير ١٤١٢م لمحاصره في حصن خدد بمنطقة ذي جبلة . ولكن الحصار لم يؤد إلى نتائج حاسمة وعاد السلطان إلى زيد (٢) . ولم يلبث أن عاد إلى المنطقة ذاتها من جديد بعد شهرين ، ووقعت بينه وبين إدريس الحبشي هدنة وقائع كان النصر فيها للسلطان المجاهد . على ، الذي تمكن من الاستيلاء على عدة حصون (٣) . ولم يجد بنو الحبشي بدا من العمل على التوصل إلى الصلح والعودة إلى الطاعة فتم لهم ذلك في ربيع الأول سنة ٥٧٨٩هـ / يولييه ١٤٧٤م ، وتوجه الشيخ إدريس بن الجلال الحبشي مع السلطان ودخل في ركابه إلى تمز (٤) .

(١) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٦ ، بامخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٢٨ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١١٦ ، بامخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٣١ .

(٣) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١١١ .

(٤) ابن الديبع : نفس المصدر ص ١١٨ ، قرة العيون ص ١٢٦ ب ، بامخرمة نفس المصدر ص ١١٢٢ .

استقرت الأوضاع بين الجايين عدة سنوات تجددت بعدها رغبة بني طاهر في استعادة الحصون التي كانت بحوزة الجيشى ، وخاصة حصن خدد باعتباره من المعاقل اللينة والمهمة لتحكمه فيما حوله من المناطق ، ولهذا توجه السلطان على رأس حملة كبيرة ، وحاصر ذلك الحصن في ذى القعدة سنة ٨٨٢هـ / فبراير ١٤٧٨م - وكان ادريس الجيشى قد لجأ إلى حصن الحضراء القريب من حصن خدد ، فبدأ السلطان بمحاصرته كذلك ، وأصر بضربه بالمنجنيق حتى خرب معظمه مما اضطره إلى طاب الأمان من السلطان وتسليم ما بحوزته من الحصون (١) .

ويبدو أن الجيشى استطاع استغلال الصراع الذى دار بين السلطان المنصور عبد الوهاب ومنافسيه من بني طاهر ، وتمسك من استعادة بعض الحصون ومن بينها حصن خدد، فاضطر السلطان المنصور إلى إحكام الحصار على هذا الحصن واستعادته في ربيع الثانى سنة ٨٨٦هـ / يونيه ١٤٨١م والاستيلاء على ما وجدته فيه من عدد وذخائر (٢) .

ثم استقرت الأحوال بعد ذلك في تلك المنطقة ، وخشى أهلها انتقام بني طاهر إذا ما نجند عمهياتهم ، ولهذا أرسل أهل بهدان - في تلك المنطقة - إلى السلطان الظافر عامر الثانى بن عبد الوهاب عقب توليه عرش السلطنة سنة

(١) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٢٣ ، قررة العيون ص ١٢٠ب ، بامخرمة نفس المصدر ص ١١٢٣ و ١١٤١ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٣٣ ، قررة العيون ص ١٣٠ب ، بامخرمة نفس المصدر ص ١١٦٤ .

١٩٤٥/٤ م يبلغونه بوقوع اضطراب في بلادهم ويطلبون منه سرعة
الحضور لإقرار الأوضاع فيها (١).

٦ - الصراع الزيدى الملمينى في عهد بنى طاهر :

تعد الأمامة الزيدية من أقوى القوى المعارضة للسلطات الحاكمة في اليمن ،
علاوة على كبرها يهدفون دائماً إلى السيطرة الكاملة على البلاد ، لذلك كان الصراع
مستمرًا بينهم وبين السلطات الحاكمة . غير أن الأمر كان يتوقف بصورة عامة
على مدى قوة الدولة القائمة ، فكلما أثبتت مقدرتها على السيطرة والتحكم في
البلاد ، كلما انكمشت القوى الزيدية والتزمت الهدوء ، في الوقت الذي كانت
تعد نفسها أمامك مقلدة ، فكانت تدخر قواها لفرصة مواتية تثبت فيها وتتوسع
على حساب القوى الحاكمة المنهارة . خاصة في المناطق التي يشكل أتباعهم فيها
أغلبية كبيرة كصنعاء وما يليها شمالاً من جبال اليمن .

وكان الصراع والتنافس بين بنى رسول على عرش السلطنة فرصة مناسبة
استغلها الأئمة للسيطرة على منطقة صعدة والاستقلال بحكمها ، والتوسع
تدريجياً في المناطق التي تليها جنوباً ، بحيث تمكنوا من الاستيلاء على صنعاء ،
ومد نفوذهم جنوباً إلى ذمار وما حولها قرب نهاية عصر الدولة الرسولية .

والحقيقة أنه لولا الانقسامات والمنازعات بين قوى الزيدية حول الامامة
وقيام أكثر من إمام في وقت واحد ، وتنافس الأئمة وقيام الحروب بينهم من
أجل الانفراد بالامامة ، لكان في استطاعتهم استكمال السيطرة على بلاد اليمن
ورئاسة ملك بنى رسول .

(١) بامخرمة : نفس المصدر ص ١١٦٩ .

ومع قيام دولة بني طاهر شغلت القوى الزيدية بالصراعات والحروب فيما بينها (١)، واستغل بنو طاهر حالة التصدع في الكيان الزيدي ، وتملوا على التقرب من الأطراف المتنازعة - كل على انفراد - واجتهدوا في توسيع شقة الخلاف واستمرار القتال فيما بينها مما يؤدي في النهاية إلى إضعافهم واستنزاف قوتهم (٢). وفي نفس الوقت عمل بنو طاهر على تجنب الدخول في صراع مباشر ضد الزيدية ، والتفرغ لتكريس الجهود لتوطيد دعائم دولتهم ، ولذلك نلاحظ أنه ما كاد الامام الناصر يغير سنة ٨٦٢/٨٥٨ م على مخطاف رداع - إلى الجنوب الشرقي من ذمار - حتى عمل بنو طاهر على تلافى التصادم معه، وسعوا إلى مسالته وتمكنوا بالفعل من التوصل إلى عقد صلح معه (٣). إلا أن الإمام لم يلبث أن أغار مرة أخرى في رجب أو شعبان سنة ٨٩٣/٨٩٠ م أو يونية ٤٥٩ م ، الأمر الذي دعا بنو طاهر إلى التصدي له ، وتمكنت قواتهم بقيادة الأمير جياش بن سليمان السنبلي من إيقاع الهزيمة به وقتل جماعة من أتباعه وإجباره على العودة (٤).

وفي رمضان سنة ٨٦٤/٨٦٠ م أغار الإمام مرة أخرى على رأس قوة كبيرة على بلاد رداع ، فتوجه السلطان الظافر عامر الأول بن طاهر لمقاتلته ، وبادره الحرب قبل أن يتهيأ للقتال ، وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٨٢ .

(٢) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٥٨٨ .

(٣) ابن اللديع : قرة العيون ص ١٢٠ ب ، بالمخرمة : قلادة النحر ج ٣

ص ١١٢٦ ، الكهسي : اللطائف السنية ص ٢٢٣ .

(٤) يحيى بن الحسن : غاية الأمانى ص ٥٨٩ .

الإمام من الانتصار في الهابة، واستمرت المعركة عن مقتل محمد بن طاهر - أخى السلطان - في جماعه من أتباعه ، كما قتل وأسر عدد من أتباع الإمام (١) .

ونتيجة الإغارات المتعددة التي شنها الامام الناصر محمد على مناطق نفوذ الطاهريين طمعا في التوسع على حسابهم ، توجه السلطان الظافر عامر بن طاهر على رأس حملة كبيرة سنة ٥٨٦٥ / ١٤٦١ م إلى زمار - وكانت وقتئذ تابعة للإمام - فقادها الإمام إلى صنعاء ، ولم يلتفت إلى محاربة الظافر (٢) ، واضطر والى زمار للخروج إلى معسكر السلطان وتقديم فروض الطاعة والولاء له وطلب الأمان لأهل المدينة خوفا من تعرضها للنهب والتخريب ، فاستجاب له السلطان ودخل المدينة بصحبه بغير حرب في شهر رجب من ذلك العام ، ولم يتعرض العسكر السلطاني لأهل زمار بأى سوء . فلما أفر السلطان الأوضاع فيها أمام ابن أخيه على بن تاج الدين عنه وعاد إلى رداع ، حيث وفدت عايه جموع القبائل مؤيدة طائعة (٣) .

وفي سنة ٥٨٦٦ / ١٤٦١ م خرج السلطان الظافر عامر الأول على رأس حملة إلى الشمر وترددت الشائعات آنذاك حول هلاكه ومن معه عطشا في الصحراء . فانهز الإمام الناصر محمد تلك الفرصة وزحف بقسواته إلى زمار

(١) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٠ ، باخرمة : قلادة النهر ج ٣ ص ١١١٨ و ١١٢٦ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٠٩ ، الكبسى : اللطائف السنوية ص ٢٢٣ .

(٢) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٥١٠ .

(٣) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

واستولى عليها (١) . وقد صادف ذلك عودة السلطان بن حمزة الشحر ، فلما علم بسقوط ذمار أسرح بقواته إليها ، وقام في نفس الوقت بمكانة قادة الزيدية اللناوين للناصر محمد وحرصهم على محاربتة ، مستهدفاً شغل الإمام الناصر في جبهتين ، ونجحت خطة الظافر على نحو لم يكن في الحسبان ، فلم يكفد يصل إلى ذمار حتى كان الإمام قد تركها لمصيرها ، وتوجه إلى حصن هران الواقع بالقرب من ذمار وتحصن فيه ، مما اضطر أهل ذمار إلى تسليم مدينتهم للظافر بالأمان ، فأمنهم (٢) ودخل مدينتهم في رجب سنة ٨٦٦ هـ (١٣ / أبريل ٤٦٢ م) ثم لم يلبث أن خرج بمسكروه لمحاصرة الإمام في حصن هران (٤) ، فلما اشتد عليه الحصار جنح إلى الصلح وعرض تسليم الحصن ، مقابل اعتراف السلطان بسيطرته على المناطق الواقعة شمالي تقيل بسلح شمالي ذمار ، ولكن السلطان لم يوافق (٥) على ذلك الشرط واستمر محاصراً للإمام . غير أن الإمام تمكن من التلخاص من الحصار ، إذ خرج سرأ في بعض خاصته من الحصن وتوجه إلى صنعاء ، ولكنه لم يتمكن من الوصول إليها إذ اعترضته بعض القبائل وقامت بأسره (٦) وعرضت تسليمه إلى السلطان الظافر عامر الأول ، ثم تراجعت عن ذلك تحت تأثير أحد فقهاء الزيدية وتم تسليمه إلى الإمام المطهر بن محمد بن

(١) يحيى بن الحسين: نفس المرجع ص ٥٩ ، الكبسي: اللطائف السنية ص ٢٢٣

(٢) يحيى بن الحسين: غاية الأمان ص ٥٩٢ .

(٣) باخرمة: قلادة النصر ج ٢ ص ١١١٩ .

(٤) ابن الديبع: قرة العيون ص ١٢٢ أ - ب ، بغية المستفيد ص ١٠١

(٥) باخرمة: نفس المصدر ص ١١٢٧ .

(٥) يحيى بن الحسين: نفس المرجع ص ٥٩٢ .

(٦) الكبسي: اللطائف السنية ص ٢٢٣ ،

سليمان (١) فظل سجيناً عنده إلى أن توفي في سنة ٨٦٨ هـ / ١٤٦٣ م.

وفي صنعاء انقسم الرأي العام الزيدى بين مؤيد للامام المطهر بن محمد ومعارض له، إلا أن محمد بن الامام الناصر الأسير تمكن - رغم تخوفه من الامام المطهر - من التحفظ على صنعاء، ورأى أنه قد أصبح بين شقي رحى، يحاصره من الجنوب السلطان الظافر، ومن الشمال الامام المطهر، ولم يكن في مقدوره مقاومة هاتين القوتين، في الوقت الذي كان في صنعاء عدد من المؤيدين لسيطرة المطهر على صنعاء. ولما كان محمد بن الامام الناصر معادياً للامام المطهر فقد سعى إلى الانتقام منه وتخليص والده من أسرته، ولذلك رأى أن يسلم مدينة صنعاء للسلطان الظافر حتى يتحقق له بذلك وقرع الصدام بين الإمام والسلطان، ويتمكن عن طريق ضرب فريق بفرقة من أن يحقق نفعاً لنفسه، وبالمعل فام بمراسلة السلطان الظافر وتم الاتفاق معه على تسليم المدينة مقابل خمسين ألف دينار (٢). ودخل السلطان بقواته صنعاء في شوال سنة ٨٦٦ هـ / يولية ١٤٦٤ م وولى هاليها ابن أخيه عبد الوهاب بن دارد، وترك معه فيها حامية كبيرة (٤).

وبذلك توسع بنو طاهر واشتد ملكهم، واستقروا في هذا العام على

(١) ابن الديبع: قررة العيون ٢٢ أ، بغية المستفيد ص ٣١ أ، بانخرمة: نفس المصدر والصفحة، يحيى بن الحسين: نفس المرجع والصفحة.

(٢) يحيى بن الحسين: نفس المرجع ص ٥٩٤ و ٥٩٥.

(٣) يحيى بن الحسين: غاية الأمانى ص ٥٩١.

(٤) ابن الديبع: بغية المستفيد ص ١٠٣، قررة العيون ص ١٤ ب،

بانخرمة: قلادة البحر ج ٣ ص ٢٧ ١٠١.

كثير من الذين (١) . وكان السلطان يتردد على صنعاء لتفقد أحوالها ، ففى شوال ٨٦٧ هـ / بولية ١٤٦٣ م توجه إليها ودخل فى احتفال كبير ، وأقام بها فترة، عمل خلالها على إقرار الأوضاع فى المنطقة (٢) ، ثم غادرها بعد أن أتاب فيها الأمير محمد بن هيسى البعداني (٣) .

بدأ محمد بن الناصر يستشعر مشاعر الضيق والسخط بعد أن أخفق فى خطته ، ولم يتحقق الصدام الذى كان يرجوه بين الامام المطهر والسلطان ، والظاهر أنه عبر عن تلك المشاعر بدليل أن السلطان الظافر عامر الأول بادر بالكتابة لى واليه على صنعاء بأمره بتدبير الحيلة لإرسال محمد بن الناصر إليه حتى يضمن عدم قيامه بتدبير الاستيلاء على صنعاء . وفتن ابن الناصر إلى ما يدبره ضده ، فأرسل يستدعى أحد كبار أعوانه ويدعى محمد بن عيسى شارب الأسدي (٤) ، واتفق وصول صاحبه هذا إلى صنعاء أثناء غياب واليهما - فى معظم جيشه - لتفقد بعض المناطق التابعة له (٥) . فلما وصل محمد بن عيسى شارب ليلا نادى أتباعه على الحراس ليفتحوا باب المدينة للأمير محمد بن عيسى ، فحسبوه والى صنعاء لتشابه الأسماء ، وبذلك تيسر له دخول المدينة على

(١) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٥٩٤ .

(٢) يحيى بن الحسين : نفس المرجع والصفحة .

(٣) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٥٩٥ .

(٤) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٥٩٦ - ٥٩٧ ، الكيس : اللطائف

السنية ص ٢٢٤ .

(٥) ابن الديبع : قررة العميون ص ١٢٣ ب ، الكيسى : اللطائف السنية

ص ٢٢٤ .

أنه واليهما واستولى عليهما في المحرم ٨٦٩ هـ / سبتمبر ١٤٦٤ م. فلما علم الوالي الختيمي بما حدث عاد إلى ذمار ومنها إلى المقرانة (١).

أما السلطان الظافر عامر الأول فقد غضب غضبا شديدا لفقد صنعاء بهذه الصورة، وبادر على الفور بالتوجه على رأس جيش جرار لاستعادتها، ولكن محمد بن الامام الناصر آثر أن يعامله على مال للتمز بتأديعه إليه (٢). وقيل بل اضطر السلطان إلى فك الحصار عن المدينة والعودة، لرغبة بعض قادة وجنده في قضاء عيد الأضحى مع أهليهم (٣). وقد يكون لهذا القول نصيب من الصحة، ذلك أنه لم يثبت أن عاد ثانية في آخر المحرم سنة ٨٧٠ هـ / سبتمبر ١٤٦٥ م لمحاصرة صنعاء، وقامت قواته بعمليات تخريب واسعة النطاق حولها (٤).

ومن الجدير بالذكر أن الصراع بين الزيدية على الإمامة كان قد بلغ ذروته، فالإمام المطهر كان يسعى للقضاء على محمد بن الإمام الناصر، وفي سبيل ذلك لم يتردد في التعاون مع الظافر وأرسل ابنه من كوكبان في مجموعة من الجنود إليه لمعاونته في الاستيلاء على صنعاء. وكان والي ثلا - بانقرب من كوكبان - يظهر ولاءه للإمام المطهر في حين كان يبطن نهم ذلك، فاستغل

(١) بالمخرمة: قلادة النحر ج ٣ ص ١١٢٨ - ١١٢٩.

(٢) ابن الديبع: بغية المستفيد ص ١٠٦، قررة العيون ص ١٢٣ ب، بالمخرمة: نفس المصدر ص ١١٢٩.

(٣) يحيى بن الحسين: نفس المرجع ص ٥٩٨.

(٤) ابن الديبع: بغية المستفيد ص ١٠٧، قررة العيون ص ١٢٤ أ.

فرصة خروج ابن الإمام المطهر في غالبية العسكر من كوكبان وطمع في الاستيلاء عليها واعتقال الإمام ، ثم كتب إلى محمد بن الناصر في صنعاء يخبره بذلك ، فأمدته بمجموعة من الجند ، وتمكن بفضلهم من دخول كوكبان ومحاصرة الإمام في داره . ودارت معركة عنيفة بين الجانبين انتهت بهزيمة صاحب ثلا وأسرته ومصرع جميع أتباعه . وكان ذلك الوالي قد أرسل قسماً دخوله كوكبان إلى محمد بن الناصر يبلغه باستيلائه عليها فدعت الطبول بالبشرى في صنعاء . وعندئذ خشي ابن المطهر على أبيه ، فأمدته السلطان الظاهر الأول بهجرة يده من عسكره ، فلما وصلوا إلى نلأ شرهوا في تخريب جانب كبير منها ، ثم تحولوا إلى كوكبان ، ولكنهم عادوا إلى السلطان بعد أن اطمأنوا على سلامة الإمام المطهر ، أما السلطان فإنه لم يلبث أن فك الحصار عن صنعاء (١) مكثفياً بما قامت به قواته من تخريب ما حول المدينة من مناطق زراعية (٢) .

توجه السلطان الظاهر عامر الأول إلى عدن ، ولكنه ما كان يصل إليها حتى لحقته رسائل من صنعاء يطلب مرسلوها منه العودة إليها وهدوه بنهرته ومساعدته في الاستيلاء عليها . فأسرع مرولاً إليها في حشد كبير ، فوصلها على حين غفلة من أهلها في ذى القعدة سنة ٥٨٧٠ هـ / يونية ٤٦٦ م . ولكنه لم يكن مستعداً للقتال اعتماداً على ما وعد به أهل صنعاء . ولهذا لم يستهص على قوات محمد بن الناصر بقيادة محمد بن عيسى شارب التغلب عليه وهزيمته وسقوطه صربعا في جملة كبيرة من عسكره يوم الاثنين السابع من ذى القعدة .

(١) يحيى بن الحسين : غابة الأمان ص ٥٩٩ م

(٢) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٦٠٠ .

سنة ٨٧٠ هـ (١) / ٢١ يونيو ١٤٦٦ م . وغنم أهل صنعاء كيات هائلة من الغنائم ، حتى « استغنى المفلس » ، (٢) .

ومما يذكر أن السلطان المجاهد علي كان قد حذر أخاه المظفر من الاعتماد على ما يوصله من أهل صنعاء ، إذ قد يكون ذلك مكيدة منهم لإبقائه في كين أعدوه له ، ولكن السلطان الظافر عامر الأول لم يسر نصيحة أخيه احتيما ، فلما قتل وهزمت قواته ؛ اضطرت أحوال اليمن ، وبذل السلطان المجاهد على جهودا مفضية من أجل إعادة الاستقرار إلى البلاد (٣) . وشغل بذلك ، وأعرض عن مواصلة الحرب ضد الزيدية (٤) ، مما أتاح الفرصة لمحمد بن الناصر أن يطمئن من ناحية بني طاهر فترة طويلة من الزمن ، وأن يتمكن - من ناحية أخرى - من الصمود أمام الحملات التي كان الإمام المظفر يجرها للاستيلاء على صنعاء (٥) . ولكن محاولات الإمام لم يكتب لها النجاح ، على الرغم من قيامه بالاستيلاء على مدينة ذمار (٦) ، التي استمر يسيطر عليها ، وكانت وفاته بهافي شهر صفر سنة ٨٢٩ هـ (٧) / يونيو ١٤٧٤ م .

(١) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٧ ، قررة العيون ص ١٢٤ أ .

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٠١ .

(٣) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٨ ، قررة العيون ص ١٢٤ ب ،

باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١٢٩ .

(٤) الكبسى : اللطائف السننية ص ٢٢٥ .

(٥) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٠٢ .

(٦) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٠٣ .

(٧) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٦٠٦ .

لم ينته الصراع بين الزيدية بوفاة المطهر بن محمد بن سايمان ، فقد قام ابنه عبد الله محتسبا - والاحتساب عند الزيدية مرحلة سابقة للإمامة وهولة لها - وبدأت مرحلة جديدة من التنافس على الإمامة ، فقد قام الشريف الزيدى محمد بن يوسف بن صلاح الدين المرتضى بالدعوة لنفسه بالإمامة . كما قام تزد الدين ابن الحسن بن علي بن المؤيد إماما ، ولكنه تخلى عنها ، ثم لم يلبث أن قام بتجديد دعوته مرة أخرى . وأجمعت الزيدية على مبايعته فيما عدا أهل صعدة الذين تمسكوا بإمامة محمد بن يوسف (١) ، أما صنعاء فكانت تحت سيطرة محمد بن الإمام الناصر . وعلى هذا النحو من التفكك والانقسام والتنافس وما اقترن به من صراع حربي ، أخذت الزيدية تتجدر نحو اضمحلال محتوم (٢) .

ويمكن القول بأن الفترة التي انفرد فيها السلطان المجاهد علي بالسلطنة بعد مقتل أخيه الظافر عامر الأول اتسمت بزهد المجاهد في مناجزة الزيدية ، وظل الأمر كذلك حتى أواخر عهد السلطان المنصور عبد الوهاب ، عندما استعاد مدينة دمار في شهر رمضان سنة ٨٨٩ هـ / سبتمبر ١٤٨٤ م ، وأرغم صاحبها عبد الله بن الإمام المطهر على الفرار منه (٣) والاحتباء بصنعاء ، فأحسن محمد بن الناصر استقباله رغم ما بين أسرتيهما من عداة (٤) .

(١) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٦٠٦ - ٦٠٧ .

(٢) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٦٠٨ .

(٣) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٤٠ ، بانحسرة : نفس المصدر

ص ١١٦٦ .

(٤) يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٦١٤ .

حويدرو أن أهل ذمار كانوا قد خرجوا عن طاعة السلطان المنصور عبد الوهاب،
 ومالوا إلى القوى الزيدية ، وسوروا مدينتهم ودعموا تحصيناتها^(١) ،
 والظاهر أن انشقاقهم حدث في بداية سلطنة الظاهر عامر الثاني ، بدليل أنه
 خرج في قوة من عسكره إلى ذمار في ذي القعدة سنة ٨٩٥هـ / سبتمبر ١٤٩٠م ،
 وظل يحاصرها إلى أن تمكن من تدمير جانب من سورها ، ومن خلاله نجح في
 اقتحام المدينة وفتحها عنوة في السابع من ذي الحجة سنة ٨٩٥هـ / ٢٢ أكتوبر
 ١٤٩٠م ، ووافق على تأمين أهلها بشرط أن يستكملوا تخريب سور مدينتهم .
 ثم أناب السلطان أحد ثقاته في ذمار وغادرها بعد أن أقر الأوضاع فيها^(٢) .
 أما الزيدية، فقد استمر الانقسام والتصددع في صفوفهم ، ففي رجب سنة
 ٩٠٠هـ / أبريل ١٤٩٥م توفي الإمام عز الدين بن الحسن بن علي بن المؤيد ،
 فقام بأمر الإمامة من بعده ابنه الحسن . وفي شهر ذي القعدة من نفس العام
 كانت دعوة الشريف الزيدى محمد بن علي الوشلى السراجى بالإمامة^(٣) معارضا
 بذلك الإمام الحسن بن عز الدين والإمام محمد بن يوسف ، وكان من الطبيعي
 أن تنشب الحرب بين تلك القوى حتى يتمكن أحدهما من الانفراد بالإمامة .
 ثم لم تلبث كفة الإمام الوشلى أن أخذت في الرجحان^(٤) ، فبدأ في التحرش

(١) ابن الديبع : قرّة العيون ص ١٣٦ ب - ١٣٧ أ ، يحيى بن الحسين :

نفس المرجع ص ٦١٨ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٥٩ ، باخرمة : قتال النجاشية ص ٣

ص ١١٧١ .

(٣) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٦٢١ - ٦٢٢ .

(٤) باخرمة : نفس المصدر ص ١١٨٥ ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع

ص ٦٢٣ .

ببني طاهر ، ففي سنة ٥٩٠٢ / ١٤٩٦ م قام بتحريض أهل ذمار للخروج عن طاعة بني طاهر (١) ، وواصل الإمام الوشلي نشاطه بالإغارة سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م على البلاد الخاضعة لسيطرة بني طاهر ، ولكن القوات الطاهرية بقيادة علي بن محمد البعداني تمكنت من مفاجأة قواته والالتفاف حولها وتطويقها مما أحدث ارتباكاً في صفوفه ، وسهل للقوات السلطانية الانتصار عليه (٢) ، فلم ينجح إلا بنفسه (٣) .

ثم سادت فترة من الهدوء أعقبها خروج السلطان الظافر الثاني بنفسه على رأس جيش ضخم إلى صنعاء ، وقيامه بمحاصرتها في شعبان سنة ٩٠٧ هـ / (٤) فبراير ١٥٠٢ م وقذفها بالمنجنيق . فلما اشتد الحصار على صنعاء استنجد أهلها بالإمام الوشلي وبمحمد بن حسين الحمزي المعروف بالبهال (٥) ، صاحب صعدة ، فأسرعا في جموع كبيرة لنجدتهم . فلما علم السلطان الظافر عامر الثاني بأمر تلك النجدة ، أرسل حملة بقيادة محمد بن علي البعداني لاعتراض طريق تلك

(٦) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٤١ أ ، الفضل المزيدي ص ٣١ ب ، باخرمة : نفس المصدر ص ١١٨٧ .

(٧) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٤٢ ب ، باخرمة : نفس المصدر ص ١١٨٨ ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٦٢٤ .

(٨) ابن الديبع : الفضل المزيدي ص ٣٤ أ .

(٩) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٤٥ ب - ١٤٦ أ ، الفضل المزيدي ص ٣٧ ب ، باخرمة : نفس المصدر ص ١١٩٠ .

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٢٨ - ٢٩٠ ، الكنجي : اللطائف الدينية ص ٢٢٩ .

الإمدادات والقضاء عليها أو إرغامها على العودة ، ولكن البغداني لم يستطع
 للصمود أمام تلك الحشود الضخمة واضطر إلى العودة منزم إلى السلطان (١)
 فلما أحس السلطان الظافر الثاني بتخرج موقفه بوصول النجيدات وصعوبة
 الانسحاب ، أبدى إستعداده للصلح ، إلا أن زعماء الزيدية اشتروا شروطا
 لم يقبلها ، فقرر العودة وقام بإحراق أقماله (٢) حتى لا تعوق انسحابه ، ولا
 يتركها ليعتقدها منها أعداؤه . فلما بدأ بالانسحاب في المحرم سنة ٥٩٠٨هـ/بولية
 ١٥٠٢م تصور زعماء الزيدية أن الفرصة قد سنحت لهم لإيقاع الهزيمة به ،
 وتبعوا قواته ، ولكن السلطان تمكن من التغلب عليهم ، ووصل إلى ذمار
 دون أن يتميخا لمصومه الإيقاع به (٣) .

أما محمد بن الناصر صاحب صنعاء ، فقد رحب بالامام الوشلي ومحمد بن
 حسين البهال عند دخولهما المدينة ، ولم يتردد في الاعتراف بإمامة الوشلي ، الذي ظل
 مع البهال في صنعاء عدة أيام ثم عاد كل منهما بعدها إلى بلده (٤) . ولم يلبث محمد
 ابن الناصر أن توفي في شعبان سنة ٥٩٠٨هـ/ (٥) فبراير سنة ١٥٠٣م ، فقام

-
- (١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٤٥ ب ١٤٦ ، باخرمة : قلادة النجر
 ج ٣ ص ١١٩٠ ، الكبسي : اللطائف المشية ص ٢٣٠ .
- (٢) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ١١٢ أ ، غاية الأمانى ص ٦٢٩ .
- (٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٤٥ ب ١٤٦ ، الفضل المزيدي ص ٣٨ أ
 . باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١٩٠ .
- (٤) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٢٩ .
- (٥) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٤٦ ب ، الفضل المزيدي ص ٣٨ ب ، باخرمة
 . نفس المصدر ص ١١٨٢ و ١١٩١ .

أخوه أحمد بن الناصر بحكم صنعاء به^(١).

وعلى الرغم من الصراع الدائر بين القوى الزيدية، إلا أن تهديد السلطان الظاهري بالاستيلاء على صنعاء وحدهم صنفوهم، وتوافدت جموعهم لحمايتها ونصرة أهلها. ولما كانت صنعاء من أهم مدن اليمن، وعن طريقها يفتح الطريق أمام بني طاهر لاستكمال السيطرة على الجزء الشمالي من أقاليم الجبال، فقد أعد السلطان الظافر عامر للثاني عدته لتجهيز حملة أخرى على صنعاء، فلما توافدت جموع القبائل عليه توجه إليها في ربيع الأول سنة ٩١٠ / أغسطس ١٥٠٤م وحاصرها وضربها بالمنجنيقات^(٢). وتكاثرت الزيدية للدفاع عن صنعاء وجاء الإمام الوشلي ومحمد بن حسين البهسال صاحب صعدة في جموع كشيقة لمحاربه. وكان السلطان الظافر قد وضع تلك النجيدات في الحسبان، وقام بتقسيم جيشه إلى قسمين، الأول ومهيمته حصار صنعاء والثاني بقيادة - وهدفه مواجهة القوات الزيدية القادمة لتجدة صنعاء، فدارت بين الجانبين معركة من أعنف المعارك التي وقعت في عصر دولة بني طاهر، أنتصر فيها السلطان الظافر الثاني انتصارا حاسما في رمضان سنة ٩١٠، فبراير ١٥٠٥م

(١) يحيى بن الحسين: نفس المرجع ص ٦٢٩، الكبسي: اللطائف السنوية

ص ٢٣٠.

(٢) ابن الديبع: قرة العيون ص ١٤٧ أ، بامخرمة: قلادة النجود ص ١١٩٢ (ويقال أن قوات الظافر عامر الثاني قد زادت على مائة وسبعين ألفا رجل من بينهم ثلاثة آلاف فارس) ابن الديبع: الفضل المزيد ص ٤٠ ب، يحيى بن الحسين: غاية الأمانى ص ٦٢٣، الكبسي: اللطائف ص ٢٣٠. (لأن هذا الرقم مبالغ فيه كثيرا إذا ما قورن بعدد القوات التي استخدمها بنو طاهر في حروبهم الداخلية الأخرى).

وقتل فيها عدد كبير من قوات الإمام وصاحب صعده ووقع الامام الوشلي أسيرا^(١) ، وغنم بنو طاهر كثيرا من الثنائيم . أما مجد بن حسين البهال فقد تمكن من الأفلات والفرار بأعجوبة بعد أن تكبد خسائر جسيمة^(٢) .

وفيما يتعلق بالقوات التي كانت تحاصر صنعاء ، فقد واصلت مهمتها ، وانتهرز أهل صنعاء فرصة المعركة الدائرة بين السلطان والإمام وأغاروا على للقوات المرابطة حول المدينة بهدف فتح نفرة تمكنهم من إمداد القوات للشبكة مع السلطان ، أو إتاحة الفرصة لها لدخول المدينة للاحتواء والتحصن فيها . إلا أن القوات السلطانية المحاصرة لصنعاء تمكنت من التصدي لهم وأوقعت الهزيمة بهم ، ودوت هزيمة الإمام الزيدي ووقوعه في الأسر دويا هنا لثلاثي صنعاء ، وخاف أهلها من أن يتعرضوا للعنف إذا ما قام السلطان بفتح المدينة عنوة . ولذلك طلبوا منه تأمينهم ، فلما وافق قاموا بفتح أبواب المدينة فدخلها بقواته

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٤٧ ب ، الفضل المزيدي ص ٤٠ ب ،
بامخرمة : نفس المصدر ص ١١٩٢ . العيدر وسي : النور السافر ص ٥٣ ، يحيى
ابن الحسين : نفس المرجع ص ٦٣٣ ، الكيسى : اللطائف السنوية ص ٢٣٠ :
(وكانت وفاة الامام الوشلي في صنعاء في ذى القعدة سنة ٥٩١٠هـ / ابريل
١٥٠٥م . ويقال أنه مات مسوما بسجنه فيها) ابراهيم بن القاسم بن المؤيد :
طبقات الزيدية - مخطوط بمكتبة الامام يحيى بصنعاء - ص ٢٠٠ أ ، يحيى
ابن الحسين : نفس المرجع ص ٦٣٤ .

(٢) كانت وفاة البهال في بلدة صعده في رجب ٥٩١٥هـ / أكتوبر ١٠٥٩م
(ابن الديبع : قرة العيون ص ١٤٩ ب ، الفضل المزيدي ص ٤٦ أ ، بامخرمة : نفس
المصدر ص ١١٨٥ ، ١١٩٠) .

واستولى عليها في السابع من شوال سنة ٥٩١٠هـ (١) . كما تمكن من الاستيلاء على كثير من الحصون القريبة منها (١) . فلما أفر الأمور في مدينة صنعاء أناب فيها النقيبه محمد النظاري وأنعم على القبائل التي اشتركت معه في القتال وسمح لأفرادها بالعودة (٢) . أما صاحب صنعاء الشريف أحمد بن الناصر فقد أرسله السلطان في المحرم ٩١١هـ / يونيو ١٥٠٥م إلى تعز فأقام فيها مجللاً مكرماً مع أهله وحشمه (٤) إلى أن توفي سنة ٩١٣هـ (٥) .

ولم يلبث أمر الزيدية أن ضعف بعد تلك الضربة التي وجهها إليهم السلطان الظافر عامر الثاني بن عبد الوهاب ، وكان لا بد من شخصية قوية تجمع شمل القوى الزيدية من جديد ، خاصة بعد أسر الإمام الوشلي ووفاته ، وتمثلت تلك الشخصية في الإمام يحيى شرف الدين (٥) الذي أقيمت له الدعوة بالإمامة

(١) ابن الديبع: قرة العيون ص ٧: ١ب - ١١٨ أ ، الفضل المزيدي ص ٤٠ب - ٤١ أ ، بامخرمة : قلادة النحر ص ١١٩٢ .

(٢) ابن الديبع : الفضل المزيدي ص ٤٠ب ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٤٤ب : الكبسى : اللطائف السنينة ص ٢٣١ -

(٣) ابن الديبع : الفضل المزيدي ص ٤١ أ .

(٤) بامخرمة : قلادة النحر ص ١١٩٢ .

(٥) يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٦٣٥ ، الكبسى : اللطائف

السنينة ص ٢٣١ .

(٦) هو الإمام المتوكل على الله رب العالمين يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن الامام المهدي لدين الله احمد بن يحيى المرتضى (غاية الأمان) بن احمد بن المرتضى بن مفضل بن منصور بن مفضل بن الحجاج بن علي بن يحيى =

بني حماني الآخرة سنة ٨٩١٢ / أكتوبر ١٥٠٦م غير أنه لم يحظ بإجماع كامل من العناصر الزيدية^(١) في بداية الأمر، ذلك أنه لم يقيم بدور فعال في مقاومة القوات الطاهرية التي استطاعت السيطرة سنة ٨٩١٧ / ١٥١١م على حصون تلال وحضور و كوكبان - إلى الشمال الغربي من صنعاء - كما استولت على بعض المناطق الأخرى التي كانت تحت السيطرة الزيدية^(٢) . ولم تفلح المحاولات التي قام بها الزيدية ، ففي عام ٨٩١٩ / ١٥١٣م فُضى والي صنعاء على مؤامرة قام بها بعض أهل صنعاء لفتك به وإنتزاع صنعاء^(٣) منه .

وهكذا بلغت دولة بني طاهر أقصى إنساع لها في عهد السلطان الظافر عامر الثاني ، غير أنه يؤخذ عليه تقصيره في مواجهة البرتغاليين الذين إزداد خطرهم في المحيط الهندي والبحر الأحمر . ومن المعروف أنه شغل ببعض الجولات التنقيرية في أنحاء كثيرة من بلاده ، فقد زار في سنة ٨٩٢٠ / ١٥١٤م كل من مدينة إب وذى جبلة من اليمن الأوسط^(٤) ، ثم توجه إلى صنعاء مما

ابن القاسم بن يوسف بن احمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (الكبسي) : اللطائف ص ٢٢١ ، العصامي : سمط النجوم العوالي - مخطوط بدار الكتب رقم ٥٦٦٤ تاريخ - ج ١ ص ٤٣٠ .

(١) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٦٣٥ .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥ أ ، الفضل المزيدي ص ٤٨ ب - ٤٩ أ ، بامخرمة : نفس المصدر ص ١١٩٢ ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٦٣٨ .
الكبسي : اللطائف السنية ص ٢٢٣ .

(٣) ابن الديبع : الفضل المزيدي ص ٥٢ أ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى

ص ٦٤٠ .

(٤) بامخرمة : نفس المصدر ص ١١٩٧ .

أطمع أشراف صعدة بالفتك به ، فقد وفد عليه في صنعاء بعض رؤسائهم
وعرضوا عليه الحضور إلى صعدة ليتسلمها منهم ، ولكنه أرسل معهم نائبة
عنه للقيام بتلك المهمة والإقامة فيها مع حامية أعدها معه ، وفي طريقهم إلى
صعدة أوقعوهم في كين كانوا قد أعدوه للسلطان ولم يتخلصوا منه إلا بعد
أن وصلتهم نجدة من السلطان ، فعادوا إلى صنعاء (١) .

أما من الخطر البرتغالي فيبدو أن السلطان الظافر عامر الثاني كان قد
ترك في بادئ الأمر مهمة التخاضع منه للدولة المملوكية ، ولكنه غير موقفه
تجاه المماليك ، ولم يكتبف بعدم التعاون معهم أو الامتناع عن إمدادهم بالمؤن ،
وعدم السماح لهم باستخدام بعض الموانئ بسواحل اليمن ، بل وقف منهم
موقفا عدائيا ، مما أدى إلى تحول الحملة المملوكية الثانية عن هدفها في محاربة
البرتغاليين واستدراجها إلى غزو اليمن والقضاء على دولة أبو طاهر بقل آخر
سلطنتها الظافر عامر بن عبد الوهاب في ربيع الآخر ٩٢٣هـ / أبريل ١٥١٧م .
وهذا ما سوف نتعرض له في الفصل الأخير .

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٣ أ - ب ، الفضل المزيد ص ٥٢ هـ ،

يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٤٠ .

الباب الثاني العلاقات الخارجية

الفصل الرابع : العلاقات الخارجية في عصر بني رسول.

الفصل الخامس : العلاقات الخارجية في عصر بني طاهر

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية في عصر بني رسول

أولاً - في عصر فؤاد الدين عمر بن علي بن رسول :-

ارتبطت بلاد اليمن - منذ بداية الاسلام - بالدولة الاسلامية ، كولاية لمن ولاياتها ، ولهذا كانت علاقاتها الخارجية ترتبط ارتباطاً وثيقاً وبصفة أساسية بعاصمة الخلافة . أما علاقاتها بالولايات الإسلامية أو الدول الأخرى ، فكانت تتم من خلال الخلافة القائمة . وكان ولاية اليمن يتم تعيينهم أيام الخلفاء الراشدين والأمويين وبني العباس ، بمعرفة الخليفة . ومع ضعف الدولة العباسية تحولت تبعيتها تدريجياً إلى تبعية إسمية تتمثل في الخطبة والسكك .

ومع بدء نشاط الشيعة وانتشار حركتهم ، كانت بلاد اليمن مؤثلاً لتلك الحركة المناهضة للعباسيين ، فلما قامت الدولة الفاطمية في إفريقية ، وانتقل مقرها إلى مصر ، استطاع علي بن محمد الصليحي إقامة الدولة الصليحية - الاسماعيلية - كدولة تدين بالولاء للخليفة الفاطمي بمصر ، في حين ظلت الدويلات اليمنية السنية الأخرى ، كدولتي بني زياد وبني نجاح من بعدها ، تابعتين إسمياً لخلافة بغداد .

ويقيام الدولة الأيوبية على أنقاض الدولة الفاطمية في مصر ، أرسل صلاح الدين أخاه توران شاه إلى اليمن سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م على رأس حملة للاستيلاء عليها ، من أجل القضاء على بقايا النفوذ الشيعي وضم اليمن إلى ركب

للتحرر العربي للجهاد ضد الصليبيين ، وتأمين حدود الدولة الأيوبية بالسيطرة على المنفذ الجنوبي للبحر الأحمر . وأصبحت بلاد اليمن الموحدة منذئذ تابعة للأيوبيين ، وتدين بالولاء للخليفة العباسي من خلال تلك التبعية . ومع أن حكامها الأيوبيين تمتعوا بقدر كبير من حرية التصرف ، إلا أن بلاد اليمن ظلت تشكل جزءاً من الدولة الأيوبية حتى وفاة المسعود يوسف بن الكامل بالأيوبي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م .

٦ - مؤلف الأيوبيين من محاولات بشى رسول السيطرة على الحجاز :-

وباستقلال نور الدين عمر بن علي بن رسول - نائب المسعود - بملك اليمن سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م دخلت بلاد اليمن في طور جديد من العلاقات العدائية مع الأيوبيين في مصر ، وأصبحت تلك العلاقات المتدهورة تمثل السمة المميزة للعلاقات اليمنية الأيوبية منذ بداية استقلال نور الدين باليمن وانسلاخها عن الدولة الأيوبية .

ولما كانت بلاد الحجاز - التابعة وقتذاك للأيوبيين - هي المعبر البري بين مصر واليمن ، فقد أصبحت محور الصراع بين هاتين القوتين . ومن ثم تحول هدف الأيوبيين من محاولة استرداد بلاد اليمن إلى العمل على استمرار تبعية بلاد الحجاز لهم ، بعد أن نجح نور الدين في نقل مسرح المعارك إليها تأمينا لسلامة الدولة .

وترجع صلة نور الدين عمر بن علي بن رسول ببلاد الحجاز إلى أيام المسعود يوسف الأيوبي ، الذي كان قد استولى على مكة في سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م

وأصبحت تابعة له (١) ، وأتاب عنه فيها نور الدين عمر بن رسول (٢) وترك معه حامية من ثلاثمائة فارس (٣) . وقد حاول شريف مكة حسن بن قتادة استعادة تفوزه وسيطرته على مكة ، ولكن نور الدين بانته بالهجوم قبل أن يستكمل استعداداته . وهزمه وشتت جموعه وقتل من أتباعه عددا كبيرا ، وولى الشريف حسن الأديار أمام نائب المسعود (٤) . وظل نور الدين يتوب عن المسعود في مكة حتى سنة ٦٣١ هـ / ١٢١٤ م عندما استدعاه المسعود حينما اعترم

(١) ابن الأثير . الكامل ج ١٢ ص ١٨٩ - ١٩٠ ، سبط ابن الجوزي : صرآة الزمان ج ٨ ص ٦٢٤ ، ابن أبيك : درر التيجان ص ٥٢٨ ، النويري : نهاية الأرب ج ١٧ ص ٢٢ ، أبو الفدا : المختصر ج ٢ ص ١٣٨ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٠ ، ابن الوردي : تاريخه ج ٢ ص ١٤٤ ، الخزرجي : المسجد ص ٢١٦ ، العقد الفاخر ج ٢ ص ١٤٩ ، الفاسي : العقد الثمين ج ٢ ص ٥٥١ ، ج ٤ ص ٣٥٤ ، المقرزي : السلوك ج ١ ص ٢١٣ ، الذهب المنسوك ص ٧٧ - ٧٨ ، العيني : عقد الجمان ج ٥٢ ص ٤٣٣ ، الشرفي : اللآلئ المضية ج ٢ ص ١٣٤ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧٠ ، الطبري : الأراج . المسكي في التاريخ المسكي ، مخطوط بدار الكتب ، ص ٤٧ .

(٢) ابن تغرى بردى : للنجوم الزاهرة ج ٨ ص ٧٢ ، زيني دحلان : خلاصة الكلام ص ٢٥ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٩٣ ، ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ج ١ ص ٢٢٩ ، حوادث الدهور ص ٣٧٤ ، المعصامي : سمط النجوم العوالي ص ٤٧٨ .

(٤) ابن تغرى بردى : للنجوم الزاهرة ج ٨ ص ٧٢ ، زيني دحلان : خلاصة الكلام ص ٢٥ .

على السفر إلى مصر لزيارة والده الملك الكامل مجد ، فأنا به مع إخوته على الين .
إلى أن يعود من مصر (١) . ولما استقر رأى المسعود على ترك الين سنة ٦٢٦ هـ /
١٢٢٩ م ليتولى دمشق وأعمالها بعد وفاة عمه المعظم عيسى واستيلاء والده
الملك الكامل مجد عليها (٢) ، ولي نور الدين عمر على حكم الين نيابة عنه (٣) .
ولكن المسعود لم يكد يصل إلى مكة - في طريقه إلى مصر - حتى وافته المنية .
أحسن نور الدين استغلال فرصة وفاة المسعود لمصلحته ، وعمس على
اكتساب ثقة الملك الكامل ، ولهذا أسرع بتجهيز الأموال والهدايا والتحف
وأرسلها إليه ، تعبيرا عن إخلاصه في نيابته عنه في حكم الين (٤) . ونجج

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٠ ، الخرجي : العسجد ص ٢١٦ .
العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٣ ، العقد الفاخر ج ٢ ص ١٤٩ ، العقد الثمين ج ٢
ص ٣٩٣ ، المقرزي : الذهب المسبوك ص ٧٨ ، ابن تغري بردى : المنهل
الصافي ج ١ ص ٢٩ ، باخرمة : تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٧٥ ، يحيى بن الحسين :
أنباء الزمن ص ٧٠ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٥٨ ، الناسي : العقد
التمين ج ١ ص ١٧٩ ، ابن أبيك : كنز الدرر ج ٧ ص ٢٠٠ ، الذهبي . سير
أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٤٠٢ ، المقرزي : الذهب المسبوك ص ١٨ ، ابن تغري
بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٧٢ ، الخبلي : شفاء القلوب ص ٩٩ أ .

(٣) أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٢٩ ، الخرجي : العسجد ص ٤٢٢ .
العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٣ ، المقرزي : السلوك ج ١ ص ٢٣٧ .

(٤) الناسي : العقد الثمين ج ١ ص ١٧٩ ، ابن تغري بردى : المنهل الصافي .

نور الدين في إقناع الملك الكامل بطاعته ووفائه له ، فحظى بثقته وأبقاه نائبا له على بلاد اليمن (١) . وقد ساعد على ذلك أن الدولة الأيوبية كانت تحتل فترة عصيبة من تاريخها ، فالصراع كان على أشده بين الملك الكامل وإخوته ، مما أدى إلى ضعف الدولة وزيادة المطامع الخارجية فيها (٢) .

وإذا كان نور الدين قد نجح في اكتساب ثقة الملك الكامل ، فإنه نجح أيضا في إخفاء مطامعه في الاستقلال باليمن (٣) ، مما ساعده على العمل تدريجيا في تنفيذ تلك المطامع ، وبدأ خطته بالعمل على إحكام السيطرة على البلاد ، فقام بعزل من ينشأه من ولاية المسعود (٤) ، وولي على المدن والحصون من يثق فيهم من أتباعه (٥) . فلما تم له ما أراد ، جاءه الأشراف الزيدية ودخلوا في طاعته وأغروه بخلق طاعة الأيوبيين والاستيلاء على اليمن ، وتحالفوا معه على تأييده ومساندته ضد الأيوبيين (٦) . وما أن استكمل تلك المرحلة الأولية حتى أقدم على إعلان استقلاله بملك اليمن أواخر عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م (٧) .

(١) النويري : نهاية الأرب ج ١٧ ص ٤٢ .

(٢) المقرئ : السلوك ج ١ ص ٢٥٥ ، العيني : عقد الجمان مجلد ٥٣ ص ١٧٩

Wiet : L' Egypte Arabe, pp . 351 - 359 .

(٣) ابن تغري بردي : حوادث الدهور ص ٣٧٥ .

(٤) الخزرجي : العسجج ص ٢٢٦ ، القاسم : العقد ج ٣ ص ٣٩٤ .

(٥) ابن تغري بردي : المنهل ج ١ ص ٢٣٠ ، باخرمة : تاريخ ثغر عدن

ج ١ ص ١٧٥ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧١ .

(٦) الخزرجي : العقود الأثرية ج ١ ص ٤٧ .

(٧) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٤١ ، النويري : نفس المصدر =

كان نور الدين يقدر عواقب ما اجتراً على القيام به ، والمخاطر التي قد تتمده من قبل القوى الأيوبية في مصر ، بعد أن أصبح في نظرهم مغتصبا لجزء من دولتهم . ولهذا يادر بالعمل على تأمين دولته وحمايتها من الحملات الأيوبية المنتظرة . ولما كانت بلاد الحجاز هي المعبر الوحيد للجيوش الأيوبية القادمة برا من مصر ، فقد تبين له أن استمرار تسمية الحجاز الأيوبيين بشكل خطر دائما على دولتهم لسهولة خطراً وصول الحملات والإمدادات الأيوبية عن طريقها إلى اليمن ، هذا إلى جانب وجود حامية أيوبية قوية مرابطة فيها (١) . ولذلك كان يتحتم على نور الدين - حامية لدولته - أن يعمل على إزالة الأخطار التي تهدده من ناحية الحجاز ، وذلك بالاستيلاء على تلك البلاد ، أو على الأقل نقل مسرح المعارك إليها ، ونحوها إلى خط دفاع أمان لليمن . ولا شك أن استيلاء نور الدين على بلاد الحجاز وسيطرته عليها من شأنه أن يؤدي إلى امتداد نفوذه واتساع رقعة دولته ، وارتفاع مكانته في العالم الإسلامي باعتباره حامي حرمين الشريفين .

وبدخول نور الدين في صراع سافر ضد الأيوبيين ، يبدأ دور جديد من التنافس على الحجاز ، فعلى الرغم من أن الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة الأيوبية لم تكن تسمح بتوجيه الحملات لاسترداد اليمن ، إلا أن إقدام نور الدين على انتزاع الحجاز من السيطرة الأيوبية ، قد وضعه - في اعتماد الأيوبيين - في مصاف القوى المعادية لهم كالصليبيين والحوارزمية . وهذا

= والجزء ص ٤٢ ، العرشي : بلوغ المرام ص ٤٦ ، زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٤٩ .

(١) الفاسي : العقد الثمين ج ١ ص ١٧٩ .

يقسم الأسباب التي حملت الملك الكامل الأيوبي على التحرك لمواجهة مطامع نور الدين عمر بن رسول ، فبدأ في تجهيز الحملات لضمان استمرار تبعية الحجاز له ، ووضع حد لمطامع نور الدين واستعادة اليمن إلى الكيان الأيوبي . وكانت أولى تلك الحملات التي أرسلها الملك الكامل ٦٢٩ هـ / ١٢٣١م إلى الحجاز بقيادة شجاع الدين طغتكين لتدعيم الحماية الأيوبية فيها وتمكينها من الصمود أمام مطامع نور الدين (١) .

أما نور الدين فإنه لم ينتظر حتى تدهمه القوات الأيوبية ، ورأى أن الهجوم خير وسيلة للدفاع ، فبادر - بمجرد علمه بتجهيز الحملة الأيوبية - بإرسال أول حملة له بقيادة أحد كبار أتباعه وبدعى ابن عبدان وأرسل معه الشريف راجح بن قتادة (٢) - وكان من الموالين له من أشرف مكة - وأمدّها بكثير من الأموال لإنفاقها على أهل مكة ضمانا لولائهم (٣) . ومن ناحية أخرى عقد طغتكين قائد الحملة الأيوبية اجتماعا بكبار رجالات مكة وأعيانها واستحلفهم على الوقوف بجانبه ومناصرته والإخلاص له ، وأنفق فيهم نفقة كبيرة . ولكن أهل مكة لم يلبثوا أن مالوا إلى اليمنيين بمجرد مراسلة الشريف راجح بن قتادة لهم وتذكيرهم بالمعاملة الحسنة التي عاملهم بها

(١) ابن حاتم : السمط ص ٤٣ أ .

(٢) القاسمي : العقد الثمين ج١ ص ١٧٩ ، ج٢ ص ٣٩٥ ، شفاء الغرام ج٢ ص ٢٠٠ ، باخرمة : نقر عدن ج٢ ص ١٧٦ .

(٣) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٤٣ أ ، الخزرجي : العقود ج١ ص ٤٩ ، العسجد ص ٢٢٨ ، ابن الديبع : قوة العميون ص ٦٦ أ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧١ .

نور الدين أبا م ولايته على مكة من قبل المسعود (١) . ولهذا لم يجد طفتكين بدا
- أمام خذلان أهل مكة له - من الانسحاب بقواته (٢) إلى نخلة ومنها إلى
ينبع حيث يتهيأ له أن يتحصن مع حاميتها الأيوبية (٣) . وكتب إلى الملك
الكامل يبلغه بتطورات الموقف (٤) . أما القوات النينية فقد استطاعت
الاستيلاء - في يسر وسهولة - على مكة في ربيع الآخر سنة ٥٦٢٩ / يناير
١٢٣٢ م بغير حرب لخروج قوات الأيوبيين منها (٥) .

ولم تكد الأنباء تصل إلى الملك الكامل باستيلاء قوات نور الدين بن
رسول على مكة والتجاء القوات الأيوبية إلى ينبع حتى أمرع بتسيير حملة
إلى الحجاز بقيادة فخر الدين بن شيخ الشيوخ (٦) وزوده بتسليحات إلى

-
- (١) الخزرجي : العقود ج١ ص ٥٠ ، المسجد ص ٢٢٨ ، القاسي : العقد
الثلثين ج١ ص ١٧١ ، ج٣ ص ٣٩٥ .
- (٢) ابن أبيك : درر التيجان ص ٥٥٩ ، الأرج المسكى في التاريخ :
المسكى ص ٤٧ .
- (٣) القاسي . العقد الثمين ج٢ ص ٧٤٠ ، المقرئزي : السلوك ج١ ص ٤٢٤ .
العصامي : سمط النجوم العوالي ص ٤٧٩ .
- (٤) الخزرجي : العقود الأثرية ج١ ص ٥٠ ، المسجد ص ٢٢٨ .
المقرئزي : السلوك ج١ ص ٢٤٤ .
- (٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٤٣ ب ، القاسي : العقد الثمين ج٢
ص ٧٤١ ، شفاء الغرام ج٢ ص ٢٠٠ ، المقرئزي : السلوك ج١ ص ٢٤٤ .
- (٦) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٤٣ ب ، الخزرجي : العقود ج١ ص ٥٠ ،
المسجد ص ٢٢٨ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٦٦ ب ، ابن ظهيرة : الجامع
الذخيرة ص ٣١١ .

كل من الشريفين أبي سعد صاحب ينبع وشيخة أمير المدينة يأمرها بالتعاون مع الحملة (١) . وغادرت الحملة مصر في عسكر لا يقابل كثرة ، (٢) إلى مكة ، فوصلها في رمضان سنة ٦٢٩ هـ (٣) / يونية ١٢٣٢ م . ورأى ابن عبدان مناجاة القوات الأيوبية ، فخرج بقواته من مكة وبصحبه الشريف راجح ابن قنادة ، والتحمت قواته مع قوات الأيوبيين في معركة انتهت بهزيمة ومقتله واستيلاء الأيوبيين منه على مكة (٤) ، وانتقام ابن شيخ الشيوخ ممن ساعد ابن عبدان من أهل مكة لخذلانهم شجاع الدين طغتكين وانضواء غاياتهم لقوات صاحب اليمن (٥) .

لم يرض نور الدين بهزيمة قواته ، ولهذا عجل بإرسال جيش كثيف لإمداد الشريف راجح بن قنادة (٦) — الذي كانت قد تجمعت لديه شتات

(١) القامى : العقد الثمين ج١ ص ١٧٩ ، ج٢ ص ٣٩٥ ، باخرمة : تاريخ ثغر عدن ج٢ ص ١٧١ .

(٢) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن أبيك : درر التيجان ص ٥٦٠ ، كنز الدرر ج٧ ص ٣٠٩ ، المقرئى : السلوك ج١ ص ٢٤٤ .

(٤) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ص ٥٠ ، المسجد ص ٢٢٨ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٦٦ ب ، باخرمة : تاريخ ثغر عدن ج٢ ص ١٧٦ ، الطبرى : الأرج المسكى فى التاريخ المكى ص ٤٧ .

(٥) ابن حاتم : السهط ص ٤٣ : القامى : شفاء الغرام ج٢ ص ٢٠٠ .

(٦) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ص ٥٤ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٦٦ ب ، باخرمة : تاريخ ثغر عدن ج٢ ص ١٧٦ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧١ .

ما تبقى من جيش ابن عبدان - وأمدته نور الدين بخزانة عظيمة من المال. للاتفاق منها على العسكر (١). وبفضل تلك الإمدادات وما احتشد لديه من فلول ابن عبدان زحف الشريف راجح إلى مكة فاستولى عليها (٢) بغير قتال في صفر سنة ٦٣٠ هـ (٢) / نوفمبر ١٢٢٢ م ، بعد أن انسحبت عساكر الأيوبيين منها (٤).

واستبد الغضب بالملك الكامل عندما بلغته أخبار تنكيل ابن شيخ الشيوخ بأهل مكة ، وبلغ من غضبه عليه أن استدعاه وعزله (٥) . ولما وصلته الأنباء باستيلاء قوات نور الدين على مكة ، جهز حملة من سبعمائة رجل بقيادة علاء الدين آق سنقر الزاهدى توجهت إلى ينبع في شوال ٦٣٠ هـ (٦) / ١٢٣٣ م ، ومن هناك تقدمت في طريقها إلى مكة ، وقبل أن تصلها كان الشريف

(١) العاصمى : العقد الثمين ج٣ ص ٣٩٠ ، المقرئى : السلوك ج١ ص ٢٤٩ .

(٢) ابن القوطى : الحوادث الجامعة ص ٤٢ ، العاصمى : العقد الثمين ج ٢

ص ٧٤٠ ،

De Gaury : Rulers of Mecca, p. 88.

(٣) ابن أيبك : درر التيجان ص ٥٦٠ ، ابن ظهير : الجامع اللطيف

ص ٣١١ .

(٤) العاصمى : العقد الثمين ج ٢ ص ٧٤١ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٤٣ ب ، الخزرجى : العقود الأثرية ج١

ص ٥٠ ، ابن الديبع : قرعة العيون ص ٦٦ ب .

(٦) المقرئى : السلوك ج١ ص ٢٤٤ ، العاصمى : سمط النجوم العوالي

ص ٤٨٠ .

راجع قد خرج عنها ، فدخلها الزاهدي بغير قتال (١) ، وأحسن إلى أهلها (٢) ، وحج بالناس (٣) ، ثم ترك فيها حامية أبوية بقيادة قطب الدين ابن مجلى الذى حل محل ابن شيخ الشيوخ (٤) .

أما السلطان نور الدين ، فقد عمده إلى إعادة تزويد الشريف راجح ابن قتادة بالأموال ليستخدمها في تجميز مالدیه من عسكر اليم (٥) . وبفضل تلك الأموال أمكنه أن يزحف بقوة كثيفة إلى مكة فدخلها بعسكره (٦) في الخامس من ذى القعدة سنة ٦٢١ هـ / ٢ أغسطس ١٢٣٤ م ، بعد أن خرج منها ابن مجلى وحمايته . وهكذا تذبذب ميزان النصر والهزيمة بين صاحب اليم الرسولي وصاحب مصر الأيوبي ، ولكن كفة اليم لم تلبث أن رجحت . ومن الجدير بالذكر أنه لم يهيج في تلك السنة سوى ركب الحاج اليمى (٧) .

(١) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢١١ .

(٢) ابن الدوطى : الحوادث الجامعة ص ٤٢ .

(٣) القاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٧٤٠ — ٧٤١ .

(٤) ابن أيبك : درر التيجان ص ٥٦٠ ، كنز الدرر ج ٧ ص ٢١٣ ،

المقريزى : السلوك ج ١ ص ٢٤٥ ، العصامى : سمط النجوم العوالى ص ٤٨٠ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٤٣ ب ، المقريزى السلوك ج ١ ص ٢٤٩ ،

باخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٧٦ .

(٦) الخزرجى : العقود ج ١ ص ٥٤ ، المسجد ص ٢٢٩ ، القاسى : العقد

ج ٢ ص ٣٩٥ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٦٦ ب .

(٧) ابن أيبك : كنز الدرر ج ٧ ص ٢١٤ ، درر التيجان ص ٥٦١ .

٢ - علاقة قور الدين بن رسول بالخلافة العباسية :

لم يقنع نور الدين بالسيطرة على بلاد اليمن فحسب ، وإنما نازع الأيوبيين نفوذهم على الحجاز . ولهذا عمل على استكمال شرعية حكمه بالحصول على اعتراف الخليفة العباسي به ، فقام بتجهيز هدية عظيمة أرسلها في سنة ٥٦٣١هـ / ١٢٣٤م إلى الخليفة العباسي المستنصر بن الظاهر ، طالباً تشريفه بالنيابة والتقليد بالسلطنة (١) ، فاستجاب الخليفة ووعده بإرسال المطلوب صحبة ركب الحاج العراقي في موسم الحج إلى عرفات (٢) . ولذلك توجه نور الدين في تلك السنة لأداء فريضة الحج واستقبال التشريف والتقليد (٣) . ولكن ركب الحاج العراقي لم يصل في ذلك العام ، لقوات الوقت في إصلاح الآبار على امتداد الطريق الموصل من بغداد إلى مكة ، بعد أن خربها عربان المنطقة ، فلما تم الفراغ من إصلاحها كان قد فاتهم وقت الحج (٤) ، مما اضطرهم للعودة إلى العراق . وترتب على ذلك بطبيعة الحال أن قفـسـل نور الدين عائداً إلى اليمن .

(١) الخزرجي : العقود ص ٥٤ ، المسجد ص ٢٢٩ ، العقد الفخر ج ٢ ص ٦٦ ب ، التناسي : العقد الثمين ج ٣ ص ٢٩٥ ، ابن تغري بردي : حوادث الدهور ص ٢٧٥ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٦٦ ب ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٧١ .

(٢) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٥٤ ، المسجد ص ٢٢٩ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٦٦ ب .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٤٣ ب ، الخزرجي : العقد الفخر ج ٢ ص ٦٦ ب .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٤٣ ب ، الخزرجي : العقود ج ١ ص ٥٤ ، المسجد ص ٢٢٩ ، ابن الديبع : نفس المصدر ص ٦٦ ب .

وفي العام التالي سحب رسول من قبل الخليفة ركب الحاج العراقي ،
 حامل رسالة (١) توجه بها بعد موسم الحج إلى اليمن لا بلاغ صاحبها بأن
 بالتشريف والتقليد قد تم إرسالها من البصرة عن طريق البحر (٢) . وما كاد
 التشريف والتقليد يصلان إلى اليمن برفقة رسول الخليفة حتى أقيمت مراسم
 التقليد (٣) . وهكذا استمد نور الدين صلاحياته من الخليفة العباسي مباشرة ،
 مما أكسب حكمه الصفة الشرعية باعتباره تابعا للخلافة العباسية .

ومن الجدير بالذكر أنه لما توجه نور الدين إلى مكة سنة ١٢٣٤/٨٦٣١ م
 لاستقبال التشريف والتقليد المنتظر وصولها من بغداد ، شك الشريف راجح
 ابن قتادة في الأمر وتجنب لقاءه ، كما أنه لم يؤد فريضة الحج في ذلك العام
 خوفاً منه (٤) . فغضب نور الدين من هذا التصرف (٥) ، ولم يعد الشريف
 راجح إلى مكة إلا بعد مغادرة نور الدين لها (٦) . وترجع أسباب تخوف
 الشريف راجح إلى ما كان بينه وبين إخوته من خلاف ظن الشريف أن
 نور الدين هو الذي تسبب فيه وحرص عليه كقائمة تلخع راجح عن نيابته

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٢) الخزرجي : المسجد ص ٢٢٩ ، العقد الماخر ج ٢ ص ٦٦ ب ، بالخزمية :

قاريخ نغر عدن ج ٢ ص ١٢٦ .

(٣) الخزرجي العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٥ ، الفاسي : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٩٥ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٤٣ ب ، الخزرجي : المسجد ص ٢٢٩ .

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٤ ، الفاسي : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٩٥ .

(٦) الفاسي : نفس المصدر ج ٢ ص ٧٤١ ، ابن الذبيح : قررة العميون

له على مكة ، ولكن نور الدين أنكر مانسبه الشريف راجح إليه (١) .

٣ - استهزأ الصراع بين بني وسول والأيوبيين حول الحجاز ، وما أسفر عنه من نتائج :

وأينا كيف بدأ التناس بين الساطان نور الدين والساطان الكبر عبد حول السيطرة على الحجاز ، وكيف تبودات الحملات بينهما واستمرت الى حد أنه كلما استولى أحدهما على مكة ، سارع الطرف الآخر بإرسال حملة لتدعيم قواته حتى تصبح قادرة على استردادها (٢) ، إلى أن استقر الأمر في مكة لصالح نور الدين في سنة ٦٣١ هـ . وقد أثار ذلك نائرة الملك الكامل نسير في العام التالي حملة قوامها مائة فارس (٣) بقيادة أحد مائتيه (٤) ودو أسد الدين جفربل (٥) وبصحبه أربعة من أجراء الأجناد أحدهما يدعى وجه السع والثاني البندق والثالث ابن أبي زكريا والرابع ابن برطاس . ولما نلم نور الدين بأمر تلك الحملة قبل وصولها ، بادر بإرسال مدد للشريف راجح

(١) الخزرجي : العقود ج١ ص ٥٥ ، المسجد ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، ابن تغرى بردى : المنهل تصانيف ج٤ ص ٢٩٦ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٦٧ أ .
(٢) الفاسى : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٩٥ ، ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ص ٢٧٥ ، العرشى : بلوغ المرام ص ٤٤ ،

De Guiry : Rulers of Mecca. p. 88 - 89 .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ٦٧ أ .

(٤) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٢٥٠ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٤٣ ب ، باخرمة : تاريخ نعر عدن ج ٢

ص ١٧٦ .

بقيادة ابن النصيري ، وأمره بالتصدي للحملة الأيوبية والسمود في وجهها .
 واجارها على العودة دون تحقيق مساعيها في الاستيلاء على مكة . ودلى الرشم
 من وصول المدد اليميني قبل مجيئ القوات الأيوبية ، إلا أن الشريف راجح
 لم يتمكن من التصدي لها بسبب عدم استكمال استعداداته (١) ، واضطر إلى
 الخروج من مكة وافساح الطريق أمام القوات الأيوبية لتدخل مكة من غير
 قتال (٢) في رمضان سنة ٦٢٢ هـ (٣) / مايو ١٢٣٥ م .

وبذلك تخرج موقف الشريف راجح وابن النصيري ، إذ أصبحا يتحملان
 تبعه إخفاقها في التصدي للأيوبيين ، وعدم تنفيذ الخطة التي أمرها السلطان
 بتنفيذها ، ولهذا توجهها إلى اليمين لإطلاع السلطان على حقيقة الموقف (٤) .
 فقام بأعداد حملة أخرى في سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م بقيادة الشهاب بن عبدان -
 وهو ابن قائد الحملة اليمينية الأولى - وزوده بالمال الكافي (٥) ، للاتفاق
 على الحملة . وانضم إليه الشريف راجح بن قتادة ، فلما اقتربت الحملة اليمينية من
 مكة فاجأها أسد الدين جفرييل خارجها بالهجوم وتمكن من التغلب على
 عسكر اليمين وأسر الشهاب بن عبدان قائد تلك الحملة وأرسله معتقلاً -

(١) الفاسي : العقد الثمين ج ١ ص ١٧٩ - ١٨٠ ، ج ٢ ص ٣٩٥ - ٣٩٦ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٤٤ أ ، ابن أبيك : درر التيجان ص ٥٦١ ،
 كنز الدرر ج ٧ ص ٣٩٦ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ج ٢ ص ٣١٨ ، المقرئ : السلوك ج ١ ص ٥٥٠ .

(٤) الخزرجي : العقود الأوثوية ج ١ ص ٥٥ ، المسجد ص ٢٢٩ .

المقرئ : السلوك ج ١ ص ٢٥٠ .

(٥) ابن الدبوع : قرة العيون ص ٦٧ أ .

إلى مصر (١).

وكان من المتوقع بعد فشل حملة الشهاب بن عبدان أن يقوم السلطان تور الدين على النحو الذي اعتاده بتوجيه حملة أخرى للاستيلاء على مكة ، إلا أن الأمر اختلف هذه المرة عن المرات السابقة ، بسبب انشغاله وقتذاك بإقرار الأوضاع الداخلية باليمن ، نتيجة لخروج زعماء الزيدية عن طاعته واستقلالهم بالمناطق التي كان قد أقرهم عليها ، ولهذا لم يتمكن من إرسال حملة لانتزاع مكة من الأيوبيين . وقد ساعد ذلك الموقف على استمرار سيطرة الوالي الأيوبي أسد الدين جفرييل على مكة إلى سنة ٦٣٥ هـ / (٢) ١٢٣٨ م . وما أن انتهى نور الدين من إقرار الأوضاع في اليمن ، حتى شرع في تجهيز حملة من ألف فارس (٣) تأدها بنفسه إلى مكة (٤) ، فلما اقترب من

(١) ابن حاتم : السمط ص ٢٥ ب ، ابن أبيك : درر التيجان ص ٥٦٢ ، كنز الدرر ص ٧ ص ٣١٨ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٥٥ ، المسجد ص ٢٢٩ ، القاسمي : العقد الثمين ج ١ ص ١٨٠ ، ج ٢ ص ٧٤١ - ٧٤٢ ، ج ٣ ص ٣٩٦ ، المقرزي : السلوك ج ١ ص ٢٥٣ ، باخترمة : تاريخ شعر عدن ج ٢ ص ١٧٦ .

(٢) القاسمي : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠٠ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٣١١ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٤٥ ب ، الخزرجي : العقود ج ١ ص ٦١ ، المسجد ص ٢٣٢ ، القاسمي : العقد الثمين ج ١ ص ١٨٠ ، ج ٣ ص ٣٩٦ ، شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠١ ، باخترمة : نفس المصدر والصفحة ، العصابي : سمط النجوم العوالي ص ٤٨٠ ، العقيلي : المخلاف الساجاني ج ١ ص ٢١٥ ،

De Gaury : Rulers of Mecca, p. 88 .

(٤) المقرزي : السلوك ج ١ ص ٢٥٥ .

مشارفها ، أمرع الشريف راجح بن قتادة لاستقباله والانضمام إليه والاشتراك
في الحملة (١) . ورأى نور الدين أن من الخير له تمزيق صفوف أعدائه بشراء
ولاثم ، ولهذا لجأ إلى استمالتهم بالمال ، وبذلك الوسيلة أصبح في إمكانه
إحداث انقسام في صفوف الأيوبيين ، فقرر لكل من ينضم منهم إليه ألف
دينار و فرس وكسوة ، قال إليه بعضهم (٢) . فلما أحس أسد الدين جنفريل
بخطورة الموقف ، تخاض من أنقائه فأحرقها (٣) وغادر مكة بقواته (٤) ،
فدخلها نور الدين بقواته معتمرا في رجب سنة ٦٣٥ هـ (٥) / فبراير ١٢٣٨ م .
ورتب فيها حامية من مائة وخمسين فارسا (٦) تحت امره اثنين من أتباعه .

-
- (١) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٦١ . المسجد ص ١٢٢ ، القاسي : العقد
التمين ج ١ ص ١٨٠ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٦٨ أ .
(٢) ابن حاتم : السمط ص ٤٥ ب ، الخزرجي : العقود ج ١ ص ٦١ ،
المسجد ص ٢٣٢ ، باخرمة : نفس المصدر والمنهجة .
(٣) ابن حاتم السمط ص ٤٥ ب ، الخزرجي : العقود ج ١ ص ٦١ ،
المسجد ص ٢٣٢ ، القاسي : العقد ج ٣ ص ٤٩٦ .
(٤) العيني : عقد الجمان مجلد ٥٣ ص ٢٠٧ .
(٥) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٦٢ ، المسجد ص ٢٣٢ ، القاسي : العقد
ج ٣ ص ٣٩٦ ، شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠١ ، العصامي : سمط النجوم العوالي
ص ٤٨٠ ، العقيلي : الخلاف السلجاني ج ١ ص ٢١٥ .
(٦) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٢١١ ، ابن الديبع : قررة العيون ص
٦٨ أ ، باخرمة : نفس المصدر والمنهجة .

هما ابن الوليدى وابن التعزى ، وقفل عائدا إلى اليمن (١) .
 أما القائد الأيوبي أسد الدين جفرييل ، فقد انسحب إلى مدينة الرسول ،
 فلما وصلها علم بخبر وفاة الملك الكامل مجد الأيوبي ، فعاد بعسكره إلى مصر (٢)
 مما أدى إلى استمرار سيطرة نور الدين عمر بن رسول على مكة ، ولم تتعرض
 حاميته فيها لأية مخاطر طيلة الفترة التي تلت وفاة الملك الكامل (سنة ٦٣٥ هـ /
 ١٢٣٨ م) حتى بداية سلطنة ابنه الصالح نجم الدين أيوب (سنة ٦٣٧ هـ /
 ١٢٤٠ م) ولكن الصالح بعد أن تغاب على المشاكل التي صادفته ، وتمكن
 من اعتلاء عرش السلطنة الأيوبية واقصاه أخيه العادل ، لم يتردد في صرف
 جانب من اهتمامه لاسترداد السيطرة الأيوبية على بلاد الحجاز ، فأرسل في
 سنة ٦١٧ هـ / ١٢٤٠ م حملة من ألف فارس (٣) عهد بقيادتها إلى الشريف
 شيحة بن هاشم بن مهنا أمير المدينة الذي تمكن من انتزاع مكة من الحامية
 العينية بغير قتال (٤) .

- (١) الخزرجى : العقود ج ١ ص ٦٢ ، المسجد ص ٢٢٣ ، الفاسى : العقد
 ج ٣ ص ٣٩٦ ، شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠١ .
 (٢) ابن حاتم : السمط ص ٤٥ ب ، الخزرجى : العقد — ود ج ١ ص ٦٦ ،
 المسجد ص ١٢٣ . (كانت وفاة السلطان الملك الكامل في ٢١ رجب ٦٣٥ هـ /
 ٩ مارس ١٢٣٨ م) ابن ابيك : كنز الدرر ج ٧ ص ٣٣٠ .
 (٣) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٣١٢ ، ابن الديبع : قره العيون ص
 ٦٨٠ ب ، بانخرمة : تاريخ نعر عدن ج ٢ ص ١٧٧ ، العصامى : سمط النجوم
 العوالى ص ٤٨٠ .
 (٤) ابن حاتم : السمط ص ٤٦ أ ، الخزرجى : العقسود ج ١ ص ٦٢ ،
 المسجد ص ٢٢٣ ، الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٧٤٢ ، ج ٣ ص ٣٩٦ ،
 المقرئى : السلوك ج ١ ص ٢٤٥ .

وكان نور الدين يعلم مدى الضعف الذى وصلت إليه الدولة الأيوبية ، وقد قوى ذلك من عزمه على التمسك بالسيطرة على مكة والاحتفاظ بنفسه وذهابها ، وفى سبيل تحقيق تلك الغاية قرر انفاذ حملة فى نفس العام عهد بقيادتها إلى كل من ابن النصيرى والشريف راجح بن قتادة ، فلما علم الشريف شيحة باقتراب الحملة اضطر إلى مغادرة مكة فدخلها الجيش اليمنى واستولى عليها (١) .

لم يجد الصالح نجم الدين أيوب بدا من العمل على حسم الموقف برمته ، لهذا فكر فى توجيه حملة إلى بلاد اليمن الاستيلاء عليها ، ومن ثم تخلص بلاد الحجاز تلقائيا له . ويؤكد هذا ، نص أورده النويرى (٢) ، جاء فيه أن الصالح أصدر أوامره فى التاسع من ربيع الأول سنة ٦٤٨ هـ / ٢٨ سبتمبر ١٢٤٠ م بتجهيز زردخاناه وشوانى وحراريق إلى القلزم بقصد التوجه رأسا إلى بلاد اليمن والاستيلاء عليها (٣) ، ولكن الظروف حالت دون الاستمرار فى التنفيذ ، فأوقف أمر الحملة إلى اليمن إكتفاء بالإمدادات التى أرسلها إلى الشريف شيحة التى مكنته من استعادة مكة فى ذى القعدة سنة ٦٣٨ هـ / مايو ١٢٤١ م من الحامية اليمنية (٤) ، وتولى الشريف شيحة أمر الحج فى

-
- (١) ابن حاتم : السمط ص ٤٦ أ ، الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٧٤٢ ، ج ٣ ص ٢٩٦ ، شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠١ ، ابن الديبع : قرّة الميون ص ٦٨ ب
 باخرمة : تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٧٧ .
- (٢) النويرى : نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٧١ .
- (٣) العينى : عقد الجمان ج ٥٣ ص ٢٣٨ .
- (٤) النويرى : نفس المصدر والصفحة وانظر ، الطبرى : الأراج المسكى فى التاريخ المسكى ص ٤٧ .

ذلك للعام (١) .

وهكذا ظلت السيطرة على مكة يتناوبها بنو رسول مرة والأيوبيون مرة أخرى ، إلا أن الحملة التي قادها نور الدين بنفسه سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤٢ م . تعد خاتمة الحملات المتبادلة بين الجنادين والتي استمرت أكثر من عشر سنوات . لتحقيق السيطرة على الحجاز . ويرجع سبب خروج نور الدين بنفسه على رأس تلك الحملة إلى أنه كان قد بعث الشريف راجح على رأس قوة من عسكره لاستعادة مكة ، غير أن الأخبار وردت إلى الشريف راجح بأن الصالح أيوب أرسل مددا لتعريض حمايته بمكة (٢) . وأدى ذلك إلى توقف الشريف راجح عن مواصلة السير بحملته ، وأرسل إلى السلطان نور الدين لإبلاغه بحملة الأمر فرأى أن يتولى بنفسه قيادة الحملة المقبلة إلى مكة (٣) . فلما وصلت أنباء تلك الحملة الضخمة إلى مسامع الشريف شحنة خرج بالقوات الأيوبية من مكة (٤) فدخلها ابن رسول في جيشه الكبير في رمضان سنة ٣٩ هـ (٥) مارس ١٢٤٢ م

(١) ابن حاتم : السمط ص ٤٦ أ ، الخزرجي : المسجد ص ٢٢٤ ، العقود ج ١ ص ٦٥ ، الفاسي : العقد الثمين ج ٣ ص ٢٩٧ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٦٨ ب .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٤٦ أ - ب الخزرجي : العقود ج ١ ص ٦٨ ، المسجد ص ٢٣٥ ، الفاسي : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٩٧ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٦٨ ب .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٤٦ ب ، باخرمة : تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٧٧ .

(٤) الخزرجي : المسجد ص ٢٣٥ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ج ٢ ص ١٦١ و ١٦٢ ، ابن ظهير : الجامع الغايف .

وما أن استولى نور الدين على مكة في تلك المرة ، حتى عمل على تدعيم سيطرته على الحجاز ، فشرع في منع وصول الامدادات الأيوبية إليها ، وتمكين قبضته على البلاد . وكانت ينبع من المعامل التي يحتفظ الأيوبيون فيها بحامية لهم ، ومن ثم كانت القوات الأيوبية التي ترغم على النخاض عن مكة تلوذ - في كثير من الأحيان - بها إلى أن تصلهم الامدادات من مصر . ولهذا السبب قرر نور الدين الاستيلاء على ينبع - القاعدة الرئيسية للأيوبيين في الحجاز - ليمنعهم مستقبلا من تهديد ساطانه في الحجاز . ولهذا عمل على استمالة الشريف أبي سعد صاحب ينبع ، واشترى قاعة المدينة منه ثم أمر بتخريبها^(١) . وهكذا استطاع نور الدين - بعد أن نجح في الاستقلال بملك اليمن - أن

(١) عن مطامع الخوارزمية والصلبيين في تلك الفترة ، انظر ، المقرري : السلوك ج ١ ص ٢٢١ وما بعدها ، ابن نغرى بردى : النجوم ج ٦ ص ٢٢١ وما بعدها ، العيني : عقد الجمان مجلد ٥٣ ص ٢٢٠ وما بعدها ، جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلاميه ج ٢ ص ١٢١ ، سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ص ١٢٣ ، الامبراطور فردريك الثاني والشرق العربي - المجلة التاريخية المصرية مجلد ١١ سنة ١٩٦٣ - ص ٢٠٦ ، السيد الباز العربي : مصر في عهد الأيوبيين ص ١٢٧ .

Weit : L' Egypte Arabe, pp. 352, 355, 360, 372 - 378.
Kantarowicy : Fredric the Second, pp. 185, 187, Stevenson:
The Crusaders in the East, p. 314, Grousset: Histoire des
Croisades, vol. III, p. 231. Rarciman: A History of
Crusades, vol. III, pp. 159, 181, 216, 226 - 227.

يشغل الأيوبيين عن الوصول إلى اليمن وذلك بالدخول في منافسة معهم حول الحجاز . وكان للظروف القاسية التي كانت تمر بها الدولة الأيوبية أثرها في تسهيل مهمة نور الدين ، فالصراع بين أمراء البيت الأيوبي في مصر والشام على السلطنة باغ أشده ، واستنمذ جانبا ضخما من قوى الأيوبيين ، يضاف إلى ذلك انشغالهم بالخطر الذي يتهدهم من جانب الخوارزمية والصلبيين ، مما صرفهم عن التطلع إلى مشكلات تعدد نانية بالقياس بتلك الأخطار . وترتب على ذلك كلاً توقف الحملات الأيوبية الموجهة إلى مكة ، الأمر الذي أتاح الفرصة لنور الدين ليمسك نفوذه وسيطرته على بلاد الحجاز .

والواقع أن الصراع اليمني الأيوبي حول الحجاز اتسم بصلافة عزم نور الدين بن رسول وإصراره على الاحتفاظ بتبعية مكة لسيطرته ، فكان كلما تمكنت القوات الأيوبية من استعادتها ، قام بتدعيم قواته إلى الحد الذي تصحح فيه قدرة على الاستيلاء عليها مرة أخرى . ولهذا تتابعت الحملات من الجانبين ودارت المعارك بين قوات صاحب اليمن من ناحية وقوات الملك الكامل ثم ابنه الصالح نجم الدين أيوب من ناحية أخرى ، وتناوب كل من الفريقين السيطرة عليها . وكانت معظم المعارك ينتصها الحسم ، فإمدادات الأيوبية كانت تستغرق وقتاً طويلاً لتصل إلى الحجاز ، في حين كان لقرب بلاد اليمن من الحجاز أعظم الأثر في تسهيل مهمة الجانب اليمني المنافس ، فكانت تزود قواتها بالإمدادات المتتابعة ، هذا إلى جانب الجهود التي كان الشريف راجح ابن قتادة يبذلها لاستخدام الكثير من أعراب الحجاز ، مما ساعد على تحقيق التفوق العدي في كثير من الأحيان . ومع ذلك فإن إعداد أي حملة مضادة كان يتم على أساس تقديرات القوة التي تركها الجانب الآخر لحماية مكة . ومن الملاحظ أنه لم يحدث تماثل بين قوات الطرفين داخل مكة ، إذ كلما أحسست

الحامية المرابطة في مكة بترب وصول حملة مضادة عمدت إلى الانسحاب من مكة والتخلي عنها في معظم الأحوال ، فتدخلها قوات الطرف الآخر بغير حرب ، وربما اشتبكت معها في قتال يتم عادة خارج مكة ، تعظيما من الجانبين المتحاربين لحرمتها .

٤ - أعمال خير الدين عهر بن علي بن رسول في مكة :-

كان نور الدين مصلحا من كبار المصلحين ، اهتم بأعمال البر والتعمير في مكة منذ أن كان يتولاها نيابة عن المسعود بن الكامل ، ففي سنة ٦١٩ هـ / ١٢٣٢ م قام بعارة المسجد الذي اعتمرت منه السيدة عائشة رضى الله عنها (١) وهو مسجد الهليجة - نسبة إلى شجرة هناك - الذي بنى في التنعيم (٢) ، كما عمر دار الخليفة أبي بكر في زقاق الحجير (٣) . وفي سنة ٦٣١ هـ / ١٢٢٤ م - أثناء صراعه ضد الأيوبيين - أرسل إلى الشريف راجح بن قتادة بقناديل من الذهب والنفضة ليعلقها بالكعبة بدلا من تلك التي استباحها بنو قتادة أثناء صراعهم ضد أخيه الشريف راجح (٤) .

(١) ابن تغرى بردى : النجوم ج ١ ص ٧٢ ، حوادث الدهور ص ٣٧٤ ، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٦٧ .

(٢) النهر والي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٤٥٤ ، محمد حسين هيكل : في منزل الوحي ص ٢٦٥ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم ج ٨ ص ٧٢ ، حوادث الدهور ص ٣٧٤ ، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٦٧ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٤٤ أ ، الخزر جى : العقود ج ١ ص ٥٥ ، المسجد ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٩٦ ، أين الديبع : قررة العيون ص ٦٧ أ .

ولما استقرت مكة تمت سيطرته سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤٢ م قام بعدة إصلاحات... فيها ، فأبطل الكوس والجبايات والمظالم (١) ، وكتب بذلك مربرة علقها علي زمزم في مقابلة الحجر الأسود (٢) ، كما أنشأ المدرسة المنصورية - نسبة لآلِهِ - بجوار مدرسة الزنجيلي في الجانب الغربي من المسجد الحرام (٣) ، كما عمر رباطاً بمكة (٤) .

وقبل عودة نور الدين إلى اليمن ، استناب على مكة بمملوكه فيخر الدين إياس السلاج (٥) ، وجعل الشريف أباسعد بن علي بن قتيادة بالوادي مساعد لعسكره ، وظل نواب نور الدين على مكة أكثر من سبع سنوات كانت كلها - علي حد قول مؤرخي اليمن - سني خير على أهلها ، قبوا الدور وعمروا القصور ، واقتنت نساءهم الحلى من الذهب والفضة . وكان نور الدين يبعث إليهم كل عام بالصدقات (٦) ، كما قام نوابه على راحة الحجيج وخاصة بالنسبة للأشخاص البارزة ، ففي سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٤ م ، توجهت

(١) القاسمي : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٩٧ ، شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٢٧ ، ابن تغري بردي : حوادث الدهور ص ٢٧٥ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٤٦ ب ، الخزرجي : العقود ج ١ ص ٦٩ ، المسجد ص ٢٢٥ ، باخرمة : ثغر عدن ج ٢ ص ١٧٨ .

(٣) ابن تغري بردي : المنهل ج ٤ ص ٢٦٩ .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٤٦ ب ، الخزرجي : المسجد ص ٢٠٦ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٤٦ ب ، القاسمي : شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٠١ .

(٦) ابن حاتم : نفس المعتمد والسفحة ، الخزرجي : المسجد ص ٢٣٦ .

والدة الخليفة المستعصم بالله العباسي لأداء فريضة الحج ، فاستقبلها فخر الدين
للشلاح نائب السلطان نور الدين وقام على خدمتها ، كما أرسل إليها السلطان
هدية عظيمة (١) .

ومن أشهر الأحداث التي وقعت في عهده ، تلك الرياح العاصفة التي هبت
على مكة في سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م (٢) ، وأدت إلى نزاع الكسوة الكعبة
وتزييقها ، وأصبحت الكعبة بغير كسوة ، وزال عنها شعار السواد ، فكان
ذلك فألا على زوال الدولة العباسية (٣) . فلما حاول نائب صاحب اليمن
كسوتها ، منعه شيخ الحرم العفيف منصور بن منعة البغدادي ، ولم يسمح له
بكسوتها ، بحجة أن ذلك لا يكون إلا من مال الخليفة . وقام شيخ الحرم
باقتراض مبلغ ثلاثمائة دينار اشترى بها ثيابا من القطن وصبغها باللون الأسود
وركب عليها الطرازات القديمة وكساها الكعبة (٤) بعد أن كانت تنكس

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة ، الخزرجي : نفس المصدر
والصفحة .

(٢) ذكر القامبي هذه الحادثة سنة ٦٤٣ هـ في حين أورد أنه وجدها بخط
الميورقي سنة ٦٤٤ هـ (تحفة الكرام - مخطوط منصور بدار الكتب رقم
١٢٨١٣ ح - ص ٢٧ أ) وكذلك أوردتها العيني في حوادث سنة ٦٤٤ هـ
هؤيدا ، بذلك الميورقي (عقد الجمان مجلد ٥٣ ص ٢٨٥) .

(٣) قال العيني بأن هذه الكسوة كانت قد عثقت ، لأنها لم تجدد منذ عام
٦٤٠ هـ لعدم وصول ركب الحاج العراقي من قبل الخليفة (عقد الجمان
مجلد ٥٣ ص ٢٨٥) .

(٤) العيني : نفس المصدر والصفحة ، الرشيدى : حشن الصفا والابتهاج
مخطوط بدار الكتب رقم ٥٥٨٧ تاريخ ص ٤١ .

بالديباج الأسود (١) .

ولقد حافظ نور الدين بن رسول على تبعية مكة له ، واستمر يقسم عليها
توابعه حتى وفاته (٢) في التاسع من ذي القعدة سنة ٦٤٧ هـ (٣) / ١٣ فبراير
١٢٥٠ م . وكان نور الدين قد استجاب في أواخر عهده لأحد أتباعه وهو
شمس الدين محمد بن المسيب ، وولاه على مكة في سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٩ م بدلا من
فخر الدين إياس السلاجق ، وكان ابن المسيب قد ألزم له بأداء مبلغ ٤٤٠٠ من المال
ومائة من الخيل سنويا (٤) ، بالإضافة إلى تكفله بالنفقة على مامعه من الجند (٥) .
ولكنه لم يكده يصل إلى مكة حتى طمع في الاستبداد بأمرها ، وأساء إلى
سيده بما قام به من إعادة الجبايات والمكوس التي كان السلطان نور الدين قد
أسقطها عن أهل مكة ، واقتلع النائب المربعة الخاصة بذلك ، والثبته قبالة
الحجر الأسود (٦) . ولم يتوقف عند هذا الحد وإنما استولى على ما كان .

(١) القاسي : تحفة الكرام ص ٢٧ .

(٢) القاسي : العقد الثمين ج ٣ ص ١٩٧ ، ابن ظهيرة : الجامع للطبف .

ص ٣١٢ ، باخرمة : تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٧٨

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٤٩ أ ، الخزرجي : العقود ج ١ ص ١٠٠

٨٢ - ٨٣ ، المسجد ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، القاسي : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٩٨ .

ابن تقي بردي : حوادث الدهور ص ٣٧٥ ، المنهل الصافي ج ١ ص ٢٣٠ .

ابن الديبع : قرة العيون ص ٧٠ ب .

(٤) ابن حاتم : السمط ص ٤٧ ب .

(٥) الخزرجي : العقود اللؤؤية ج ١ ص ٧٧ ، المسجد ص ٢٣٩ .

ابن الديبع : قرة العيون ص ٦٩ ب .

(٦) القاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠١ .

يرسله سلطانه من صدقات إلى فقراء مكة . وبنى لنفسه حصنا على جبل أبي قبيس واخرقى نخلة ، وجمع أموالا طائلة ، وامتنع عن الإنفاق على الجند ، فنفروا عنه ، وعاد معظمهم إلى اليمن . واستغل الشريف أبو سعد حسن بن علي ابن قتادة فرصة ما قام به ابن المسيب وانتقله في شهر ذي القعدة ٦٤٧ هـ (١) . / فبراير ١٢٥٠ م ، واستولى على مالدیه من أموال وغيرها . ولكن يظهر بمظهر الولاء والاخلاص لسلطان اليمن . استحضر شيخ الحرم وأعيان مكة والمجاورين وأشهدهم بأنه إنما قام بهذا العمل لتأكده من اعتراف ابن المسيب الخلاف والهرب بما نجح لديه من الأموال إلى العراق ، وتعهد الشريف أبو سعد بالتحفظ على ماصادره منه حتى يأتيه أمر السلطان نور الدين فيقوم بتنفيذ ما يأمره به . غير أن الأنباء لم تثبت أن وردت بمقتل نور الدين (٢) .

١١١١ : العلاقات اليمنية مع مصر والحجاز في عهد المظفر يوسف :-

١ - استغلال بني قتادة بحكم مكة :

ساعات الأحوال الداخلية في اليمن بعد مقتل نور الدين عمر بن علي بن رسول ، وشغل ابنه المظفر يوسف في حروب داخلية ، بذل فيها قصارى جهده للمظفر بالسلطنة ، والدفاع عن عرشه ضد الطامعين فيه ، فصرف قسماً كبيراً من جهوده في التخلص من منافسيه من بني رسول ، والقضاء على

(١) الفاسي: نفس المصدر ج ٢ ص ٢٣٧ ، الطبري : الأراج المسكي في

التاريخ المسكي ص ٤٨ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٤٧ ب ، الخزرجي : العقود ج ١ ص ٧٨ ،

المسجد ص ٢٣٩ ، ابن تغري بردي : المنهل الصافي ج ٣ ص ٥٥ ، ابن

الديبع : قرة العيون ص ٦١ ب .

المطامع الزيدية ، والعمل لتمكين سطوته على البلاد (١) .

وفي مصر ، فشلت المحاولات الأيوبية المتكررة للاحتفاظ ببلاد الحجاز ، نتيجة لانتقام البيت الأيوبي في مصر والشام ، واشتداد النزاع فيما بينهم ، وتحالف أمراء الأيوبيين في الشام ضد الملك الكامل الذي اضطر بدوره إلى التحالف مع الصليبيين . وقد أتاح ذلك الفرصة لتلك القوى المعادية للعمل على تحقيق مطامعها في السيطرة على أجزاء من الدولة الأيوبية ، مما ترتب عليه تصدع بناء تلك الدولة ثم انهيارها وسقوطها في النهاية في سنة ٦٤٨ هـ (٢) / ١٢٥٠ م ، وقيام دولة المماليك البحرية على أنقاضها .

وقد اشغلت سلاطين دولة المماليك البحرية بالعمل على تثبيت سيطرتهم والدفاع عن دولتهم الناشئة ضد القوى المعادية في الداخل والخارج ، كما كان لاستفحال الخطر المغولي في أعقاب سقوط الخلافة العباسية في بغداد في صفر ٦٥٦ هـ / فبراير ١٢٥٨ ، ومصرع الخليفة المستعصم بالله ، وتهديد هولاكو ببلاد الشام ومصر ، أكبر الأثر في تخرج موقف السلطان المملوكي ، إذ وقع عليه عبء مواجهة ذلك الخطر الداهم . وقدر للسلطان المظفر قطز بانتصاره

(١) انظر ما سبق ص ١١٧ وما بعدها .

(٢) النويري : نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٩٧ ، ابن أيبك : كنز الدرر ج ٧ ص ٣٨٦ ، المقرئ : السلوك ج ١ ص ٢٧١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٩٧ ،

على قوى المغول في عين جالوت في سنة ٥٨٠ هـ / ١٢٦٠ م (١) أن يزيد هذا الخطر نهائياً عن الشام ومصر ، ويخلص البلاد من مصير تنس كان من الممكن أن يقرن بمعمار الدول الإسلامية الآسيوية التي اجتاحتها جحافل المغول .

وفيما يتعلق بمكة ، فمن المعروف أن إمرتها ظلت في بني هاشم إلى ولاية الشريف مكنز بن عيسى بن فليته الحسني (٢) ، ثم انتقلت بعد وفاته في سنة ٥٩٧ هـ إلى الشريف أبي عزيز قتادة بن إنريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسني (٣) . وتتابع بنو قتادة على حكم مكة إلى أن استولى عليها المسعود بن السكامل صاحب اليمن في سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م ، وهندئذ خرجت مكة عن حكم بني قتادة ، وأصبحت تابعة للقوى المسيطرة عليها - مصر أو اليمن -

(١) ابن أيك : كنز الدرر ج ٨ ص ١٧ ، المقريزي : السلوك ج ١ ص ٤٠٢ و ٤٢٦ ، ابن تفرى بردى : النجوم ج ٧ ص ٥٠ و ٧٦ و ٨١ ، العيني : عقد الجمان مجلد ٥٣ ص ٣١٤ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ج ٤ ص ١٨٣ .

(٣) الناسي : نفس المصدر ج ٢ ص ٥٤٩ ، شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٨ - ١٩٩ ، المقريزي : السلوك ج ١ ص ١٦٢ حاشية ٢ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٦٧ - ٢٧٥ ، Hogarth : History Arabia , p . 82 ,

Weneinck : Art . Mecca & Katada in ENC . of Islam .

(و يذكر الفاسي أن ولاية مكة آتت إلى قتادة سنة ٥٩٧ هـ على ما ذكره الميورقي ، وفي سنة ٥٩٨ هـ على ما ذكره الذهبي في العبر ، أو سنة ٥٩٩ حسب رواية ابن محفوظ) العقد الثمين ج ٤ ص ١٨٣ ، شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٩ .

وتولى امرتها نواب من قبل القوى المسيطره لى أن ستقرت تبعيتها لى رسول سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤٢ م ، وظل نواب نور الدين بن رسول يمثلونه فيها حتى وفاته فى سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٥٠ م ، عندما أقدم الشريف أبو سعد حسن بن على بن قتادة على اعتقال ابن المسيب والاستئثار بإمرتها بعد أن بلغه نبأ مقتل صاحب اليمن نور الدين بن رسول . ومما لاشك فيه أن الظروف التى كانت تمر بها كل من اليمن ومصر كان لها أثرها العميق فى تشجيع بنى قتادة على الاستقلال بمكة وما يليها جنوباً ، فى حين سيطر الحسينيون أشراف المدينة على الجزء الشمالى من الحجاز (١) .

وباستقلال الشريف أبو سعد حسن بن على بن قتادة بإمرة مكة ، بدأت المنافسات بين بنى قتادة على امارتها ، فتوجه الشريف جواز بن حسن بن قتادة إلى الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى صاحب دمشق وحلب وطلب مساعدته ضد خصومه ، فى مقابل ذكر اسمه فى الخطبة ، فأمده الناصر يوسف بحملة تمكن بفضلها من الاستيلاء على مكة (٢) فى شوال سنة ٦٥٩ هـ (٣) / نوفمبر ١٢٥٣ م ، وقتل واليها الشريف أبا سعد (٤) . وما أن تم

(١) Bu.khardt : Travels in Arabia , vol . II , p . 277 .

(٢) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ج ٣ ص ٩ .

DeGaury ; op . cit . pp . 86 , 92

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٦٣ أ ، الخزرجى : العقود ج ١ ص ١٠٦ ،

ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ج ٣ ص ٥٥ .

(٤) ذكر القاسى أن مقتل أبى سعد حدث فى شعبان وقيل فى رمضان

(شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠١) .

له ذلك حتى نكث بعده لصاحب حلب ، وخطب لصاحب اليمن المظفر يوسف (١) . ومع ذلك فلم يقدر له الاستمرار في حكم مكة ، إذا استطاع : الشريف راجح بن قتادة - حليف بنى رسول - انتزاع ولايتها منه (٢) في ذي الحجة سنة ٦٥١ هـ (٣) / يناير ١٢٥٤ م . إلا أن ابنه غانم بن راجح لم يلبث أن خرج عليه وتمكن من الاستيلاء منه على مكة في ربيع الأول (٤) ٦٥٢ هـ / ابريل ١٢٥٤ م ، وذلك بتعريض من الشريفين لإدريس بن قتادة وأبي نعيم . ابن أبي سعد بن علي بن قتادة ، فلما نجح في تنفيذ خطتها وأزاح أباه عن الحكم ، تأمرا عليه وانزاعها منه واشتركا معا في حكمها (٥) .

وهكذا عمل أشرف مكة - وعلى الأخص بعد سقوط الخلافة في بغداد - على تثبيت سيطرتهم والاستقلال بحكمها ، وقد بلغ من سطوتهم أنهم لم يذكروا اسم الخليفة العباسي على منابر مكة بعد إحياء الخليفة في مصر على يد الظاهر بيبرس (٦) .

(١) ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ج ٣ ص ٩ ، زبني دحلان : خلاصة الكلام ص ٢٧ .
De Gaury : Rulers of Mecca , p . 92 .

(٢) القاسمى : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠١ .

(٣) القاسمى : نفس المصدر والمنحة .

(٤) الخزرجى : العقود ج ١ ص ١١٥ ، المسجد ص ٢٦٣ ، القاسمى : العقد الثمين ج ٢ ص ٧٤٢ ؛ شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠١ ، زبني دحلان : خلاصة الكلام ص ٢٧ .

(٥) ابن حاتم : السمط ص ٦٥ ب : القاسمى : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠٢ ؛ الطبرى : الأراج المسكى ص ٤٨ .

(٦) Arnold : The Caliphate, pp. 100 - 101 .

كان للصراع القائم بين أشراف مكة ، واضطراب الأحوال فيها ، أثره العميق في قيام المظفر يوسف - بمد أن تخلص من مشاكه الداخلية - بإرسال حملة من ثلاثمائة فارس بقيادة مبارز الدين بن برطاس إلى مكة في ذى القعدة سنة ٦٥٢ هـ / ديسمبر ١٢٥٤م لإقرار الأوضاع فيها وإعادةها إلى سيطرة نبي رسول . فلما علم الشريفان إدريس وأبو نعيم بذلك استجسدوا بشريف جواز ابن شبيحة صاحب المدينة وخرجوا في خمسمائة فارس لمقاتلة ابن برطاس (١) ، ولكن المعركة التي دارت بين الطرفين خارج مكة انتهت لصالح ابن برطاس وهزيمة الأشراف ومقتل عدد كبير من أتباعهم ، واستولى ابن برطاس على مكة وحج في ذلك العام بالناس (٢) .

فلما انتهى موسم الحج كان الأشراف قد تمكنوا من حشد جموع كثيفة زحفوا بها سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥م إلى مكة وحاصروا ابن برطاس فيها ، وتمكنوا من دخولها من جهة الجبال المحيطة بها (٣) . وكاد النصر يتحقق للمرة الثانية لابن برطاس لولا أن تفرقت قواته وانشغلت بالفنائم ، مما أتاح الفرصة لانتصار الأشراف ، ووقوع ابن برطاس أسيرا ، فافتدى نفسه بخمسة آلاف دينار وعاد إلى اليمن (٤) .

ويغلب على الظن أن السلطان المظفر قد وفق بعد ذلك في إقامة قاعات

(١) ابن حاتم : نفس المصدر والصفحة .

(٢) الخزرجى : العقود ج ١ ص ١١٥ ، المسجد ص ٢٦٣ ، ابن الديبع : فرة العيون ص ٦٧ ب .

(٣) الخزرجى : العقود ج ١ ص ٩٩ - ١٢٠ ، المسجد ص ٢٦٦ .

(٤) الخزرجى : العقود ج ١ ص ١٢٠ ، المسجد ص ٢٦٦ ، ابن الديبع :

فرة العيون ص ٦٧ ب ، ابن تفرى بردى : المنهل الصافي ج ١ ص ٩٣ - ٩٤ ،

طيبة مع أشرف مكة ، ذلك أنه لما استولى التتار على بغداد سنة ٦٤٦ هـ ،
 ١٢٥١م وقضوا على الخلافة العباسية فيها ، تولى المظفر يوسف سنة ٦٥٧ هـ /
 ١٢٥٩م أمر الحرم الشريف (١) وعمارته وإقامة منأثره وخدمته ، والانفاق
 على قورمه (٢) .

وفي سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١م توجه السلطان المظفر يوسف لأداء فريضة
 الحج (٣) في حشد كبير من أهل اليمن وأعيانها ، فلما اقترب من مكة فر
 الشريفان أدريس وأبونمي خوفا منه ، فدخلا المظفر حاسر الرأس
 معتمرا (٤) في الرابع من ذي الحجة (٢٥ أكتوبر) ، ونزل في المدرسة
 المنصورية التي أنشأها أبوه (٥) . وافتم فرصة وجوده بمكة ليقوم ببعض
 أعمال البر والإحسان ، فتصدق بأهوال طائلة (٦) ، وقد بلغ من كثرتها أن
 شملت جميع أهل مكة والحجيج على اختلافهم ، كما أنعم على أهل الحرم
 والحاج المصري بصفة خاصة (٧) ، وقام بفصل الكعبة بنفسه وطيبها ونثر عليها .

(١) ابن حاتم : السمعط ص ٦٨ ب .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٢٨ ، المسجد ص ٢٧٦ .

(٣) الذهبي : تاريخ الاسلام ج ٣١ ص ١٥٥ .

(٤) الخزرجي : العقود ج ١ ص ١٣٤ ، المسجد ص ٢٧٥ ، ابن الدبيع : .

قرة العيون ص ٧٧ ب .

(٥) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٧٠ ب .

(٦) القاسمي : شفاء الغرام ج ٢ ص ٩ ، ٢ .

Jomier : Le Mahmal et la Caravane, p. 50.

(٧) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٧١ أ ، الخزرجي : العقود ج ١ ص ١٣٤ .

— ١٣٥ — المسجد ص ٢٧٦ .

الذهب والفضة (١) . وكسا للكعبة ، فكان أول من كسها بعد سقوط الخلافة العباسية ببغداد (٢) ، وتكرر قيامه بكسوتها في سنوات أخرى (٣) ، إذ أرسل في سنة ١٢٦١/٨٦٦٣م كسوة للكعبة وأخرى للضريح النبوي (٤) كما قام في سنة ١٢٦٦/٨٢٦٨م بتجليه باب الكعبة بالذهب والفضة على يد نجم الدين حسن بن التزى (٥) ، ثم كسا الكعبة مرة ثالثة في سنة ١٢٧١/٨١٢٧٣م على يد قاسم بن محفوظ (٦) .

٤- تزوار العلاقات اليمينية المصرية بين المظفر يوسف واقطاهر بيبرس :

ارتفعت مكانة السلطنة المملوكية في العالم الاسلامي بما حققته من انتصار ساحق على قوى التتار في عين جالوت ، وبمناسبة ذلك الانتصار قام المظفر قطز بإرسال كتبه إلى سلاطين المسلمين يشرم فيها بانتصار المماليك الساحق

(١) الفاسي : نفس المصدر والجزء والصفحة ، المقرزي : المخطط ١ ص ٢٠٢ ، الذهب المسبوك ص ٢٨٤ .

(٢) الفاسي : نفس المصدر والجزء والصفحة ، تحفة الكرام ص ٢٧ ب ، المقرزي : المخطط نفس الجزء والصفحة ، الذهب المسبوك نفس الصفحة .

(٣) الفاسي : تحفة الكرام ، نفس الصفحة .

(٤) ابن حاتم : نفس المصدر ص ٧٢ أ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ١ ص ١٤١ ، المسجد ص ٢٧٧ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٧٧ ب .

(٥) ابن حاتم نفس المصدر ص ٧٦ أ ، الخزرجي : العقود ١ ص ١٦٩ ، المسجد ص ٢٨٠ .

(٦) الخزرجي : العقود ص ١٧٤ ، المسجد ص ٢٨٣ .

على التتار ، وكان السلطان الرسولي من بين من أرسل لهم قطز بالبشارة (١) .
 فلما تولى بيبرس عرش السلطنة المملوكة سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م كتب
 بذلك إلى الملوك وفي جملتهم المظفر يوسف صاحب اليمن (٢) . وكان الظاهر
 بيبرس يحظى باحترام سلطان اليمن وتعظيمه لما عرف عن دوره البطولي في
 عين جالوت ، فكان ذلك من بين الأسباب التي جعلت السلطان الرسولي يسعى
 إلى توثيق علاقته السياسية بمصر ، ويتجلى ذلك من أحد موافقه ، فعندما
 حجج في سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠م حدث عندما حان وقت الوتوف بعرفات أن أمر
 بأن ترفع أعلامه مضمونه إلى أعلام مصر ، فلما اعترض بهض أتباعه وطلب من
 المظفر تقديم أعلامه رفض قائلاً : « أتاني أوخر أعلام ملك كسر التتار
 بالأمس » (٣) . فكان ذلك التصرف من المظفر فائحة لصفحات جديدة من

(١) القلقشندي : صبيح الأعتشي ٧٥ ص ٣٦٠ - ٣٩٢ ، أحمد مختار
 العبادي : قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام - بيروت ١٩٦٩ - ص
 ٢٦٩ - ٢٧١ . (ويذكر القلقشندي أن الملك المظفر قطز أرسل كتاباً بالبشارة
 بهزيمة التتار إلى صاحب اليمن ، وهو يومئذ المنصور ، غير أن السلطان
 المنصور وهو نور الدين عمر بن علي بن رسول توفي سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٥٠م
 قبيل سقوط الدولة الأيوبية في مصر بعدة أشهر ، ولم يعاصر المماليك ،
 ويرجع سبب وقوع القلقةشندي في هذا الخطأ إلى أخذه هذا الكتاب « من
 أفواه بعض الناس » . وقد يقصد بالمنصور السلطان المظفر يوسف إذ أن من
 ألقابه (أبو المنصور) .

(٢) العيني : عقد الجمان ٥٤٣ ص ٤٥٨ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٧١ أ ، الخزرجي : العتود ج ١ ص ١٣٤ ،

المسجد ص ٢٧٥ ، العبادي : نفس المرجع ص ١٦٨ .

العلاقات الودية مع دولة المماليك في مصر ، وبدأت منذئذ السفارات والهدايا. تتردد بين البلدين ، ففي سنة ١٠٦٤ هـ / ١٢٦٦ م وصلت رسالة اليمن إلى مصر « بمراكب موسقة » ، (١) . كما وصلت هدية أخرى إلى مصر في سنة ١٠٦٦ هـ / ١٢٦٨ م تشتمل على تحف كثيرة (٢) من الخيل والفيالة والحمر الوحشية (٣) ، وغير ذلك مما جرت به العادة كالمسك والعنبر والفضيات وغيرها ، فقامت الهدية ، وأعفى رسول صاحب اليمن من الرسوم المستحقة على ما كان معه من البهار (٤) .

وما يروى بمناسبة تلك الهدية الأخيرة ، أن والده السلطان المظفر أرسلت - مع هدية ابنها - كمية من البهار لانفاق قيمتها على المجاهدين ، وأمر بيبرس بيدها . ويذكر ابن القرات أن السلطان اشترى بجزء من قيمتها جملة من المنجنيقات عندما عزم على الغزو ، واستخدم المتبق في فدية بعض الأسرى (٥) . فلما تهيأ رسول المظفر للعودة ، جهز السلطان بيبرس مهمم سنجقا وخامة وشعار السلطنة إلى المظفر الرسول (٦) ، كما أرسل إليه - بناء

(١) ابن القرات : تاريخ الدول والملوك ج ١١ ص ٩٦ أ ، والمظفر ، المقرئزي : السلوك ج ١ ص ٥٤٣ .

(٢) عقد الجمان : مج ٥٤ ص ٥٤٥ ، مجد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر ص ١٢٩ .

(٣) المقرئزي : السلوك ج ١ ص ٥٦٣ .

(٤) ابن القرات : نفس المصدر ج ١٠ ص ١٢ ب .

(٥) ابن القرات : المصدر والجزء والصفحة .

(٦) المقرئزي : السلوك ج ١ ص ٥٦٣ - ٦٥٤ ، العيني : نفس المصدر والمجلد والصفحة .

على طلبه - قيمهه أمانا له ، بالإضافة إلى بعض آلة الحرب . وكتب إليه قائلا : « قد سيرنا لك آلة السلم والحرب مما لاصق جسدنا في مواطن الجهاد . وأرسل إليه بعض الطيور الجارحة ، ورسم بأن يكتب بالمقام العالي المولوى السلطانى ، وكانه السلطان ، بالملوك » . وتوجه رسوله إلى اليمن بالمكاتبات والهدايا صحبة رسل اليمن العائدين سنة ٥٦٦٦ / ١٢٦٨ م (١) .

وبينا كانت الصلوات الودية تزداد وثافة يوما بعد يوم بين بنى رسول والماليك ، كانت الصراعات تشتد والحروب تحتدم بين الأشراف من بنى قتادة منذ استعادة سيطرتهم على مكة سنة ٥٦٤٧ / ١٢٥٠ م واستقلالهم بحكمها عن اليمن ومصر ، وترجع أسباب تلك الصراعات إلى مطامع زعماء بنى قتادة ورغبة كل منهم فى الانفراد بإمرتها (٢) ، مما أدى إلى عدم استتباب الأمن . وانتشار الفوضى فى ربوع الحجاز ، وتعرض أهل مكة والمجاورين للنهب والقتل ، ولم يسلم من ذلك الحجيج والتجار (٣) وخاصة فى مواسم الحج .

ومما كان يزيد الموقف اشتعالا ، استئثار الشريف الحاكم بالسلطة ، واستحواذه على الهبات والأموال وعائدات الضرائب ، وغير ذلك من

(١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج ١٢ ص ١٢ ب ، (وما يذكر أن رسول بيبرس توفى فى اليمن بعد أن قام بتسليم المكاتبات والهدايا) ابن حاتم : السمط ص ٧٦ أ ، انزرجى : العقود ج ١ ص ١٦٩ ، المسجد ص ٢٨٠ .

De Gaury : Rulers of Mecca, ١ p. 93, 94, 100 (٢)

De Gaury : op. cit., p. 99 . (٣)

الموارد التي كانت تحصل في موسم الحج أو على مدار السنة ، في حين كانت
 رغبة الأشراف من أهل بيته أن يلتزم بمشورتهم ، ولا يتصرف في أمر إلا
 بموافقتهم ، وأن يقتسم موارد البلاد معهم . ولهذا كان الخارجون على
 شريف مكة — من أمته — يعمدون إلى الاستعانة بالقوى المحيطة ، سواء
 في مصر أو اليمن أو العراق (١) أو الحفصيين بتونس (٢) ، وطلب المعونة
 العسكرية منهم ليتمكنوا من الوصول إلى الحكم ، في مقابل التلويح بذكر
 اسم من يساعدهم في الخطة على المنابر ، كوسيلة الاغراء (٣) مما أدى إلى
 تورط تلك الدول في دائرة الصراعات ، وبالتالي فساد علاقاتها فيما بينها (٤) .

والأمثلة على ذلك كثيرة تقتصر هنا على ما يتعلق بالعلاقات اليمنية المصرية ،
 التي لم تلبث أن تآزمت نتيجة للصراع بين أشراف مكة . فقد كان الشريفةان

(١) الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٢) أحمد مختار العبادي : قيام دولة المماليك الأولى ص ١٩٣ - ١٩٥ ،

دراسات في تاريخ المغرب ص ١٢٩ .

(٣) الفاسي : نفس المصدر والصفحة

De Gaury : op. cit., pp 94 - 95 .

(٤) لقد بلغ من شدة الصراعات واستمرارها بين أشراف مكة وما يتعرض
 له المسلمون من أضرار بسببها أن فكر أحد سلاطين المماليك في القضاء
 نهائياً على الأشراف واستئصال شأنهم . ولكن العلماء تصدوا له وأقنعوه
 بالعدول عن ذلك لما للأشراف من شرف الانتساب إلى الرسول باعتبارهم
 من سلالته . (المقرئزي : السلوك ج ٢ ص ٣٢٩ ،

De Gaury :

op. cit., p. 100) .

إدريس بن قتادة وأبو نعيم بن أبي سعد بن علي بن قتادة شريكين في حكم مكة منذ استوليا عليها سنة ٦٥٢ / ١٢٥٤ م. وفي سنة ٦٦٧ / ١٢٦٩ م تمكن أبو نعيم من طرد شريكه وانفرد بحكم مكة (١)، وأرسل رسالة إلى الظاهر بيبرس يبرر فيها موقفه من إدريس ، مدعياً أنه إنما لجأ إلى هذا التصرف عندما تأكد له ميل لإدريس إلى سلطان اليمن ، وأنها - أي الشريف إدريس والسلطان المظفر - تحاملا على دولة السلطان الملك الظاهر ، (٢) .

وقد تكون رسالة أبي نعيم سبباً مباشراً توجه الظاهر بيبرس إلى الحجاز في سنة ٦٦٧ / ١٢٦٩ م. إذ لم يكن ذلك في برناجه على الإطلاق ، يدلل أنه لم يصرح بذلك لدى خروجه من القاهرة في طريقه إلى الكرك ، وأغلب الظن أن تلك الرسالة وصلت بعد خروجه من القاهرة ، إذ لم يلبث أن خرج من الكرك إلى الشوبك ومنها سلك طريقه عبر سيناء إلى الحجاز (٣) . فلما وصل إلى مكة ، كان الشريف أبو نعيم قد صالح شريكه إدريس وأعادته معه إلى الأمرة (٤) . فلما وصل الظاهر بيبرس استقباله استقبالاً حافلاً .

(١) القاسمي : شفاء الغرام ، ص ٢٠٢ .

(٢) ابن القرات : تاريخ الدول والملوك ، ص ١٢ ، ص ٤٥ ب ، العيني : عقد

الجلان مج ٤ ص ٥٥٤ .

(٣) أبو الفدا : المختصر ، ص ٤ ، ص ٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ص ١٣

ص ٧٥٤ ، ابن حبيب : درة الأسلاك في دولة الأتراك - مخطوط رقم ٦١٧ ح

ب. دار الكتب - ص ١٠ ، ص ١٢١ ، المقرئ : السلوك ، ص ١٠٨ ، ص ٥٨١ ،

De Gaury : Rulers of Mecca, p. 93 .

(٤) القاسمي : نفس المصدر والجزء والصفحة .

وسجل بيرس أثناء مقامه بالحجاز كثيرا من أعمال البر والخير ، وتصدق
بكثير من الأموال وأنعم بالكساوى على أهل الحرمين (١) ، وخاصة أمراء
الحجاز باستثناء أميرى المدينة لقرارها عند وصوله إلى الحجاز وتجنبها استقباله
خوفا منه (٢) كما عمل على إزالة الخلافات القائمة بين شريفى مكة (٣) وكتب
اكل منها منشورا بالاشتراك فى الولاية (٤) ، وخصص لها عشرين ألف درهم
سنويا نظير العمل على تيسير الحج وعدم فرض أى مكس على الحجاج -
وعدم التعرض للتجار ، وأن تكون الخطبة والسكة باسمه . وسلم الأوقاف
الموقوفة على الحرم فى مصر والشام لنوابها (٥) ، وعين معها - وبناء على
طلبها - نائبا له فى مكة ، يكون الحل والعقد على يديه (٦) ، وطم بالاضافة

(١) المقرئى : السلوك نفس الجزء والصفحة .

(٢) القامى : نفس المصدر والجزء ص ٢٤٠ ، المقرئى : نفس المصدر
والجزء والصفحة .

(٣) De Gaury : op. cit. p. 93 .

(٤) المقرئى : نفس المصدر والجزء ص ٥٨٢ .

(٥) المقرئى : نفس المصدر والجزء ص ٥٧٩ ، سعيد عاشور : العصور
الماليكى ص ٢٣٠ ،

Jomier : Le Mahmal et la Caravan e Egyptienne, p. 210 .

(٦) المقرئى : نفس المصدر والجزء ص ٥٨٢ . (يبدو أن شريفى مكة
قصد من وراء وجود نائب للسلطان معها ، ضمان عدم تجدد النزاع بينها
وأن يأمنها - من جهة أخرى - بتواجده معها ، مطامع منافسيها ، واكتساب
ثقة السلطان ورضائه عنها من جهة ثالثة) .

إلى ذلك بكسوة الكعبة (١) ، وهكذا استرجعت مصر سيادتها على الحجاز وأصبح تنصيب وعزل ولاتها من اختصاص السلطان المملوكي .

ولم يغفل بيبرس ما نقل إليه من تدخل المظفر الرسولي في شؤون الحجاز ، فأرسل إليه كتابا ينكر عليه فيه ما بلغه عنه من تصرفات - وبما ورد في ذلك الكتاب قوله : « سطرتها من مكة المشرفة ، وقد أخذت طريقها في سبع عشرة خطوة » ، (ويعنى بالخطوة المنزلة) وقال له ، إن « الملك هو الذي يجاهد في الله حق جهاده ، ويبدل من نفسه في الذب عن حوزة الدين . فإن كنت ملكا فأخرج والتق بالتتار (٢) .

ومن الواضح أن خطاب بيبرس اتسم بالقوة والتجريح ، فقد أكد فيه عود مصر وسلاطينها في الذب عن الإسلام والجهاد في سبيل الله ، وتحمل عبء الدفاع عن أراضي الإسلام ضد غزوات الطامعين والأعداء . أو فيما يتعلق بما نسبه أبو نعيم أبي المظفر يوسف ، فمن المعتقد أنه كان محض افتراء ، قصد به نعي به إفساد ما طرأ على العلاقات اليمينية المصرية من تحسن ، وإدخال الطرفين في صراع يماثل ما حدث حول الحجاز في أواخر العصر الأيوبي ، ليتحقق لأشراف مكة الحصول على مكاسب من الجانبين إذا ما قامت الحرب بينهما . ويؤيد هذا الرأي ، ما سبق أن توضح من أمثلة

(١) المقرئزي : الخطط ، ص ١ ص ٣٥٧ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام - بيروت ١٩٧٢ - القسم الأول ص ١٥٢ .

(٢) ابن الفرات : تاريخ الدولة والملوك ، ص ٢ ص ٦٣ ، المقرئزي : السلوك

تعبّر عن تعظيم السلطان المظفر للسلطان بيبرس ، عندما رفض تقديم الأعلام .
اليمنية على أعلامه في عرفات عند قيامه بالحج سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١م (١) ، لاشي
للا تقديرا للجهاد في سبيل الاسلام .

وتصممت المصادر عن الاشارة إلى رد الفعل الذي أحدثته رسالة بيبرس .
لدى المظفر ، ويغلب على الظن أنه لم يسكت على تلك الاتهامات وأنه كتب
إلى بيبرس موضحا له الموقف ، بما يؤكّد عدم صحة ما نقله الشريف أبو عمير
إليه ، أو أنه استطاع - بما عرف عنه من ذكاء وتبصر بالأمر - الحفاظ على
العلاقات الودية مع بطل من أعظم أبطال الإسلام ، كما أنه ليس من مصاحبه
ولا من صالح بلاده أن يعرض بلاده لمخاطر الغزو الخارجي ، في وقت كان
المخطر الزيدي قد اشتد في الداخل .

ويذكر الخزرجي (٢) أن المظفر أرسل إلى مصر بحمسة فارس ، مشاركة
من بلاده في الجهاد ضد الصليبيين مع تحمل كافة نفقاتهم (٣) ، هذا بالإضافة
إلى ما كان يرسله إلى سلطان مصر من صنوف الهدايا والتحف (٤) . غير
أن الخزرجي - لم يحدد تاريخ إرسال تلك القوة - وإذا سلمنا بصحة ذلك الخبر
الذي انفرد به الخزرجي لعدم إشارة المصادر المصرية المعاصرة إليه - فمن المرجح
أن ذلك تم ردا على كتاب بيبرس ، وإثباتا لحسن نوايا المظفر ، ثم حفاظا على
العلاقات الودية بين القطرين الشقيقين ، هذا بالإضافة إلى الرغبة الصادقة في

(١) انظر ماسبق ص ٣٦٧ .

(٢) الخزرجي : العقود > ١ ص ٢٧٩ ، المسجد ص ٣١٤ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ٨٢ أ .

(٤) الخزرجي . العقود > ١ ص ٢٧٩ ، المسجد ص ٣١٤ .

مشاركته أهل مصر في الجهاد ضد البغاة والعداة من المغول والفرنج على السواء .

ونستدل أيضا على عودة العلاقات الودية بين اليمن ومصر من تلك السفارات والهدايا المتبادلة بين البلدين . فابن الفرات يذكر أن سفارة يمنية وصلت إلى القاهرة في ذى الحجة من سنة ٦١٩ هـ / يولية ١٢٧١ م محملة بالهدايا والتحف الثمينة وغيرها (١) ، وتكرر ذلك منه سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٦ م وكان الظاهر بيبرس يرحب بتلك السفارات ، ويعمل من جادانه على الرد عليها ، فيأمر بتجهيز الهدايا السنية وإرسالها صحبة رسل اليمن لدى عودتهم إلى بلادهم (٢) .

ومن مظاهر تحسن العلاقات اليمنية المصرية تجاوز الصلات السياسية إلى تبادل الخبرات بين اليمن ومصر في كافة المجالات المعروفة وقتئذ ، منها على سبيل المثال الاستجابة لما طلبه الساطان المظفر الرسولي من الساطان الظاهر بيبرس بشأن إرسال طيب إلى اليمن للاستعانة به في انقضاء على وباء ظهر بمدينة ظفار من بلاد عمان (٣) .

(١) ابن الفرات : نفس المصدر والجزء ص ٨٣ ، المقرئى : نفس المصدر والجزء ص ٥٩٥ ، مجد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون ص ١٢٩ ، سعيد عاشور : العصر المالئكى ص ٢٣٢ .

(٢) ابن الفرات : نفس المصدر ص ١٣ ، المقرئى : نفس المصدر والجزء ص ٦٢١ .

(٣) الخزرجى : العقود الأئوية ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

ومن الجدير بالذكر أن العلاقات الودية التي سادت بين اليمن ومصر تجاوزت حدود البلدين ، فقد استغل يكونو أملاك ملك الحبشة (١٢٧٠ - ١٢٨٥ م) الصداقة القائمة بين المظفر الرسولي والسلطان بيبرس ، وأرسل رساله سنة ١٢٧٢/٥١٧٣م إلى السلطان المظفر بكتب موجهة إلى السلطان المملوكي بيبرس ليتولى المظفر بدوره إرساله إلى مصر تأييدا لطلبه لارسال مطران من مصر إلى الحبشة المرتبطة بالكنيسة المصرية . وكان أول ما فعله المظفر أنه حاز رسل ملك الحبشة لديه وكتب مع رسالة ملك الحبشة رسالة يخبر فيها الظاهر بيبرس بالأمر^(١) . وقد تعهد صاحب الحبشة في رسالته لبيبرس بإرسال الهدايا وأنه سيلبي كل ما يطلبه السلطان الملك الظاهر بيبرس ويرسله إلى السلطان المظفر ليتولى بدوره إرساله إلى مصر ، ضمانا لعدم تعرض المطلوب للنهب مثلما حدث في مرة سابقة^(٢) .

ويتضح مما سبق أن العلاقات اليمنية المصرية في عهد المظفر الرسولي والظاهر بيبرس كانت في جملتها طيبة ، وقد حرص المظفر على استمرار ارتباطه بتلك العلاقات الودية مع خلفاء بيبرس .

٣٠ - سياسة المماليك في البحر الأحمر واذر ذلك على العلاقات مع اليمن :

اهتم سلاطين المماليك بعد أن استقرت دعائم دولتهم بشؤون البحر الأحمر ،

(١) ابن عبد الظاهر : تشرىف الأيام والعصور - القاهرة ١٩٦١ - ص ٢٦٧
- ٢٦٨ ، ابن القرات : تاريخ الدول والملوك - ص ١٦ أ - ١٧ أ ،
القلقشندى : صبح الأعشى - ص ٤٠ - ٤٢ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام - ص ٢٩٣ - ١٢٤ ، ابن أبيك : كثر الدرر - ص ٨٧ - ١٨٩ .

هدف بسط نفوذهم السياسى والاقتصادى والدينى على الدول المطلة على سواحله ، وتأمين الملاحة فيه بقصد انعاش الحركة التجارية ، وحماية المندسات الاسلاميه وتيسير الحج على المسلمين .

ومن المعروف أن البحر الأحمر كان يعد منذ أقدم العصور الطريق البحرى الرئيسى الذى يربط الشرق تجاريا بالغرب ، والشريان الحيوى الهام المتحكم فى التجارة العالمية عبر حقب التاريخ . وكان التنافس قائما منذ القدم بين هذا الطريق وطريق بحر عمان (الخليج الفارسى) على وجه الخصوص فترداد أهمية أحدهما على حساب الآخر ، وفقا للظروف القائمة والقوى المتعككة فى كل منها .

فمع قيام الدولة العباسية ، كان طيمميا أن تزداد أهمية طريق الخليج بامتداده أقرب الطرق المائية المؤدية إلى ساحل الأبله فرضية البصرة ، حيث تحمل السلع عبر المجرى المائية فى دجلة والفرات إلى دار الخلافة والمراكز التجارية بالعراق ، ولكن هذا الطريق أخذ يفقد أهميته تدريجيا منذ أن فقدت الخلافة العباسية هيبتها ، وسرى الضعف فى كيانها ، وبوجه خاص بعد أن افتقدت عصر الأمن بانتشار القرصنة فيه ، مما ساعد على استعادة البحر الأحمر لمكانته الملاحية . ومن الجدير بالذكر أن استئناف النشاط البحرى فى البحر الأحمر ، ووجه اهتمام المسئولين فى مصر إلى أهمية تأمين الملاحة فيه ، حماية للتجارة وحفاظا على سلامة المسافرين فيه من الحجاج إلى بر الحجاز . وليس أدل على ذلك من اهتمام الفاطميين بتخصيص أسطول من خمس سفن للمرابطة بميناء هيداب لحماية مراكب الكارم من اغارات القراصنة (١) .

(١) القلقشندى : صوبح الأعشى - ٣ ص ٥٢٤ ، السيد عبد العزيز سالم :

وبقيام الدولة الأيوبية ازداد الاهتمام بالبحر الأحمر كهدف أساسي من سياسة صلاح الدين . ومن أجل توحيد الجبهة الإسلامية، وإحكام السيطرة على البحر الأحمر^(١)، استولى صلاح الدين على اليمن سنة ٦٩٥هـ/٧٤٤م^(٢). كما فرض سيطرته على الحجاز، واستولى على قلعة أيلة التي كان الصليبيون قد اتخذوا منها قاعدة لانتهاك حرمة المقدسات الإسلامية، فكانت للقبلة يستولى على أصلها، ومشاعر الله يسكنها غير أهلها،^(٣) فلما كانت المحاولة للصليبية التي قام أرناط بها بهدف الاعتداء على المقدسات الإسلامية سنة ٥٧٨هـ/١١٨٣م استطاع صلاح الدين اتخاذ الاجراءات التي أدت إلى إحباط تلك المحاولة الدنيئة. وواصل الأيوبيون جهودهم بعد صلاح الدين لإحكام السيطرة على البحر الأحمر، فكانت قطع أسطولهم بمخز عباب هذه البحر إلى الحجاز واليمن وغيرهما^(٤).

ومع قيام دولة المماليك البحرية في مصر، شغل أول سلاطين تلك الدولة

-
- (١) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٢٢٨ .
 (٢) عن الفتح الأيوبي، انظر، محمد عبد العال: دولة بني أيوب في اليمن .
 (٣) أبو شامة: الروضتين ص ١٥٠ - ٢٤١ - ٢٤٢، ابن واصل: مفرج الكروب ص ٤٨٦ - ٤٩٣ .
 (٤) أبو شامة: ص ٣١ - ٣٧، الذهبي: دول الاسلام ص ٦٦، الصفدي: الوافي بالوفيات ص ٦٤٨ .
 (٥) ابن حاتم: السمط ص ٣٠ ب، الخزرجي: المسجد، ص ١٨٨، ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ص ٤٨ ب، النويري: نهاية الأرب ص ٣١ ص ٤، المقرئ: السلوك ص ٧٤ - ٧٦ .

بالعمل على تثبيت أركانها ، والتخلص من الأخطار الخارجية التي كانت تهددها ، لاسيما خطر التتار الذين اجتاحتوا دار الاسلام وأسقطوا الخلافة العباسية ببغداد سنة ١٥٦ هـ / ٢٥٨ م ، وهددت جيحافلهم بلاد الشام ومصر (١) .

ويمكننا القول بأن انتصار المماليك الحامم على قوى التتار في معركة عين جالوت سنة ٦٤٨ هـ (٢) / ١٢٦٠ م وتوقف المد المغولي وانحساره في أعقاب ذلك الانتصار ، كان من أهم العوامل التي رفعت من قدر دولة المماليك البحرية في العالم الاسلامي . ثم تبوأَت تلك الدولة مكانتها المرموقة وتقدم مركزها ، ولم تلبث أن تزعمت العالم الإسلامي مند وفن السلطان الظاهر بيبرس في إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة . وقد أصدر الخليفة العباسي تقليدا للظاهر بيبرس بالبلاد الاسلامية وما ينضاف إليها (٣) ، وهي : الديار المصرية والبلاد الشامية والديار بكرية والحجازية واليمنية والقراتية وما يتجدد من

(١) المقرئى : السلوك ١ ص ٤٠٩ - ٤١ ، ابن تغرى بردى : النجوم ص ٧٥ ، سعيد عاشور : مصر في عصر المماليك البحرية ص ٢٠ ، العصر المماليكى ص ٢٧ ، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ص ٢١٨ .

Browne ; A litrary History of Persia, vol II, p. 4١3, D Ohsson: Histoire ds Mongols, vol. III, pp. 256-257, Streck (M.) ENC. of Islam, art. Baghdad, Barthold : ENC. of Islam, art. Inlugu

(٢) المقرئى : السلوك ١ ص ٤٣٠ - ٤٣١ ، سعيد عاشور : مصر في عصر دولة المماليك البحرية ص ٣٤ ، العصر المماليكى ص ٣٤ - ٣٥ ، الأيوبيون والمماليك ص ٢٢٧ ، الحركة الصليبية ص ١١٢٧ .

(٣) المقرئى : السلوك ١ ص ٤٥٠ .

الفتوحات ، (١) .

وعلى هذا النحو يمكننا القول بأن الممالك كانوا قد شغلوا عن الاهتمام بالبحر الأحمر ومشكلات مكة والمطامع اليمنية في الحجاز ، لفترة ركزوا خلالها على الصراع مع بقايا البيت الأيوبي من جهة ، وبالجهاد المقدس ضد التتار والمغول من جهة ثانية ، وشجع التقليد الخليق للسلطان المملوكي القيام بواجبه في السيطرة على الحجاز ، وحماية الحرمين الشريفين وتيسير الحج ، وهذا ما قام الظاهر بيبرس بتحقيقه عندما قام بأداء فريضة الحج سنة ١٠٧٠هـ / ١٢٦٩م حيث تمكن من استعادة مكانة مصر في تلك البلاد . كما كان عليه أن يبسط سيطرته على اليمن أو على الأقل يربطها برابطة الولاء لدولة الممالك في مصر ، ويتمثل ذلك في العلاقات الطيبة التي سادت بين مصر واليمن في عهد كل من بيبرس والمظفر . وكان على الظاهر بيبرس لتحقيق تلك السياسة أن يسيطر على البحر الأحمر ، ويجعل منه بحيرة مملوكية ، وأن يعمل على تأمين موانئه وسواحله ، لتنشيط الحركة التجارية فيه ، وشرع في تنفيذ تلك السياسة بإعادة طريق الحج البري عبر سيناء (٢) ، وسلك بنفسه ذلك الطريق لأداء فريضة الحج سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٩م ، ثم عمد إلى تأمينه من

(١) المقرئزي : نفس المصدر والجزء ص ٤٥٤ .

(٢) كان هذا الطريق قد بطل استخدامه طوال فترة الحروب الصليبية ، واستعمل طريق عيذاب بدلا منه . (جاستون فييت : المواصلات في مصر في العصور الوسطى ص ٤٨ - ٥٠ ، أحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية في مصر والشام ص ٢٦٣ ،

طريق تعمیر قلعة السويس (١) ، لتكون قاعدةً حربيةً للدفاع عن حدود مصر الشرقية ، ومنطلقاً للحملة إلى بلاد الحجاز إذا ما استدعت الأحوال ذلك .

ومن الجدير بالذكر أن إعادة استخدام طريق سيناء لم يتم على حساب ميناء عيذاب (٢) فقد وجه لكل منها نصيبه من الاهتمام ، وحرص على تأمين طريق عيذاب البرى المؤدى إلى مكة عبر البحر الأحمر ، من غارات البدو والبيجة سكان المنطقة ، عن طريق حملاته المتواصلة عليهم ، إلى أن أعاد الأمن إلى السالكين عبره . وإلى جانب تأمين الطريقين البرين ، عمل بيبرس على

(١) ابن نغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٧ ص ١٩٢ .

(٢) كان ميناء عيذاب من أهم الموانئ المصرية في البحر الأحمر ، وذلك بالرغم مما كان يعانيه المسافرون فيه من مخاطر ، إلا أنه كان أكثر أمناً ، ويؤدى إلى ساحل الحجاز واليمن (كتاب الاستبصار ص ٨٧ ، ابن جبير : الرحلة - تحقيق حسين نصار - ص ٢٧ وما بعدها) وكانت عيذاب قد أصبحت - منذ العصر الفاطمى - المركز الرئيسى لتجارة الهند واليمن والحبشة . (المقرئى : الخلط ج ١ ص ٣٥٦ ، السيد عبد العزيز سالم . البحرية الإسلامية ص ١٥٦) وعلى الرغم من العودة إلى استخدام طريق سيناء ، فإن ميناء عيذاب لم يفقد أهميته إلا بعد انتعاش ميناء الطور بعد سنة ١٣٧٨/٥٧٨٠ م . (الفلقشندى : صبح الأمشى ج ٣ ص ٢٤٣ و ٤٦٤ و ٤٦٨ - ٤٦٩ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ص ١٥٧) وانتهى أمر عيذاب تماماً عندما قام السلطان برسباى بتخريبها سنة ١٤٢٦/٥٨٣٠ م .
(Depping (G.B.) : Histoire du Commerce entre le levant et l'Europe, Paris, 1830, T.I, pp. 53 54).

تأمين الملاحة في البحر الأحمر، فانتهاز فرصة تعرض صاحبي سواكن ودهلك للتجار في سنة ٨٦٢/١٢٦٤م، واستنكر بادي، ذى بدء هذا العمل منها^(١)، ثم لم يتردد بعد ذلك بهامين في تسيير حملة إلى سواكن تمكنت من الاستيلاء عليها وإقرار الأمور فيها^(٢)، ونستدل بما ذكره المقرئى على أن هذه المدينة ظلت خاضعة لمصر بدليل أنها واصلت دفع الزكاة في سنة ٦٦٥هـ^(٣) / ١٢٦٧م. أما جزيرة دهلك، فقد عمل حكامها على التقرب إلى المالك وتحسين علاقتهم معهم تجنباً لمطامع بنى رسول في اليمن^(٤).

واستكمالاً لإحكام السيطرة على البحر الأحمر أرسل الظاهر بيبرس أسطولاً^(١) من خمس سفن إلى ميناء عيذاب لتأمين الملاحة في هذا البحر^(٢) على النحو الذى كان معمولاً به أيام الفاطميين.

وهكذا أصبح البحر الأحمر بحيرة مصرية، وبفضل ذلك أمكن سياسياً

(١) المقرئى : السلوك ج١ ص ٥٠٦ .

(٢) Rene Basst : Art. "Dahlak" in the ENCY. of Islam. (٢)

(٣) Lane-Poole ; The History of Egypt. p. 264. (٣)

(٤) وما يذكر أن المالك اهتموا بدور صناعة السفن ، وقام الظاهر بيبرس بجسارة دار الصناعة في سنة ٨٦٧ / ١٢٧٢ وتبعه الأشرف خليل الذى أنشأ أسطولاً قويا سنة ٨٦٢ / ١٢٩٣ ، ثم الناصر محمد بن قلاوون الذى أنشأ أسطولاً آخر سنة ٨٧٠ / ١٣٠٢ واستمر اهتمام المالك بعد ذلك بأمر البحرية . (المقرئى : السلوك ج١ ص ٦٠١ ، المخطط ج٢ ص ١٩٤ - ١٩٥ ، المبادئ : البحرية ص ٢٢٠) .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ج٣ ص ٥٢٤ .

مد النفوذ المصري إلى الأراضى الواقعة على سيفه ، كما أمكن من الناحية الدينية ، السيطرة على الحجاز وحماية المقدسات الإسلامية وتسهيل تأدية فريضة الحج للمسلمين ، ومن الناحية الاقتصادية ، أدت سيطرة مصر على البحر الأحمر وتأمين الملاحة فيه إلى انتعاش التجارة الشرقية ، وجنت مصر من وراء ذلك مكاسب ضخمة .

٤ - دور اليمن في ازدهار طريق البحر الأحمر :

كان لموقع اليمن الاستراتيجى فى الركن الجنوبى الغربى من جزيرة العرب وتحكمها فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، أعظم الأثر فى قيامها بدور رئيسى وبارز فى تجارة هذا البحر . وكانت عدن أهم ثغور اليمن وأعظم مركز تجارى فى المحيط الهندى ، فهى المرسى الرئيسى لبلاد اليمن (١) ، تتردد عليها سراكب الهند (٢) والسند والصين (٣) وكرمان وفارس وعمان (٤) . وعلى الرغم من قدم عدن فى التاريخ العربى ، إلا أن أهميتها فى الإسلام

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار - مصر ١٩٣٨ - ١٣ ص ١٥٩ ،

Kammerer : La Mer Rouge, T.I, p. 66.

(٢) أبو الفدا : تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠ ، ص ٧٨ .

(٣) ابن الوردي : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، القاهرة ١٣٠٩ ،

ص ٥٦ .

(٤) الدمشقي : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ليزج ١٩٢٣ ،

ص ٢١٦ .

بدأت تتضح منذ قيام دولة بني زياد^(١) حيث أخذت في الازدهار ، وأصبحت مقصد أهل اليمن ومنتجعاً لهم ، فأقبلوا على الاستقرار فيها وتعميرها ، وقصدتها مراكب الهند والصين^(٢) . وعلى الرغم من حصانها الطيبة ، فإن بني زريع^(٣) حرصوا على تدعيمها بسور^(٤) وأصبحت لذلك من أمنع البلاد وأحصنها^(٥) ، ولم يكن لعدن مدخل إلا من جانب واحد^(٦) . فإما خضعت لدولة بني أيوب ، قام عثمان الزنجبيلي نائبهم على عدن بإنشاء أسوار أخرى في مواضع متعددة منها^(٧) . كما اهتم بميناء عدن وحرص على تدعيم وتنظيم

(١) حكمت دولة بني زياد اليمن من سنة ٤٥٢ هـ إلى ٤٠٩ هـ / ٨١٩-١٠١٨ م (انظر ، عمارة : تاريخ اليمن ص ٢ وما بعدها ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ١١ أ وما بعدها ، باخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ٢١٥ ، محمد عبد العال : أحمد : دولة بني أيوب في اليمن ص ١٠ وما بعدها ،

Kay : Yaman, p. 255

- (٢) باخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ١ ص ٩ .
 (٣) كانت دولة بني زريع في عدن (٤٦٧ - ٥٦٩ هـ / ١٠٧٥ - ١١٧ م) انظر ، محمد عبد العال : أحمد : دولة بني أيوب في اليمن ص ٢٥ وما بعدها .
 (٤) ابن الجوار : صفة بلاد اليمن ج ١ ص ١٢١ ، باخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ١ ص ١٠ .
 (٥) ابن الأثير : : الكامل ج ١١ ص ١٧٨ .
 (٦) ابن بطوطة : الرحلة ج ١ ص ١٥٩ .
 (٧) ابن الجوار : صفة بلاد اليمن ج ١ ص ١٢٨ ، باخرمة : نفس المصدر والجزء ص ١٠ و ١٤ و ٤٧ - ٤٨ .

العمل فيه ، فانتعشت الحركة التجارية واستقر الأمن في المدينة . وأدى ذلك إلى زيادة العمران المدني وانتعاش الحركة التجارية في الأسواق وتدفق الراغبون في سكنها من مختلف المناطق^(١) ، ويعبر ابن الجاور عن ذلك بقوله : وغالب سكان البلد عرب مجمعة من الاسكندرية ومصر والريف والعجم والفرس وحضارم ومقادشة وجبالية وأهل ذبحان وزبالع ... وحبوش . وقد التأم إليها من كل بقعة ، ومن كل أرض ، وتمولوا فصاروا أصحاب خير ونعم^(٢) . . . ، بخلاف الوافدين الذين كانت إقامتهم قاصرة على فترة الموسم التجاري فيما بين أغسطس وأبريل من العام التالي^(٣) .

وكان النظام المتبع في ثغر عدن لاستقبال المراكب ، أن يقوم موظف يطاق عليه ، الناظور ، برصد المراكب القادمة من أعلى الجبل^(٤) . فإذا رست

(١) ابن الجاور : نفس المصدر والجزء ص ١٣٠ ، بانخرمة : نفس المصدر والجزء ص ١٠ و ١٤ - ١٥ ، ٤٩ .

(٢) ابن الجاور : نفس المصدر والجزء ص ١٣٤ ، بانخرمة : نفس المصدر والجزء ص ٥٤ .

(٣) Hunter : An Account of British Settlement - of Aden. pp. 41 43.

(٤) كان الناظور يقوم برصد المراكب القادمة ، وقت الشروق والغروب حيث يساعد شعاع الشمس الممتد على سطح الماء على الرؤية ، فإذا ملاح له شيء على صفحة الماء قام بقياس ذلك ورصده يعود معه . فإذا كان طيرا تحرك عن موضعه ، أما إذا ظل ثابتا مستقيما تأكد له أنه مركب ، وعندئذ يصبح بأعلى صوته « ديريا » - وهي صيحة يقصد بها الإعلان عن وصول مركب ليتم الاستعداد لاستقبالها - فإذا صدت رؤيته منح دينار =

المراكب في الميناء تقدم نائب السلطان إليها ، وقام أحد موظفي الدبوان بتفتيش الرجال بدقة ، أما النساء فقد كانت تخصص لتفتيشن امرأة (١) ، ثم يتم تفريغ حمولة السفن ونقلها إلى الفرضة (٢) . ويصف ابن الجاور ما كان يعانيه التجار عند وصولهم إلى عدن من متاعب ، فيقول : « وخرج الإنسان من البحر كخروجه من القبر ، والفرضة كالمحشر ، فيه المناقشة والمحاسبة والوزن والعدد ، (٣) وكان يبع تلك البضائع يتم عن طريق دلال ، مقابل

= بن كل مركب ، وإذا كان غير ذلك عوقب بالضرب . فإذا اقتربت المركب استقبلها السنايك وصعد موظفوا الميناء إليها لمعرفة اسم الناخوذة والسند الهادم منه ، وحصروا أسماء التجار وبيان ما تحمله المركب من أصناف ، وتعود السنايك بالبيانات للوالي ، ومن ثم ينتشر المبشرون في المدينة لتبشير أهل من وصل . (انظر ، ابن الجاور : صفة بلاد اليمن ، ج ١ ص ١٣٨ - ١٣٩ باخرمة : تاريخ نجر عدن ج ١ ص ٥٦ - ٥٨) .

(١) كانت عملية التفتيش يتم في المراكب ، وكان المنتش يتولى تفتيش الرجال واحدا واحدا ويصل التفتيش إلى العمامة والشعر والكمين وحزة السراويل ، وتحت الاباط والضرب على الحجة والاليتين . أما النساء فكانت تمتد يد المعجوز في أعجازهن و..... (ابن الجاور : صفة بلاد اليمن ج ١ ص ١٣٩ ، باخرمة : تاريخ نجر عدن ج ١ ص ٥٨) .

(٢) الفرضة ، هي المكان الذي كان يتم فيه فحص البضائع الواردة ، وتقدير العشور عليها (باخرمة : نفس المصدر والجزء ص ١١٤)

(٣) ابن الجاور : نفس المصدر ص ١٢٨ ، باخرمة : نفس المصدر والجزء ص ٤٨ .

تدبرسم دلالة نقدي وأحياناً عيني ، بواقع ١٪ من قيمتها يتحملها المشتري (١) .
 فإذا ماتم البيع وعزم التجار على السفر كان لزاماً عليهم الحصول على تصريح
 بالمقادرة من الوالي بعد التأكد من خلوصهم من المديونية ، مع التزام ضمان
 يتحمل ماقد يظهر عليهم بعد ترك البلاد ، فإذا لم يتوفر الضامن نودي في
 المدينة للإعلان عن سفر المعلن عن اسمه ، حتى يتقدم من له ديون عليه
 بالاستخلاصها ، ثم يسمح له بالسفر بعد سدادها أو لعدم وجود ديون عليه (٢) .

وكان يتم تحصيل العشور بميناة عدن إلى جانب رسوم أخرى ، كرسوم
 الخلفضة والشواني وغيرهما . وكانت الرسوم تختلف من سلعة لأخرى ، كما كانت
 بعض السلع الضرورية تعفى من العشور (٣) .

وكان الاهتمام الشديد بتأمين التجارة والعمل على اجتذاب السفن إلى
 عدن ، دافعاً على القيام بإرسال الشواني لحراسة السفن التجارية في المحيط
 الهندي وحمايتها وتأمينها من لغارات القراصنة . والأيوبيون في اليمن هم أول
 من سن هذا التقليد ، إذ لم تكن الشواني تستخدم قبلهم لهذا الغرض . فلما فتح
 تورانشاه بن أيوب اليمن ، احتفظ بما كان معه من شواني ، كما كان يتم

(١) بامخرمة : نفس المصدر والجزء ص ٦٧ ،

Huart (C) : Histoire des Arabes T: I, p 115 .

(٢) ابن الجاور : نفس المصدر والجزء ص ١٤٦ ، بامخرمة : نفس المصدر

والجزء ص ٦٧ .

(٣) انظر ، ابن الجاور : نفس المصدر والجزء ص ١٤٠ وما بعدها ،

بامخرمة : نفس المصدر والجزء ص ٥٨ - ٦٣ .

الاحتفاظ به وذلك بمعظم ما كان يصلهم منها صعبة الإمدادات الأيوية لليمن^(١) .
وكان سيف الاسلام طفتكين بن أبوب أول من أمر بانقاذ الشوانى إلى المحيط .
لحماية التجار من القراصنة (٢) .

ويبدو أن تلك الشوانى توقفت بعد ذلك عن القيام بمهامها ، مما أدى إلى
تعرض السفن التجارية للاخطار ، كما حدث سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٥ م عندما
توقفت السفن عن الوصول إلى عدن ، الأمر الذى دعا الأتابك سنقر - نائب
الأيويين في اليمن - إلى القيام بتجهيز الشوانى مرة أخرى سنة ٦٠٢ هـ /
١٢٠٦ م لتأمين السفن ، وقد بلغت تلك الشوانى في جولاتها بالمحيط حتى بلدي
قلبات حيث تمكنت من إعادة الأمن في طريق السفن إلى عدن (٣) . ولم تكن
السلطات الأيوية في اليمن تفرض رسوما إضافية على السفن التجارية أو
التجار مقابل ما كانت تتكلمه من نفقات الحراسة ، باعتبار أن حراسة تلك السفن
كان يدخل في نطاق الواجبات الملقاة على حكومة اليمن . واستمر ذلك إلى
أيام المسعود يوسف آخر الأيوبيين في اليمن ، والذى قام سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م
بفرض رسم اضافى لتغطية ما تنفقه الدولة عليها بواقع ١٠٪ من قيمة العشور
فكان مقدار المحصل من التجار نظير هذا الرسم يتراوح ما بين الخمسين والستين

(١) ابن حاتم : السمط ص ٣ ب ٣٦ ، أ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن
ص ٤٨ أ - ب ، النويرى : نهاية الأرب ج ٣١ ص ٤٠ ؛ الخزرجى : المسجد
ص ١٨٩ ، المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٤ - ٧٦ ، ابن أيبك : درر التيجان
حوادث سنة ٦١١ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ص ٦٨١٥٤ .

(٢) ابن الجاور : صفة بلاد اليمن ج ١ ص ١٤١ ، باخرمة : تاريخ نجران
عدن ج ١ ص ٦١ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ٢٨ ب .

ألف دينار سنويا . واستمرت تلك الرسوم تفرض على التجار إلى أن بطل استعمال الشواني في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م ، وبطل معها ما كان يفرض من رسوم بسببها (١) .

وكانت عدة السفن التجارية التي تصل إلى نجر عدن في أواخر العهد الأيوبي في اليمن تتراوح ما بين سبعين وثمانين مركبا ، بلغ مقدار العشور المحصلة عن بعضها ثمانين ألف دينار . وكانت تلك الأموال المحصلة ترسل سنويا من عدن إلى السلطان في نجر في أربع خزائن تحوى كل واحدة منها على ما يقدر بمائة وخمسين ألف دينار أو يزيد (٢) . في حين لم تتجاوز كل منها في عهد الصليبيين المائة ألف دينار (٢) .

وإذا كان نجر عدن قد اجتذب كثيرا من السفن التي تمخر المحيط الهندي (٤) فقد بدأت أهميته تقل منذ بداية دولة بني رسول ، نتيجة للسياسة

(١) ابن الجاور : صفة بلاد اليمن ص ١ ص ١٤٠ - ١٤٢ ، بانخرمة : تاريخ نجر عدن ص ٦١ - ٦٢ .

(٢) ابن الجاور : نفس المصدر والجزء ص ١٤٤ و ١٤٥ ، بانخرمة : نفس المصدر والجزء ص ٦٥ .

(٣) عمارة : تاريخ اليمن ص ٤٨ ، ابن الجاور : صفة بلاد اليمن ص ١ ص ١٢٢ - ٢٢٢ ، بانخرمة : نفس المصدر والجزء ص ٤١ ، العرشي : بوغ المسرام ص ٢٧ ، الواسعي : تاريخ اليمن ص ١٦٥ .

(٤) ابن الجاور : نفس المصدر والجزء ص ١٤٤ و ١٥٥ ، بانخرمة : نفس المصدر والجزء ص ٦٥ .

التي انتهجها نور الدين عمر بن رسول ، الذي احتكر عملية شراء السلع التجارية بالأسمار والأوزان التي يحددها ، ثم يتولى نوابه بيعها بأثمان باهظة وأوزان تنقص عن تلك التي اشتراها بها ، وحقق بذلك أرباحاً طائلة ، في حين تكبد التجار خسائر جسيمة^(١) ، فكان ذلك دافعا للتجار على التحول عن عدن إلى طريق الخليج ، كما تأثرت التجارة من ناحية أخرى بظروف الصراع الذي نشب بين نور الدين والأيوبيين في مصر ، مما كان له أعمق الأثر على حركة تجارة العبور في البحر الأحمر .

فلما تولى المظفر يوسف السلطنة بعد أبيه في اليمن ، اهتم منذ اللحظة الأولى بأمر عدن ، وقام بزيارتها في صفر سنة ٦٤٨ هـ / مايو ١٢٥٠ م ، وذلك على الرغم من أنه لم يكن قد استكمل بعد السيطرة على بلاده ، ويغلب على الظن أنه رفع بعض المظالم عن التجار ، بدليل أنهم حملوا إليه الكثير من الهدايا والتحف والأموال . ومما يذكر أن منتجات ثمر عدن التي تسلبها المظفر يوسف من واليها بلغت خمسمائة ألف دينار^(٢) .

وعلى هذا النحو بدأت عدن تزدهر من جديد في عهد المظفر الرسولي^(٣) ، كما أثمرت جهوده التي بذلها من جانبه في تدعيم الجهود التي قام بها السلطان الظاهر بيبرس لتأمين الملاحة في البحر الأحمر ، مما عاد بالفائدة على دولتيهما .

(١) ابن الجوار : نفس المصدر والجزء ص ١٤٧ - ١٤٨ ، باخرمة : نفس المصدر والجزء ص ٦٨ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ٥٦ أ .

(٣) Lewis (Bernard) : Egypt and Syria, (The Cambridge

History of Islam - Cambridge, 1970,) p. 223 .

وكان من الطبيعي - في الوقت الذي كان المظفر يعمل فيه على تنمية ثمر عدن وازدهاره - أن يهتم بتأمين الملاحة ، وأن تتمم علاقاته بالدول البحرية والتجارية الآسيوية بالصدافة والود . ويشير ابن حاتم إلى قيام المظفر الرسولي بإرسال سفارة وهدايا جليلة إلى فارس سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م ، ولكن الرياح عصفت بالسفن وألقت بها إلى ساحل ظفار فاستولى سلطانها سالم بن ادريس الجبوضي عليها وعلى حمولتها من البضائع والهدايا ، ووقع السفير ومن كان يرافقه من النصارى أسرى فأساء سالم معاملتهم (١) .

وقد حاول المظفر باديء ذي بدء حل المشكلة سلمياً ، وكتب بذلك إلى سلطان ظفار ، ولكن المحاولة باءت بالفشل ، بل أن سلطان ظفار تمادى في هدائه وسير حملة بحرية للاغارة على عدن . ولهذا السبب اضطر المظفر - أمام تحديات سلطان ظفار - إلى اصطناع القوة الانتقام منه وضمان سلامة الملاحة . وعدم التعرض للسفن التجارية بسوءه ، وأرسل حملتين ، اشتبكت أولاهما مع قوات ظفار ، أما الثانية فقد استولت على الشجر لخروج صاحبها عن طاعة المظفر ، وموالاته لسلطان ظفار (٢) .

غير أن الحملات البرية أثبتت عدم فاعليتها في تحقيق نصر حاسم ، أو القضاء

(١) ابن حاتم : السمط ص ١٥٠ ، الخزرجي : المقوود ج ١ ص ٢٠٨ ، المسجد ص ٢٩٠ ، ابن الديبع : قره العيون ص ٧٨ أ ، باخرمة : تاريخ ثغر عدن > ٢ ص ٨٦ .

(٢) ابن حاتم : السمط ص ١٠٠ ب ، الجندي : السلوك ص ٤٥٤ ، باخرمة نفس المصدر والجزء ٨٤ ، زبارة : أنمة اليمن > ١ ص ١٩٩ .

على مطابع سلطان ظفار ، بعد المسافة . لذلك اهتم المظفر بالحملة البحرية وأصدر أوامره إلى وإلى عدن اعمارة الشواني والمراكب والطرائد الموجودة والعمل على إصلاحها (١) ، كما أنشأ عدداً آخر (٢) ، ثم توجه السلطان بنفسه إلى عدن لتفقد الاستعدادات البحرية وتجهيز المراكب (٣) وأبحرت السفن من ثغر عدن في نفس الوقت الذي خرجت فيه حملتان بريتان أخريان ، إحداهما تقدمت عبر الطريق الساحلي الموازي للحملة البحرية . أما الحملة البرية الثانية ، فقد توجهت عن طريق منطبة الجوف شمال شرق اليمن لتتجه من هناك جنوباً عبر حضر موت إلى ظفار . وقد أسفرت هذه الحملات عن هزيمة سلطان ظفار وقتله ، وأسر وقتل الكثير من أتباعه ، واستولى المظفر على ظفار في رجب ٨٦٧هـ / (٤) نوفمبر ١٢٧٩ م ، وأقطعها لابنه الواتق نور الدين ابراهيم (٥) كما ولي ابنه المؤيد داود على حضر موت والشحر (٦) .

- (١) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٢٠٩ ، المسجد ص ٢٩٢ .
 (٢) ابن حاتم : السمط ص ١٠١ ، التويري : نياية الأرب ج ٣ ص ٤١ .
 (٣) ابن حاتم : السمط ص ١٠١ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٩٩ .
 (٤) ابن حاتم : السمط ص ١٠١ - ١٠٤ ، الجندى : السلوك ص ٤٥٤
 ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٥٩ ب - ٦٠ أ . الخزرجي : العقود ج ١
 ص ٢١٠ - ٢١٢ ، المسجد ص ٢٩٢ - ٢٩٤ ، ابن الديبع : قرة العيون
 ص ٧٨ ب - ٧٩ أ .

(٥) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٢٦٨ ، المسجد ص ٥٣ ، زبارة : أئمة
 اليمن ج ١ ص ٢٠٥ .

(٦) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٦٣ أ - ٦٤ ب ، الخزرجي : العقود
 ج ١ ص ٢٧٥ ، المسجد ص ٣١٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٨١ ب .

وأحدث استيلاء المظفر الرسولي على ظفار دويًا هائلًا ، عبر عنه الخزرجي بقوله : دارتعدت الأنظار الفصبة هيئة للسلطان وامتلات من خوفه قلوب ملوك فارس وأصحاب الهند والصين لما رأوا من علو همته وعظيم نعمته ، فأرسل صاحب عمان بهديته فرسين ورمحين إلى الأمير شمس الدين أزدمسر [نائب السلطان الرسولي] وهو يومئذ في ظفار ، ووصلت هدايا صاحب الصين ، ووصل [رسول] صاحب البحرين إلى زييد،^(١) .

ولا نشك في أن هذا الانتصار كان من العوامل الهامة لاستقرار الأمن في المحيط الهندي ، ودافعا على زيادة الإقبال على عدن ، بعد أن أصبح سلطان اليمن مسيطرا على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية إلى عمان ، مما هدد الطريق التجاري عبر بحر عمان (الخليج العارسي) وقلل من أهميته ، وزاد بالتالي من أهمية البحر الأحمر ، وأدى إلى زيادة النشاط الملاحي فيه .

٥ - العلاقات أيهنية المصرية بعد أحياء الخلافة العباسية في مصر :-

عمل بنو رسول على الارتباط بالخلافة العباسية في بغداد ، والحصول على تقليد من الخليفة بالاعتراف بملكهم ، وذلك كأجراء حتمى لشرعية حكمهم ، وهو أمر اعتاده سلاطين الولايات والمناطق الأخرى ، وحرصوا عليه باعتبارهم نوابا عن الخليفة العباسي في الحكم .

ولهذا حرص نورالدين عمر - مؤسس دولة بني رسول - على الحصول على تقليد من

(١) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٢١٣ ، وقارن ، المسجد ص ٢٩٥ ،

ابن الديبع : قرة العيون ص ٧٩ أ .

الخليفة في بغداد ، وعلى هذا الأساس ارتبطت دولته بالولاء للخلافة العباسية^(١) . كما عمل على اكتساب رضا الخليفة عليه فأرسل إليه الهدايا ، ولم يترك مناسبة إلا وعمل على إظهار ولائه للخليفة اكتساباً لتأييده مناهما حدث عندما انتهز فرصة قيام والده الخليفة بأداء فريضة الحج سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٤ م وأرسل إليها الهدايا الجليلة ، ولم يدخر نائبه في مكة جهداً في القيام على خدمتها وراحتها^(٢) . وبلغ من مكانة الخليفة العباسي وقدره عند بني رسول ، أنه لما قام نور الدين في أواخر عهده بتجليف العسكر لابنه المفضل ، غضب المظفر يوسف الابن الأكبر ، وعزم على التوجه إلى الخليفة العباسي ليشكو لآية تفضيل أبيه نور الدين لأخيه الأصغر عليه ، وليتمكن من الحصول على حقه الشرعي في السلطنة عن طريق الخليفة نفسه . ولكن مقتل نور الدين المفاجيء - حال دون توجه المظفر إلى بغداد بعد أن أصبح مما عليه أن يكافح في سبيل الاستيلاء على هذا الحق بالقوة^(٣) ، ومع ذلك فما أن استطاع المظفر ان يخلص من منافسيه وخفت حدة التوتر في اليمن ، حتى بادر بالعمل للحصول على تقليد منه وتشريف بالنيابة عن الخليفة ، وأرسل لهذا الغرض سفارة إلى بغداد سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م ، ولم يتردد الخليفة العباسي في إجابته إلى طلبه^(٤) ، وأمر بكتابة منشور بذلك أرسله إليه مع خلعته وأربعين ألف دينار^(٥) ، فلما وصل-

(١) انظر ما سبق ص ٣٤٤ .

(٢) ابن حاتم . السمط ص ٤٦ ، الخزرجي : المسجد ص ٢٣٦ .

(٣) انظر ما سبق ص ١٢٣ :

(٤) زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ١٦٣ .

(٥) ابن الديبع : قررة العيون ص ٧٣ ب .

رسول الخليفة إلى المظفر ألبسه الخلع ثم قرأ عليه منشور الخليفة . وعاد الرسول إلى بغداد مزودا بالهدايا والتحف التي أعدها المظفر للخليفة (١) .

ومن الجدير بالذكر أن الخليفة المستعصم العباسي كتب إلى المظفر يأمره بالقضاء على الإمام الزيدي أحمد بن الحسين (٢) ، والظاهر أن المظفر استغل ذلك ليثبت ولائه للخليفة ويظهر كفايته في القضاء على القوى المعادية للعباسيين ، وتمثلها في اليمن قوى الزيدية ، ولهذا تضمن كتابه الذي أرسله إلى الخليفة تفاصيل تتعلق بما بذله من جهود للقضاء على قوة الامامة الزيدية (٣) .

وبسقوط الخليفة في بغداد ، وقيام الظاهر بيبرس بإحيائها في القاهرة ، أصبح السلطان بيبرس - بموجب تقليد الخليفة له - صاحب الحق الشرعي في حكم البلاد التي نص عليها التقليد ومن بينها اليمن (٤) . وهذا يعني أن بلاد اليمن قد تحولت من الاستقلال إلى التبعية المباشرة لسلطان مصر المملوكي ، وهو أمر لن يقبل به سلاطين بني رسول ، بعد أن قاموا بجهود كبيرة في سبيل الاستيلاء على اليمن والاستقلال بحكمها ، بل وامتد نفوذهم إلى الحجاز ، وتدعم ملكهم بتقليد من الخليفة العباسي المستنصر ثم المستعصم من بعده ، واكتسبوا بذلك الصفة الشرعية من خلافة بغداد . ولهذا فإن إغفال خليفة

(١) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٩٩ - ١٠٠ ، المسجد ص ٢٥٥ .

(٢) الخزرجي : العقود ص ٩٩ ، المسجد ص ٢٥٥ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢ ص ١٨١ ، زبارة أئمة اليمن ص ١٦٣ -

(٤) انظر ما سبق ص ٢٧٩ .

القاهرة لحقهم ، وإضافة اليمن إلى ملحقات السلطنة المملوكية ، لم يقابل بالرضاء من السلطان المظفر الرسولي .

وعلى الرغم من ذلك الموقف ، فقد تحسنت العلاقات اليمنية المصرية ، ويرجع ذلك إلى ما أصبح يتمتع به السلطان المملوكي من قوة مكنته ، ليس فقط من الصمود أمام جحافل المغول ، وإنما تحقيق الانتصارات الساحقة عليها وعلى غيرها من القوى المعادية كالصليبيين ، مما أكسب سلطان مصر تقدير واحترام للسلطان الرسولي المظفر الذي بلغ من احترامه وتقديره له أن رفض مشورة بعض خواصه بتقديم الأعلام اليمنية على أعلام السلطان بيبرس ؛ وقال كلمته المشهورة « أتراني أوخر أعلام ملك كسر التتار بالأمس ، وأقدم أعلامي لحضوري ، (١) » .

وهكذا ، وتفاديا للمخاطر التي قد تهدده من قبيل دولة المماليك ، عمل السلطان المظفر يوسف على تحسين العلاقات مع السلطان بيبرس اكتسابا لتأييده ، وقد تجاوزت العلاقات حد تبادل السفارات والهدايا ، إلى قيام الظاهر بيبرس سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م بإرسال أمان إلى المظفر ضمنا لعدم تعرض المماليك لبلاده ، كما أرسل إليه سنجقا وخلعة وشعار السلطنة (٢) . « ورسم

(١) الخزرجي : العقود ج ١ ص ١٣٤ ، أحمد مختار العبادي : قيام دولة

المماليك ص ١٦٨ .

(٢) ابن شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك ص ٨٩ ، أحمد مختار

العبادي : نفس المرجع ص ١٩٠ .

أن يكاتب بالمقام العالمي المولوى السلطاني » . (١) وذلك على الرغم من أنه سلاطين المماليك كانوا ينكرون على ما عداهم التلقب بالسلطنة (٢) .

وكان المظفر حريصا على إظهار ولائه للسلطان المملوكي درءا للمخاطر التي قد تهدد عرشه وبلاده من ناحيته ، ولهذا استمرت علاقات الود بينه وبين السلطان سيف الدين قلاوون ، وعمل المظفر على تدعيمها ، ولم يتردد في مهادته وموادعته ، ففي سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م وصلت سفارة السلطان المظفر إلى مصر بهدية نفيسة ، فقبها قلاوون ، كما استجاب لطلب المظفر في أمان (٣) ، أمر قلاوون بكتابته على قميصه ووقه هو وابنه الملك الصالح ، وبما ورد فيه : « إنا داعون له ولأولاده ، مسالمون من سالمهم ، معا دون من عاдамهم ، ناصرون من نصرهم ، خالون من خذلهم . لانرضي له ولأولاده إلا ما رضينا . لأنفسنا ، وإنما لا تقبل في حقه سعاية ساع ولا قول واش ولا تناله منا مضرة مدى الدهر وأعمارنا ، مادام ملارما لشرط مودتنا ، (٤) .

وعلى الرغم من تمسك سلاطين بني رسول بالدعاء لخليفة بغداد ، وعدم

(١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج ١٢ ص ١٢ ب ، العيني : عقد الجمان مج ٥ ص ٥٤٥ .

(٢) انظر ما سبق ص ٣٦٦ وما بعدها .

(٣) المقرئبزي : السلوك ج ١ ص ٧٠٢ ، القلقشندي : صبح الأعشي ج ٥ ص ٣١ ، النويري : نهاية الأرب ج ٢٩ ص ٢٧٩ أ .

(٤) بيبرس الدوادار : زبدة الذكرة ج ٩ ص ١٢٣ أ - ب ، محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون ص ١٢٠ ، سعيد عاشور : العذر المماليكي ص ٢٣٣ .

ذكر خليفة القاهرة عند الدماء على منابر اليمن (١) ، فلم يكن سلاطين المماليك على استعداد لخوض معارك لهذا السبب ، طالما تمسك بنورسول بتقديم ما التزموا به من أموال وهدايا سنوية ، تتأكد بها المودة بين الجانبين (٢) ، وهكذا فلم يكن ليشار موضوع الخطة إلا عندما تتأزم العلاقات نتيجة امتناع سلاطين اليمن عن إرسال ما اعتادوه من هدايا وأموال (٣) .

وأيا ما كان الأمر فقد استمرت رسل المنظر يوسف في التردد على السلطان المنصور قلاوون بالهدايا والاحسان ، ففي سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م أرسل المنظر إلى قلاوون هدايا نفيسة متنوعة من تحف الهند والصند واليمن (٤) ، تشمل على الخيول العربية الأصيلة ، وفيل وكر كدن وعمد من البيغاوات ، وعلى ثلاث قطع كبيرة من العود الذي يبلغ من ثقل القطعة الواحدة منها أن كان يحملها رجلاً ، بالإضافة إلى الكثير من الرماح والسيوف وأصناف البهار والأفمشة وغيرها من السحف . فقبل قلاوون الهدية وأنعم على الرسل (٥)

(١) انظر ، الخزرجي . العقود الأولوية ج ١ ص ٦٩ ، العاصري : غربال الزمان ، حوادث سنة ٦٥٦ هـ ، أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ١٣٢ . Arnold : The Caliphate, p. 87 .

(٢) القلقشندي : صبيح الأعشي ج ٥ ص ٢١ ، ج ٧ ص ٣٤٠ .

(٣) النويري : نهاية الأرب ج ٨ ص ١٥٢ - ١٥٨ ، القلقشندي : ج ٦

ص ٤٢١ - ٤٢٦ ؛ ج ٧ ص ٣٤٨ - ٣٥١ ، ص ٣٦٣ - ٣٦٥ .

(٤) ابن عبد الظاهر : تشریف الأيام والمعصوم ص ١١٧ .

(٥) ابن القفراة : تاريخ الدول والملوك ج ١٥ ص ٢٢ أ ، انويري :

نفس المصدر ج ٢٩ ص ٢٨٥ ب .

بالخام وأرسل معهم في مقابل ذلك هداياه إلى السلطان المظفر (١) .

ومن الجدير بالذكر أن المظفر لم يترك فرص الانتصارات المملوكية على المغول والصليبيين وغيرهم تمر دون أن يبعث بتهانيه إلى السلطان المملوكي (٢) ، كما حرص السلطان المملوكي بدوره على الكتابة إلى صاحب اليمن مباشرة بانتصاراته وفتوحاته (٣) أو رادا على نهاني سلطان اليمن (٤) .

غير أن العلاقات الودية التي سادت بين مصر واليمن لم تلبث أن انتهت بالعتور بعد وفاة المنصور قلاوون ، إذ توقف المظفر عن مهادة صاحب مصر ، الأمر الذي أثار غضب الأشرف خليل بن قلاوون عليه ، فأرسل إليه سنة ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م كتابا نديد اللهجة صريحة أحد تجار الكرام عنقه فيه وهدده « وعرض له باشتغاله بالهدم والطرب ، وخنمه بقوله ، : « لأخرجن اليمن عن عيذك وأقل من مال إليك أو الالك » . وعنون الرسالة بعبارة : « يصل إلى الخارجى باليمن » . كما أمر التاجر أن يحذره باستعداده لتجهيز حملة إذا لم يأتته من السلطان المظفر كتاب يعتذر له فيه ، ويعود إلى إرسال ما اعتاده من الهدايا مرة أخرى . إلا أن المظفر لم يقبل تلك الرسالة منذ طالع عنوانها ، وردها إلى

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٢٩ .

(٢) ابن عبد الظاهر : نفس المصدر ص ١٤٤ .

(٣) ابن عبد الظاهر : نفس المصدر ص ١٨٦ - ١٨٩ ، الفيومى : نثر الجمان فى تراجم الأعيان - مخطوط بدار الكتب رقم ١٧٤٦ تاريخ - ج ٢ ص ٣٢٢ ، القلقشندى : ج ٧ ص ٢٥٣ - ٢٥٧ ، ٢٦٠ - ٢٦٢ ، ص ٣٦٦ - ٢٧٠ .

(٤) القلقشندى : ج ٧ ص ٢٤٤ ؛ ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٧

التاجر بحجة أنها ليست موجهة إليه ، وطلب منه في تمك البحث عن الخارجى .
 المتصود لتوصيلها إليه أو القيام بردها إلى مرسلها في حالة عدم الاهتداء إليه .
 فقام التاجر بمشافهة السلطان بفحوى الرسالة . فرد عليه المظفر بقوله : « هذا
 كلام قزغلب عليه الجهل » (١) . ولم يلبث المظفر أن توفي سنة ٦٩٤ هـ /
 ١٢٩٥ م ، ولم يعمر ابنه الأشرف وخليفته في السلطنة طويلا إذ توفي سنة
 ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م .

ثالثا : العلاقات اليمنية المصرية بين سلاطين بنى رسول - بعد المظفر - وبين
 سلاطين دولتى المهالك البحرية والجزاكسة : -

١ - فى عهد المؤيد داود الرسولى : -

تدهورت العلاقات اليمنية المصرية بعد وفاة المنصور قلاوون ، إلى حد أن
 السلطان الأشرف خليل بادر بالرحيل إلى قوص فى أوائل سنة
 ٦٩٢ هـ / ٢٩٢ م ، قبل إرسال خطاب التهديد إلى المظفر الرسولى ، وأمر
 بتجهيز حملة لغزو اليمن (٢) . وألظاهر أن العلاقات لم يطرأ عليها أى تحسن فى
 عهد الأشرف بن المظفر ، ذلك أن السلطان المملوكى المنصور حسام الدين
 لاجين أمر هو الآخر بتجهيز حملة فى سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م لفتح اليمن ،
 ولكن قدر لها ألا تتم (٣) كسابقتها لعدم امتداد سلطنة كل من الأشرف

(١) العيني : عقد الجمان ج ٥٦ ص ٨١ .

(٢) ابن عبد للظاهر : تشرىف الأيام والعصور ص ٢٧٢ ، المقرزى :
 السلوك ج ١ ص ٧٨٣ .

(٣) ابن أيبك : كنز الدرر ج ٨ ص ٢٩٦ .

خليـل ولاجـين ، والحقيـقة فإن إحساس سلطان اليمن بضعف السلطنة المملوكية بعد قلاوون ، واشغال الممالك بالتنافس على السلطنة ، كان دافعا للسلطان الرسولي على التوقف عن ارسال هداياه إلى هؤلاء السلاطين الضعاف.

وعلى الرغم من احتمال استمرار العلاقات العدائية بين اليمن ومصر إلى بداية سلطنة المؤيد داود الرسولي ، فإن هذه العلاقات كانت تبدو وكأنها أخذت في التحسن منذ سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثانية ، سيما بعد أن أثبتت قدرته بالانحصار على التتار في موقعة مرج الصفر سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٣ م. فلما وصل رسل الناصر محمد بالبشرى إلى اليمن ، استقبلهم السلطان المؤيد الرسولي وأعيان دولته استقبالا حافلا ، ودقت الطبول تمييزاً عن الفرحة والمرور بهذا النصر ، وتبارى الشعراء في التغنى به وبالغ السلطان في إكرام السعراء والإععام هليهم ، وأرسل معهم كتابا يهني فيه السلطان المملوكي (١).

ونستدل من الأحداث أن بنى رسول كما واصلوا يعملون على إظهار ولائهم للسلطان المملوكي ويخطبون وده طالما كان قويا ، ولكن علاقاتهم بمصر لاتبث أن يسودها الفتور في عهد السلاطين الضعاف ، نظوا إلى عصر المظفر يوسف في اليمن إلى نهاية حكم المنصور قلاوون في مصر ، سادت العلاقات الودية بين البلدين ، ولكنها لم تلبث أن تآزمت بعد وفاة قلاوون لضعف مركز سلاطين الممالك إلى نهاية القرن الثامن الهجري ، ونشوب الصراع حول السلطنة ، التي أصبحت مطمعا لكثير من أمراء الممالك منذ أيام سلطنة

(١) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٣٤٨ - ٣٤٩ ، المسجد ص ٣٤٧ - ٣٤٨

ابن الديبع : قررة العيون ص ٩٨٦ ب - ٦٨٧ أ .

الناصر محمد الأول، ولهذا استخف المؤيد الرسولي به وقطع عنه الهدايا التي اعتاد سلاطين بني رسول إرسالها بصفة دورية إلى مصر ، ولم يكف بذلك بل أساء إلى التجار المصريين الذين اتفق وجودهم بعدن ، وترتب على ذلك أن توجهت رسل الناصر بن قلاوون بكتب التهديد والوعيد إلى السلطان المؤيد الرسولي (١) ، كما قام الخليفة المستكفي العباسي (٧٠١ - ٧٤٠هـ / ١٣٠٧ - ١٣٣٩م) بإرسال خطاب له يستنكر عليه فيه تصرفاته ، ويلومه عليها ، ويأمره بإرسال الهدايا المقررة (٢) .

وتشير المصادر اليمنية إلى أن المؤيد أعد سفارة إلى مصر في سنة ٧٠٤ ، ولكنه أجل إرسالها عندما بلغته أخبار بسيطرة المماليك على سلطانهم وعينهم به (٣) . غير أنه لم يلبث أن أرسل الهدايا في نفس العام . وبلغ من كثرة ما اشتملت عليه من أصناف أن نقلها استوعب حركتين ، كما أن مثل تلك الهدية كان يتم إرسالها كل عامين أو ثلاثة (٤) ، وأن ذلك كان له أعمق الأثر في نفس السلطان المملوك الذي تشير المصادر اليمنية إلى اغتباطه البالغ وتكريره لرسل صاحب اليمن (٥) .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٢) النويري : نهاية الأرب ج ٨ ص ١٥٢ - ١٥٨ ، المقرئزي : السلوك

ج ٢ ص ٧ ، القلقشندي : صبح الأعشى : ج ٦ ص ٤٢١ - ٤٢٦ .

(٣) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٣٦٠ - ٣٦١ .

(٤) الخزرجي : المسجد ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

(٥) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٣٦٧ ، المسجد ص ٣٥٢ .

والكن يبدو أن المصادر اليمنية قد بالغت كثيرا في تقييم تلك الهدايا .
 المصادر المصرية تشير إلى أن الهدية التي وصلت إلى مصر سنة ٥٧٠هـ /
 ١١٣٠م ، كانت دون المعتاد ، وأنها لم تحظ بقبول السلطان الناصر^(١) ،
 فأثارت غضبه فأعاد رسل اليمن بغير جواب^(٢) . ولم يلبث أن أرسل رسوله
 إلى المؤيد بالتهديد بغزو بلاده ، إذا لم يتم بإرسال الهدية المقررة كالمعتاد^(٣) .
 ولكن المؤيد الرسول لم يعبا بذلك « ولا أحاب عن الكتاب بشيء »^(٤) .
 ولم يكتمف بذلك بل بالغ في تحديه للسلطان الناصر محمد^(٥) ، فقام بصحريض
 شريف مكة على العصيان ، وعمل على كسب وده عن طريق إرسال الأموال
 إليه ليقدّم اسمه في الخطبة قبل سلطان مصر^(٦) ، كما قام بمنح الكرام^(٧) .

و أمام موقف المؤيد وتحديه ، أمر السلطان الناصر سنة ٥٧٠هـ / ١٣٠٧م

-
- (١) النويري : نهاية الأرب > ٣٠ ص ١١٥ ، الفيومي : نثر الجمان > ٣
 ص ٨٠ ، المقرئزي : السلوك > ٢ ص ٢٠ - ٢١ ابن تغري بردى : النجوم
 الزاهرة > ٨ ص ٢١٧ .
 (٢) النويري : نفس المصدر والجزء والصفحة ، الفيومي : نفس المصدر
 والجزء والصفحة .

- (٣) ابن تغري بردى : نفس المصدر والجزء والصفحة .
 (٤) المقرئزي : نفس المصدر والجزء ص ٢١ .
 (٥) ابن تغري بردى : نفس المصدر والجزء ص ٢٢٦ .
 (٦) المقرئزي : نفس المصدر والجزء ص ٣٢ - ٣٣ .
 (٧) الخزرجي : العقود > ١ ص ٣٧٤ ، المسجد ص ٦ : ٣ .

بتهيئ حملة لغزو بلاد اليمن ، وبدأت الاستعدادات لتلك الحملة بإنشاء
للراكب تجهيزها ، ولكن العلماء والقضاة وذوى المصاحبة من التجار ،
أقنعوا السلطان بضرورة الكتابة للمؤيد أولا (١) ، وتأجيل الحملة انتصاراً
لما تآنى به الرسل من أخبار (٢) . وهكذا فلم يكتب لتلك الحملة أن تخرج من
مصر (٣) وخاصة نتيجة لاضطراب الأحوال الداخلية في البلاد (٤) وتنازل
الناصر محمد عن السلطنة للمرة الثانية لصالح بيبرس الجاشنكير في شوال سنة
٥٧٠٨ هـ / مارس ١٣٠٩ م . ويذكر العيني أن الناصر محمد بن قلاوون أرسل
رسولا آخر إلى اليمن سنة ٥٧٠٩ / ١٣١٠ م وذلك في بداية سلطته الثالثة ، في
محاولة لعودة العلاقات مع اليمن إلى سابق عهدها ، ولكن الرسول توفي عقب

(١) القلقشندي : نفس المصدر ج ٦ ص ٤٢٢ - ٤٢٦ .

(٢) التويري : نفس المصدر والجزء ص ١٧٠ ، النيسابوري : نفس
المصدر والجزء ص ٨١ ب - ٨٢ أ ، المقرئزي : نفس المصدر والجزء
ص ٢٧ - ٣٨ .

(٣) أبو الفداء : المختصر ج ٤ ص ٥٤ ، ابن الوردي : تاريخ ابن
الوردي ج ١ ص ٢٤٥ - ٢٥٦ ، الخزرجي : العقود الأوثى ج ١ ص ٣٧٣
المسجد ص ٢٥٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم ج ٨ ص ٢٦٦ ، ابن الديبع :
قوة ص ٨٧ أ .

(٤) بيبرس المودار : زبدة الفكرة ج ٩ ص ١٢٣ ، محمد جمال الدين
سرور : دولة بني قلاوون ص ١٣٣ ، سعيد عاشور : العصر المماليكي
ص ١٣٣ .

(٥) المقرئزي : السلك ج ٤ ص ٤٤ وما بعدها .

وصوله إلى قوص ، في طريق عودته إلى القاهرة (١) .

وهكذا كان للصراع بين أمراء المماليك وتحكمهم في الناصر محمد ، واعتزاله السلطنة مرتين ، أثره في تشجيع المؤيد الرسولي على انتهاز تلك السياسة ، والدليل على ذلك أنه ما أن عاد للناصر محمد إلى العرش للمرة الثالثة (٢) ، وتمكن من إقرار الأوضاع ، حتى توافدت رسل صاحب اليمن سنة ١٣١١/٥٧١١م إلى القاهرة بالهدايا والتقدم ، قبلها الناصر وأكرم الرسل بأنعم عليهم بالخلع المناسبة (٣) ، ووزع تلك الهدية على الأمراء والأكابر والأصاغر (٤) ، وتوالت الهدايا اليمنية على الناصر محمد في سنة ٥٧١٢هـ (٥) ، كما وصلت هدية أخرى سنة ٥٧١٥هـ (٦) ١٣١٥م ، وجهز الناصر بدوره الرسل بما جرت به العادة من الهدايا (٧) . وفي سنة ١٣١٦/٥٧١٦م وصلت هدية أخرى عن طريق عيذاب ولكن عربان المنطقة قطعوا الطريق على الرسل وانتهبوا ما معهم (٨) ، الأمر الذي دعا الناصر إلى تجهيز حملة لتأديب عرب

(١) العيني : عقد الجمان مج ٥٨ ص ٢٠٢ .

(٢) المقرئى : نفس المصدر والجزء ص ٧٢ .

(٣) التويرى : نهاية الأرب ج ٣٠ ص ٢٥٦ .

(٤) المقرئى : نفس المصدر والجزء ص ١٠٧ و ١١١ .

(٥) ابن دقماق : الجوهر الثمين في سير الملوك والسلطين - مخطوط بدار

المكتب المصرية رقم ١٤٩٢ تاريخ تيمور - ص ١١٥ .

(٦) العيني : عقد الجمان مج ٦٠ ص ٥٦ .

(٧) التويرى : نفس المصدر والجزء ص ٣١٤ .

(٨) القيوى : نثر الجمان ج ٣ ص ١١٤ ب .

عذاب والانتقام منهم ، والعمل على استرداد ما استولوا عليه (١) . ويشير العيني (٢) إلى خبر وصول سفارة أخرى سنة ١٣١٨/٥٧١٨م ، ولكن السلطان المملوكي أمر بردها ففرقت المركب التي استقلها السفير اليمني ، ولكنه تمكن من النجاة لاستخدامه قاربا كان على سطح المركب (٣) . ولم يزدنا العيني بتفسير للأسباب التي دعت الناصر إلى رد المركب بالهدية ، وقد يكون ذلك لعدم عودة الاستقرار في منطقة عذاب .

أما آخر تلك الهدايا التي بعث المؤيد الرسولي بها إلى مصر فكانت سنة ٥٧٢٠هـ (٤) / ١٣٢٠م ، ولم يمر المؤيد بعدها طويلا إذ توفي سنة ٥٧٢١/ ١٣٢١م - وبوفاته انتهت مرحلة تذبذبت فيها العلاقات اليمنية المصرية ما بين العداء وملاصحته من تهديد صاحب مصر واستعداده لغزو اليمن ، إلى تحسن نسبي في تلك العلاقات ، اقتصر في معظمه على إرسال الهدايا إلى مصر بصفة غير منتظمة .

٢ - في عهد الجاهد الرسولي :

اتسمت سلطنة الجاهد علي بن المؤيد داود علي اليمن منذ بدايتها بكرة

-
- (١) النويري : نفس المصدر والجزء ص ٣٢٧ - ٣٣٨ ، المقرئزي : نفس المصدر والجزء ص ١٤٥ و ١٦٢ .
- (٢) العيني : نفس المصدر والمجلد ص ١٤٧ .
- (٣) العيني : نفس المصدر والمجلد ص ١٤٧ .
- (٤) القيومي : نفس المصدر والجزء ص ١٣٥ أ ، المقرئزي : نفس المصدر والجزء ص ٢٧ .

الاضطرابات الداخلية (١) ، ولذلك تعتبر فترة حكمه من أسوأ الفترات التي مرت بها بلاد اليمن ، فقد نازعه عمه المنصور أيوب بن الأشرف السلطنة واعتقله واستولى عليها منه ، ولكن المجاهد لم يلبث أن تمكن من استعادة ملكه وقام بدوره باعتقال عمه . ولكن الظاهر عبد الله ابن عمه المنصور أيوب عمد إلى التحصن في حصن الدمولة المنيع وواصل ما عجز عنه أبوه المنصور ، واستطاع السيطرة على معظم البلاد حتى لم يبق للمجاهد سوى حصن تعز الذي أصبح محصوراً فيه (٢) . فلما عجز المجاهد عن استعادة السيطرة على البلاد ، ولم يجد أمامه من يخلصه لجأ إلى مراسلة السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ووقدت رسالته إلى البلاط المملوكي في سنة ١٣٢٤ / ٨٧٢٤ م . ليستنصر بصاحب مصر (٣) ، ويطلب معونته العسكرية لتثبيت سلطنته

(١) انظر ، الجندي : السلوك ص ٤٥٧ وما بعدها : النويري : نهاية الأرب ص ٣١ وما بعدها ، أبو الفدا : المختصر ص ٤٤ وما بعدها ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ١١٦ وما بعدها ، ابن شاكر الكنتي : فوات الوفيات ص ١ ص ٢١٥ ، السكي : طبقات الشافعية ص ٦ ص ١٠٣ ، الخزرجي : العقود ص ٢ ص ٢ وما بعدها ، المسجد ص ٣٨٧ وما بعدها ، العقد الفخر ص ٢ ص ٣٩ وما بعدها ، المقرئزي السلوك ص ٢ ص ٢٣٤ و ٢٣٨ ، العيني : عقد الجمان ص ٦١ ص ٣٥٣ ، ابن نغرى بردى : النجوم ص ٩ ص ٢٥٤ ، المنهل ص ٣ ص ١٧٠ ، حوادث الدهور ص ٣٧٥ - الأهدل : تحفة الزمن ص ١٥٢ ب وما بعدها ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٨٩ وما بعدها ، باخرمة : تاريخ نجر عدن ص ٢ ص ١٣٩ وما بعدها ، زبارة : أئمة اليمن ص ١ ص ٢٢٢ .

Playfair : A History of Arabia Felix or Yemen , pp . 90 - 91 .

(٧) أنظر ما سبق ص ٨٩ وما بعدها .

(٢) المقرئزي : السلوك ص ٢ ص ٢٥٤ .

وإقرار الأراضى الداخلية في بلاده (١) . واشترط على نفسه نظير ذلك شروطاً منها ، أن يذكر اسم السلطان الناصر في الخطبة على منابر اليمن (٢) . ولكن السلطان الناصر اعتذر لرسول المجاهد عن عدم إمكان تلبية طلبه (٣) ؛ بسبب تفرق عساكر مصر في الشام والنوبة ، ولكنه وعد بتقديم المساعدة عندما تسنح الظروف بذلك (٤) ، والظاهر أنه لم يستجب لطلبه ليعيد بلاد اليمن ، وكثرة النفقات التي تستلزمها الحملة إليها . أو أنه رأى أن استمرار تلك الأوضاع المضطربة في اليمن من شأنها إضعاف دولة بنى رسول داخليا ، وفي ذلك ضمان لكف سلاطينها عن التدخل في شؤون الحجاز ، وما يتبع ذلك من التوقف عن تأليب أشرف مكة على السلطنة المملوكية ؛ بالإضافة إلى ضمان عدم زيادة نفوذ اليمن التجارى . وربما أحجم عن الدخول في تلك المفامرة لعدم تأكده من جدية الطلب أو عدم الحاجة إلى تلك المعاونة العسكرية .

ومها يكن من أمر فقد عارذ المجاهد الاستنجاد بمصر سنة ٧٢٥ هـ / (٥)

-
- (١) ابن خردويه : النجوم ج ١١ ص ٩٤ ، المنهل ج ٤ ص ١٠١ ،
القلقشندي : صبيح الأعشى ج ٥ ص ٣٢ .
(٢) العينى : عقد الجمان ج ٦٣ ص ٤٣٠ .
(٣) المقرئى : نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٤) العينى : نفس المصدر والمجلد ص ٤٣١ .
(٥) النيومى : ثر الجمان ج ٣ ص ١٨٤ ب ، الخزرجى : العقد الفاخر
ج ٢ ص ٣٩ أ ، المقرئى نفس المصدر والجزء ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، باخرمة :
تاريخ نعر عدن ج ٢ ص ١٤٣ .

١٢٢٥ م ، وعمل هذه المرة على إغراء السلطان المملوكي وترغيبه بكثرة أموال اليمن^(١) ، وأمام هذا الإلحاح وما صاحبه من شروط والتزامات قطعها المجاهد الرسولي على نفسه ، استجاب الناصر محمد رغبة في كسب ولاء السلطان الرسولي لسلاطين مصر ، وتبين له أن الحملة بتجهيزاتها ستكون - بعد وصولها لليمن وإقرار الأوضاع فيها - دليلاً على قوة مصر وعظم إمكاناتها ، وقدرتها على ضرب أي محاولة يقوم بها سلطان اليمن للخروج عن طاعته والولاء لمصر ولهذا أصدر السلطان الناصر أوامره بإعداد الحملة^(٢) بقيادة الأمير بيبرس الحاجب . وكانت الحملة تتكون من ألف فارس^(٣) وألف راحلة^(٤) ، هذا إلى جانب ما زودهم السلطان به من الأموال والأزواد والعتاد وغير ذلك مما يستلزم جملة على اثنين وعشرين ألف حمل^(٥) . وغادر بيبرس ورفاقه من كبار الأمراء والعشروات والمقدمين وأعيان الخاقنة والمماليك السلطانية^(٦) القاهرة

- (١) النويري : نهاية الأرب > ٢١ ص ١٨٧ ، ابن خلدون : المسير > ٥ ص ٤٢١ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة > ٩ ص ٧٨ .
- (٢) النيومي : نثر الجبان > ٣ ص ١٨٤ ب ، ابن دقاق : الجواهر الثمين ص ١١٧ ، المقریزی : السلوك > ٢ ص ٢٦٠ .
- (٣) ابن تفرى بردى : النجوم > ٩ ص ٧٨ (وذكر الفيومي ، أن هدتهم ألف وخمسة وسبعون فارساً) نثر الجبان > ٣ ص ١٨٥ ب ، (أما الخزرجي فقد ذكر أنهم كانوا ألفين بالإضافة إلى ما ذكره صاحب النجوم من الفرسان) انظر المسجد ص ٤٠٢ .
- (٤) الخزرجي : العقود > ٢ ص ٣٢ .
- (٥) الخزرجي : المسجد ص ٤٠٧ .
- (٦) ابن أبيك : كنز الدرر > ٩ ص ٢٥٠ ، المقریزی : السلوك ج ٢ ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

في ربيع الآخر سنة ٧٢٠ هـ / مارس ١٣٢٥ م ومعه عدة تشاريف لملك اليمن وأمرأء الحجاز وغيرهم من مشايخ العربان^(١) بالإضافة إلى ما حمله من الرسائل لأمرأء الحجاز لتسهيل مهمته والقيام بخدمة الحملة ، فلما وصل إلى مكة دخوله معتمرا في جمادى الأولى^(٢) (ابريل) ، وأقام بمكة حتى وصلته مراكب الغلال من مصر إلى جدة^(٣) ، وأرسل كتب الأمان إلى العربان وأهل مدينة حلى بنى يعقوب ، وأشرف الخلف السليمانى ، موضعا فيها التزامه بما أوصاه السلطان به من حسن معاملتهم وعدم التعرض لهم ولأموالهم^(٤) . ولم يقم يببرس في مكة طويلا إذ غادرها بعد عشرة أيام من وصوله إليها^(٥) في طريقه إلى اليمن فوصل إلى مدينة حلى^(٦) ومنها سار إلى حررض . وكان يببرس قد بعث بكتاب إلى المجاهد عن طريق البحر^(٧) حمله إليه رسوله

(١) ابن تغرى بردى : النجوم > ٩ ص ٧٩ . المنهل > ٤ ص ١٠١ .

(٢) الفيومى : نثر الجمان > ٣ ص ١٨٦ أ .

(٣) المقرئزى : السلوك ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٤) الفيومى : نثر الجمان > ٣ ص ١٨٦ أ .

(٥) المقرئزى : السلوك > ٣ ص ٢٦٥ .

(٦) الفيومى : نثر الجمان > ٣ ص ١٨٦ أ - ب (لما وصلت الحملة إلى حلى دهش أهلها عندما شاهدوا العساكر وقد طلبت ولبست السلاح - وهم الأهالى بالفرار ولم يعلمونوا حتى أكدوا الأمان لهم ، وأن العسكر لن يقربوا شيئا من بضائعهم إلا بئمنه . ومما يذكر أنهم حملوا إلى يببرس مائة رأس من الغنم وخمسةائة إردب من الذرة على سبيل الهدية فردها إليهم ولم يقبلها منهم) المقرئزى : السلوك > ٢ ص ٢٦٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم > ٩ ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٧) الفيومى : نثر الجمان > ٣ ص ١٨٦ أ .

كافور الشبلي الذي عاد من مصر صحبة الحملة (١) . وكانت الأخبار قد وردت إلى بيرس بخوف أهل زيد من التعرض لبطش عسكر مصر وأنهم لذلك عادوا إلى طاعة المجاهد ، كما بلغه أن المجاهد موجود فيها (٢) . أما السلطان المجاهد ، فقد استشعر بنذر الخطر عندما بلغه عظم القوة المملوكية القادمة وضحامتها ، وقد ظهر ذلك جليا في رده على الرسالة التي بعثها إلى بيرس .

ولكن بيرس أعاد الكتابة إليه يطمئن قلبه (٣) . وتم وصول الحملة إلى زيد في رجب ٧٢٥ هـ (٤) / ٥ يونيه ١٢٧٥ م ، فخرج السلطان المجاهد في أعيان دولته وعسكره لاستقبالها (٥) ، فترجل له أمراء الحملة وساروا في

(١) المقرئى : السلوك ٢ ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٢) الفيومى : نثر الجمان ٣ ص ١٨٦ ب ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة .

٩ ص ٨٥ .

(٣) الفيومى : نثر الجمان ٣ ص ١٨٦ ب . النورى : نهاية الأرب ٣١

ص ١٨٧ .

(٤) الخزرجى : العقود ٢ ص ٣٢ ، المسجد ص ٤٠٧ .

(٥) الفيومى : نفس المصدر والجزء ص ١٨٧ أ (يتفق كل من المقرئى وابن تغرى بردى على أنه لما وصل المجاهد بجنده لاستقبال الحملة ، سخر العسكر المصرى من عسكره لكونهم عراة ، سلاحهم الجريد والخشب ، وسيوفهم على أذرعهم مشدودة ، ويقاد للامير منهم فرس واحد . وقد بلغ من سوء حالة السلطان أن شوهد وعلى رأسه عصا ملونة فوق العمامة ، وقد رعب المجاهد عندما شاهد العسكر المصرى بالة الحرب ، حتى أنه هم أن يترجل لأمراء الحملة فمنعه قائدها ، وترجل له ومن معه من الأمراء المصريين . واصطف العسكر الواصل صين وسار الأمراء في خدمة السلطان وأكرموه وأركبوه في الوسط) . السلوك ٨ ص ٢ =

خدمته إلى خيمة فخمة نصبوها له ، وألبسوه خلعة فاخرة (١) وكانتاه (٢) زركش وحياسة ذهب (٣) أرسلها السلطان الناصر محمد بن قلاوون إليه ، بالإضافة إلى عمامة بعدن (٤) .

= ص ٢٦٦ ، النجوم ٣ ٩ ص ٨٥ (وليس من شك في أن سوء أحوال
العسكر البني إنما يرجع إلى حالة الفوضى والاضطراب التي انتشرت في بلاد
البن وقتئذ) .

(١) للخزرجي : المقود ٢ ص ٣٢ ، المسجد ص ٤٠٧ ، ابن تغري
بردي : المنهل ٤ ص ١٠٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٢ .
(٢) الكفتاه أو الكفة أو الكفة أو الكوته ، نوع من غطاء الرأس ،
استحدثه الأيوبيون بمصر وكانت من الجوخ الأصفر ، وتلبس بغير عمامة .
فلما كان حضر السلطان قلاوون أضاف لبس الشاش هليبا ، وفي عهد الأشراف
خليل بن قلاوون استحدث الكوته الزركش أو المزركشة (السلوك ١ ص
٢٩٢ ، ص ٨٣٠ هامش رقم ١ في كل ، القلقشندي : صبح الأعشى ٤
ص ٣٩ — ٤٠) .
Dozy : Suppl . , T. 2 , P. 453

(٣) المقرزي : السلوك ٢ ص ٧٦٦ ، ابن تغري بردي : النجوم ٢ ص
٨٥ . (والحياسة ، هي المنطقة أو الحزام ، تشد فوق الأقبية ، وكانت
مغطاها من الفضة المطلية بالذهب في هذا العصر وربما جعلت من الذهب
والخالص ، وقد ترصع باليشم ، ولا ترصع بالجواهر إلا في خلع السلطان
الأكابر أمراء المئين (القلقشندي : صبح الأعشى ٤ ص ٤٠) .

Dozy : op. cit. p. 618

(٤) للخزرجي : المقود ٢ ص ٣٢ ، المسجد ص ٤٠٧ ، ابن تغري
بردي : المنهل ٤ ص ١٠٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٢ ب . =

وبينما يؤكد كل من المقریزی وابن تغری بردى دخول المجاهد بالحملة إلى زبيد وسط مظاهر الفرحة بوصولها (١) ، يذكر المؤرخ المنيني الخزرجي أنه الحملة عسكرياً تجاه باب الشبارق خارج المدينة من الشرقية . وتميل إلى ترجيح رواية الخزرجي ، ذلك أن القول ببقاء القوات المملوكية خارج مدينة زبيد ، يتفق مع موقف المجاهد وتصرفاته التي كان يحكمها تخوفه المفاجيء من وجود تلك القوات الكبيرة في بلاده، وخشيته من الأهداف البعيدة التي قد تستهدفها الحملة، كالأستيلاء على البلاد، والإطاحة بعرشه ، ويؤيد ذلك الخطاب الذي أرسله المجاهد لبيبرس واعترف له فيسه بأنه « سقط في يده وندم على طلب العسكر وخاف على نفسه» (٢) . ويضاف إلى ذلك أن المجاهد لم يكذب مستقبل الحملة حتى سارع بالتوجه إلى تعز تاركاً الحملة في معسكرها، معتذراً عن عدم إمكان استصعاب الحملة معه، بأن الطريق لا يسعهم إذا ما توجهوا معه دفعة واحدة (٣) . هذا إلى جانب كثير من المواقف الأخرى التي قصد بها المجاهد وضع العراقيل أمام الحملة لإرغامها على العودة، فهو لم يقيم - بعد استئصال الحملة - يبحث الخطوات التي ينبغي اتخاذها لتؤدي مهمتها التي قدمت - بناء على طلبه -

= (والمنزلة، على طرف الشمال الذي يحيط بغطاء الرأس وتندلى منه) الفيروز آبادي: القاموس المحيط) .

(١) المقریزی : السلوك ج ٢ ص ٢٦٦ ، ابن تغری بردى : النجوم ج ٩ ص ٨٥ .

(٢) للفيومي : نثر الجمان ج ٣ ص ١٨٦ ب -- ١٨٧ أ .

(٣) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٣٣ ، المسجد ص ٤٠٨ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢ ب .

عن أجلها، كما أنه لم يوفر لعسكرها ما يلزم من الإمدادات رغم احتجاج بيبرس، وذلك بحجة خراب البلاد^(١)، وفي نفس الوقت منع أهل زيد العسكر من دخول المدينة أو إمدادهم بالأقوات والعلقات اللازمة^(٢)، ثم أن نائب تعز ظم بحجز الرسل الذين بعثهم بيبرس - بناء على موافقة المجاهد - إلى الظاهر عبد الله المنافس للسلطان^(٣). وبالإضافة إلى ما سبق، أنه لما توجهت القوات بعد ذلك إلى تعز، لم يسمح للمجاهد لهم بإخول المدينة^(٤).

وقد كان لموقف المجاهد أثره في اعتراف قائد الحملة على سرهة انجاز مهمته، وبادر بإرسال الرسل إلى الظاهر عبد الله المتحصن بقلعة الدمولة، يحملون إليه كتاب السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي يحذره فيه من عواقب خروجه عن الطاعة، ويأمره بالامتثال له^(٥). وصحبهم الشريف عطيفة أمير مكة عينا للمجاهد يبلغه بحقيقة الموقف، وما إذا كان الهدف من ذلك الاتفاق مع الظاهر عبد الله ضد المجاهد. ومع أن هذا الإتصال تم بعلم المجاهد بدليل أنه أرسل هو الآخر كتابا مع الرسل إلى الظاهر يحثه فيه على الصلح^(٦)،

(١) المقرئزي: السلوك ج ٢ ص ٢٦٦.

(٢) المقرئزي: نفس المصدر والجزء ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٣) الفيومي: نثر الجمان ص ١٨٧ أ.

(٤) المقرئزي: السلوك ج ٢ ص ٢٦٧، ابن تغري بردي: النجوم ج ٩ ص ٨٦.

(٥) الخزرجي: المسجد ص ٤٠٨، الفيومي: نفس المصدر والجزء

ص ١٨٧ ب.

(٦) المقرئزي: نفس المصدر والجزء والصفحة، ابن تغري بردي:

نفس المصدر والجزء والصفحة.

إلا أن ما أشيع عن قيام الظاهر بإقتناع الرسل بأحقية في السلطنة وطلب مساعدتهم ، وأنه أمدهم بكثير من الأموال وأغرام بالقبض على المجاهد^(١) ، زاد من نخوف المجاهد ، وجعله يتأدى في وضع العقبات أمام الحملة ، ويسعى لإخراجهم من اليمن . فبموافقته وتوبيخه ، أقدم أهل جبل صبر - المطل على تعز - على قطع المياه عن الحملة ، وأغاروا على معسكرهم ونهبوا ما وصات إليه أيديهم . فلما قام العسكر المملوكي بمطاردتهم ، حاول المجاهد منعهم فلم يستجيبوا له ، ولكنهم اضطروا للعودة إلى معسكرهم بعد أن بلغهم ما يديره المجاهد لإحراق العسكر ونهبه^(٢) .

كان ذلك موقف المجاهد من الحملة التي أعدت بناء على طلبه ، ونتيجة إلحاحه ، لعاونته وتثبيت ملكه ، وهو موقف ساقه إليه سوء تقديره ، وخوفه من استيلاء الحملة على بلاده ، وقد يكون هذا الموقف المتحرج جاء نتيجة تدبير خصوم المجاهد الذين يظهرون له لإخلاصهم ، في الوقت الذي يعملون فيه على التخلص منه بزجه في صراع مباشر مع قادة الحملة والسلطان المملوكي ، ذلك أن نخوف المجاهد لم يكن له ما يبرره ، فقد كان عليه أن يقوم أولاً بالوفاء بما ألزم به وقرره على نفسه من الثقة على الحملة وتوفير القوات الضرورية لأفرادها ، والعلاقات اللازمة للدواب^(٣) ، فلما أخل بذلك واشتكى

- (١) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٣٢ ، المسجد ص ٤٠٨ ، ابن تغري بردي : المنهل ج : ص ١٠٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ٩٢ .
 (٢) المقرئزي : نفس المصدر والجزء والصفحة ، ابن تغري بردي : التحويم الزاهرة ج ٩ ص ٨٦ .
 (٣) الفيومي : نثر الجنان ج ٣ ص ١٨٧ ب ، أبو الفدا : المختصر ج ٤ ص ٩٧ .

قائد الحملة من قلة المؤن اعتذر المجاهد له ووعد بتدبيرها (١). ثم عاد وقائد الحملة مطالبة المجاهد بتدبير الأقوات بعد أن تعرض جنده للجوع والدواب للموت، فلما اعتذر كالعادة طلب إليه أن يأمر الناس بأن يبيع للجنود ما يحتاجون إليه، ولكنه المجاهد قال: «ما عندي إلا ما أخذونه بسيوفكم» (٢). وإذا ما سلمنا أنه بأن المجاهد قد سلك هذا المسلك تجاه الحملة، ليدفعها إلى الجلاء عن بلاده، حفاظا على استقلالها، فإن هذا التحدى للمسافر لم يكن له ما يبرره، ذلك أن قائد الحملة لم يكن مزودا بتعليمات من سلطانه بالقبض على المجاهد أو تهيب بلاده أو العمل الاستيلاء عليها (٣). إلا أن قائد الحملة اضطر إلى توفير الاحتياجات الضرورية لعسكره ولو استلزم ذلك استخدام القوة، بعد أن تعرض الجنود للجوع، والخيل للهلاك. فلما توجه بعض العسكر لشراء احتياجاتهم، وامتنع الناس عن البيع لهم واعتدوا عليهم، عمد الجنود إلى قهر المزروعات الممتدة حول نهر. ومع ذلك، فقد كانوا ينجحون إلى السلم، فكلما وجدوا من يبيعهم الطعام اشتروه منه مقابل دفع الثمن (٤). وبهذه السياسة أحبط قادة الحملة المملوكية خطة المجاهد في حماهم على العودة قبل أن ينفذوا مهمتهم. ولم يجد المجاهد أمامه سوى إيجاد ذريعة بتعلل بها لاجلاء العسكر

(١) المقرئى : نفس المصدر والجزء والصفحة ، ابن تفرى بردى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٢) التيومى : نشر الجمان ج ٣ ص ١٨٧ ب .

(٣) التيومى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٤) الخزرجى : للمقود ج ٣ ص ٣٣ ، المسجد ص ٤٠٨ ، ابن الديبع :

قرة العيون ص ٢٩٢ .

المملوكي . أو تدبير مكيدة يتخلص بها من الحملة بأكملها ، فطلب تقسيم
العسكر إلى مجموعات وتوزيعهم على المناطق المختلفة في عدن ولحج وأبين وصبيا
ومخلاف جعفر ومواضع أخرى متفرقة^(١)، وكان طبيعيا ألا يقبل قائد الحملة
هذا الطلب لما يتوفر فيه من سوء النية، هذا إلى جانب أن توزيع فرق الحملة على هذا
التنوع يمزق قوتها ويفتت وحدتها ويعرض العسكر إلى أشلاء يمكن إبادتها
بسهولة . فلما أعلن رفضه كتب المجاهد إليه بطلب مغادرة البلاد لانتهاك
مهمتهم ، وأنه لم تعد هناك حاجة لبقائهم^(٢)، ونال ، : «لأن كان السلطان
[الناصر] قد رسم لكم بالإقامة فالأمر لإيئه، ولأن كان إنما أرسلكم لتصرفي فارجعوا
إلي، أيراب السلطان^(٣) . وامتنع تماما عن الوفاء للحملة بما كان قد التزم به
في ك... للسلطان الناصر محمد بن قلاوون، وقت أن طلب مساعدته ، واعتذر
بأن جميع أموال بلاده مخفوظة في حصن الدمبلوة الذي يسيطر عليه منافسه
الظاهر ب... الله ، فأشهد ببيرس قضاة تعز على هذا الموقف ، وبأن المجاهد
طلب إليه العودة بالحملة إلى مصر^(٤) .

وفي شبان سنة ٧٢٥ هـ / يولييه ١٣٢٥ غادرت القوات المملوكية تعز^(٥)

(١) الأيوبي : نفس المصدر والجزء ص ١٨٨ أ .

(٢) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٢٣ ، المسجد ص ٤٠٩ ، ابن الديبع :
قرة السيرين ص ٩٣ أ .

(٣) الأيوبي : نفس المصدر والجزء ص ١٨٨ ب .

(٤) الأيوبي : نفس المصدر والجزء والصفحة ، انقرزي : السلوك ج ٢
ص ٢٠٨ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٨٧ .

(٥) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٣٤ ، المسجد ص ٤٠٩ ، ابن الديبع :
قرة السيرين ص ٩٠ أ .

في طريقها للعودة ، فكان وصول القوات إلى القاهرة في ذى القعدة من نفس العام (١) ، فاستقبلهم السلطان الناصر في القلعة وخلع عليهم. ولكنه لم يلبث أن غضب على بيبرس وسجنه لاتهامه - بغير دليل - بالاستيلاء على أموال من صاحب اليمن وغيره ، ولتقاومه - أمام تصرفات المجاهد - في الاستيلاء على اليمن (٢) .

أما السلطان المجاهد الرسولي ، فيبدو أنه خشي انتقام السلطان المملوكي ، فعمد إلى إزالة ما ترسب في نفس السلطان من عوامل الاستياء من تصرفاته نحو عسكره ، فأعد - في نفس العام - هدية نفيسة بعث بها في ذى القعدة إلى حصر (٣) . ووصلت إلى البلاط المملوكي في ربيع الأول سنة ٧٢٦ هـ / فبراير ١٣٢٦ م ، فأنعى السلطان على الرسول كسابق عادته (٤) ، وكانت عودة تلك السفارة إلى اليمن في ذى القعدة ٧٢٦ هـ / سبتمبر ١٣٢٦ م ، أي بعد مضي عام كامل ، بهدية من ثلاثين مملوكاً (٥) . ومن العجيب أن المصادر المصرية لم تشر

(١) النويري : نهاية الأرب ج ٢١ ص ١٨٥ ، ابن أيبك : كنز الدرر ج ٩ ص ٣٥٠ ، المقرئ : نفس المصدر والجزء والصفحة ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٨٧ ، أبو القدا : المختصر ج ٤ ص ٩٧ وما بعدها .

(٢) المقرئ : السلوك ج ٢ ص ٢٦٨ و ٦٣٧ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٨٧ ، ج ١٠ ص ١٠١ .

(٣) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٣٦ ، العقد الفاخر ج ٢ ص ٣٩ أ ، باخترمة : تاريخ نجر عدن ج ٢ ص ١٤٣ .

(٤) الفيومي : نثر الجمان ج ٣ ص ٢٠٦ أ

(٥) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٣٦ ، العقد الفاخر ج ٢ ص ٣٩ أ ، باخترمة : نفس المصدر والجزء ص ١٤٤ .

إلى رد الفعل لدى الناصر محمد بن قلاوون من مسلك المجاهد الرسولي إزاء الحملة ، ولا نشك في أن الناصر استاء من موقف المجاهد، ولكنه لم يكشف عن استيائه ، واكتفى بمعاينة قائد حملته لتقاعسه عن واجبه في احتلال اليمن . وردا على تحديات السلطان الرسولي ، وتأديب له على موقفه السيء من الحملة . التي كانت تستهدف مساعدته .

وتتوقف المصادر عن إمدادنا بالمعلومات عن العلاقات اليمنية المصرية إلى سنة ٧٣٠ هـ / ١٢٣٠م، ففي شوال من تلك السنة (يولييه) وصلت هدية للمجاهد الرسولي إلى مصر ، ومن بينها فيلين، ولكن السلطان الناصر لم يحسن استقبال الرسل ، وعقهم وأمر بسجنهم لتعرض سلطانهم لسفارة هندية (١) كانت في طريقها إلى مصر واستيلائه على الهدية ، وإقامه على قتل الرسول الهندي (٢) ، مما أدى إلى وصول سفارة هندية أخرى عن طريق بغداد سنة ٧٣١ هـ (٣) / ١٣٣١ م .

(١) يذكر أن هدية صاحب الهند كانت هدية عظيمة لم يرسل مثلها الملك قبله ، وأنها لما وصلت إلى نهر عدن قتل الرسول الواصل بها باتفاق من الملك للمجاهد (وتم الاستيلاء) على تلك الهدية بكاملها وأن الذي أهداه للمجاهد ... هو شيء يسير من جماتها ، (نشر الجمان ج ٣ ص ٢٥٥ ب ، ٢٦٢ ب .)

(٢) أبو الفدا : المختصر ج ٤ ص ١٠٩ ، السلوك ج ٢ ص ٣٢٢ ، الشوكاني : البدر الطالع ج ٢ ص ١٨٠ . (كان ملك الهند المقصود هو غياث الدين أولوغ خان محمد بن جنان بن طغلق (٧٢٥ - ٧٥٢ هـ) السلوك ج ٢ ص ٣٢٢ حاشية ١ .

(٣) المقرئري : السلوك ج ٢ ص ٢٣٣ (K.W.) zettiresteen =

ومن الجدير بالذكر أن الإمام الزيدى ائتمز فرصة تدهور العلاقات بين السلطان المجاهد الرسولى والسلطان المملوكى الناصر مجد ، وأرسل سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣٢ م رسولا إلى مصر (١) ، ويشكو من المجاهد ، ويعدد مثالبه ، ويطلب إمداده بقوة عسكرية للقضاء على نبي رسول ، وفي مقابل ذلك وعد بتقديم بعض ما يتم الاستيلاء عليه إلى السلطان المملوكى ، ولكن الناصر أخاب بقوله... أنه «لارغبة لنا في السلب وأن النصره تكون لله خالصة» (٢).

وتوضح الرسالة التي بعثها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ما سبب تدهور العلاقات المصرية اليمنية وقتئذ ، إذ أرسل إلى المجاهد يتهم عليه ويستهيء به ، ويهدده بإرسال الجيوش إلى بلاد اليمن «لتقوم أودها ، وتمكين شدها ، وإقامة أمر الملك فيها ، وحسم مادة الفساد عن نواحيها ، وتطمين البلاد ، وإقامة الرعايا من الأمن في أوطان مهاد ؛ ... فإن اليمن وغيره في يمينه ، وهي محسوبة من اعدادنا كما المحروسة ، ... ولابد من النظر في أمرها ، وإعمال الفكر في ازاحة ضررها ، وتجريد العساكر المنصورة... فإن المملكة المذكورة نالت عليها المدد، وهضم عايبها الأبد ، وهمة من فيها إلى اللهو مصروفة ، وعلى الذات موقوفة ، وأحكام الجهاد عندهم مرفوضة ، حتى كأن الجهاد ... على غير واجب ، وكأن ما أعد الله من الأجر عليه إنما

=Beilage zur Geschichte der Mamluken Sultane (Leiden, 1919), p.183, Lane - Poole : A History of Egypt in the Middle Ages, p 310.

(١) الفلقشندى : صبيح الأشي ج ٥ ص ٥٢ .

(٢) الفلقشندى ، نفس المصادر ج ٧ ص ٣٠٧ وما بعدها .

أريد به الذين يكثرون الذهب .. وتفرقت الأموال وما جند الله فيما احتوتوا عليه من ذلك سهم ولا نصيب ، ... وأهم الأمور عندنا أمر الغزاة ... وهذه المملكة اليمنية قد اجتمع فيها من الأموال ما يربى عن الحصر والحد ، ويزيد عن الاحصاء والعد ، لا ينفق منها شيء في الجهاد ، ولا يعد منها مصروف إلا بما لا يحمد تاجته في المماد ، قد صد عنها جند الله الذين ينفقونها سرا وجهرا وستنزلون بها أرواح أعداء الله على حكم سيوفهم قسرا وقهرا ، وأبيحت لمن تأبى الجهاد جابيا ، ورضي باللهم صاحبا ، واقتنى السلاح لغير يوم البأس ، واءتني بارتباط الجياد بطرا ورياء الناس ... (١)

وظل التوتر يسود العلاقات بين مصر واليمن ، ولم يطرأ أى تحسن دلى تلك العلاقات ، لاطمئنان المجاهد بعد أن قضى على منافسه ابن عمه الظاهر عبد الله (٢) ، واستقر له الأمر في اليمن دون منافس وتصوره أنه ليس في مقدور مصر المملوكية غزو اليمن ، لإنشغال سلطانها بالحروب ضد التتار الذين عرف عددهم وجلدهم ، والفرنج الذين طال وكثر في عداوة الإسلام أبدهم ومددهم ، والأرمن الذين هم أكثر الطائفتين - في الظاهر وفاقا - وأشد الدتئين في الباطن تهرأ وفاقا (٣) . وإذا اطمأن المجاهد إلى ذلك توقف عن إرسال الهدايا التي اعتاد سلاطين بني رسول ارسالها إلى مصر ، وعمل في نفس الوقت

(١) القلقة شندى : صبح الأعشى > ٧ ص ٣٤٤ وما بعدها .

(٢) الفيومى : نثر الجمان ج ٣ ص ٢٨٥ ب ، المقرئى : السلوك

> ١ ص ٣٠٦ ،

Pluyfair : A History of Arabia, p, 9 .

(٣) القلقة شندى : نفس المصدر والجزء ص ٣٥١ .

على توثيق العلاقات مع أشراف مكة ، وأغدق الأموال عليهم إلى حد أن اسمه أصبح يذكر في الخطبة بمكة بعد السلطان الناصر محمد بن قلاوون (١)؛ بدلا من السلطان أبي سعيد ملك العراق (٢) . وعلى هذا النحو سادت العلاقات الودية بين المجاهد وبين الشريف رميثة أمير مكة الذي لم يتردد في أن يعهد إلى ابنه الشريف ثقبه بأن يكون في صحبته عندما عزم على أداء فريضة الحج في سنة ٧٤٢ هـ (٣) / ١٣٤٢ م ، كما خرج الشريف رميثة وأكابر أهل مكة لاستقبال المجاهد عند مشارف مكة ، فتخاض السلطان الرسول عليهم وأجزل لهم العطاء (٤) . ومن الجدير بالذكر أنه عمر مدرسة بمكة في الجانب الجنوبي من الحرم (٥) وخلع على أميرى الركب المصرى والشامى ، وأبدى رغبته في أن يكسو الكعبة ، ولكن أشراف مكة لم يمكنوه من ذلك ، خوفا من انتقام السلطان المملوكى . وسخر أشراف مكة أنفسهم لخدمة المجاهد ولم يدخروا وسعا لتوفير حمايته خشية أن يتعرض له المصريون بسوء (٦) .

وفي سنة ٧٥١ هـ / ١٣٥١ م توجه المجاهد الرسول للحجاز لتأدية فريضة

(١) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٠٠ .

(٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٢ ، العيني : عقد الجنان مج ٣٣

ص ٢١٠ .

(٣) الخزرجى : المسجد ص ٤٣٤ .

(٤) الخزرجى : العقود ، ص ٧٠ ، المسجد ص ٤٣٥ .

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ص ١١ ، المنهل ، ص ٤٤

ص ١٠٤ .

(٦) النامى : شفاء الغرام ، ص ٢٤٧ .

الحج للمرة الثانية (١) ، وبرفقته الشريف ثقبه بن رهينة (٢) - وكان لاجئاً عند المجاهد لاتفراد أخيه عجلان بإمرة مكة - فلما اقترب موكب المجاهد من مكة أشيع أنه ينوي الاستيلاء على مكة ، والقبض على الشريف عجلان وتنصيب أخيه ثقبه مكانه ، والقيام بكسوة الكعبة بعد انتهاء موسم الحج وعودة ركب الحاج المصرى (٣) ، فأصرع الشريف عجلان وأبلغ أمير الحج بالأمر (٤) . ولهذا السبب لم يسمح المصريون للمجاهد أو سلاح داريته بالسير بسلاحهم في مكة ، ولم يمكنوه من حمل الفاشية (٥) . واتفق الشريف عجلان مع أمير الحاج المصرى على رصد تحركات المجاهد تمهيداً لاعتقاله ، ثم منحت الفرصة للتواتر، المملوكية في منى، فتمكنوا من هزيمة المعسكر اليمنى (٦)

(١) المقرئى : الذهب المسبوك ص ١١٤ ، ١١٦ ، ابن الدبيع : قرة العيون ص ٩٧ أ .

(٢) الخزرجى : العقد الفاخر > ٢ ص ٤٠ ب ، باخرمة : نغر عدن > ٢ ص ١٤٧ ، زبارة أئمة اليمن > ١ ص ٢٤٩ .

(٣) الخزرجى : العقود > ٢ ص ٨٣ - ٨٤ ، المسجد ص ٤٤٤ ، ابن تغرى بردى : المنهل > ٤ ص ١٠٤ ، القلقشندى : صبح الاعشى > ٥ ص ٣٢ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم > ١٠ ص ٢٢٦ .

(٥) المقرئى : السلوك > ٢ ص ٨٣١ .

(٦) الفاسى : شفاه الغرام > ٢ ص ٢٤٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم > ١٠

ص ٢٢٦ - ٢٢٧

ولم يجد المجاهد بدأ من طلب الأمان والاستسلام (١) حقيقنا للدماء وسراعاة
 لحرمة المكان والزمان (٢) واشترط عليهم عدم التعرض لأحد من الناس بسوء،
 وسلم نفسه إليهم فأكرموه وسار معهم وسط مظاهر التبجيل والتعظيم، راكبا
 بقلة إلى محطتهم، وهم مترجلين بين يديه حتى أنزلوه في خيمة أقيمت خصيصا
 له، وسمح له باصطحاب وزيره الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكامل (٣)،
 وتحفظوا على المجاهد وتوجهوا به معتقلا إلى مصر (٤)، فوصلها في العشرين
 من المحرم سنة ٧٥٢هـ / ١٨ مارس ١٣٥١ م، وسلطانها يومئذ الناصر حسن
 ابن محمد بن قلاوون (٧٤٨-٧٥٢هـ / ١٣٤٧-١٣٥١). فلما مثل المجاهد
 بين يديه قبل الأرض ثلاث مرات، وكان الأمراء قد قيدوه عندما هموا
 بالدخول به على السلطان، فأمر بفتح قيده وأكرمه (٥) وأحسن إليه وأجرى

(١) المقرئى: السلوك، ص ٨٣٢، ابن تغرى بردى. النجوم، ص ١٠٠
 ص ٢١٧.

(٢) الفاسى: شفاء الغرام، ص ٢٠٧، ص ٢٤٧.

(٣) الخزرجى. المقبود، ص ٢٠٧، ص ٨٥، المسجد، ص ٤٤٣، ابن الديبع:
 قرّة العيون، ص ٩٧ أ.

(٤) الخزرجى: العقد الفاخر، ص ٢٠٧، ص ٤٠، ابن تغرى بردى: المنهل
 ص ٤٠٢، العيني: عمدة اللجان، ص ٦٣-٦٠، ص ٩٠، باخرمة: نثر عدن
 ص ٢٠٧، ص ١٤٨.

De Gaury : op cit. p. 101 .

(٥) الخزرجى: العقد الفاخر، ص ٢٠٧، ص ٤٠، الفاسى: نفس المصدر
 والجزء، ص ٢٤٨، باخرمة: نفس المصدر والصفحة.

له الرواتب السنوية ، وأنزله بالأشرفية بالقلعة (١) وخصص له من يتولى خدمته (٢) . وقد استجاب الناصر حسن لشناعة بعض كبار أمراء المماليك ووافق على الإفراج عن المجاهد سقابل . . ألف دينار ، يتولى دفعها فديه له أو ربما كان هذا المبلغ لتغطية نفقات الحملة التي سبق أن جردها الناصر محمد بن قلاوون بناء على طلبه ولمساعدته في القضاء على منافسه ، أو تعويضا عن الهدايا التي كان قد توقف عن إرسالها إلى مصر ، أو التي كان قد بعث بها صاحب الهند وسطا عليها أتباعه . وكان في إمكان السلطان المجاهد اقتراض هذا المبلغ من تجار الكارم (٣) ، على أن يتم تسديدها لهم بعد عودته . ولكن الأمراء توسلوا لدى السلطان حتى أعفاه من المال ، وأذن له بالعودة إلى بلاده عن طريق الحججاز (٤) بعد أن التزم بإرسال المقررات السنوية التي التزم

(١) الأشرفية ، هي الإيوان المعروف بدار العدل بقلعة الجبل ، أسسها المنصور قلاوون ، وجددها ابنه الأشرف خليل ، وعرفت باسمه . ثم أعاد الناصر محمد بناءها ، وزاد فيها قبة جليله وأعمدة عظيمة ورجمها ونصب فيها سرير الملك ، وصنعه من العاج والأبنوس ، ورفع سمك الإيوان وجعل أمامه رحبة فسبحة مستطيلة ، وجعل بالإيوان بابا سريرا من داخل القصر . (انظر المقرئى : المخطط ج ٢ ص ٢٠٦ ، و ج ٣ ص ٣٤٠ ، وما بعدها ، السلوك ج ٢ ص ٥٨٩ حاشية ٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم ج ٩ ص ٢٦ حاشية رقم ٢ ، عبد الرحمن زكي : قلعة صلاح الدين وما حولها من الآثار - القاهرة ١٩٧١ - ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢) المقرئى : السلوك ج ٢ ص ٨٣٦ - ٨٣٧ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم ج ١٠ ص ٢٢٩ .

(٤) الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠٨ ، المقرئى : نفس المصدر والجزء

ص ٨٣٧ - ٨٣٨ .

ينو رسول بإرسالها إلى مصر (١) ، تعبيراً عن ولائه وطاعته . وأكرم السلطان
 حسن وفادته ، وخلق عليه وأجزل له العطاء ، كما أمدّه أمراء المماليك بكثير
 من الأموال ، واقترض من نجار الكارم (٢) واشترى عدداً من المماليك وكثيراً
 من الخيل والجمال (٣) .

فلما تجهز المجاهد للسفر عهد السلطان حسن للأُمير قشتمر شاد الدواوين
 بمصاحبتة في سفره ، ومراقبة تصرفاته والإبلاغ عن المريب منها (٤) . وخرج
 المجاهد من القاهرة في صفر ٧٥٢ هـ / أبريل ١٣٥١ م ، فلما وصل الدهناء من
 وادي ينح ، وظن أنه أصبح بعيداً عن دائرة نفوذ السلطان المملوكي ، تطاول
 عليه ، واتسمت تصرفاته بالإساءة إليه (٥) . فصدرت الأوامر بالتوجه به
 إلى الشام واعتقاله بحصن الكرك (٦) ، فظل مقبلاً فيه إلى أن شفّع له نائب

(١) المقرئزي : نفس المصدر والجزء ص ٨٣٩ ، ابن تغري بردى :
 نفس المصدر والجزء ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٢) المقرئزي : نفس المصدر والجزء ص ٨٣٨ .

(٣) ابن تغري بردى : نفس المصدر والجزء ص ٢٢٩ .

(٤) المقرئزي : نفس المصدر والجزء ص ٨٣٩ .

(٥) المقرئزي : نفس المصدر والجزء ص ٨٤٠ ، ابن تغري بردى : النجوم
 ج ١٠ ص ٩٦٤ .

(٦) الخزرجي : العقد النفاخر ج ٢ ص ٤٠ ، أ ، القلقشندی : صبح الأعيان
 ج ٥ ص ٣٧٢ ، باخرمة : تاريخ نعر عدن ج ٢ ص ١٤٨ .

القلعة (١) لدى السلطان الصالح بن محمد بن قلاوون ، الذي كان قد اعتلى دست السلطة في جمادى الآخرة سنة ٧٥٢هـ (٢) / أغسطس ١٣٥١ م . فتقدم المجاهد حصن الكرك وزار القدس والخليل (٣) في طريقه إلى القاهرة فوصلها في شعبان من نفس السنة فخلع السلطان الصالح عليه ، كما أرسل له الأمراء بتقدم كثيرة ، وتوجه إلى بلاده عن طريق عيذاب (٤) ، فوصل إلى اليمن في ذي الحجة سنة ٧٥٢هـ / يناير ١٣٥٢ م حيث استقبل استقبالاً عظيماً ، وأقيمت بمناسبة عودته الاحتفالات والزينات (٥) .

وبمجرد وصول المجاهد بدر بالكتابة إلى السلطان المملوكي يبلغه بتجهيز التمددات لإرسالها ، وأنه قام بسداد ما كان قد اقترضه من التجار ، وقدم عدداً من التسهيلات للمراكب التجارية (٦) غير أنه منعه من الإرساء في جدة انتقاماً من أمراء مكة (٧) . أما الهدية التي أشار إليها في كتابه ، فقد أرسلها صحبة

(١) ابن تغرى بردى : المنهل > ٤ ص ١٠٣ .

(٢) المقرئى : نفس المصدر والجزء ص ٨٤٣ .

(٣) القاسى : شفاء الغرام > ٢ ص ٢٤٨ ،

De Gaury : op. cit. P. 101 .

(٤) الخزرجى : العقود اللؤلؤية > ٢ ص ٤٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم .

ج ١٠ ص ٤٦٤ ، المقرئى : السلوك > ٢ ص ٨٥٢ ،

De Gaury : op. cit. p. 101 .

(٥) الخزرجى : العقود اللؤلؤية > ٢ ص ٨٩ - ٩٠ ، المسجد ص ٤٤٩ -

٤٥٠ ، العقد الفاخر ج ٢ ص ٤٠ ، ابن تغرى بردى : المنهل > ٤ ص ٣٠١

باخرمه : تاريخ نجر عدن > ٢ ص ١٤٨ .

(٦) المقرئى : السلوك > ١ ص ٨٠٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم > ٠ ص ٢٦٥ .

(٧) المقرئى : السلوك > ٢ ص ٨٦٧ و ٨٨٨ ، القاسى : شفاء الغرام > ٣

ص ٢٤٨ ، الطبرى : الأراج المسكى ص ٤٩ .

ابنه الناصر أحمد (١) ، فلما وصلت الهدية إلى عيذاب أرسل متولي قوص
 لإبلاغ السلطان ، واتخذت الاجراءات لاستقبال السفارة (٢) ، وبلغ مقدار
 ما صرف على الوافدين منذ وصولهم إلى عيذاب حتى دخولهم القاهرة في الحادي
 والعشرين من ربيع الآخر سنة ٧٥٤ هـ / ٢٦ مايو ١٣٥٣ م ما يقرب من مائتي
 ألف درهم (٣) ، حاشا الخلع وخمسمائة درهم يوميا ، عدا الضيافات التي أظمها أمراء
 المالكيك لهم (٤) . غير أن الهدية لم تحظ بالقبول عند استعراضها ، إذ كانت
 هدية المؤيد داود للناصر محمد بن فلاوون تضم حوالي ألفي شاش (٥) . وعاد

(١) أرسل المجاهد صهبة ابنه الناصر كل من القاضي فتيح الدين عمر بن محمد
 ابن الخطباء والأمير شمس الدين علي بن حاتم والطواشي نظام الدين خضر الذي
 توفي في عيذاب ، فأرسل المجاهد بدله الطواشي صفي الدين الرضواني ، ولكنه
 لم يدرهم إلا بعد دخولهم مصر . (الخرزجي : العقود ج ٢ ص ٩٣ ، المسجد
 ص ٤٥١ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٩٨ أ) .

(٢) المقریزی : نفس المصدر والجزء ص ٨٨٦ .

(٣) المقریزی : نفس المصدر والجزء ص ٨٩٣ ،

(٤) المقریزی : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٥) عرضت الهدية في بداية الأمر على الأمير طاز بالميدان ، ثم مثل الرسل
 يهديتهم بين يدى السلطان وكانت تضم ستين رأسا من الرقيق - كانوا في
 الأصل ثلاثمائة ، مات الباقون في أثناء الطريق - ومائتي شاش ، وأربعمائة
 قطعة صيني ، ومائة وخمسين نافجة مسك (وعاء من الجلد) وقرن زباد (مكحلة
 بها الزباد وهو نوع من الطيب لداواة الزكام) وعدة تماثيل ، وخمسين
 قنطارا من الفلفل ، وغير ذلك من الأصناف كالزنجبيل والعنبر والأقوية ،
 بالإضافة إلى فيل واحد . كما أرسل هدايا أخرى لبعض كبار أمراء المالكيك
 (المقریزی : السلوك ج ٢ ص ٨٩٢ - ٨٩٣) .

الناصر بن المجاهد بعد أربعة أشهر إلى بلاده (١) .

وفي سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م أرسل المجاهد هدية أخرى إلى مصر صحبة الطواشي صفى الدين جوهر الرضواني ، ولكن تلك الهدية لم يقدر لها الوصول لغرق السفينة بفعل الشعاب المرجانية في البحر الأحمر (٢) . ويستدل بما ذكره الخزرجي أن سفارة أخرى أرسلها المجاهد في عام ٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م أو العام السابق عليه ، ذلك أن الرسل عادوا إلى اليمن في ربيع الآخر ٧٦٣ هـ / فبراير ١٣٦٢ م ، وبصحبتهم بعض أمراء الماليك ، فأحسن المجاهد مقابلتهم (٣) . ولاحقاً يدل على عودة العلاقات الطيبة بين اليمن ومصر ، ويغلب على الظن أنه المجاهد حرص - إلى نهاية عهده - على مداراة مصر (٤) .

واستمرت العلاقات الودية سائدة بين اليمن ومصر في عهد الأندلس عباسي.

(١) ذكر المقرئزي أن الناصر أحمد أخذ معه عند عودته وكثيراً من الصناعات والمخاليق: (المتخصصين في لعبة خيال الظل) والمتشعبين (أى أصحاب المندرة على إظهار الأشياء على غير أشكالها) والمساخر وأرباب المسلاهي ، وتمزيقاً ، فمما قامت عليه بأموال جزيلة . وأنعم عليه السلطان والأمراء بغير نوع من الهدايا والتعريف السنية ، وألبسوه الخلع الجليلة ، وبالغوا في إكرامه . وجزية الله ما يحتاج إليه من المراكب ، وكتب إلى ولاية الأعمال بإكرامه .

فسار في البحر ، (المقرئزي : السبلوك ٢ ص ٩١٦ - ٩١٧) .

(٢) الخزرجي : العقود ٢ ص ١٠١ ، المسجد ص ٤٥٦ .

(٣) الخزرجي : العقود ٢ ص ١٢١ ، المسجد ص ٤٠٧ .

(٤) الأتقشندی : صبح الأعشى ٥٠ ص ٣٢ .

الرسولي ، وكان على عرش مصر آنذاك السلطان الملك الأشرف شعبان ، فأرسل السلطان الرسولي إليه سفارة في سنة ٧٦٧ هـ (١) / ١٣٦٦ م ، وصلت إلى مصر مزودة بالهدايا والتحف ، فاستقبلها السلطان الأشرف وأنعم على المرسل (٢) وأعادهم إلى بلادهم حاملين الهدايا إلى سلطانهم (٣) وأشار المقرئ إلى هدية يمنية أخرى توجه أحد الأمراء لاستقبالها سنة ٧٧١ هـ (٤) / ١٣٧٠ م كما وصلت هدية أخرى سنة ٧٧٥ هـ (٥) / ١٣٧٤ م وبقي أعضاء تلك السفارة إلى سنة ١١٧٧ هـ / ١٣٧٦ م وعادوا إلى اليمن مجملين بالهدايا والتحف (٦).

٣ - العلاقات اليمنية للصحة بين بني رسول وسلطين الماليك الجراكسة :

عاصر السلطان اليمنى الأشرف الثانى اسماعيل بن الأفضل الرسولى قيام دولة الماليك الجراكسة فى مصر. وجاء قيام تلك الدولة فى وقت كانت العلاقات اليمنية المصرية فيه يسودها الوئام والود . وكانت مصر فى تلك الظروف تفرص على تنمية العلاقات الطيبة من أجل تسهيل تجارة العبور فى البحر

(١) الخزرجى : العقود > ٢ ص ١٣٤ ، المسجد ص ٤٧٦ .

(٢) المقرئى : السلوك > ٣ ص ١٢٧ .

(٣) الخزرجى : العقود > ٢ ص ١٣٥ ، المسجد ص ٤٧٧ .

(٤) المقرئى نفس المصدر والجزء ص ١٨٧ .

(٥) الخزرجى : العقود > ٢ ص ١٥٢ ، المسجد ص ٤٩١ ، المقرئى

نفس المصدر والجزء ص ٢٢٢ .

(٦) الخزرجى : العقود > ٢ ص ١٥٤ ، المسجد ص ٤٩١ .

الأحر (١) . وقد عمل السلطان الأشرف الثاني على توطيد أواصر الصداقة والمودة مع السلطان المملوكي الظاهر برقوق ، وتبادل معه الرسل والهدايا تعبيراً عن الصلات الحسنة التي تربطهما الدولتان (٢) . فبعث السلطان

Pilote (E.):L' Egypte au Commencement du Quinzieme (1)
Siecle, p. 42 .

(٢) أرسل السلطان برقوق إلى السلطان الأشرف الثاني الرسول هدية في سنة ٧٨٧ هـ / ١٣٨٥ م . (الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٨٢ ، المسجد ص ٥١١) . وأتبعها في العام التالي هدية أخرى برفقة عدد من صناع الحرير الإسكندريين للعمل في اليمن . (الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٨٦ ، المسجد ص ٢٥١) وثالثة في العام التالي (الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٩٣ ، المسجد ص ٥٢٨) ورابعة سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م . فيها من أصناف المأكول والمشروب والملبوس والمشموم ، ومن التحف شيء كثير . ومن الخيل والبغال وكلاب الصيد وسباع الطير ما يستحسن ويستلطف شيء كثير ، (الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٩٨ ، المسجد ٥٢١) . وفي سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٩ م وصلت هديتان من مصر إلى اليمن كانت الأولى في صفر ، استقبلها السلطان الأشرف الثاني بنفسه في مدينة زيد ، فكان يوم وصولها يوماً مشهوداً . وتضمنت الهدية ثلاثين مملوكاً واثني عشر رأساً من الخيل ، بسروج مفرقة وآلة حسنة ، وعدة جوار من الروميات والأرمينيات ، وطبيب ماهر من يهود مصر . ومن الملبوس والمشموم والطعموم شيء كثير لا يصلح تحت الحصر الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ، المسجد ص ٥٦٦) أما الهدية الثانية فكانت في ربيع الحجة سنة ٨٠٠ هـ / أغسطس ١٣٩٨ م (الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٥٦٩) ، وفي سنة ٨٠١ هـ وصلت هدية أخرى : الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٣٠٢ ، المسجد ص ٥٧٠) ، أما آخر تلك الهدايا فوصلت إلى اليمن سنة ٨٠٣ هـ (الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٣٠٧ ، المسجد ص ٥٧٤) وكان السلطان برقوق قد أرسلها قبل وفاته في شوال سنة ٨٠١ هـ / يونية سنة ١٣٩٩ .

الأشرف بالنفيس من الهدايا إلى السلطان الظاهر برقوق (١) . ونشير المصادر إلى حرص السلطان برقوق على تأكيد الروابط الودية مع السلطان الرسولي ، فكانت هداياه تصل سنويا إلى اليمن منذ عام ٧٨٧ هـ (٢) / ١٣٨٥ م حتى هدية سنة ٨٠٢ هـ (٣) ١٤٠٠ م ، التي أرسلها السلطان برقوق قبل وفاته سنة ٨٠١ هـ . وما يذكر أن هدايا الظاهر برقوق وردت إلى اليمن سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٩ م مرتين (٤) . وكان السلطان الأشرف يوالي بدوره مهادة السلطان المملوكي ويتبادل معه الهدايا (٥) وقد بلغ من مكانه السلطان برقوق لدى

(١) انقله شندى : صبح الأعشى ج ٨ ص ٧٢ - ٧٦ .

(٢) انظر الصفحة السابقة ، هامش ٢ .

(٣) الخزرجى : العقود ج ٢ ص ٣٠٧ ، المسجد ص ٥٧٤ .

(٤) الخزرجى : العقود ج ٢ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ، ٩٩٩ ، المسجد

ص ٥٦٦ ، ٥٦٩ .

(٥) أرسل السلطان الأشرف هدية جليلة إلى الظاهر برقوق في ٧٩٨ هـ / ١٣٩٦ م (الخزرجى : العقود ج ٢ ص ٢٨٣ ، المسجد ص ٥٦٢) وكان وصولها إلى مصر سنة ٧٩٩ هـ صحبة التاجر الكارمي برهان الدين المحلي الذي تردد بالهدايا بين الجانبين عدة مرات ، واشتملت الهدية على عدد من العبيد والطواشيشة والجراري ، وسيف محلي بالذهب ومرصع بالعقيق ، وحياسة (حزام) بهواميد عتيق مكللة بفصوص كبيرة من اللؤلؤ ، ووجه فرس من العقيق ، ومراة هدية مكللة بالفضة ومرصعة بالعقيق ، وعشرة براشم (براقع) للخيل ، وعدد من الرماح ، وشطرنج من العقيق الأبيض والأحمر ، ومراوح مصفحة بالذهب ، ومن المسك ألف مثقال ، ومثله من العنبر الحام ، وسبعين أوقية زياد ، وغير ذلك من العود والصندل ، وبراني من الشهد (نوع من الرياحين) ، =

السلطان الرسولى أنه لما وصل الخير لليمن بوفاته في المحرم سنة ٨٠٢ هـ /
سبتمبر ١٣٩٩ م (كانت وفاة الظاهر برقوق في شوال سنة ٨٠١ هـ / يونية
١٣٩٩ م) أقيمت صلاة للغائب على روحه بجامع زيد يوم الجمعة الثالث من
المحرم سنة ٨٠٢ هـ ، وأمر السلطان الأشرف بقراءة القرآن على روحه لمدة
سبعة أيام في كل من زيد وتعز وعدن (١) .

وتستمر العلاقات الحسنة بين اليمن ومصر بعد برقوق ، ويتبادل سلطان
كل منهما الهدايا مع الآخر . ففي سنة ٨١٩ هـ / ١٤١٩ م أرسل السلطان
الناصر أحمد بن الأشرف الرسولى هدية تحتوي على الكثير من الشاشات الأرز
والملابس الحريرية ، وغير ذلك من الحرير والصيني والعود واللبان والصندل
وسروج الخيل من العقيق بأطراف ذهبية ، وقطاط الزباد فلما عرضت تلك
الهدية على السلطان المؤيد شيخ وقرى له كتاب صاحب اليمن أنهم على
الرسول كجاري العادة (٢) ، وأعاد الرسل مكرمين إلى اليمن ، حاملين معهم
هدية إلى سلطانهم (٣) . وتكررت الهدايا بين الجانبين في عامي ٨٢٠ هـ (٤) /
١٤١٧ م ، و ٨٢٢ هـ (٥) / ١٤١٩ م .

= ومن الحرير الخمام والبهار والأنطاع والصيني وتحف الدين النوى الكثير .
(ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج ١٨ ص ٩٧ أ - ب ، المقرئى : السلوك
ج ٣ ص ٨٧٤ - ٨٧٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١٢ ص ٦٦ - ٦٧) .

(١) الخزرجى : العقود ج ٢ ص ٣٠٦ ، المسجد ص ٥٧٢ .

(٢) المقرئى : نفس المصدر ج ٤ ص ٣٤٥ .

(٣) المقرئى : نفس المصدر والجزء ص ٣٦٧ .

(٤) المقرئى : نفس المصدر والجزء ص ٣٩٥ .

(٥) المقرئى : نفس المصدر والجزء ص ٤٧٩ .

وأبعا - العلاقات اليمينية مع الدول التجارية الآسيوية وساحل إفريقيا

الشرقية ، وأثرها في ازدهار تجارة عدن والبحر الأحمر :-

كان للجمود التي بذلها سلاطين المالك في مصر ، وخاصة الظاهر بيبرس ، لتأمين الملاحة في البحر الأحمر ، وما قام به السلطان المظفر يوسف الرسولي سلطان اليمن للقضاء على القرصنة في المحيط الهندي ، وتأمين وصول السفن التجارية إلى عدن ، أعظم الأثر في ازدهار حركة التجارة العالمية في عدن والبحر الأحمر .

وقد واصل سلاطين بني رسول اهتمامهم بتنشيط حركة التجارة، وعملوا على توطيد العلاقات مع الدول ذات المصالح التجارية في آسيا وإفريقية . وإحساسا بأهمية بلاد اليمن ، وموقعها الهام على طريق التجارة العالمية ، وضمانا لسلامة التجار ، لجأت الدول التجارية إلى الارتباط بعلاقات الود مع البلاط الرسولي ، وتوافدت رسلهم بالهدايا النفسية إلى اليمن ، حتى أصبحت عدن قبلة الوافدين وملتقى السفارات (١) ، من الصين والهند وسيلان وقاليقوت (٢) وفارس وعمان والبحرين والحبشه ودول الطراز الاسلامي (٣)

(١) Lewis (Bernard) : Egypt and Syria (The Cambridge History of Islam, 1970). Vol I, p 223.

(٢) قاليقوت ، ميناء ومركز تجارى هام لتجارة التوابل والأحجار الكريمة وغيرها ، وتقع على ساحل ملابار على الشاطئ الغربي للهند ، وساطانها يعرف بالسامرى ، ويقصدها كثير من الجاليات من مصريين ويمنيين وأحباش وآراك وفرس وبحرانيين وصينيين وغيرهم (ابن بطوطة : تحفة النظار ج ٢ ص ١١٥ - ١١٦)

(٣) انظر ما يلي ص ٣٨ وما بعدها.

«ساحل إفريقية الشرقى وغيرها» .

١ - مع الدول الآسيوية :-

٢ - مع الصين :-

وفي سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م وفدت رسل الصين بالهدايا إلى السلطان المظفر يوسف الرسولي^(١) . وتوطدت العلاقات بين البلدين حتى أن السلطان المظفر عندما علم بامتناع ملك الصين عن السماح بختان أبناء المسلمين في بلاده أرسل إليه هدية وكتب إليه يسأله السماح لهم وعدم الاعتراض على عملية الختان ، فاستجاب له^(٢) . وعلى الرغم من أن المصادر لم تزودنا بمعلومات كافية عن اختيار العلاقات مع الصين ، إلا أن استمرار حركة التجارة ينهض - في حد ذاته - دليلاً على استمرار تلك العلاقات الطيبة . ففي سنة ٨٢٣ هـ / ١٠٢٠ م . وصل رسول الصين إلى السلطان الناصر أحمد الرسولي وقدم إليه كميات من الهدايا والتحف بلغت من الكثرة أنها وصلت على ثلاث مراكب كبيرة ، وقد قدرت قيمتها بعشرين لكا^(٣) من الذهب ، أى ما يوازي مليوني دينار . فاستقبل السلطان الناصر السفير ورحب به وبالغ في إكرامه ، وأرسل صحبته كتاباً وهدية جلييلة لملك الصين ، ويذكر مؤرخو اليمن أنه لما دخل رسول ملك الصين على السلطان الرسولي لمقابلته « لم يقبل الأرض بين يديه ، بل قال له ،

(١) الخزرجى : العقود ج ١ ص ٢١٣ ، المسجد ص ١٩٥ ، ابن الديبع :
 مقرة العيون ص ٧٩ أ . (ويشير الدكتور أحمد دراج إلى أن السنة التي وفدت
 إليها السفارة لم تعرف على وجه التحديد) ايضاحات جديدة ص ١٩٢ .
 (٢) الخزرجى . العقود ج ١ ص ٢٧٩ ، المسجد ص ٣١٤ .
 (٣) اللك - كما هو وارد في المعجم الوسيط - يساوى مائة ألف دينار .

سيدك صاحب الصين يسلم ويوصيك بالعدل في الربيه » فقال له السلطان :
« مرحبا بك ونعم المجرى جئت (١) .

ويبدو أن تلك السفارة الصينية كانت تستهدف أن يعدل سلطان الين من
سياسته تجاه التجار فيحسن إليهم ويخفف من حملته عليهم ، إذ أنه كان قد
أجحف بالتجار وجار عليهم وتمسف معهم (٢) ، الأمر الذي دعا الكثيرين منهم
إلى مقاطعة عدن (٣) .

ب - مع الهند :-

أما الهند ، فقد توافدت رسلها بالهدايا الجليلة في سنوات متفرقة ، ففي
سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م جاء رسول صاحب الهند إلى السلطان نور الدين عمر
ابن رسول ، قبل وفاته بعدة أيام وتنبأ بدنو أجله (٤) ، كما وصلت رسل الهند
مرة أخرى في سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م بعد أن فتح السلطان المظفر الرسولي بلاد
ظفار (٥) ، وتكرر مجيء هؤلاء الرسل في عهد المؤيد في سنوات ٧٩٨ هـ (٦) ،

(١) الخزر جي : المسجد ص ٥٨٥ - ٥٨٦ ، ابن الديبع : قرة العيون
ص ١١١ أ ، بغية المستنيد ص ٧٨ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٦٥ .
(٢) بانخرمة : تاريخ نغر عدن ج ١ ص ١٢ ، أحمد دراج : ابضاحات
جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجرى -
محاضرات الجمعية التاريخية ١٩٦٨ - ص ١٩٣ .

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الامانى ص ٥٦٥ .

(٤) الخزر جي : العقود ج ١ ص ٨٣ ، المسجد ص ٢٤١ .

(٥) الخزر جي : العقود ج ١ ص ٢١٣ ، المسجد ص ٢٩٥ .

(٦) الخزر جي . العقود ج ٢ ص ٢٨٥ ، المسجد ص ٥٦٢ .

٨٠٠ هـ (١) ، ٨٠٢ هـ (١) . (١١) . (١٣٩٦ ، ١٣٩٨ ، ١٤٠٠ م) . تعبيراً عن العلاقات الودية التي كانت تربط الهند باليمن - غير أن الأمور لم تلبث أن تدهورت في عهد المجاهد نتيجة اعتراضه لاحدى السفارات الهندية المتجهة إلى مصر ، واستيلائه على الهدايا وإقدامه على قتل الرسل (١٢) .

وفي عهد الأفضل بن المجاهد وصل رسل صاحب كنباية والسند في سنة ١٣٦٧ / ٨٧٦ هـ م تحلين بالتحف والهدايا التي اشتملت شتل شجر الفل الاحمر والأصفر والأزرق (١٤) .

كذلك عمل صاحب سيلان على تدعيم علاقاته مع اليمن فأرسل في سنة ١٣٩٨ / ٨٠٠ م هدية إلى السلطان الأتurf بن الأفضل ، وتضمن كتابه - وهو عبارة عن ورقة من الذهب الخالص - بيانات الهدية التي كان من جملتها العيوة والتحف وشتل الأشجار ، فأنعم الأشرف على الرسول السيلاني بخمسة من جياذ الخيل ، وكسوة فاخرة (١٥) .

ج - مع قاليقوت -

أما قاليقوت فقد أرسل صاحبها سنة ١٣٦٩ / ٨٧٧ م إلى السلطان

(١) الخزرجي : المقود ج ٢ ص ٢٩٧ ، المسجد ص ٥٦٨ .

(٢) الخزرجي . المقود ج ٢ ص ٣١٠ ، المسجد ص ٥٧٦ .

(٣) انظر ما يلي ص ٤٤٦ وما بعدها .

(٤) الخزرجي : المقود ج ٢ ص ١٣٥ ، المسجد ص ٤٧٧ ، ابن الديبع :

سفرة العيون ص ١٠٠ ب .

(٥) الخزرجي : المقود ج ٢ ص ٢٩٧ ، المسجد ص ٥٦٨ ، ابن الديبع :

سفرة العيون ص ١٠٨ ب .

الأفضل بن المجاهد هدية تحتوي على الكثير من غرائب الأشجار والطيور (١) كما أرسل تجار قاليقوت هدايا وكتابا إلى السلطان الأشرف بن الأنضل الرسول سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٩٣ م يعلنون ولائهم له ويستأذونه في السماح لهم بالخطبة له على منابر بلادهم . وكانت الخطبة لديهم قبل ذلك لصاحب دهمي وهرمز ١٨٠ . فوافق الأشرف على مطلبهم ، وأنعم على الرسل وأكرمهم (٢).

كما توافدت سفارات أخرى من كل من فارس (٣) وعمان والبحرين وغيرها من دول آسيا (٤) .

٢ - مع سواحل العدو الإفريقية :-

ارتبطت بلاد اليمن مع الحبشة وساحل إفريقيا الشرقية بعلاقات سياسية وحضارية موعلة في القدم لا مجال هنا للتعرض لجذورها ، ولا يهمننا سوى ما يتعلق بالفترة التاريخية الواقعة في نطاق هذه الدراسة . فقد اتخذ العرب من الساحل الشرقي لإفريقية مجالا للهجرة والتجارة ، واستقرت أعداد هائلة منهم ، وتكاثرت في المنطقة الساحلية ، وبمرور الزمن انتظمت تلك الجماعات

(١) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ١٣٩ ، المسجد ص ٤٨٠ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ١٠٠ .

(٢) الخزرجي : العقود ج ٢ ص ٢٤٤ - ٢٤٧ ، المسجد ص ٥٤٥ .

(٣) ابن حاتم : السمط ص ١٠٠ أ - ب ، الخزرجي : العقود ج ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ، المسجد ص ٢٩٠ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ٧٨ أ .

(٤) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٢١٣ ، المسجد ص ٢٩٥ ، ابن الديبع : قررة العيون ص ١٧٩ .

في إمارات عرفت باسم « الطراز الاسلامي » ، وهي تسمية أطلقت عليها بحكم امتدادها على الشريط الساحلي ، فكانت بمثابة الطراز (١) الفاصل بين البحر الأحمر والمناطق الداخلية .

ويضم لإقليم الطراز سبع ممالك على رأس كل منها ملك ، ولكل منها جيوشها الخاصة بها (٢) وهذه الممالك هي : -

- ١ - أوفات أو جبرت ، ومن مدنها زبلع (٣)
- ٢ - دوارو ، وتقع الى الجنوب من أوفات (٤)
- ٣ - أراييني ، وتقع الى الشمال الشرقي من بحيرة صابا (٥)
- ٤ - شرعا ، وتقع إلى الغرب من أوفات (٦) .

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٢٤ .

(٢) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار - مخطوط بدار الكتب رقم ٨ معارف عامة م - ج ٥ ص ١٠٣ أ .

(٣) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ج ٥ ص ١٠١ أ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٢٥ .

(٤) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ج ٥ ص ١٠٢ أ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٢٧ .

(٥) ابن فضل الله العمري : نفس المصدر والجزء ص ١٠٢ ب ، القلقشندى : نفس المصدر والجزء ص ٢٢٧ .

(٦) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ج ٥ ص ١٠٢ ب .

٥ - هدية ، وتقع جنوبي أوقات ، وملكها أقسوى ملوك الدويلات الإسلامية السبعة (١) .

٦ - بالي ، وهي لا تقل قوة عن أوقات (٢) .

٧ - دارة ، وتقع إلى الجنوب الغربي من بحيرة صانا ، وهي أضعف بمالك الطراز (٣) .

وكان ملوك دويلات الطراز السبعة ، يدينون بالولاء والطاعة للملك الحبشة ويمحسون إليه مقررات سنوية محددة (٤) . وكان من جملة اختصاصه إقامة الملوك وتنصيبهم ، فإذا اتفق أن مات أحد ملوك الطراز أو غيرهم ، لا يجوز أن يخلفه أحد من أهله بغير موافقة الحطى واختياره لأنهم كانوا كالتواب له (٥) وأمرهم راجع إليه (٦) . وكان ملوك الحبشة يضطهدون شعوب الممالك الإسلامية الخاضعة لهم ، ويحاربونهم كلها وجدوا إلى ذلك سبيلا . وقد نشط

(١) ابن فضل الله العمري : نفس المصدر والجزء والصفحة ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٢٧ .

(٢) ابن فضل الله العمري : نفس المصدر والجزء ص ١٠٣ أ .

(٣) ابن فضل الله العمري : نفس المصدر والجزء والصفحة ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٢٩ .

(٤) ابن فضل الله العمري : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٥) ابن فضل الله العمري : نفس المصدر والجزء ص ١٠٣ أ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٣٢ .

المسلمون في الحبشة ابتداء من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) عندما استشعروا ضعف ملك الحبشة وازدياد قوتهم (١) .

وكانت الحبشة - في الفترة التي نحن بصدد دراستها - قد اتجهت بنقلها إلى مصر لارتباطها كنسياً ببطاركة الاسكندرية ، وذلك أن بطريق القبط بمصر كان يتولى مسئولية تعيين مطران الحبشة من بين طائفة الأقباط اليعاقبة . وكان لهذا المطران حرق الإشراف على الشؤون الدينية في الحبشة كما أنه لم تكن نصبح ولاية ملك الحبشة الا بتعيين المطران له (٢) .

وعلى الرغم من الصلات الحبشية المصرية المباشرة ، إلا أن نجاشي الحبشة كان يضطر في بعض الأحيان إلى التلويح إلى سلطان اليمن ومهاداته كلما تأزمت الأمور بينه وبين سلطان مصر ، ولتوسط السلطان الرسولى له لدى السلطان المملوكى ، ففي سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م وفد سفراء الحبشة على البلاط الجنبى برسالة من ملك الحبشة يكونوا أملاك يطلب إلى السلطان المظفر الرسولى التوسط له عند السلطان الظاهر بيبرس لإرسال مطران من مصر . وفي سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م أرسل النجاشي سيف أرحم بالهدايا والتحف إلى السلطان الأفضل بن المجاهد الرسولى (٣) ، ولم توضح المصادر الهدف من إرسال هذه السفارة . علماً بأن العلاقات الحبشية المصرية كانت متوترة آنذاك ، كما كان ملك الحبشة قد اشتدت وطأته على مسامى الطراز الإسلامى في ذلك الوقت .

Budge : A History of Ethiopia, Nubia and Abyssinia (١)
(London, 1928) vol. I, p: 288 .

(٢) المقرئى : الامام ص ٤ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٠٨ .

(٣) الخزرجى : العقود ج ٢ ص ١٢٩ .

وعلى هذا الأساس يمكن أن نستنتج أن هذه السفارة كانت تستهدف . أولاً : ضمان عدم تدخل اليمن في الصراع الدائر مع مسلمي الطراز ، وثانياً : ضمان استمرار التبادل التجاري المباشر مع اليمن .

غير أن ما تعرض له المسلمون بمالك الطراز من قتل وتشريد وتخريب ديار نتيجة لاشتداد أعمال العنف والحملات التي شنها عليهم ملك الحبشة (١) ، أدى إلى فرار الكثيرين منهم إلى اليمن احتفاءً بها أو طلباً لتجدد سلاطين بني رسول - ففي سنة ١٤٠٨ / ٨١١ م توجه ابننا سعد الدين أبي البركات محمد بن صبر الدين ، - من ملوك دويلات الطراز الإسلامي - إلى اليمن للاستنجاد بالسلطان الرسولي الناصر أحمد ، فأكرمها ووعدتها بمد يد العون لها (٢) . ولكن الظروف التي كانت تمر بها اليمن لم تمكن الناصر من بذل العون العسكري لها . ويذكر المقرئزي أنه أعطاهما ستة خيول عادا بها إلى بلدها (٣) ، وقاما بإعادة تنظيم صفوف أتباعها لمحاربة ملك الحبشة . وفي سنة ٨٢٥ / ١٤٢٢ م عادا مرة أخرى مهزومين إلى الناصر أحمد فأكرمها (٤) ، وأمدتها بمائتي فرس بفرسانهم ، وما يلزمهم من آلات الحرب ؛ وتابعهم بالإمداد حتى قويت شوكتهم (٥) .

(١) Budge : A History of Ethiopia, vol. p. I, p. 285

(٢) الخزرجي : المسجد ص ٥٨٤ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١٠ ، بغية المستفيد ص ٧٧ .

(٣) المقرئزي : الأمام ص ٢٣ .

(٤) يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٥٦٥ - ٥٦٦ .

(٥) الخزرجي : المسجد ص ٥٨٦ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١١١

أ - ب ، بغية المستفيد ص ٧٩ ، زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٣٠٩ .

ونستدل مما سبق أن اليمن عملت على مسد يد المساعدة لمسلمي الطراز الإسلامي ، مما كان له أثره في تأمين التجارة مع ساحل افرقية الشرقى ، حيث كانت ترد إلى موانئها متاجر الهند وغيرها ، أو تصدر منها منتجات المنطقة^(١) .
والحقيقة أن دول الطراز كانت تسيطر بفضل موانئها زبلع وتاجورة ومصوع وغيرها في البحر الأحمر على حركة التجارة في شرق إفريقيا ، وتحركت في الطرق المؤدية إلى الداخل^(٢) بحيث كانت لاتصل التجارة إلى الحبشة أو تخرج منها إلى الساحل إلا عن طريقهم .

٣ - مظاهر اهتمام سلاطين بنى رسول بثغر عدن والتجارة البحرية مع الهند :-

وإذا كان سلاطين بنى رسول قد حرصوا على توطيد العلاقات مع العديد من الدول على النحو الذى أوضحناه ، فإنهم قد عملوا من ناحية أخرى على تشجيع التجار للوصول إلى عدن . فقام المظفر الرسولى بإرسال الشوانى في المحيط الهندي للقضاء على القراصنة وتأمين الملاحة في طريق السفن المتجهة إلى عدن . ونهج خلفاؤه نهجه في الاهتمام بأمر هذا الثغر ، نزاره المؤيد دارد الرسولى سنة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٩ م ، واستقبله التجار في عدن استقبالا حافلا ، وتباروا في تقديم الهدايا والتحف له ، ولكنه شكرهم وأعاد إليهم ما قدموه ،

(١) Trimingham : Islam in Ethiopia (London, 1952) p. 32

(٢) سعيد عاشور : بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة

في المصور الوسطى - المجلة التاريخية ج ١٤ سنة ١٩٦٨ - ص ٥ .

James : Routenis of Abyssia, pp. 2 - 10.

وخلق عليهم ، وأجرى على نواخذة الهند على جارى عادتهم وأمر بإكرام النواخذة والتجار المتردين إلى الثغر ، (١) .

ومع بداية عهد المجاهد بن المؤيد الرسولي مرت بلاد اليمن بحالة من النوضى والاضطراب لم تشهد لها مثيلا من قبل (٢) ، فكان لتلك الحقبة أثرها الكبير على عدن وتجارتها ، فقد استبد النواب بالمدينة أثناء الصراع الدائر بين المجاهد وابن عمه الظاهر عبد الله ، وجوهصرت عدن من كل من الجانبين المتناهسين عدة مرات (٣) باعتبارها مصدر الدخل الكبير الذى يمكن الاعتماد عليه لتغذية الصراع ماديا . وظل الأمر كذلك حتى استقر الأمر أخيرا فيها للمجاهد الرسولى (٤) . ولهذا كان اهتمام المجاهد كبيرا بثغر عدن ، فردد عليه لإقرار الأوضاع فيه (٥) . وبلغ من اهتمامه به وكثرة تردده عليه أن توفي فى عدن

(١) الخزرجى : العقود ج ١ ص ٣١٩-٣٢١ ، المسجد ص ٣٣٢ - ٣٤٤ ،
ياخزمية : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ٧٦ ، احمد دراج : إيضاحات جديدة
ص ١٩١ .

(٢) انظر ما سبق ص ١٨٥ وما بعدها .

(٣) الخزرجى : العقود ج ٢ ص ١٣ و ١٩ و ٢٣ و ٢٥ و ٣٤ و ٣٥ و ٤٠ -
٤٣ و ٤٤ و ٤٧ و ٤٩ ، المسجد ص ٣٩٦ ، ص ٣٩٨ و ٤٠١ و ٤١٠ و ٤١١ -
٤١٣ و ٤١٥ - ٤١٧ ، العقد الفاخر ج ٢ ص ٣٨ ب ، ٣٩ أ ب ، ابن الديبع :
قصة العيون ص ٩٣ أ - ، ٩٤ أ ب ، ياخزمية : تاريخ ثغر عدن ج ٢
ص ١٣٩ - ١٤٠ و ١٤٣ و ١٤٥ و ١٤٦ .

(٤) الخزرجى : العقود ج ٢ ص ٥٢ ، المسجد ص ٤٣١ - ٤٣٢ .

(٥) الخزرجى : العقود ج ٢ ص ٧٨ و ٨١ ، المسجد ص ٤٢٠ : ٤٢٢ ،
ياخزمية : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٤٧ .

أثناء إحدى زياراته لها سنة ٧٦٤ هـ ^(١) / ١٠٦٣ م .

ولم يفتر حزم الأفضل بن الجاهد من بعده في الاهتمام بتنشيط حركة التجارة في عدن ففي سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م توجه إلى عدن ، وتقدم أحوال التجار فيها ، ونشر العدل ، وأنعم على التواخيند وأبطل كثيرا مما أحدثته العمال ، وصار التجار تذكره بالجميل ونائله الجزيل إلى كل ناحية في البر والبحر ، ^(٢) .

وحذا السلطان الأشرف بن الأفضل الرسولي حذواييه وجده ، فتوجه إلى عدن سنة ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م ، وأبطل من المكوس المحدثه شيئا كثيرا ^(٣) . كما زارها مرة أخرى في سنة ٧٩٣ هـ ^(٤) / ١٣٩١ م .

وهكذا استطاع سلاطين بني رسول المحافظة على مكانة عدن التجارية ، فقد موا الكثير من التسهيلات للتجار ، وعملوا على تخليصهم من المظالم التي أنزلها بهم نوابهم في عدن . كما كان لعلاقاتهم بالدولة التجارية أثرها في استمرار الحركة التجارية في عدن والبحر الأحمر .

(١) الخزرجي : العقود ٢ ص ١٢٣ ، المسجد ص ٤٦٨ ، العقد الفاجر ٢ ص ٤٠ ب ، باخرمة : نقر عدن ص ١٤٩ .

(٢) الخزرجي : العقود ٢ ص ١٤٤ ، المسجد ص ٤٩٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٣ .

(٣) الخزرجي : العقود ٢ ص ١٧٠ ، المسجد ص ٥٠٣ ، باخرمة : تاريخ نقر عدن ٢ ص ٢١ ، أحمد دراج : ابصاحات جديدة ص ١٩٢ .

(٤) الخزرجي : العقود ٢ ص ٢٢١ ، المسجد ص ٥٣٣ .

خامسا : تجارة العبور ومرقف مصر ، اليمن منها :

٤٠ - جريد مصر في المحافظة على تجارة البعير الاحمر :

كان لتدهور العلاقات بين مصر واليمن ، وخاصة منذ أيام المؤيد الرسولي وما تبع ذلك من الإجحاف بمصالح التجار في ميناء عدن أثره في استشارة السلطان المملوكي . وقد تجاوز الموقف مجرد استنكار تلك الأعمال ، وأرسال الاحتجاجات شديدة الالهجة . إلى التلويح باستخدام القوة وإعداد الحملات العسكرية لوضع الأمور في نصابها ، والعمل على تأمين التجارة ، ولإلزام السلطان الرسولي بالانتظام في لارسال المقررات التي ألزم بها أسلافه لسلطان مصر (١) . غير أن بني رسول ازدادوا تسلطا على التجار ، واعترضوا السفارات المارة بـعدن في طريقها إلى مصر ، مما أغضب حكومات دول تلك السمارات ، فاضطرت إلى لارسال رسالها عن طريق الخليج الفارسي تجنباً للبرور بـعدن .

ففي سنة ١٢٨٢/٨٦٨٢م أرسل حاكم سيلان سفراءه إلى مصر عن طريق الخليج ، وأوضح في كتابه رفضه التعامل مع سلطان اليمن ، وأوضح للسلطان قلاوون المنتهجات التي تشتهر بها بلاده من محاصيل وصناعات وتحف وغيرها ، وعرض عليه الارتباط المباشر مع مصر تجارياً (٢) ، واستعداده

(١) انظر ماسبق ص ٤٠٠ وما بعدها .

(٢) بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ص ٩٠ - ١٤٢ ب - ١٤٣ أ ،

Heyl (W.) : Histoire du commerce du levant au Moyen age ,
T. I, pp. 424 - 4 6; Lane - Pool : A History of Egypt.
P. ٤81 .

لإرسال عشرين مركبا سنويا ، ولكنه ضاماً لسلامة تلك الشحنات طلب أن يرسل السلطان رسولا إليه (١) ، وأن يبعث بآخر إلى عدن ، خوفاً من أن يتعرض اليمنيون فيها لتلك السفن (٢) .

وإذا كانت المصادر لم تشر إلى موقف السلطان المملوكي من ذلك العرض ، إلا أنه يمكن القول أن السلطان قلاوون أصدر عدة أوامر تستهدف تأمين التجارة وحسن معاملة التجار ، مع منح تسهيلات كبيرة لترغيب التجار للوصول إلى الموانئ المملوكية ، وبدأ بإصدار تعليماته إلى نظاز التغيير بأمرهم بعدم الإجحاف بالتجار وحسن معاملتهم والعمل على تسهيل الأمور لهم (٣) .

ثم أتبع ذلك بمنشور أمان أصدره عام ٥٩٨٧ / ١٢٨٨ م وسيره مع التجار لينشروه في كافة البلاد التي يصلون إليها (٤) . ويهدف هذا المنشور إلى ترغيب تجار الصين والهند والسند واليمن والعراق والعجم والروم وغيرهم للتوجه ببعضهم إلى الديار المصرية والشامية ، مؤكداً لهم استعداده لتأمينهم على أموالهم وأنفسهم ، ضامناً لهم حسن المعاملة والعدل ورعاية مصالحهم (٥) .

(١) المقرئزي : السلوك > ١ ص ٧١٣ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى > ٨ ص ٧٧ - ٧٨ ، محمد جمال الدين مرور : دولة بني قلاوون ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

(٣) القلقشندي : نفس المصدر > ١١ ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

(٤) المقرئزي : السلوك > ١ ص ٧٤٢ .

(٥) القلقشندي : نفس المصدر > ١٣ ص ٣٤٠ - ٣٤٢ ، سعيد عاشور

مصر في عصر المماليك البحرية ص ٢١٠ .

ورعدم بتقديم كافة التسهيلات ، مع إتاحة الفرصة لمن يرغب في الإقامة منهم ، في تحقيق الراحة ورغد العيش ، وطلب منهم الاستكثار من جلب المالك الصغار (١) .

ويبدو أن هذه التجارة - تجارة المالك - قد تأثرت بسيطرة المغول على الطريقين الآسيويين ، طريق الخليج والطريق البري عبر آسيا ، مما جعل السلطان المملوكي يركز الاهتمام على جلب المالك باعتبار ذلك مطلباً أساسياً وملحاً تفرضه حاجة السلطنة المملوكية لزيادة عدد الجيش وتقويته بالعناصر الجديدة ، توطيدا للدعائم السلطنة وضماناً لاستمرار احتفاظها بقوتها .

لم تهتم المصادر ببيان رد الفعل الذي أحدثته هذا المنشور ، كما أنه ليس لدينا إحصائيات عن الرسوم المتحصلة من التجارة قبل إصدار المنشور أو بعده حتى يمكن أن نتبين منها مدى نجاح تلك السياسة . فغير أنه من المرجح أن النجاح كان ضئيلاً وغير ملموس لاعتبارات أخرى معاصرة يمكن إجمالها في النقاط الثلاثة الرئيسية الآتية :

أولها ، تتعلق بالجهود التي بذلها المغول لانهاش الطريقين التجاريين الآسيويين .

وثانيها ، تختص بتعاون الفرنج مع المغول لانفاق مصالحهما في القضاء على تجارة البحر الأحمر .

وثالثها ، ترتبط بسياسة المالك تجاه التجار ، وخاصة الفرنج ، وإرهاقهم بالرسوم الجركية .

(١) القلشندي : صبح الأعشى ٣ ص ٣٤٠ - ٣٤٢ .

فابتداء من أواخر القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) بدأ النشاط يدب فى الطريق البرى الآسيوى ، وازدهرت الحركة التجارية فيه نتيجة لقيام أباطرة المغول بتأمينه ، بحيث أصبح السالك فى هذا الطريق مطمئنا على نفسه وماله . كما قام المغول بمنح تسهيلات كبيرة للتجار ، وأقيمت لهم الفنادق على الطريق للراحة ، وخففت عنهم أعباء الرسوم الجمركية ، وسمح للتجار - ومنهم الفرنج - بالتنقل داخل الامبراطورية . وفى الموانئ إلى هرمز وقاليقوت وكولم وموانئ الصين نفسها . وهو أمر لم يكن سلاطين مصر يسمحون به لغير المسلمين ، أما تجار الفرنج فكان المالك يحددون ترحلهم فى إطار محدود لدواعى الأمن ، ومنعا من تحقيق الاتصال التجارى المباشر بينهم وبين أسواق التجارة الشرقية . زد على ذلك أنه لم يكن لهم وللمسيحيين عامة حق الإبحار فى النيل أو البحر الأحمر (٢) . تأمينا للمقدسات الاسلامية فى الحجاز كما اقتصر السماح للسفن العربية - كسفن مصر واليمن والأقاليم الاسلامية على الساحل الشرقى لإفريقية - بالملاحة فى البحر الأحمر (٢) .

فلما تمكن المغول من تأمين الطرق المارة بالمناطق التى يسيطرون عليها ، عملوا على تنشيط حركة التجارة فيها ، كما عمل لإبلخانات فارس على استعادة مكانة طريق الخليج الذى كانت حركة الملاحة فيه قد تأثرت . بسبب ازدياد

Thenaud (J) : Le voyage d' Outre Mer de Jean thenaud, (١)

p. 4 .

Neibuhr: Voyage en Arabie et en d' autres pays, T. I, (٢)

pp, 208 - 212 .

خطر القرصنة (١) . فبعد أن تمكن الإلمخانات من تطهير الخليج من القرصنة وتأمين الملاحة فيه ، اتبعوا سياسة جبركية مغربية (٢) ، وأغفوا بعض الأصناف من تلك الرسوم (٣) .

وقد وجد الصليبيون - في التعامل التجاري مع المغول عبر الطريقين المشار إليهما - فرصة لفرض الحصار الاقتصادي على مصر تنفيذًا للقرارات البابوية (٤) التي تجددت بعد سقوط مكا في أيدي المماليك سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م (٥) ، وعجز القوى الصليبية عن استعادتها . ومن ثم تحولوا إلى التعاون مع القوى المغولية للقضاء على تجارة البحر الأحمر (٦) . وهكذا تطورت الحروب الصليبية إلى حرب اقتصادية بمقاطعة الموانئ المملوكية ، وتعاون الفرنج - وخاصة الجنوبيين - مع الختان أرغون لتحويل التجارة إلى الخليج الفارسي ، وذلك بإرسال بعض السفن في سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م عبر

(١) أحمد دراج : ايضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر

ص ١٨٧ - ١٨٨ ،

Wilson : The Persian Gulf , pp. 82 - 87 .

Heyd : Histore, de Commcrece T. 2, p. 118 . (٢)

Heyd : op cit., p. 132 . (٣)

Thenaud : Le voyage; p. 4 . (٤)

(٥) أبو الفدا : المختصر ص ٤ من ٣٥ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ص ٨ من ٥ وما بعدها ، محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون ص ٢٤٢ - سعيد ماثور : العصر المماليكى ص ٧٤ ، الأيوبيون والمماليك ص ٢٦٣ ، مصر في عصر دولة المماليك البحرية ص ٢١٣ .

Heyd : op. eit. T. 2, p. 35 . (٦)

في الخليج الفارسي - بالاشتراك مع الجنوبيين - إلى المحيط الهندي لفرض الحصار على عدن ، واعتراض السفن التجارية المتجهة إليها ، وإجبارها على الدخول في الخليج ، وبذلك يتم قطع الطريق المصري إلى الهند عبر البحر الأحمر (١) . ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، وإنما امتد التفكير إلى إنشاء عدد من السفن لاستخدامها في نقل البضائع الشرفية من مصادرها رأساً إلى الخليج الفارسي ، مع منع السفن الأخرى من التوجه إلى عدن . وتنشيط الحركة التجارية في الخليج عمل الإيلخان المغولي على إنشاء ميناء جديد بدلاً من هرمز لمقاومة الزيادة في الحركة التجارية (٢) .

والواقع أن السياسة الجبركية التي اتبعتها الممالك كان لها أبعاد الأثر في : إضافة أهمية البحر الأحمر ، وساعد على انعاش الطريق التجاري عبر الخليج ، لتفضيل التجار ، وخاصة الفرنج ، استخدامه والتعامل مع القبول ، خاصة بعد استيلاء الممالك على عنكا ، وارتفاع الرسوم الجبركية في الموانئ المملوكية بحيث بلغ ما يسدده تجار الفرنج من رسوم ما يصل مقداره ثلثي قيمة البضائع

Ferrand (G.) Une Navigation Européenne dans (١)
 l' Océan Indien au 14 eme siècle (J. Asiat. 1922, T. 20) p.
 309, Pratiann (G.I.) : Recherches sur le Commerce
 Genoïse dans la Mer Noire au 13 eme. Siècle (paris , 1929)
 p. 1٥8, Lewis (Bernard) : Egypt and Syria . (Camb. Hist.
 of Islam) vol. I, p. 223 .
 Heyd : op: cit T.٢, p. III - (٢)

أحياناً^(١)، مما كان مثار احتجاج هؤلاء التجار ودافعا لهم على ترك التعامل مع الموانئ المملوكية، والتوجه إلى الطرق التجارية التابعة للمغول لما يلاقونه من تسهيلات كبيرة لديهم.

وأمام خطر انهيار التجارة الشرقية في البحر الأحمر، اضطر السلطان المملوكي إلى تعديل سياسته بهدف استعادة النشاط التجاري مرة أخرى. فقام السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإغراء التجار الفرنج والبنادقة بوجه خاص على العودة إلى التعامل مع الموانئ المملوكية^(٢)، فكان للتسهيلات التي منحها لهم وللجنوبيين أثرها في كسر الحصار الاقتصادي الذي فرضته البابوية على مصر^(٣).

أما مغول فارس، فقد عمل الناصر محمد على توجيه ضربة لهم والانتقام منهم، لموقفهم العدائي من الممالك، وتعاملهم مع الصليبيين لضرب مصر اقتصاديا. فحاربهم السلطان الناصر وانتصر عليهم بالقرب من حمص في سنة ١٢٨١هـ / ١٢٨٢م.

ومن الجدير بالذكر أن السلطان محمد بن طغلق^(٥)، انتهز فرصة العداء القائم بين الممالك ومغول فارس وأرسل سنة ٧٣١هـ / ١٣٣١م سفارة مصرية

(١) Heyd : op. cit., T. 2, p 25 .

(٢) Heyd : op. cit . T.2 p. 40 Wiet : L' Egypte / rabe.

p. 501 .

(٤) Heyd: op. cit , T. 2 p 49 .

(٣) بيمبرس الدوادار : زبدة الفكرة > ٩ ص ١١٣ ب ، محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون ص ١٦٣ .

(٥) هو السلطان غياث الدين أولوغ خان محمد جتاي بن طغلق (٧٢٥-١٧٥٢هـ).

التوبري : نهاية الأرب > ٣١ ص ١٥ .

إلى الناصر محمد بن قلاوون ، عن طريق الخايج الفارسي (١) ، تفاديا لاعتراض السلطات اليمنية لها (٢) . ورغم أن المصادر لم تشر إلى أسباب تلك السفارة وما أسفرت عنه من نتائج ، إلا أنها قد تكون من أجل التحالف مع المماليك ضد إيلخانات فارس ، والقيام بعمل عسكري مشترك للقضاء على دولتهم (٣) . غير أن ذلك جاء في فترة كانت العلاقات فيها بين المماليك والدولة الإيلخانية قد تحسنت ، وخاصة في عهد الإيلخان بوسعيد (٤) . أضف إلى ذلك أن اشتراك المماليك في مثل هذا العمل من شأنه أن يؤدي - بعد القضاء على دولة الإيلخانات - إلى زيادة نشاط التجارة في طريق الخليج ، وهذا لا يتفق ومصلحة السلطنة المملوكية ، التي كانت تعمل على زيادة النشاط التجاري للبحر الأحمر على حساب الطرق التجارية الأخرى ، وهو ما بدت بشائره في الظهور بعد وفاة الإيلخان بوسعيد سنة ٨٧٣٧/١٢٣٥م . واضطراب الأحوال الداخلية في بلاده من بعده ، ونشل خلفائه في إستعادة الأمن لهذا الطريق (٥) .

(١) المقرئزي : السلوك ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٢) انظر ما سبق ص ٤٣٧ .

(٣) محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون ص ١٤٠ - ١٤١ .

Lane - Poole : A History of Egypt, p. 310 .

(٤) انظر المقرئزي : السلوك ج ٢ ص ٢٠٩ و ٢١٢ ، محمد جمال الدين سرور :

نفس المرجع ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٥) المقرئزي : نفس المصدر والجزء ص ٤٠٤ - ٤٠٦ ، محمد جمال الدين

سرور . نفس المرجع ص ٢١٢ - ٢١٣ .

Howorth : A History of Mangols, vol III, pp. 634 - 640.

Browne : A Literary History of persia, vol : III, pp.

57 - 58 .

٢- تدهور ميناء عدن واحلال ميناء جدة مكانته في حركة التجارة العالمية :-

ليس من شك في أن سلاطين بني رسول بتأمينهم لحركة الملاحة في المحيط الهندي ، وارتباطهم مع الدول التجارية في آسيا بملاقات ودية كان تدميل لحركة التجارة في عدن فأسهموا من ناحيتهم في انتعاش تجارة البحر الأحمر العالمية . على أن تدهور علاقاتهم بسلاطين مصر ابتداء من عهد المؤيد بن المظفر ، وإجحافهم بمصالح التجار وإرهاقهم لهم بالضرائب ، وتقديمهم للملوكية باعتراض السفارات الواصلة إلى عدن في طريقها إلى مصر ، وإقدامهم على انتهاب الهدايا وقتل الرسل ، وقيامهم بتجريد أشراف مكة إلى الخروج عن طاعة السلطنة المملوكية ، ومنعهم للسفن من التوجه إلى جدة ، أو شحن المراكب التجارية بالمقاتلة بحجة حمايتها من طغيان أشراف مكة (١) ، كل ذلك كان من شأنه أن يهدد أمن التجارة في البحر الأحمر ، ويتناقض مع ما كانت يبذله سلاطين المماليك من جهود لتأمين حركة التجارة ، والاحتفاظ بازدهار هذا الطريق وتنشيط حركة للتجارة العالمية فيه ، والقضاء على منافسة الطرق التجارية الأخرى .

وقد واصل سلاطين آلين اصطناع سياستهم التعسفية مع التجار ، ووجه سياسة ازدادت حدتها مع بداية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، فقد أساء السلطان الناصر أحمد الرسولي إلى التجار حتى أرغهم على الفرار من عدن ، والاتجاه إلى جدة والهندومليبار ، تخلصا من المظالم التي كانوا يعرضون

(١) العاصي : العقد الثمين ج ١ ص ١٧١ .

لها . فانتقم للناصر الرسولى منهم باستصحاء ما لهم من أموال وأملاك في عدن^(١) .
 وأيا ما كان الأمر ، فقد تأثر مركز عدن التجارى بسبب تلك الإجراءات ،
 وتدهورت أحوال تلك المدينة وانقطعت المراكب الواصلة إليها من الهند وغيرها^(٢) .
 ويمكن القول بأن سفارة ملك الصين التي وصلت في سنة ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م
 إلى اليمن ، كانت تستهدف لإقناع الناصر أحمد بحسن معاملة التجار^(٣) .

على أن تمدى السلطان الرسولى في سياسته كان دافعا لأحد تجار قالقوط
 ويدعى الخواجه ابراهيم ، وكان من كبار التجار الذين يترددون بمراكبهم
 على عدن ، بالقيام بمحاولة جريئة تعتبر بداية لمرحلة هامة في تاريخ تجارة
 البحر الأحمر ، وكان هذا التاجر قد حصل عليه بجور في ولاية عبد الرحمن
 ابن جميع على عدن ، وذلك آخر أيام الناصر بن الأشرف^(٤) ، ولهذا قرر
 عدم التوجه إلى عدن ، وواصل سنة ٨٢٥ هـ / ١٤٢٢ م تقدمه إلى باب المندب .
 متجاوزا عدن ، وتوجه رأسا إلى جدة، فلما أرمى بمراكبه فيها ، قام شريف
 مكة حسن بن هجلان بمصادرة ما معه من بضائع^(٥) ، وباعها لصالحه
 وبالأسمار التي حددها للتجار^(٦) . ولكن ما حدث لم يفت في عضد التاجر

(١) بانخرمة: تاريخ نجر عدن ج ١ ص ١٢ ، قلادة النجر ج ٣ ص ١١١٣ .

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٥٦١ .

(٣) انظر ما سبق ص ٤٣٥ - ٤٣٧ .

(٤) بانخرمة: قلادة النجر ج ٣ ص ١٠٠٣ .

(٥) المقرئى : السلوك ج ٤ ص ٦٨١ ، أحمد دراج : ايضاحات جديدة

ص ١٨٧ .

Wiet : L'Egypte Arabe, p. 573.

(٦)

الهندي ، وصمم على الاستمرار في بذل محاولاته ، وعاد في العام التالي ، ولكنه في هذه المرة توجه إلى سواكن ودهلاك غير أنه لم يكن أسعد حالا من المرة السابقة ، ولقد نفس المصير (١) . ورغم كل ذلك فقد كرر التاجر ابراهيم محاولته للمرة الثالثة سنة ٨٢٧ هـ / ١٤٢ م ، وأراد تجرئة التعامل مع ميناء ينبع ، ولكن الأمير قرقاص الشعاني - أحد أمراء الألوف - أقنعه بالرسو في جدة ، فتوجه إليها في مركبين ، فعومل معاملة حسنة رغبتة في العودة إليها مرة أخرى في العام التالي بأربعة عشر مركبا (٢) .

وكانت محاولات التاجر ابراهيم فرصة سانحة استغلها السلطان المملوكي برسباي ، للتعامل مباشرة مع تجار الشرق ، وهو نفس التخطيط الذي سبق أن عرضه حاكم سيلان على السلطان برقوق سنة ٦٨٢ هـ ، وما أعقبه من قيام هذا السلطان باصدار منشوره المعروف سنة ٦٨٧ هـ ، لترغيب التجار في الوصول إلى الموانئ المملوكية (٣) وهو ما تحقق على يد التاجر ابراهيم بعد قرن ونصف قرن من الزمان .

ومهما يكن من شيء فقد أدرك برسباي أهمية وصول السفن الهندية إلى ميناء جدة ، وعمل على تحصيل الرسوم المستحقة على تلك البضائع لخزائنه ، وخشية أن يتعرض شريف مكة لتلك الرسوم ، أرسل برسباي قوة مملوكية

(١) المقریزی : السلوك ج ٤ ص ٦٨١ ، أحمد دراج : ايضاحات جديدة

ص ١٨٧ .

(٢) المقریزی : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣) أنظر ما سبق ص ٤٤٦ - ٤٤٨ .

يرافقها سعد الدين بن المرة لتحصيل المكوس المستحقة على تلك السفن (١). وكان نجاح التاجر الهندي ابراهيم في محاولاته للتعامل مع ميناء جدة ، حافظه للوصول إليها بأعداد أكثر من السفن ، فقام بتشجيع تجار الهند على عدم التعامل مع عدن وجمع نحو سبعة وعشرين مركبا وصل بهم عام ٨٢٩هـ / ١٤٢٦ م إلى جدة (٢) ، كما اقتدى به تجار هرمز وغيرهم بحيث بلغت عدة المراكب التجارية التي وصلت إلى جدة في ذلك العام أربعين مركبا (٣) . فازدهرت جدة وأصبحت بندرا عظيما (٤) ، كما أصبح د نظر جدة وظيفة سلطانية ، يخلع على متوليها ، (٥) ، ويختص هذا الناظر بتحصيل الرسوم البحرية ، والعودة بها بعد الموسم إلى القاهرة ، وقد بلغ مقدار تلك المكوس أكثر من سبعين الف دينار ، سوى ما لم يحتمل « (٦) .

(١) المقرئى : نفس المصدر والصفحة .

(٢) باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٠٣ .

(٣) العاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢١٠ ، المقرئى نفس المصدر والجزء

ص ٧٠٧ - ٧٠٨ .

(٤) المقرئى : نفس المصدر والجزء ص ٦٨١ ، ابراهيم على طرخان :

مصر في عصر المماليك الجراكسة ص ٨٨٦ ، ٨٨٨ .

Wiet : op. cit. pp. 574 - 76, Lane - Poole : op. cit. p. 340

(٥) الجزرى . درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة -

مخطوط رقم ٣٧ م بدار الكتب - ص ٢٩٢ .

(٦) المقرئى : نفس المصدر ج ٤ ص ٧٠٧ - ٧٠٨ ، وذكر ابن شاهين

أن متحصلها مائتا ألف دينار (زبدة كشف الممالك ص ١٤) .

أما عدن فقد بطل أمرها « إلا قليلا » (١) ، وفي محاولة لاستعادة مكانة عدن التجارية ، قام المنصور عبد الله الرسولي بإزالة المظالم ، والعمل على التخفيف عن كاهل التجار ، ولكن تلك المحاولة لم تؤد إلى عودة السفن للتعامل مع عدن (٢) . وبلغ من ضعف تلك المدينة أن توجهت إليها سفينتان صينيتان في سنة ٨٣٥ هـ / ١٤٢٢ م فلم يتيسر تصريف حمولتها من البضائع ، مما اضطر قائد السفينتين إلى مراسلة ناظر جدة - سعد الدين بن المرة - فأذن له في التقدم إلى جدة ، بعد أن وافق السلطان برسباي على ذلك (٣) . فكانت تلك هي المرة الأولى التي وصلت فيها السفن الصينية (الجنوك) إلى البحر الأحمر ، وبداية التعامل المباشر مع الصين (٤) .

ويرجع سبب اقبال السفن على جدة إلى تلك المحاولة التي بذلها السلطان الرسولي الظاهر يحيى لاستعادة مكانة عدن التجارية ، إذ أصدر أوامره إلى نائب عدن بتجهيز السفن وشحنها بالمقاتلة والسلاح لرصد المراكب الهندية عند باب المنذب ، ومنعها من مواصلة الإبحار إلى جدة وإجبارها على التوجه إلى عدن ، فلما ظفروا ببعضها دخلوا بها عدن تحت التهديد وقامت الساطات

(١) المقرئى : نفس المصدر والجزء ص ٦٨١ .

(٢) باشخرة . قلادة النحر ج ٣ ص ١١٠٣ .

(٣) المقرئى : السلوك ج ٤ ص ٨٧٢ - ٨٧٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم .

١٤ ص ٣٦٢ .

(٤) De La Roncière : (ch.) : Le decouverte de l'Afrique (٤)

au Moyen Age, T.II, p. 118, Lewis (B.) Egypt and Syria, p. 224.

اليمنية بمصادرة حمولتها من البضائع (١) . وقد آتار هذا التصرف السلطان برسبي الذي وجد في إرغام السفن على استخدام ميناء عدن ضياعا للعبائع الطائلة التي تدفقت على خرائئه نتيجة وصول مراكب الشرق مباشرة إلى جدة، ومن ناحية أخرى اعتبر هذا التصرف من السلطان الرسولي تمديدا لشخصية له ، ولذلك سارع بتهديد السلطان الرسولي باحتلال بلاده ، فلما أحس الظاهر الرسولي باستعدادات السلطان المملوكي لاستخدام القوة (٢) ، أمرع بالتخلي عن محاولاته ، وتعهد بعدم التعرض للسفن مرة أخرى نارا كما لها حرية الرسو في الموانئ التي تختارها (٣) .

ومن أجل الحفاظ على المركز التجاري الجديد لبناء جدة ، فرض السلطان برسباي حصاراً اقتصادياً على عدن ، بما يضمن عدم رسو السفن فيها أو التعامل التجاري مع اليمن ، فقد أصدر سنة ٨٣٨ هـ / ١٤٣٥ م مرسوماً يقضي بمصادرة البضائع اليمنية المصدرة من عدن إلى جدة مع تجار يمنيين ، ومضاعفة العشور على تلك البضائع إذا وردت عن طريق اليمن مع التجار الشاميين أو المصريين (٤) .

وهكذا أقفرت عدن وانخفضت متحصلات سلطانها من الرسوم الجركية (٥) ، ذلك أنه كلما قلت أهمية عدن زادت معها أهمية جدة التي أصبحت من أهم موانئ التجارة العالمية ، في حين أهملت عدن وتعرضت للتخراب خاصة بعد

(١) باخمرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٠٥ .

(٢) ابن شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك ص ١٣٧ .

(٣) المقریزی : السلوك ج ٤ ص ٩٣٩ .

(٤) Heyd: op, cit T.2, p. 445 .

(٥) المقریزی : نفس المصدر والمصفحة .

احتراقها في سنة ٨٤١ هـ^(١) / ١٤٣٧ م - ٣٨ ، فقدد بنو رسول بذلك مورداً هاماً طالما أعانهم على مواجهة المشكلات الاقتصادية والعسكرية التي اعترضتهم طوال حكمهم ، فكان لانهباء اقتصاد بني رسول أثره الكبير في ضعف دولتهم^(٢) وسقوطها سنة ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤ م .

(١) المقرئى : نفس المصدر والجزء ص ١٠٢٢ .

(٢) المقرئى : نفس المصدر والجزء ص ١١٥٣ .

الفصل الخامس

العلاقات الخارجية في عصر بني طاهر

استطاع بنو طاهر - بحكم كونهم نوابا لبني رسول - استغلال الظروف، السيئة التي كانت تمر بها دولة بني رسول ، وتمكنوا من الاستيلاء على حكم اليمن من بعدهم . أما فيما يتعلق بالملاقات اليمنية الخارجية في عهدهم ، فقد انتهج سلاطين تلك الدولة سياسة انطوائية تجنبنا للدخول في صراعات خارجية ، وفي وقت كانوا يحتاجون فيه إلى مضاعفة الجهود والتركيز لتوطيد دعائم دولتهم، وتحقيق سيطرتهم الكاملة على اليمن .

أولا :- العلاقات بين اليمن والحجاز :

سادت العلاقات بين اليمن والحجاز في أواخر عهد دولة بني رسول بسبب إقدام أشرف مكة على نهب التجار والحجاج اليمنيين (١) . ولذلك عمد تجار اليمن إلى التوجه بسفنهم إلى ميناء ينبع تفاديا للأضرار التي كانوا يتعرضون لها في ميناء جدة (٢) . ولما كان تحول السفن من جدة إلى ينبع من شأنه أن يفقد الشريف حسن بن عجلان أمير مكة قدرا كبيرا من الرسوم الجمركية، لذلك لم يتردد هذا الشريف في بذل قصارى جهده لتأمين التجار ، كما تعهد بحسن معاملتهم . والظاهر أنه نجح في ذلك ، فلم يلبث أن عاد هؤلاء

(١) الفاسي : العقد الثمين ج ٢ ص ٣٢ ، ص ٣٢٦ - ٣٢٥ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢ - ٤٤٢

ج ٤ ص ٦٩ - ٧٠ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ج ٢ ص ٤٦٦ .

التجار إلى استخدام ميناء جدة من جديد^(١). غير أن تلك السياسة لم ينجح لها أن تستمر ، فقد توترت العلاقات مرة أخرى نتيجة لاستيلاء الشريف حسن ابن عجلان على أموال تجار اليمن ، وتعسف عماله مهمم . مما أغضب السلطان الرسولي الناصر أحمد ، فعاد إليه منح السفن اليمنية من استخدام نهر جدة ، كما أمر بقطع هدية الحبوب التي كانت ترسل سنوياً إلى مكة ، وشجع الصراع على إمرة مكة ، واستقدم الشريف رهينة بن محمد بن عجلان وبالغ في إكراهه وزوده بالأموال وأعاناه في صراعه ضد عمه الشريف حسن بن عجلان بهدف انتزاع مكة منه^(٢).

وعلى الرغم من ذلك فيبدو أن حالة من التحسن النسبي قد طرأت على العلاقات^(٣) اليمنية المسكية لليعة لتلك الاجراءات الأدبية ، إلا أن نجاح السفن الهندية والصينية في التوجه رأساً إلى جدة ومقاطعة نهر عدن ، أدى إلى توتر العلاقات من جديد بين سلاطين اليمن وأشرف مكة . ومنذ أن استبد الضعف بدولة بني رسول أخذت مناطق كثيرة من الأطراف تنسلخ عنها ونشق عصا الطاعة عليها. لاسباب المنطقة الشمالية من تهامة المتاخمة للحدود الجنوبية للحجاز التي استقل بها حكامها . وقد استفاد اشرف مكة من ذلك ، وأخذوا من تلك المنطقة اليمنية ملجأ يفرون إليه إذا ما نشب خلاف بينهم وبين السلطان المملوكي وطاردتهم قواته ، مثلما حدث للشريف حسن بن عجلان الذي التجأ في ٨٢٨ هـ / ١٢٢٥ م إلى حلي بن يعقوب . ومن ناحية

(١) القاسمى : العقد الثمين - ٢ ص ٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٦ .

(٢) القاسمى : العقد الثمين - ٢ ص ٤٨٨ - ٤٨٩ ، ٤٩٧ ، ٩٩ .

(٣) القاسمى : العقد الثمين - ٢ ص ٥١٢ .

أخرى فقد ساعد ضعف بنى رسول على دفع أشراف مكة إلى اقتطاع أجزاء من اليمن ، ففي أواخر ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢ م استولى الشريف بركات بن حسن بن عجلان على مدينة حلي وأناب فيها ولده (١) .

ومنذ أن طهر بنو طاهر بالسلطنة وتمكنوا من تأسيس دواتهم ، أخذوا يذتهجون سياسة انزاله هدفها التفرغ للشؤون الداخلية ، والانصراف ولو إلى حين من الاهتمام بالأمر الخارجية من أجل تأكيد تفوذم في البلاد وإقرار الأوضاع الداخلية في اليمن ، ولولا حركة التبادل التجاري التي نشطت نسبيا في عهدم لعاشت بلاد اليمن - في فترة قيام دواتهم - في عزلة تامة ، ومن المعروف أن ازدياد حركة التجارة البحرية في جدة ، لم يعرقل حركة الملاحة التجارية في نجرهـن ، ويرجع الفضل إلى السياسة التي انتهجها بنو طاهر في تنشيط الحركة التجارية بهذا النفر من جديد ، مما أدى إلى عودة بعض السفن التجارية للتعامل معه ، ومن الجدير بالذكر أن بنى طاهر صرفوا جانبا كبيرا من اهتمامهم على التجاره (٢) ، وكان تجار اليمن يخشون من النتائج التي يمكن أن تترتب على انزاعهم البلاد من بنى رسول ، إذ أنه لو تحمق ذلك لأمكنهم أيضا أن يستولوا على التجارة لأنفسهم وأن يجعلوا عدن ذرية للقوة ، لأنهم نشأوا على التكسب والتجارة ، وعرفوا فيها من المصالح ، فلا يتركو ذلك . والسلطان إذا تعلق بالتجر أبطل متجر التجار وتعطل عليهم الكسب (٣) .

(١) ابن نقرى بردى : حوادث الدهور ص ١٣٧ ، السخاوى : التبر

المسبوك في ذيل السلوك ، نشر أحمد زكى ، القاهرة ١٨٩٦ ، ص ٣٩٤ .

(٢) باخرمة : تاريخ نقر عدن ج ١ ص ١١٧ .

(٣) باخرمة : فلاة النهر ج ٣ ص ١١١١ .

وأيا ما كان الأمر فإن اهتمام بني طاهر بالتجارة كان عظيماً ، إذ عملوا على زيادة النشاط التجاري في عدن لارتباط ذلك بتدعيم دوائهم الناشئة ، فكلما زاد إقبال السفن على عدن ، كلما حقق ذلك عائداً أكبر ، يمكنهم استخدامه في تثبيت دعائم تلك الدولة الناشئة . ولهذا تردد سلاطين بني طاهر على عدن لتفقد حركة التجارة فيها ، وأولوها رعايتهم (١) ، وتنافس التجار والنواخذ في التقرب إليهم بالهدايا النفيسة ، وكان السلاطين يجزؤونهم الجوائز السنوية لتشجيعهم على العودة (٢) . وأدى اهتمام بني طاهر بتنمية تجارة عدن إلى هودة التبادل التجاري بينها وبين جدة ، فقد أخذ تجار اليمن يقصدونها بصفة منهم ، ولم تلبث العلاقات الطبيعية بين اليمن والحجاز أن استؤنفت من جديد . ففي ٨٦٨ هـ / ١٤٦٤ م أرسل الشريف محمد بن بركات أمير مكة ابن عمه الشريف إدريس بن قاسم بن حسن بن عجلان في سفارة إلى اليمن ، فاستقبله والي زيد استقبالا حسنا وأكرم وفادته (٣) ، وأعطاه من الذهب والفضة والثياب والخيل جملة مستكثرة (٤) ، ثم توجه إلى السلطان الظافر عامر الأول ، ففعل معه أكثر من ذلك (٥) .

ومما هو جدير بالذكر أن ثورات قبائل المعاربة والقرشية وبني حفيص

-
- (١) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٥٩ ، قررة العيون ص ١٣١ ب ،
 يا مخزومة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٦٨ ، ص ١١٧١ .
 (٢) يا مخزومة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٨٩ .
 (٣) يا مخزومة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٢٨ .
 (٤) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٥ ، قررة العيون ص ١٢٣ (أ) .
 (٥) يا مخزومة : قلادة النحر ج ٤ ص ١١٢٨ .

شمالى زبيد ، جعل تلك القبائل تشكل حاجزا بين زبيد ومناطق تهامة الشمالية، ولهذا لم يتمكن صلاطين بنى طاهر من السيطرة على تلك المناطق ، فاستقل ولايتها بحكمها مثل مدينة جازان التي كانت تحت حكم الشريف أبو الغواير أحمد بن دريب بن خالد ، ثم انتزها منه الشريف محمد بن بركات ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ م ومدينة حلى بن يعقوب التي وقعت تحت سيطرة شريف مكة منذ أن استولى عليها الشريف بركات بن حسن بن عجلان ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢ م .

أما عن الأسباب التي دفعت الشريف محمد بن بركات للاغارة على جازان والاستيلاء عليها ، فترجع إلى ما كان قائما بينه وبين ابن أخيه ابراهيم من خلاف ومنافرة ، دفعت ابراهيم إلى قصد السلطان الملك الأشرف قايتباى . ومرض الأمر عليه . وعلى الرغم من تحموز الشريف محمد بن بركات لذلك ، واتخاذ كل وسائل الحيلة لمنع من تنفيذ خطته فإن الشريف ابراهيم استطاع الوصول إلى جازان وهناك ساعده صاحبها ابن دريب فى الوصول إلى سواكن ومنها إلى مصر (١) . فكان لذلك أثره فى اغضباب الشريف محمد بن بركات أمير مكة ، فجهز حملة أعارت على جازان (٢) ورغم المحاولات التي بذلت للصالح إلا أن شريف مكة أصر على الحرب فكانت بين الجانبين موقعة كبيرة (٣) انتهت بهزيمة صاحب جازان ومقتل عدد كبير من عسكره ، واستيلاء الشريف محمد بن

(١) باخرمة : قلادة النهر ج ٣ ص ١١٤١ .

() وذكر De Gaury (أن هذه الغزوة كانت لسبب غير معروف)
(Rulers of Mecca , p . 102)

(٣) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٢٢ ، قرّة العيون ص ١٢٧ ب ، يحيى ابن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٠٩ ، الكبسي : اللغات ص ٢٢٥ .

بركات على بلاده فقام رجاله بنهب مدينته جازان وأشعلوا فيها النيران (١) ، وهدموا سور المدينة وخرّبوا دور صاحبها (٢) . وكان صاحب جازان قد تمكن من الفرار ، وأرسل ابنه إلى السلطان الطاهري المجاهد على في عدن ليدل الطاعة له ، وطلب معاونته في استعادة بلاده ، فأ نعم عليه المجاهد وأمدّه بمال كثير (٣) .

وفي نفس الوقت خشي السلطان المجاهد أن تكون هزيمة صاحب جازان دافعا للشرىف مجد بن بركات على مواصلة العوغل جنوبا ، مستغلا في ذلك تمرد القبائل الطامعة في الاستيلاء على زبيد ، ولما كان يفتقد القدرة على مواجهة هذا الموقف بحكم ظروفه الدقيقة التي تمر بها دولته فقد رأى أن يخاطب قايتباي سلطان مصر الذي كانت له الكلمة على شريف مكة . ولهذا السبب قرر أن

(١) كادت المعركة تنتهي لصالح صاحب جازان ، فلما رأى الشرىف مجد بن بركات ذلك ، وكان معه كمية من الدراهم كان قد طلاها بالذهب بحيث لا يشك من براها أنها دنانير ذهب ، وخاصة العرب ، الذين لا يميزون بين وزن الذهب وخفة الفضة ، فقام يهث هذه الدراهم في عسكر صاحب جازان حتى أفسدم عليه فتخاذلوا عنه (باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١٤١) فلما انتصر الشرىف مجد بن بركات أباح انتهاك الحرمات في جازان « وانكشفت بها العورات وجرى على نساء صاحب جازان من الذل والاهانة وكشف الحجاب ما لم يكن لأحد في حساب » (ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٢٢ ، باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١٤١) .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٢٢ ، قرة العيون ص ١٢٧ ب

De Gaury : Rulers of Mecca, p. 109.

(٣) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١١٣ .

ويخطب وده فأرسل إليه هدية سنوية وكتب إليه متشفعا في الشريف
أخي الغواير أحمد بن دريب ، ورجاه أن يمنع شريف مكة من العودة إلى مهاجمة
جلوزان . فاستجاب له السلطان المملوكي وأرسل إلى الشريف محمد بن بركات
بأمره بعدم العودة إلى الاغارة عليها ، وكتب إليه يقول ، إن « جازان بلدنا ،
رسالتنا تصدقنا على الشريف أحمد بن دريب ، فلاك إليه اعتراض بعد هذا » (١) .

وهكذا كان لموقف السلطان قايتباي أثره في توقف نشاط الشريف محمد
بن بركات ، وكف يده عن القيام بأعماله الحربية لليمن ، ويتضح ذلك من
حوقف هذا الشريف من الصراع الذي نشأ على عرش السلطنة بين السلطان
المنصور عبد الوهاب وبين أبناء عمه ، ففي ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م توجه يوسف
بن عامر إلى مكة وطلب معارضة الشريف محمد بن بركات ضد السلطان
المنصور عبد الوهاب ولكن شريف مكة اعتذر بعدم إمكانه بذل المساعدة (٢) .
واستمرت العلاقات الطيبة تسود البلدين الشقيقين في عهد السلطان الطاهري
الظافر عامر الثاني ، ففي صفر ٨٩٧ هـ / ديسمبر ١٤٩١ م وفد الشريف رميته
بن بركات - أخو الشريف محمد بن بركات - إلى زيد فاستقبله واليها استقبالا
حسنا وأكرم وفادته ، ثم أرسله لمقابلة السلطان الظافر عامر الثاني الذي بالغ
في إكرامه والترحيب به وأنعم عليه (٣) .

(١) باخرمة : قلادة النجر ح ٣ ص ١١٤١ .

(٢) انظر الفصل الثالث ص ٢٧١ - ٢٧٤ .

(٣) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٦٢ : باخرمة : قلادة البحر ح ٣

ثانيا - العلاقات مع الحبشة :

جرى ملوك الحبشة على اتباع سياسة قوامها معاداة للعناصر الاسلامية . ويتجلى ذلك بوضوح في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) عندما دخل ملوكها في مجال الصراع الصليبي ، فاشتدت وطأتهم على المسلمين في بلادهم من جهة كما بدأت اتصالاتهم بالفرنج لضرب مصر ، قاعدة النضال و حماية حى الاسلام والمسلمين من جهة ثانية .

لم يكتف ملك الحبشة اسحاق بن داود (١٤١٤ - ١٤٢٩ م) باضطهاد المسلمين في بلاده والتنكيل بهم ، بل قام بمراسلة ملوك الفرنج للتحالف معهم ضد المسلمين ، واعداد حملة صليبية مشتركة ضد مصر ، بحيث تقوم جيوش الفرنج بمهاجمتها من الشمال ، وتغولي جيوشه مهمة الإطباق عليهما من الجنوب . ولما كان هذا الاتفاق مجرد مشروع لم يدخل بعد في حيز التنفيذ ، فقد تيقن الملك زرع يعقوب (١٤٣٤ - ١٤٦٨ م) هذه السياسة وتوسع في تنفيذها . وعاد مراسلة ملوك الفرنج ، وخاصة الفونسنوالخامس (١٤٤٦ - ١٤٥٨ م) ملك أرغونة المشهور ببعصه وعدائه للمسلمين . ولم يكتف زرع يعقوب بذلك بل أراد الخروج من الكنيسة المصرية والارتباط بكنيسة روما ، وفي سنة ١٤٣٩ هذه الغاية أرسل راهبين لحضور مجمع فلورنسة ١٤٢٩ م الخاص بالنظر في

(١) المقرئى : الامام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ص ٤٤
 عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب ص ١٨٢ - ١٨٣ ، سعيد عاشور :
 بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى .
 المجلة التاريخية سنة ١٩٦٨ ، ص ٣٣ .

توحيد الكنيستين الغربية والشرقية (١) . كما سمح البابا باقامة دير حبشى في
روما (٢) .

وقا كان زرع يعقوب حريصا على سرية تحركاته فقد تظاهر بتمسكه الشديد
بالعلاقات الطيبة مع مصر فاصدا بذلك التوجه على سلطانها . ففي عام ١٨٤٧ /
١٤٤٣ م أرسل ملك الحبشة هدية إلى السلطان جقمق يطلب إليه حسن معاملة
تصاري مصر ولم يخل كتاب ملك الحبشة من اتهامات عن سوء معاملة التصاري
ففي مصر ، والتهديد بتحويل مجرى النيل ، ومنع المياه من الوصول إلى مصر .
وهي الرض من عبارات الاتهام والتهديد التي وردت في كتابه ، فإن السلطان
جقمق كان معتدلا في مسلكه مع رسل زرع يعقوب ، وجهد معهم أحد
برجالته هو يحيى بن أحمد بن شاد بك ، برسالة وهدية ردا على سفارة ملك الحبشة ،
ولكن رسالة جقمق لم ترق لملك الحبشة ، لذلك أساء معاملة فاصدة ولم يسمح
بإعادته والعودة واحتجزه وتمرده ، وكانت قواته قد أغارت على إمارة عدل الاسلامية
وهو يظهر حسكره بأمرها شهاب الدين بن سعد الدين وقتلوه ، فألزم زرع يعقوب
بوصول جقمق بتحمل مشاق السفر أيما ليري ابن سعد الدين قتيلا ، وليشهد
على منعه باتباعه « ليكون أنكى للسامين » ، ولم يسمح بعودته إلى مصر

(١) أحمد دراج : المسالك والفرنج ، القاهرة سنة ١٩٦١ ، ص ٥٠ ،

Budge : BHistory of Ethiopia and Nubia, London 19٠8, Vol.

I, P. 334. Kammerer: La Mer Rouge, T.I, P. 305 et Suiv.

Budge op. cit, Vol. I, P. 311, Trimmingham : Islam in (٢)

Ethiopia, Oxford 19٤2, P. 67.

إلا بعد مضي أربعة أعوام (١) . وتمادى زرع يعقوب في تعصبه وعدائه للمسلمين ، ووصات الأخبار إلى مصر أنه قام ٨٨٥٣ / ٤٤٩ : م بإعداد أسطول ضخم للإغارة به على بلاد الحجاز وانتهاك حرمة المقدسات الإسلامية (٢) .

تلك العمورة البشعة القائمة كانت تمثل السمات المميزة لوقف الحبشة الغداة للإسلام ، وجرت العادة أن يتوجه مسلمو الحبشة بصريحهم إلى مصر والتميز . كلما تعرضوا لاضطهاد ملك الحبشة المسيحي ، وكان ملوك اليمن بحكم قرب بلادهم من أرض الحبشة لا يترددون في المبادرة بإرسال النجيدات حسيه إما كانواهم المتاحة . وفي عهد بني طاهر تكرر إرسال المساعدات إلى نبي سعد الدين أمراء منطقة عدل الذين أخذوا على عاتقهم مهمة مقاومة اضطهاد ملوك الحبشة للمسلمين ، واقتصرت تلك المساعدات على الخيول وأدوات القتال (٣) : ففي شعبان ٨٧٩ هـ / ديسمبر ١٤٧٤ م أرسل السلطان المجاهد علي بن طاهر مائة وخمسة من الخيول العربية مع كمية ضخمة من السيوف والدرع والرمح لمعاونة ابن سعد الدين على الجهاد (٤) . وفي جمادى الأولى ٨٨١ هـ / أغسطس ١٤٧٦ م أرسل السلطان الطاهري المجاهد على مجموعة أخرى من الخيول

-
- (١) السخاوي : التبر المسبوك ص ٦٧ - ٧٢ ، عبد المجيد عابدين : بينة الحبشة والعرب ص ١٨٣ - ١٨٥ ، دراج : الممالك والفرنج ص ٥٢ - ٥٤ .
- (٢) السخاوي : التبر المسبوك ص ٢٠٩ ، احمد دراج : الممالك والفرنج ص ٦٥ ، سعيد ماشور : بعض أضواء جديدة ص ٤٠ .
- (٣) بانخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١٠٨٣ .
- (٤) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٦ ب ، بغية المستفيد ص ١٩٨ ، بانخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٣٢ .

تتيف عن خمسين فرسا (١) كما تكرر ذلك في عصر السلطان المنصور عبد الوهاب ابن داود (٢) . ومما يذكر أن عبد الباقي بن محمد بن طاهر أحد أمراء بني طاهر ، كان قد دخل في دوامة الصراع الأمرى حول عرش السلطنة ، وأرغمه السلطان الظاهر عامر الثاني إلى أن يلوز بالترار إلى ساحل الحبشة ، وانفق أثناء مقامه لدى بني سعد الدين أن أغار ملك الحبشة على بلادهم ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م فاشترك عبد الباقي في شرف الجهاد معهم وقام بدور كبير في هذه المعركة وأظهر شجاعة نادرة وبأسا شديدا أثار إعجاب ابن سعد الدين به فزاد في تكريمه واكباره (٣) .

ومع ذلك فإن موقف اليمن من سياسة الأحباش التعسفية مع المسلمين لم يكن حاسما كما أن مساندتها لمسلمي الطراز الإسلامى ضد اضطهاد وتكفير نجاشي الحبشة بهم لم يكن ذا أثر ، فالمساعدات كانت تتم على فترات متباعدة ، وفي معظم الأحيان كانت تقتصر على عدد من الخيول وأدوات القتال . والمنتقد أن السبب الحقيقي من الاقتصار على تلك المساعدات المحدودة المتباعدة التي كان يبذلها الطاهريون وعدم إقدامهم على إمداد المسلمين في الحبشة بالرجال والسلاح يكمن في ضعف امكانياتهم وقدراتهم العسكرية في مواجهة دولية من جهة وفي انشغالهم بتثبيت دعائم ملكهم ، وتركيز طاقتهم للقضاء على

(١) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٢١ ، باخرمة : قلادة النحر ج ٣

ص ١١٤٠ .

(٢) باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٨٣ .

(٣) باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٧٢ .

حركات العصيان التي انتشرت في أنحاء متفرقة من اليمن، ولهذا كانت مساعداتهم المادية لماسي الحبشة بسيطة، إكتفاء بالمساعدات المعنوية .

ثالثا : الكشوف البرتغالية ، أهدافها الصليبية و أثرها على الاقتصاد اليمني والعمرى :

١ - دور الكشوف البرتغالية في تعدييق النظام الصليبية :

استهدفت الجهود البرتغالية - في الكشف عن طريق حول القارة الافريقية - لتوصل إلى تحقيق التعاون مع الحبشة للقيام بحرب صليبية في البحر الأحمر يكون من أهدافها الرئيسية تدمير المقدسات الإسلامية في الحجاز وضرب مصر اقتصاديا والسيطرة عليها من ناحية الجنوب ، بعد أن فشلت المحاولات المبلية السابقة في تحقيق ذلك من ناحية البحر المتوسط شمالا . فقد كانت مصر مصدر القوة في المنطقة ، وهي التي حملت لواء الجهاد ضد قوى الصليبيين ، منذ قيام الدولة الأيوبية على يد صلاح الدين ، إلى أن تم إجلاؤهم عن آخر معاقلهم في الشام على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون في سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م (١) .

وكان لسقوط المستوطنات الصليبية في الشام ، وفشل محاولاتهم المتكررة لاستعادتها ، أثره في التركيز على مصر باعتبارها الصخرة التي تحطمت عليها آمالهم . ووجدت البابوية أن محاربة مصر اقتصاديا من شأنه أن يؤثر على قوتها الحربية ، لذلك أعلنت الحرب الاقتصادية ضد مصر ، وحسرت على

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٨٠ ، ١٠ .

الأوروبيين التعامل معها تجارياً ، وحثهم على انعاش الطرق التجارية الأخرى ، للاضرار بالاقتصاد المصري . ومن المعروف ان مصر كانت تعتمد بوجه خاص على عائدات للتجارة الشرقية التي كانت أوروبا سوقها . ولا شك في أن نجاح هذا المخطط كان من شأنه أن يؤدي إلى إضعاف مصر سياسياً واقتصادياً ويمهد السبيل للقضاء على قوتها الذاتية تمهيداً للسيطرة عليها عسكرياً (١) ، ويساعد بالتالي على استعادة المناطق التي أرغهم المصريون على التخلي عنها في الشام . إلا أن تلك السياسة لم يكتب لها النجاح لعدم التزام الجمهوريات الإيطالية بتنفيذها ، لتعارضها مع مصالحها التجارية (٢) ولهذا بدأ نوع جديد من النشاط الموجه ضد مصر ، فقد تعهد القبارصة والكتلان وفرسان الاستبارية بالقيام بأعمال القرصنة في البحر المتوسط والاغارة على سواحل مصر والشام . وعلى الرغم من نجاح السلطان برسباي في الاستيلاء على قبرص (٣) ، ومحاولات جقمق الثلاثة للاستيلاء على رودس (٤) ، إلا أن ذلك لم يخفف من حدة غارات

(١) أحمد دراج : الممالك والفرنج ص ٧ .

(٢) Heyd : Histoire du Commerce, T. II, P. 25 ff.

(٣) عن فتح قبرص ، انظر ، السيوطي : غزوات قبرص ورودس (فينيا ١٨٨٤) ، سعيد عاشور قبرص : والحروب الصليبية (القاهرة ١٩٥٧) ، إبراهيم علي طرخان : مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ٩٥ وما بعدها .

Hill, (G.): A History of Gyprus (Camb. 1948), Alastres, (D): Cyprus in History, London, 1955, Darrage: L'Égypte sous Le règne de Barsbay, Chap. VII

(٤) عن محاولات جقمق لفتح رودس ، انظر ، السيوطي : المصدر السابق ، محمد معصومي زيادة : المحاولات الحربية للاستيلاء على جزيرة رودس زمن =

القراصنة في البحر أو على الموانئ المصرية والشامية^(١) . وكان انبجاح حركة القراصنة أثرها في زيادة المطامع الصليبية ضد مصر المملوكية^(٢) ، والتفكير في توسيع نطاق الحرب ضدها بإدخال الحبشة في الحركة الصليبية ، والتحالف معها للقيام بحملة مشتركة لغزو مصر من الشبال والجنوب في آن واحد ، مما يساعد على انتزاع بيت المقدس وبقية المناطق الساحلية من جديد . إلا أن هذا الحلف لم يقدر له الدخول في مرحلة التنفيذ ، لتدرب أنبائه إلى المماليك ، فتشددوا في منع أى اتصال بين الفرنج والحبشة ، التي عادت إلى التمسك مرة

== سلاطين المماليك في القرن الخامس عشر الميلادي ، مجلة الجيس ١٩٤٩ ، إبراهيم طلي طرخان : مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١٠٥ وما بعدها ، أحمد دراج : المماليك والفرنج ، ص ٥٦ ، ٥٤ ، ٤٨ .

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، الاسكندرية سنة ١٩٦١ ، ص ٨٥ وما بعدها ، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ، الاسكندرية ١٩٦٧ ص ٣٥١ وما بعدها ، دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٧٢ ، أحمد دراج : المماليك والفرنج ص ٤٩ ، ٧٠ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، نعيم زكي : طرق التجارة ص ٢١ .

(٢) كان سلاطين المماليك يلجأون - كلما اشتدت هجمات القراصنة - إلى اعتقال قناصل الفرنج وتجارهم في مصر والشام ، كما كانوا يلقون القبض في بعض الأحيان على رهبان دير صهيون بالقدس ، مع التهديد بإغلاق كنيسة القيامة في وجه حجاج الفرنج . كل ذلك كان يقوم به السلطان المملوكي لتخفيف حدة هجمات القراصنة . (أحمد دراج : المماليك والفرنج ص ١٧ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٧٦ ، ٩٠ ، ١٠٦) .

أخرى بالارتباط بالكنيسة المصرية (١) .

وحقيقة الأمر أن القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) شهد اشتداد روح التعصب الصليبي ضد المسلمين ، وبلغ التعصب ذروته في الأندلس بقيام الممالك المسيحية بأسبانيا بتصفية الوجود الاسلامي نهائيا من آخر معاقله غرناطة التي سقطت سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م (٢) ، وأجبر المسلمون فيها على التخلص عن دينهم واعتناق المسيحية تجنباً للتعذيب والقتل (٣) .

أما اللد تغال فقد تجسدت فيها الروح الصليبية وعملت على تطوير العنصر الاسلامي (٤) ، وما أن تمكن ملكها خوان الأول من الاستيلاء على سبتة سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م (٥) حتى أقطعها لابنه الأمير هنري الشهير بالملاح والمعروف بحقده وكرهيته المتناهية للإسلام والمسلمين .

(١) أحمد دراج : الممالك والفرنج ص ١٧ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٩ .

Kammerer ; La Mer Rouge, T.I, pp 59 - 62, Atiya : The Crusede, p. 278

(٢) السلاوي : الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، الدار البيضاء سنة ١٩٥٤ ، ج ٤ ، ص ١٠٣ - ١٠٤ ، أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ٤٦٨ .

(٣) أحمد دراج : الممالك والفرنج ص ١٠ ، ٧٠ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٤ .

Kammerer : op. cit. T. II p. 144.

Macro (Eric) : Yemen and the Western World Since 1571, (٤) London 1968 p. 1.

(٥) السلاوي : الاستقصا ج ٤ ، ص ٩٢ ، أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ٤٥٥ وما بعدها .

وقد اهتم هنرى الملاح بدراسة امكانية الوصول بحرا إلى المحيط الهندي لتنفيذ أهدافه الصليبية ، ولهذا الغرض أحاط نفسه بمجموعة من العلماء ، وكان الأمير هنرى قد تمكن من اكتساب ثقة للبابا مارتن الخامس الذى بارك جهود فى حروبه ضد المسلمين مما شجعه على ارسال أولى حملاته البحرية الاستكشافية لساحل إفريقيا الغربى فى ١٤١٨ (١) .

وكان يهدف من وراء ذلك إلى تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية بالإضافة إلى المكاسب الدينية . ذلك أن نجاح حركة الكهوف من شأنها أن تحقق السيطرة على مواطن التوابل وانزاع احتكارها من مصر والبنديقية ، ومن ثم تصبح اشبونة المركز الرئيسى لها (٢) ، كما يتيح الفرصة للكشف عن مناطق مجهولة - قد يكون من بينها بلاد مسيحية - كان عدم معرفتها حائلا للوصول إليها والإتجار معها . هذا إلى جانب التعرف على قوة المسلمين فى إفريقيا ، والبحث عن مملكة القديس يوحنا - التى انتشرت الأساطير عنها فى أوروبا - وتحقيق التعاون معها للقضاء على المسلمين وتحقيق الأحلام الصليبية ، مع الاهتمام بالبعثات التبشيرية لنشر المسيحية بين أهالى المناطق المكتشفة ، وحمل السكان على اعتناقها (٣) .

(١) سونيا هاو : فى طلب التوابل (مجموعة الألف كتاب ، الكتاب رقم ٩٨) ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٢) سعيد عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى ، ص ٥٩٠ ،

Kamerer; op. cit, T. II, p. 9,

(٣) سونيا هاو : فى طلب التوابل ص ١٠٣ .

وكان الفشل الذي منيت به حركة الكشوف - في سنواتها الأولى - كافيًا لإقناع الأمير هنري الملاح بالتوقف ، نظراً للتكاليف الباهظة التي كانت تتكلمها الحملات ، بالإضافة إلى المصاعب العديدة والأهوال التي كان يتعرض لها البحارة . وعلى الرغم من ذلك واصل جهوده دون كلل في توجيه الحملات الاستكشافية ، بغية الوصول إلى الهند والتعاون مع مملكة القديس يوحنا للقضاء على المسلمين ^(١) . وحتى لا تشغل قواته بحروب جانبية تعوقها عن الاستمرار في الكشوف ، أصدر أوامره لملاحيه بحسن معاملة أهالي المناطق التي يمرون بها ، وعدم التعرض لهم كسبا لقلوبهم وتجنباً لمقاومتهم ^(٢) . ولما كانت حركة الكشوف تعتبر امتداداً للحروب الصليبية ^(٣) ، فقد قام البوابات يوجين الرابع (١٤٣١ - ١٤٤٧ م) ، ونيقولا الخامس (١٤٤٧ - ١٤٥٥ م) ، وكالكستس الثالث (١٤٥٥ - ١٤٥٨ م) على التوالي بإصدار قرارات بمباركة الجهود البرتغالية ، والاعتراف بحق البرتغال الكامل في ملكية المناطق المكتشفة ، وتأييد جهودها التبشيرية وحرورها ضد المسلمين ، وغفران خطايا من يلقي حتفه من المشتركين في حركة الكشوف ، شأنهم في ذلك شأن رجال الحروب الصليبية ^(٤) . فكان لملك القرارات أثرها في دفع حركة

(١) سونيا هاو : نفس المرجع ص ١٠٠ ، بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، القاهرة سنة ١٩٦١ ، ص ٢٦ .

(٢) سونيا هاو : نفس المرجع ص ١٠٢ - ١٠٣ .

Serjeant (R.I.) : The Portuguese off the South Arabian Coast, Oxford, 198 , p. 2.

(٣) سونيا هاو : في طلب التوابل ص ١٠٧ ، بانيكار : آسيا والسيطرة

الغربية ص ٢٧ - ٢٨ .

Depping , (G.B.) Histoire du Commerce Entre La Lavant, Paris, 1830, T. II, p. 261

الكشوف ونجاح الملاح البرتغالي بارثليميو دياز في الوصول سنة ٤٨٧ م إلى أقصى الطرف الجنوبي لإفريقية ، واكتشاف رأس الرجاء الصالح (١) . ثم تمكن فاسكودى جاما من الطواف حول إفريقيا ، والوصول إلى الشواطئ الغربية الهندية ، والرسو بسفنه في ميناء كاليقوت سنة ١٤٩٨ م (٢) .

أحدث نجاح البرتغاليين في اكتشاف طريق جديد إلى الهند ثورة في تجارة الشرق ، وحقق للبرتغال مجداً عظيماً إلى درجة أدت إلى تلقب ملوكها بسادة الفتح والملاحة والتجارة في الهند والتبشة وبلاد العرب وفارس ، وسمرقان ما أيد البابا هذا اللقب (٣) . وهكذا قويت عزائم البرتغاليين في إحتكار التجارة ، وتوجيه الضربات ضد المسلمين ، والتبشير بالمسيحية (٤) .

عمل فاسكودى جاما - منذ وصوله إلى كاليقوت - على دراسة الموقف في الهند ، وأزعجه كثرة العرب ، وسبطنهم على التجارة ، وتمتعهم بثقة الهنود (٥)

(١) سونيا هار : نفس المرجع ص ١٣١ - ١٣٢ ، بانيكار : نفس المرجع ص ٢٩ ، Kammerer : op cit, T. 11, p. 9.

(٢) شارل ديل : البندقية جمهورية أرستقراطية، القاهرة، ١٩٠٨، ص ١٤٥ ، بانيكار : نفس المرجع ص ١٩ ، أحمد مختار العبادى : تاريخ البحريّة الإسلامية ص ٢٦٦ .

(٣) لوريمر : دليل الخليج ترجم وطبع على نفقة حاكم قطر - الدوحة ١٩١٧ ج ١ ص ٥٠ .

(٤) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ص ٣٠ ، Kammerer : op. cit :

وكان سلطان قاليقوت عاصمة ملبار الملقب بالزامورين (Zamorin) (١)، أو السامرى- كما يسميه ابن بطوطة - (٢)، قد أدرك بفضل تحذيرات العرب له، مدى الخطر الذى يتهدد بلاده نتيجة لوصول البرتغاليين إلى الهند (٣). ولما كان كل ما يهم قائد الأسطول البرتغالى فى تلك المرحلة هو الحصول بأى وسيلة على كمية من البهار لتكزن دليلاً على نجاحه فى الوصول إلى مصادرها، فإنه قبل شراء ما عرضه السامرى عليه من الأنواع الرديئة، وبالأسعار التى حددتها له، حتى ينهى عن نفسة صفقة الجاسوسية التى ركز تجار العرب على إقناع صاحب قاليقوت بها (٤). والظاهر أنه أدرك مدى الخطر الذى يحيط به، ولذلك فما أن حصل على كمية التوابل حتى أسرع بمغادرة ميناء قاليقوت فى طريقه إلى كنداور حيث قابله ملكها المعادى لصاحب قاليقوت بمحاوطة بالغة، وتبادل معه الهدايا رمزاً للصداقة (٥).

ولما كان موعد وصول الأساطيل التجارية العربية قد حان، فقد بادر فاسكودى جاما بمغادرة الشواطئ الهندية فى العشرين من نوفمبر ١٤٩٨، وأقبل عائداً إلى بلاده. ومن الجدير بالذكر أن دى جاما كان حريصاً فى تلك

(١) Kammerer : Ibid , T. II ; p . 2٥ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ١١٥ .

(٣) بانينكار : المرجع السابق ص ٢٧ . Kammerer . Ibid . T. II , p 87 .

(٤) سونيا هاو : فى طلب التوابل ص ٢٠٠ ، Mereland , W.H . :

A Short History of India , London , 1944 , p 183'

(٥) نفس المرجع ، ص ٢٠١ ، Kammerer : op . cit . T II , pp ٤7٠

الرحلة الكشفية على عدم إثارة المشاعر ضد البرتغاليين ، حتى لا تعرض حياته للخطر ، أو تتنبه القوي المعادية لهم فتستعد للتصدي لسفن البرتغال ، مما يهدد بالقضاء على آمال دولته ، لذلك رفض تنفيذ ما أشار به بعض أتباعه بالإستيلاء على شحنات السفن التي يصادفونها في طريقهم . وواصل تقدمه إلى مالندى على شاطئ إفريقيا الشرقي ، ثم غادرها في العشرين من يناير سنة ١٤٩٩ ، بعد تبادل الهدايا مع حاكمها ، وتمكنت إحدى سفنه بقيادة نيكولاو كويلها من الوصول إلى أشبونه في العشرين من يوليو سنة ١٤٩٩ ، أما فاسكودي جاما فقد تأخر شهرين ، وكان وصوله في الثامن عشر من سبتمبر سنة ١٤٩٩ . بعد ستة عشر شهراً استغرقتها رحلته ، التي فقد أثناءها ثلثي ما كان معه من الرجال ، من بينهم أخيه بالودى جاما ، الذي كان قد إشتدت به العلة أثناء رحلة العودة ، وتوفي بجزر الأزور ، وكان للسبب في تأخر وصوله إلى جاما بعد نيكولاو كويلها (١) .

وكان لجراح فاسكودي جاما في الوصول إلى الهند عن طريق الطواف حول إفريقية وتوصله إلى مصدر التوابل أثره في تشجيع الملك البرتغالي مانويل على مواصلة إهداد الحملات وإرسالها إلى الهند ، لتأكيد السيطرة البرتغالية على البحار الشرقية ، وتنفيذ الأهداف البعيدة التي قامت حركة الكشوف من أجلها . وبعد ستة أشهر من عودة دى جاما ، وفي التاسع من مارس سنة ١٥٠٠ أرسل الملك مانويل أسطولاً آخر ، شحنه بأنواع السلع

(١) سونيا هار : في طلب التوابل ص ٢٠٢ - ٢٠٥ .

البرتغاليين القوة معه (١) ، وإلّا صار كبرال على المطالبة بمنع التجار العرب من الإقامة في قاليقوط. مما اضطر القائد البرتغالي إلى الانسحاب من قاليقوط بعد أن قصدها بمدافعه ، وتوجه إلى كوشين وكتانور فقبول فيها بترحيب حار وتوصل إلى عقد إتفاقيات تجارية معها (٢) ، ولم يلبث كبرال أن استعد لرحلة العودة فوصل أشبونة في آخر يولية سنة ١٥٠١ محملاً بكميات هائلة من التوابل (٣) .

وهكذا أمكن لأشبونة بفضل عامل القوة للحصول بأرخص الأسعار على كميات كبيرة من التوابل وجنت البرتغال بفضل ذلك أرباحاً فاحشة عوضت ما أنفق على الحملات ، مع تحقيق فائض من الأرباح كبير . أضف إلى ذلك أن أسعار البيع في أشبونة كان أقل بكثير من الأسعار التي كانت تبيع بها البندقية ، بل أقل مما كانت البندقية تشقى به من أسوان الاسكندرية نفسها ، مما أدى إلى رواج أسواق أشبونة ، ومنافستها للبندقية والقضاء على احتكارها لتجارة التوابل ، وأضر ذلك ضرراً بالغاً بمصر واليمن ، إذ توقفت الحركة التجارية إلى حد استحاله فيه تصريفها ، وخاصة بعد أن تتمكن البرتغال من احكام السيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر .

(١) بانينكار : آسيا والسيطرة الغربية ص ٣٩ .

(٢) سونيا هار : المرجع السابق ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٣) زين الدين المعبري الملباري : تحفة المجاهدين في بعض أحوال

البرتغاليين ، لشبونة ١٨٩٨ ، ص ٣٧ - ٣٨ ،

Heyd : Histoire du Commerce, T. II, p. 512, Kammerer:op
-it. T, II, p. 94.

ثم تتابع الحملات البرتغالية ، وانظم وصولها سنويا إلى الهند ، ففي
أواخريناير ١٥٠٩ أبحر فينسنت سودريه على رأس أسطول إلى الهند (١) ،
كما جهزت مجموعة أخرى من السفن بقيادة جين دى نونفا ، أبحرت من البرتغال
في منتصف مارس ١٥٠١ ، وكان هدفها الانتقام من قابيقوط ودعم الصلات
مع كنانور وكوشين . واشتبك دى نونفا في معركة بحرية مع أسطول
قابيقوط (٢) لانهزم فيها بفضل استخدام المدفعية (٣) ، وأغرقت خلال تلك
المعركة مجموعة من السفن التجارية العربية ، نذكر منها سفينة للسلطان المملوكي
كانت قد تهيأت للإقلاع إلى جدة (٤)

وتشدد وطأة البرتغاليين لضرب التجارة العربية ، واستخدام أعنف
الأساليب ضد التجار والحجاج العزل ، ففي الثالث من مارس ١٥٠٢ غادر
فاسكو دى جاما البرتغال مرة أخرى على رأس أسطول كبير إلى الهند ،
فوصل أولا إلى ساحل إفريقيا الشرق ، حيث أقام مراكز للتوابع في كل من
سفالة وموزمبيق وكنوة . كما استولى على بعض السفن العربية التي انفق
وجؤونها بميناء مالندي ، وفي أول أكتوبر ١٥٠٢ استولى كذلك على سفينة
كبيرة للسلطان الغوري كانت محملة بالتوابع عليها مجموعة من الحجاج الهنود

(١) Kammerer : La Mer Rouge, T. II, p. 94.

(٢) زين الدين : تحفة المجاهدين ص ٣٨ .

(٣) Heyd ; op. cit. T. II, p. 513, Kammerer: T. II, p. 95.

(٤) زين الدين : نفس المرجع والصفحة ، أحمد دزاج : المايك والفرنج

كانوا في طريقهم إلى البحر الأحمر^(١). وفي الهند توصل دى جاننا إلى عقد حلفته مع ملك كنانور ضد قاليقوط ، كما عقد اتفاقيات أخرى مع كوشين وكوم^(٢) واستغل فاسكودى نجاحا فرصة العداة بين بعض القوى الهندية ، وعمل على توسيع هوة الخلاف فيما بينها ، وضرب بعضها ببعض ، كما توسع في سياسة القرصنة والعنف ، واتبع أساليب غير إنسانية ، فكان يقطع الطريق على السفن دون أى تحذير ، ويقوم بأسرها ، ونهب ما عليها من بضائع ، ثم إغراقها أو إحراقها بمن عليها من تجار وبحارة وحجاج وغيرهم^(٣). ولم يكن يكتفى بذلك بل كان يعمد إلى تعذيب من يقع في يده من المسلمين كاستئصال أنوفهم وآذانهم وأصابعهم ، أو القضاء عليهم بقطع رؤسهم^(٤).

كان للأعمال الانتقامية الشنيعة التي لجأ إليها فاسكودى نجاحا أثرها السيئ في قاليقوط ، لذلك استعد صاحبها بأسطوله واشتبك في معركة بحرية عنيفة مع الأسطول البرتغالي تجاه ساحل كوشين ، وإذا كانت مدفعية الأسطوله البرتغالي قد تمكنت من إلحاق بعض الأضرار بأسطول قاليقوط ، إلا أن خفة تلك السفن وسرعان ما مكنتها من المناورة لتفادى نيران المدفعية ، ولولا

Kammerer : op. cit, T: II p 97.

(١)

(٢) زين الدين : نفس المرجع والصفحة

Kammerer : ibid pp. 97 f

(٣) ديل ، شارل : الهندية ص ١٤٩ . باتيسكار : آسيا والسيطرة الغربية

ص ٤٠ .

Kammerer : op. cit.; T. II, p. 98, Wilson: (٤)

The persian Gulf, London, 1945, p. 114.

تأتمتصحاب دى جاما، لتمكن أسطول قاليقنوط من إيقاع الهزيمة بالأسطول
البرتغالي (١).

وكان على فاسكودى جاما - تنفيذ الأوامر حكومته - أن يقوم بإغلاق
البحر الأحمر والمحليج الفارسي لمنع وصول تجارة الشرق إلى مصر، وضمان عدم
وصول السفن - خاصة الحربية - إلى الهند، حتى تتمكن الأساطيل البرتغالية
عن تحقيق السيطرة على الهند، والقضاء على تجارة عدن ومصر، تمهيداً
لتوجيه ضربة مباشرة في البحر الأحمر، ولذلك أمر دى جاما - بعد أن استمر
عزمه على العودة إلى بلاده - بترك جزء من أسطوله بالقرب من باب المنذب
لإغلاق البحر الأحمر، ومنع وصول السفن إليه أو خروجها منه (٢)، كما ترك
مجموعة أخرى عند جزر كومور يا موريا للقيام بأعمال القرصنة ضد السفن العربية (٣)،
وبعد أن تم له ذلك، أقبل عائداً إلى بلاده، حاملاً معه كميات هائلة من
التوابل والسلع التي حصل على معظمها عن طريق السلب والنهب، فكان
وصوله إلى البرتغال في سبتمبر ١٥٠٣ (٤).

(١) بانكار: آسيا والسيطرة الغربية، ص ٤١ - ٤٢ .

(٢) ديل، شارل: البندقية ص ١٤٩،

Macro: Yemen and Western World; p. 1

Kammerer: Ibid, p. 98, Sarjeant The portuguese. (٣)

(١) ديل: المرجع السابق ص ١٤٦، أحمد دراج: المالك والقرنج ص ١٣٢،

Kammerer Ibid, T. II, p. 98.

وفي الوقت الذي كان دى جاما يستعد فيه لرحلة العودة كانت حملة بحرية أخرى قد أبحرت من البرتغال في السادس من لبريل ١٥٠٣ بقيادة ثلاثة من كبار القادة أبرزهم الفونسو البوكيرك وأخوه فرنسيسكو وأنطوان دى سالدانها (١). وكان صاحب تاليقوط قد تمكن من التغلب على صاحب كوشين بعد عودة فاسكو دى جاما (٢)، وأحرق مدينته، وقضى على الحامية البرتغالية فيها. ولهذا كان أول أهداف دالوكيرك عند وصوله الانتقام من صاحب تاليقوط، وقد تم له ذلك وأجبره على الموافقة على إقامة قلعة برنغالية في بلاده كما فرض عليه غراماً عينياً كبيراً، وأرضه على منع تصدير التجارة للبحر الأحمر. وفي نفس الوقت عمل على تمكين مركز البرتغال في كوشين، واهتم بتدعيم الحامية البرتغالية فيها وزودها بالأسلحة والعتاد، ثم ترك زميليه في مجموعتين من السفن، وعاد إلى البرتغال بكميات أكثر من البضائع الشرقية، فوصل إلى أشبونه في أواخر يولييه ١٥٠٤ (٣)

وهكذا انتشرت السفن الحربية البرتغالية في المياه الهندية، بعد أن ترك كل من دى جاما ودالبوكيرك جزءاً من أسطوليهما فيها، كما تعددت القلاع البرتغالية في ساحل أفريقية الشرق والهند كوسيلة لتأمين الوجود البرتغالي في تلك المناطق، مما ساعد على مهاجمة السفن التجارية المتجهة إلى البحر الأحمر،

(١) Kammerer : Ibid., T. II, p 103.

(٢) زين الدين : تحفة المجاهدين ص ٣٨.

(٣) زين الدين : تحفة المجاهدين ص ٣٩.

ومنع وصولها إليه أو خروجها منه ، وترتب على ذلك أن احتلت أشبونة مركز العمدارة في التجارة الشرقية بدلا من البندقية ، نتيجة لحرمان دولة المماليك من تجارة العور التي كانت تجنى من ورائها أرباحا طائلة ، هذا إلى جانب المحاولات البرتغالية لتحقيق التحالف مع الحبشة^(١) ، تمهيدا للاغارة على المقدسات الإسلامية في الحجاز وتطوير مصر من الجنوب^(٢) . ولهذا استمر تدفق الأساطيل إلى الهند ، ففي ربيع سنة ١٥٠٤ م أبحر أسطول آخر إلى الهند بقيادة لوبو سواريز دالبير جاريا لتحقيق هذا الغرض ، فأوقع مجموعة من السفن العربية القادمة من جدة في كمين ، وبدد شملها . وواصل تطبيق سياسة الانتقام ضد السفن القادمة من البحر الأحمر ، وفعل نفس الشيء مع سفن قاليقوت ، وتمكن - بمعاونة ملك كوشين - من مفاجأة قاليقوت وتدمير مجموعة من سفنها^(٣) ، وبعد أن أحرز انتصاره على ملكها^(٤) عاد إلى بلاده حاملا أسلحا قدرت بأربعة وعشرين ألف قنطار من التوابل^(٥) .

وفي سنة ١٥٠٥ تبدأ مرحلة جديدة ، فقد استقر رأى ملك البرتغال على تعيين نائب له يقسم في الهند بصفة دائمة ، ليتولى توجيه السفن القادمة من البرتغال بما يحقق الأهداف البرتغالية فكان فرانسسكو دالميدا أول نائب لملك البرتغال في المستعمرات البرتغالية في الشرق فأبحر من البرتغال في ٢٣ مارس

Macro ; Yemen and the Western World, p. 1: (١)

(٢) أحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية ص ٢٦٦ .

(٣) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ص ٤٢ .

Kammerer ; op. cit; T. II, p. 106. (٤)

Heyd ; op. cit. , T II p. 529, Kammerer; op. cit., (٥)

pp. 106 - 107 , 144.

سنة ١٥٠٥ م على رأس أسطول كبير ضم إلى جانب السفن الحربية أخرى تجارية ، كما استصحب معه عددا من الجنويين والبنادقة والألمان . وكان من بين ضباطه ماجلان (١) . وفي طريقه إلى الهند عمل على تدعيم القواعد البرتغالية في شرق إفريقيا ، فأقام في أغسطس سنة ١٥٠٥ قلعين في منبسة ، كما أبدى صاحب كلوة مشاعر الود والتعاون مع الحملة (٢) ، وعمل دالميدا على تثبيت قواعد الوجود البرتغالي في الهند ، فجعل في كوشين مقمر لقيادته (٣) .

وحرص ملك البرتغال على تدعيم دالميدا ، وسارع بإمداده بحملة بحرية كبيرة أبحرت من البرتغال في الخامس من أبريل سنة ١٥٠٦ بقيادة ترستان داكونها ، ضمت إلى جانب السفن الحربية سفنا أخرى تجارية ، وكان الفونسو دالبوكيرك مسئولاً عن الناحية العسكرية لتلك الحملة التي عززت بأسطولين آخرين في سنة ١٥٠٨ . ووجه داكونها ودالبوكيرك اهتمامها إلى إقامة القلاع على الشاطئ الإفريقي ، كما عمل على إحكام إغلاق البحر الأحمر في وجه التجارة الهندية (٤) ، ولهذا استولى داكونها سنة ١٥٠٦ على

(١) Heyd ; op. cit., T. II, p. 529, Kammerer : op.

cit ; II, pp. 107 f.

(٢) تمكن لورينزو دالميدا من الوصول إلى سيلان .

(Kammerer : T. II, p. 108)

(٣) لوريمر : دليل الخليج ج ١ ص ٠٠٦ .

Allen : The Cambridge Shorter History of India, London, 1924, p. 487.

Kammerer : op cit T. II p. 109.

(٤)

جزيرة سوقطرة الواقعة إلى الجنوب الشرقى من عدن ، والتي تتحكم في الطريق البحرى المؤدى إلى البحر الأحمر ، واتخذها قاعدة بحرية لشن الغارات على سواحل حضرموت وعمان وهرمز (١) ، وفرض الحصار على تجارة البحر الأحمر (٢) . وهكذا تركزت جهودها كلها على إغلاق جميع الممرات والسيطرة على الموانئ الاستراتيجية كهرمز في مدخل الخليج ، وعدن بالنسبة للبحر الأحمر . ودعم دالبوكيرك ذلك بإرسال بجمرة من السفن لإغلاق باب المندب (٣) . كما سعى إلى الانصاف بالحبشة ، فأرسل إليها بعثة سنة ١٥٠٨ لتحقيق التعاون معها في مشروع صليبي مشترك للتضاء على مصر (٤) . وتواترت الأخبار إلى مصر بتزايد الخطر البرتغالى ، وأن أكثر من عشرين سفينة برتغالية قد توغلت في البحر الأحمر (٥) .

وهكذا تمكن البرتغاليون بحم، لانهم البحرية الضخمة المتواصلة ، وباستخدامهم الأسلحة النارية - التي لم يكن للمناطق الواقعة على المحيط الهندى عهداً بها - واتباعهم أعنف أساليب الفرصنة ، من الاستيلاء على عدد كبير من الموانئ والجزر فى المحيط الهندى . وفرض الحصار على تجارة البحر

(١) لوريمر : دليل الخليج ج ١ ص ٠٦

(٢) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ص ٤٤ ، ديل ، شارل : البندقية ص ١٤٩ .

Heyd ; op. cit, T. II p. 535, Serjeant ; Portugues, p. 41.

Kammerer : op. cit., T. II, pp, 116 - 117. (٣)

(٤) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ص ٤٤ - ٤٥ .

Kammerer; p. 137.

(٥) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٩٦ .

الأحمر والخليج الفارسي^(١)، واحتكار تجارة التوابل بالقوة، مما أصاب مناطق التصدير، والموانئ الواقعة على الطريق التقليدي للتجارة، كهرمز وعدن وجدة بأضرار بالغة وأفقدتها أهميتها، كما عرض الإقتصاد المصرى والبنديقى لكارثة محققة. وكان البرتغاليون في وضع يسمح لهم بتعزيز قواتهم على الدوام، ويمكنهم من شن الهجمات على الموانئ والسفن التجارية دون أن تجرأ أى من القوى الموجودة في المنطقة من التصدى لهم أو البدء بمهاجمتهم.

٢ - اثر السكشوف البرتغالية على حركة التجارة اليمنية .

أما فيما يتعلق باليمن فقد كان طبيعياً أن تتأثر حركة التجارة في ميناء عدن وتنخفض تبعاً لذلك حصيلة الرسوم الجمركية بدرجة هائلة، اضطرت معها السلطان اليمنى الظافر طاهر الثانى إلى الاستيلاء على نصف متحصلات الأوقاف ليستعين بها في مواجهة النقص في إيراداته، مما أثار سخط الفقهاء عليه^(٢). ومع اشتداد الحصار المفروض على التجارة لم يعد دخل عدن كافيًا لسد احتياجات المدينة فقط مما أدى إلى استيلاء الأمير مرجان - والى عدن - على خراج الحج^(٣) لسد النقص الناجم عن عجز إيراداته لمواجهة متطلبات الدفاع عن مدينته .

وإذا أخذنا في الاعتبار الأطماع البرتغالية للاستيلاء على عدن وغيرها من ..

(١) Lewis (B.) ; The Camb. Hist. of Islam, vol. ١, p. 229()

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٣٩ ،

Kammerer op cit.; T. II p. 230

(٣) باخزومة : قلادة النحر ج ٣ ص ١٢١٠ .

الموانى اليمنية في وقت زادت فيه الحركات الداخلية المضادة للطاهريين . فإن اشغال السلطان الظاهر عامر الثاني وقواته في القضاء على تلك الثورات والعمل على إقرار الأوضاع الداخلية ، كان يعوق قدرته على مواجهة الخطر البرتغالي . لذلك يادر السلطان الطاهري بالاستنجاد بالسلطان الغوري لتخليص اليمن من هذا الخطر الدائم (١) ولم يكن السلطان اليمني وحده هو الذي استنجد بالسلطان المملوكي ، فقد أرسل كل من السامري صاحب قاليقوت (٢) ومظفر شاه بن محمود شاه سلطان كجرات (٣) رسالهما للاستنجاد به . ومن الجدير بالذكر أنه لما نشطت القرصنة البرتغالية وتعرضت السفن للنهب ، وركابها من البحارة والتجار والحجاج الأوسر أو القتل (٤) ، اضطر السلطان الظاهر إلى إعداد حملة بحرية من أربعة عشر مركبا ، اشترك فيها ستائة من المحاربين بينهم جماعة من طلبة العلم للجهاد ، وقد أبحر هذا الأسطول من عدن في ٢٧ شوال ٩١٢ هـ (٥) / ١٢ مارس ١٥٠٧ . ويغلب على الظن

(١) الشبلي اليمني : السنابلها ص ٨ ، ٢٠١ ، النهروالي : البرق اليمني في الفتح العثماني - الرياض سنة ١٩٦٧ - ١٩٩٠ ،

Kammerer ; Ibid T. II p. 30

(٢) زين الدين : تحفة المجاهدين ص ٤٠ ، بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ص ٤٢ .

(٣) النهروالي : البرق اليمني ص ١٩

Kammerer ; Ibid. II p. 153

(٤) ابن الديبع : قررة العيون ص ١٤٦ ب ، الفضل المزيد ص ٣٨ ب ، باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٩ ، الشبلي اليمني : السنابلها ص ٦٣ .

(٥) ابن الديبع : الفصل المزيد ص ٤٣ أ .

أن هذا الأسطول عجز عن الصمود ، وأن البرتغاليين تغلبوا عليه ، ذلك أن المصدر اليمنى الذى انفرد بذكر تلك الحملة لم يزودنا بشيء عن أخبارها ، وما إذا كانت قد تمكنت - كلها أو بعضها - من العودة الى عدن .

٣ - موقوف مصر من الخطر البرتغالى :

كان لنجاح البرتغاليين فى اكتشاف طريق بحرى جديد إلى الهند ، وسيطرتهم على تجارة التوابل ، وتحكمهم فى المياه الهندية ، وفرض الحصار على البحر الأحمر أثره الكبير فى تخفيض كيات التوابل الواصلة إلى مصر ، مما عرض دولتى الممالك والبندقية لانهيار اقتصادى خطير^(١) . فقد بلغ من نقص كيات التوابل المعروضة فى أسواق الاسكندرية سنة ١٥٠٢ ، أن سفينتين فقط من بين خمسة من سفن البندقية استطاعتا - بمشقة بالغة - الحصول على حمولتيها^(٢) وأن سفنهم عادت خاوية تماما سنة ١٥٠٤^(٣) . أضف إلى ذلك أن قلة الواردات من التوابل أدى إلى ارتفاع أسعارها ارتفاعا كبيرا فى مصر وبالنائى البندقية ، فى الوقت الذى تألفت فيه أشبونة كسوق رئيسى لتجارة التوابل ومركز هام لنفائس الشرق ، ولم تلبث أن احتمت مكانة البندقية ، وذلك بما توفر فى أسواقها من هذه السلع والتحف ، واجتمعت إليها تجار أوروبا لخص

Heyd.: op. cit., T. II, pp. 521 - 522.

(١)

(٢) ديل: البندقية ص ١٥١ — ١٥٢ ، أحمد دراج : الممالك والفرنج

ص ١٣٢ ، نعيم زكى : طرق التجارة ص ٧١ .

(٣) ديل نفس المرجع ص ١٥٢ .

أسعارها (١) .

وكان لزاما على مصر أن تدافع عن كيانها الاقتصادي وحمايته من الانهيار. كما لم يكن من السهل أن تتخلى الجمهوريات الإيطالية ، وخاصة البندقية عن مصادر ثروتها^(٢) ، لذلك أخذت سفارات البندقية تتوافد على البلاط الملوكي ابتداء من عام ١٥٠٢ ، لتدارك الأمور قبل استفحال الكارثة، وعمل سفراؤها على اقناع السلطان الغورى بمراسلة سلاطين الهند لحثهم على مقاطعة البرتغاليين، وأن يعمل على إرسال بعض السفن الحربية لحماية السفن التجارية ، مع جلب كميات كبيرة من التوابل وتخفيض أسعارها حتى تتمكن البندقية من غمر أسواق أوروبا بالتوابل وبيعها بأسعار رخيصة لمنافسة السوق للبرتغالية وهرقلتهم في تصريف ما لديهم من بضائع . كذلك تضمنت مطالب البندقية، أن يعد الغورى أسطولا قويا لمحاربة البرتغاليين في المياه الهندية، وتوجيه ضربة قاضية لهم وتدمير مشروعاتهم في الهند (٣) .

وقد استغل الغورى الأضرار التي تعرضت لها البندقية بسبب منافسة البرتغال .

(١) ديل: نفس المرجع ص ١٤٩ ،

Heyd: Ibid. p. 516, Kammerer : p. 139.

(٢) هاو سونيا : في طلب التوابل ص ٢١٩ .

(٣) ديل : نفس المرجع ص ١٤٧-١٤٨ و ١٥٠ و ١٥٢ ، أحمد دراج :

نفس المرجع ص ١٣٢ و ١٥١ ، عدلى فريد : السلطان قانصوه الغورى وعصره - رسالة ماجستير بكلية الآداب باسكندرية سنة ١٩٧٠ ص ٢٠٢ ،

Heyd : Ibid. T. II, pp. 519, 521 - 524.

Kammerer : Ibid. T. II, pp. 141, 144.

لتجارتهما، فطالبها بزيادة الأسلحة والأخشاب لبناء السفن التي يعتمد لرسالتها لمحاربة البرتغاليين^(١). إلا أن البندقية استندت عن عدم إمكان تقديم الأخشاب والأسلحة المطلوبة حتى لا تهم لدى البابا بمساعدة المسلمين ضد المسيحيين . ولم يتردد الغورى في القيام ببعض الجهود الدبلوماسية حتى يتهيأ له إعداد أسطوله في البحر الأحمر ، ففي سنة ١٥٠٤ أرسل معوثيه إلى البابا يوليوس الثاني ، وإلى ملوك أوربا مهددا بإغلاق كنيسة القيامة والكنائس الكاثوليكية الأخرى ، وقتل الفرنج الموجودين في بلاده . إذ لم تتوقف البرتغال عن أعمالها العدوانية ضد المصالح المصرية في الهند، فكان لهذه التهديدات أثرها في إزعاج البابا الذي يادر بالكتابة لعمانويل ملك البرتغال . إلا أن الملك البرتغالي لم يكن مستعدا للتنازل عما حققه بلاده من نجاح هائل في احتكار تجارة الشرق ، وتحقيق أحلام البابوية في حرمان دولة الماليك من مصدر قوتها وثرائها ، مما يساعد على توجيه حملة صليبية للأجهاز عليها ، وانزعاع المقدسات المسيحية في الشام . لهذا أرسل عمانويل إلى البابا يطمئنه بأن السلطان الغورى لن يقدم على تنفيذ تهديداته ، وأن البرتغال قادرة على مهاجمة المقدسات الاسلامية في الحجاز إذا ما حاول الغورى تنفيذ تهديداته^(٢) .

(١) أحمد دراج : نفس المرجع ص ١٣٣ ، نعيم زكي : نفس المرجع

ص ٧٨ — ٨٥ .

Kammerer : Ibid. T. II, p. 145.

(٢) أحمد دراج : الماليك والفرنج ص ١٢٤ — ١٣٦ ، عدلي فريد :

السلطان قنصتوه الغورى وعضره ص ٢٠٣ — ٤٠٤ ،

Heyd : op cit., T. II, pp. 510 - 522, Kammerer :

op. cit., T. II, p. 144, Lane - poole : The Hist. of Egypt, p. 532.

وعلى هذا النحو لم تنجح مساعي الغوري في الحصول على مساعدات حربية من الهندية ، كما لم تفلح تهادياته للبابا في وقف الاعتداءات البرتغالية على التجارة المصرية في المحيط الهندي والبحر الأحمر ، فقد كان من المحال أن ينتظر من البابا أو ملوك أوروبا مناصرته على أبناء ملتهم (١) . بل على العكس من ذلك فقد أنشطت فرسانه لفرنج و على رأسهم فرسان الاسبتارية بجزيرة رودس في الإغارة على السواحل المملوكية ، ومهاجمة السفن المصرية في للبحر المتوسط (٢) .

لم يجد الغوري بدا من محاربة البرتغاليين في المياه الهندية ، ولهذا بدأ في إنشاء السفن الحربية (٣) ، وتم بالفعل لإنشاء خمسين سفينة (٤) ، جهزت بالمدافع والأسلحة النارية (٥) وأستند أمر قيادتها إلى الأمير حسين الكردي ، الذي جعله السلطان نائباً عنه على جدة ، وأبحر الأسطول من ميناء السويس في ٨٩١١ م / (٦) ١٥١٥ . وبدأ حسين الكردي في تحصين جدة وبناء الأبراج

(١) Kammerer : op. cit., T: II, p 145.

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ١٩١ — ١٩٢ ، ابن طولون الصالحى : مملكة الختلان ج ١ ص ٢٤٥ أحمد دواج : الممالك والفرنج ص ١٢٨ - ١٢٩ ، عدلى فريد : نفس المرجع ص ١٢٨ .

(٣) Lewis, (B.) : The Camb. Hist. of Islam, vol. I. p. 229.

(٤) زيارة: أئمة اليمن ج ١ ص ٣٩٣ .

(٥) النهر والى : البرق اليماني ص ١٩ .

(٦) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٨٢ ، أحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية ص ٢٦٦ .

لحمايتها (١) ، كما عمل على تأمين البحر الأحمر ، وبدأ بالاستيلاء على سواكن
بغير حرب (٢) .

وفي أوائل المحرم سنة ٩١٣ هـ / مايو ١٥٠٧ م وصلت طلائع الأسطول
المصرى إلى ميناء جازان للتأمين ، ثم توجهت إلى جزيرة كمران (٣) ، وتبعها
الأمير حسين في ربيع الآخر سنة ٩١٣ هـ / أغسطس ١٥٠٧ م في مجموعة
أخرى (٤) . فلما وصل إلى عدن أرسل قاصدا من قبله إلى واليها الأمير
مرجان الظافرى يستأذنه في الدخول إلى الميناء ، فأذن له ودخل بسفنه د بأدب
واحترام وتعفف واحترام (٥) . وأرسل إليه الأمير مرجان رسولين فأكرمهما
وأعادهما مجامين بهداياه ، وأوصاهما بقوله : « بلغنا الأمير منى السلام ، وعرفاه ،
لولا أنى مأخوذ على من قبل السلطان قانصوه أن لا أدخل عدن لدخلت إليه

(١) ابن اياس : نفس المصدر ص ٨٤ ،

Heyd : op. cit., T. II, p. 521.

(٢) ابن اياس : نفس المصدر ص ٩٥ - ٩٦ ، عدلى فريد : السلطان

قانصوه الغورى ص ١٢٦ .

(٣) ابن الديبع : النضل المزيدي ص ٤٣ ب ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى

ص ٦٣٥ - ٦٣٦ ، الكبسى : اللطائف السنوية ص ٢٣٢ ،

Kammerer : op. cit., T. II; p. 154.

(٤) باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١٩٢ ، زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٣٧٣ ،

Kammerer : Ibid, T. II, p. 230.

(٥) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٣٦ .

ومثلت بين يديه « (١) . ولم يتردد الأمير مرجان ازاء ذلك في تزويده بكل ما يحتاج إليه من المساء والمؤون وغيرها (٢) . ثم أبحر الأمير حسين الكردي بأسطوله إلى الهند (٣) . وما أن وصل إلى كجرات - الواقعة في شمال الساحل الغربي للهند - حتى رحب به سلطانها مظفر شاه بن محمود شاه (٤) وأمدّه بالأموال (٥) . وتعاونت معه الأساطيل الهندية المتحالفة ، وتمكن بفضل هذا العون من التغلب على أسطول البرتغالي في موقعة شول ٩١٣ هـ / ١٥٠٨ م (٦) ، التي سقط فيها قائد الأسطول البرتغالي لورنزو دالميدا صريعاً (٧) .

(١) ابن الديبع : الفضل المزيّد ص ٤٤ ، أ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٣٦ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٣٧٣ .

(٢) ابن الديبع : الفضل المزيّد ص ٤٤ ، أ ، عيسى بن لطف الله : روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتوح - مخطوط مصور ضمن مجموعة رقم ١١ تاريخ م بدار الكتب - ج ١ ص ٥٨ ب .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٢٨ ب ، باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١٩٣ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٣٧٣ .

(٤) Kammärer : Ibid, p. 155.

(٥) النهروالي : البرق اليماني ص ٢٠ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٣٦ .

(٦) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ١٤٢ ، أحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ص ٢١٧ . أحمد دراج : المليك والترنج ص ١٣٧ ،

Kammärer : Ibid p 155.

(٧) زين الدين : نخبة المجاهدين ص ١٠ - ٤١ ، بانيكار : آسيا والسيطرة =

وأحدث انتصار الأسطول المصرى فى شول دويا هائلا فى مصر ، وأمر السلطان الغورى بإقامة الاحتفالات فى البلاد بهذه المناسبة لمدة ثلاثة أيام. وكان الأمير حسين الكردي قد أرسل فى طلب الإمدادات ليتمكن من مواصلة الحرب ضد البرتغاليين (١) ، فبدأ الغورى فى المحرم سنة ٩١٥هـ / مايو ١٥٠٩م بتجهيز هدم من السفن لإرسالها إليه إلى الهند (٢) . غير أن ذلك جاء متأخرا ، إذ استطاع الأسطول البرتغالى بقيادة فرنسيسكو دالميدا نائب الملك - بعد وصول سفن ومعدات برتغالية لتميز قواته - أن يفاجئ الأسطول المملوكى فى ديو وينزل به هزيمة ساحقة فى الثالث من فبراير ١٥٠٩م ، ويرغم الأمير حسين على الانسحاب بما سلم من سفنه إلى جده (٣) .

= الغربية ص ٤٣ ، عدلى فريد : قانصوه الغورى ص ١٢٧ ،

Heyd : op. cit., T. II, p. 536.

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ١٤٢ د

(٢) ابن اياس : نفس المصدر والجزء ص ١٥١ .

(٣) ابن اياس : نفس المصدر والجزء ص ٢٨٦ ، زين الدين : تحفة المجاهدين ص ٢١ ، أحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية ص ٢٦٧ ، سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ١٧٨ - ١٧٩ ، أحمد دراج : المماليك والفرنج ص ١٣٧ ، نعيم زكى : طرق التجارة ص ٣٠ - ٣١ ، ٩١ ،

Depping : Histoire du Commerce, Paris, 1830, T. II, p. 269,

Heyd : op. cit., T. II, p. 536, Kammerer : op. cit., T. II, p-

157, 174, Lanc-oolle : Mediaeval India under Mohammedan Rule,

London, 1925, pp. 176 - 177.

والواقع أن إبطاء السلطان المملوكي في القيام بعمل حربي مباشر ضد البرتغاليين في المياه الهندية عقب نجاح طلائعهم في الوصول إلى الهند، أدى إلى تمكن البرتغال من المبادرة بتعزيز قواتها، بحيث أصبح من اليسير على تلك القوات التعجيل بتوجيه هجوم شامل على الأسطول المصري انتهى بتدمير معظمه في ديو .

وكان لانتصار البرتغاليين في ديو أثره في قيام دالبوكيرك بشن حرب صليبية لا هراة فيها ضد المسلمين، فقد انتهز فرصة قيام عادل شاه حاكم جوا بإيواء الأعراب من بطش البرتغاليين، ولإمدادهم بالمعدات والأسلحة للصمود في محاربة البرتغاليين، وبأدر بمهاجمة مدينة جوا سنة ١٥١٠م واستولى عليها . واتخذها قاعدة برتغالية في الهند^(١)، وأرسل إلى ملك البرتغال يبلغه بأنه قتل جميع من رجع من العرب فيها، وأنه حينئذ أمكنه العثور على عربي، كان لإفلاته من يده من المحال، وأنه كان يملأ بهم المساجد ويضرم فيها النار،^(٢) ثم لأنه عمد إلى بث الحس في نفوس رجاله قبيل اعزامة الاستيلاء على ملقه سنة ١٥٢٥^(٣)، وخطب فيهم بقوله، إن الخدمة الجليله التي سنقدمها لله بظردنا العرب من هذه البلاد، وياطفائنا شعله شيعه محمد بحيث لا يتدلع

(١) زين الدين : نفس المصدر ٤٤ .

Kammerer : op. cit., T II, p. 164.

(٢) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ص ٤٦ .

(٣) أحمد مختار العادي : تاريخ البحرية الاسلامية ص ٢١٧، أحمد دراج :

الإسلاميك والفرننج ص ١٣٨ .

Kammerer : Ibid, T. II, p. VIII.

لها هبا بعد ذلك لهيب « ومزج بين المطامع الاقتصادية والتعصية الدينية بقوله « وذلك لأنى على يقين أننا لو انزعنا تجارة ملقة هذه من أيديهم (أى من المسلمين) لأصبحت كل من القاهرة و مكة أترا بعدعين ، ولا تمتعت عن البندقية كل تجارة التوابل ، ما لم يذهب تجارها إلى البرتغال لشراؤها من هناك» (١) .

وهكذا فقد كان لانتصار البرتغاليين في ديو آثره في توطيد دعائمهم في الهند، فاستولوا على مصادر التوابل واحتكروا تجارتها ، واشتدت وطأنهم على المسلمين ، وتمكنوا من إحكام الحصار على الخليج الفارسي والبحر الأحمر و عدن ، وترصدت أساطيلهم سفن الأسطول المصري وغيرها من السفن العربية وتمكنوا في سنة ١٥٠٩ / ٨٩١٥ م من الظفر ببعض السفن اليمنية الخاصة بسلطان اليمن الظافر عامر الثاني واستولوا عليها ولم يسلم منها إلا مركب واحدة وزورقين (٢) . ولم تستطع السلطات اليمنية أو الهندية القيام بأى عمل مضاد للبرتغاليين الذين أصبحت لهم السيطرة الكاملة بغير منازع . ونتيجة لذلك أسرع السلطان الظافر عامر الثاني إلى الاستنجاد من جديد بالسلطان الغوري وحثه على تدارك الخطر البرتغالي (٣) . وتبادل السلطان الغوري معه

(١) يانينكار : آسيا والسيطرة الغربية ص ٤٨ .

(٢) ابن الديبع : قررة العيون ص ١٤١ ب ، الفضل المزيد ص ٤٦ أ .
باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١٩٣ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى
ص ٦٣٧ ، الكبس : اللطائف السنوية ص ٢٣٢ .

Kammerer : op. cit., T. II, pp. 157, 230.

(٣) الشبلي اليمني : السنة الباهر ص ٨ ، ٢٠١٤ ، الهر والى : البرق اليمني

السفارات^(١)، ومنها سفارة الطواشي بشير الذي غادر القاهرة في ربيع
 الأول ٩١٦ هـ^(٢) / ٥ يونيو ١٥١٠ م في طريقه إلى اليمن ، فوصلها في جمادى
 الآخرة من نفس العام ، وقام بإبلاغ رسالة السلطان الغوري إلى السلطان
 الظاهري ، وأطلعها على حقيقة الموقف وما يتم من استعدادات لمواجهة البرتغاليين ،
 ثم قفل الطواشي بشير عائدا إلى مصر مجلا بالهدايا فوصلها في المحرم
 سنة ٩١٧ هـ^(٣) / أبريل ١٥١١ م .

كذلك وفد إلى مصر في سنة ٩١٦ هـ / مايو ١٥١٠ م قصاد الملك محمود
 شاه صاحب كتابة ، وغيره من ملوك الهند لمطالبة الغوري بالإسراع في
 إرسال الحملات لمعاونتهم ضد البرتغاليين الذين كثر « تعبتهم » منذ انتصارهم
 في حيو^(٤) . فقام السلطان الغوري بإرسال مبعوث إلى ملوك الهند في ربيع
 الأول ٩١٦ هـ يونيو ١٥١٠ م يطالبهم بمساندته في قتاله ضد البرتغاليين^(٥) .

(٦) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ص ٦٣٧ ، الكلبسى : اللطائف
 Kammerer : Ibid, T. II, pp. 158, 231. ص ٢٣٢

(٧) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ١٨٨ ، زين الدين : تحفة الجهاد بن
 ص ٤٨

(٨) ابن اياس : نفس المصدر والجزء ص ٢٠٩ ، ابن الديبع : الفضل
 Kammerer : Ibid, T. II, p. 232. للزبد ص ١٧ أ ،

(٩) ابن اياس : نفس المصدر والجزء ص ١٨٢ ، عدلي فريد : السلطان
 ، تقانصوه الغورى ص ٢٠٨ .

(١٠) ابن اياس : نفس المصدر والجزء ص ١٨٥ .

وفي نفس الوقت عاود السلطان الغوري مطالبة البندقية بالإمدادات العسكرية ليتمكن من مواصلة القتال ضد البرتغاليين في الهند . ولكن البندقية كعادتهم تطلوا بحرهم من مواجهة البابا والدول المسيحية الأوربية ، ونصحوه بالتوجه بطلباته إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني الذي بدر بتزويد الغوري بالأخشاب والأسلحة على سبيل الهدية لإسهاماته في حماية المقدسات الإسلامية في الحجاز (١) .

أما الأمير حسين الكردي فقد أتم بعد عودته من ديو بإعادة تحصين جدة وبناء سور ضخيم حولها (٢) - وكان سلطان كجرات قد أمده بالأموال لهذا الغرض (٣) - واستغرق بناء هذا السور عامين ، ومن الجدير بالذكر أن البرتغاليين أقاموا وبدورهم حصنا لهم في قاليقوت ، وكان صاحبها قد اعترف بالإسهام في أعمال التحصينات التي يتولاها الأمير حسين الكردي في جدة فآعد سفينة حملها بالتوابل ، وتحامل حتى حصل على إذن من السلطات البرتغالية.

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ١٩٦ ، ٢٠١ ، ابن طولوقه الصالحى : مفاكحة الخلان ج ١ ص ٣٤٥ ، أحمد دراج : الممالك والفرنج ص ١٤٨ ، Heyd : op. cit., T. II, pp. 537-39, Kammerer : op. cit., T. II, p. 146, Inaleik, (Halil) : The Ottoman Empire, Lon don, 1973, p. 33.

(٢) اللبى : اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن - مخطوط بالجمعية الآسيوية في كلكتا رقم ١٢٨١ ، مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية ، رقم ٣١٤٣ - ص ٥٤ أ .

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ض ٦٣٦ .

بضمان عدم تعرض الأسطول البرتغالي لها ، وتمكنت تلك الشحنة من الوصول إلى جدة بفضل ملاح عربي يدعى خليفة ، وقام هذا الملاح بإبلاغ الأمير حسين بالأمر وأطلعته على أحوال البرتغاليين ، إلا أن الأمير حسين شك في أمر ذلك الملاح واعتقد أنه يعمل لحساب البرتغاليين ، وأنه إنما جاء للتجسس والتعرف على معلومات ليستفيد منها البرتغاليون . ولهذا احتجزه وأرغمه وبجارته على الاشتراك في بناء السور (١) .

وأيا ما كان الأمر ، فإنه ما أن انتهى الأمير حسين الكردي من تحصينات جدة حتى بادر بالعودة إلى مصر ، فوصلها في آخر رمضان سنة ٩١٨ هـ / ديسمبر ١٥١٢ م ، وبصحبه رسول من ملك كتيابة جاء للحصول على تقليد من الخليفة العباسي لسيدته (٢) ، وكان قد وصل إلى القاهرة أيضا - في بداية ذلك الشهر - رسول آخر من الهند محملا بالهدايا للسلطان الغوري (٣) ، ولم تفصح المصادر عن مضمون مهمته ، ولكن يبدو أنها كانت تهدف إلى حث السلطان على إرسال الإمدادات المصرية إلى الهند .

٤ - محاولة البوكيرك الاستيلاء على عدن والسيطرة على البحر الأحمر:-

على الرغم من الحصار الذي فرضه البرتغاليون على عدن ، إلا أن أساطيلهم لم تكن تجرؤ على المخاطرة بمهاجمتها بسبب تحصيناتها الطبيعية اقوية . ولكن بالبوكيرك كان يحرص على الاستيلاء عليها لأهميتها ، ولتخذها قاعدة

(١) Deping : Histoire du Commerce, T. II p. : 219.

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ج٤ ص ٢٨٦ - ٢٨٧

(٣) ابن اياس : نفس المصدر والجزء ص ٢٨٤ .

بحرية لأسطوله والعمل على السيطرة على البحر الأحمر والفضاء على الأسطول
المصرى ، حتى يفقد حكام الهند كل أمل في وصول الإمدادات الحربية
من مصر إليهم ، ومن ثم تقرر مقاومتهم ، ويتخلص البرتغاليون من المخاطر
التي تعترضهم في حالة وصول أسطول مصرى إلى المياه الهندية ، وبذلك يتحقق
الاستقرار للبرتغاليين في الهند (١) .

ولهذا السبب تجهز دالبوكيرك للاستيلاء على عدن ، فغادر جوا في ٨ فبراير
سنة ١٥١٣ (٢) في أسطول يتألف من عشرين سفينة (٣) ، فوصل عدن في
١٧ محرم سنة ٩١٩ هـ (٤) / ٢٤ مارس ١٥١٣ ، ولكن أخبار حملته سبقتة ،
مما فوت عنصر المفاجأة التي كان البرتغاليون يهدفون إليها ، وعلى الرغم من
انزعاج والى عدن من تلك الأخبار ، إلا أنه اتخذ للامر عدته وكان قد قام
بناء على أوامر سلطانه - بتحصين المدينة والتأهب للقتال دون أن يكون البادى .

(١) Wilson : The Persian Gulf, p. 118.

(٢) Kammerer : op. cit. T. II, p. 178.

(٣) Kammerer : op. cit., T. II, p. 178. Wilson ; op.

cit., pp 75 - 76

() وتذكر المصادر اليمنية أن الأسطول البرتغالى كان مكونا من ١٨ سفينة) ،
ابن الديبع : قسرة العميون ، ص ١٥١ ب ، الفضل المزيد ص ١٥١ أ ،
باجخرمة قلادة النجر ج ٣ ص ١١٩٤ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٣٨٠-٣٨١ .

(٤) ابن الديبع : الفضل المزيد ص ٥١ أ ، زبارة أئمة اليمن ج ١ ص ٨٠ ،

Kammerer : op. cit. T. II, p. 185.

به (١) . واتفق وقت وصول الأسطول البرتغالي إلى عدن أن كانت مجموعة من المراكب راسية في مينائها ، فاضطر أصحابها إلى تركها والاحتباء في المدينة ، ولما تأكد البرتغاليون من خلو تلك المراكب من الحراسة ، تقدموا إلى الميناء ، واستولوا على دار البندر (٢) . ثم قصفوا المدينة بالمدافع (٣) . وحاول الأمير صرجان - حاكم عدن - أن يهادنهم ، ويهاديهم تجنباً لما قد يصيب مدينته من كوارث محتومة إذا ما تصدى لهم ، فأرسل إليهم مجموعة من الكباش وكية من العواكح على سبيل الضيافة ، ولكنهم أعادوها إليه ، وطالبوه بتسليم المدينة ، وهددوه بالاستيلاء عليها قهراً وحددوا مهلة لليوم التالي (٤) . فلما لم يستجب حاكم عدن لطلباتهم ، هاجموا المدينة ونصبوا عدداً من السلا على أقصر جانب من سورها (٥) وتمكن بعضهم من النزول بداخلها (٦) . فكان لذلك أثره السيء على حاكمها الذي تم بالتسليم ، ولكنه عدل عن ذلك ، عندما رأى استماتة أهل المدينة في الدفاع عنها واستبسالهم في المقاومة رغم قلة ما لديهم من

(١) ابن الديبع : آرة للعيون ص ١٥١ ب ، بانخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١٩٤ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٤٠ .

(٢) تقع دار البندر على جبل صيرة المقابل لعدن والمشرق على مينائها - بانخرمة : تاريخ نجر عدن ج ١ ص ١٢ - ١٣ ، ١٢٤ .

(٣) بانخرمة : نفس المصدر والجزء ص ١٦ ، قلادة النجر ج ٣ ص ١١٩٤ .

(٤) بانخرمة : قلادة النجر ، نفس الجزء والصفحة .

(٥) Kammerer : op. cit. T. II, p. 186.

(٦) بانخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١١٩٥ ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥١ ب ، الفضل المزيد ص ٥١ أ .

لمكانيات ، فقد تجمع عدد منهم واستخدموا الحجارة في محاربة البرتغاليين المسلحين بالأسلحة النارية . وشجع هذا الموقف البطولي من الأهالي حاكم عدن ، وقوى عزيمته ، وحط بمن معه كالباواشق على من نزل من البرتغاليين في المدينة . وتغلب عليهم وأرغمهم على اللوز بالزرار ، وحوصر الباقون وأشعات النيران في الأحرار التي اختبأوا فيها ، مما اضطرهم إلى اللقاء أنفسهم . من الأسوار ، ولجأت قوات الأسطول إلى قصف المدينة بالمدفعية لتغطية انسحابهم (١) .

وهكذا أسفرت تلك المركة عن فشل البرتغاليين في الاستيلاء على عدن (٢) ، وسقوط بعض القلبي منهم (٣) ، وأسر أربعة آخرين (٤) . لشبابا لا تقامهم ، قام البرتغاليون - دندا انسحابهم - بشمال النيران في المراكب الراسية في الميناء (٥) ، ثم اتخذ دالبوكيرك طريقة لبي باب المنذب ، حيث توجه شمالا في البحر الأحمر بمحاذ ساحله للشرقي ، فر بالقرب من المواني اليمنية دون أن يتوقف في أي منها إلى أن وصل إلى جزيرة كمران في أوائل

(١) باخرمة : نفس المصدر والصفحة .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥١ ب ،

Macro : Yemen and the Western World, p. 1.

(٣) باخرمة : نفس المصدر والصفحة .

(٤) ابن الديبع : النضل المزيد ص ٥١ أ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى .

ص ٤٠ ، زيارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٣٨١ .

(٥) زيارة : نفس المرجع والصفحة ،

صفر سنة ٨٩١٩ / ابريل ١٥١٣ م ، فاستولى عليها ونهبها رجاله (١) ، ودمرو
 بعض مبانيها (٢) وقتلوا من وجدوه فيها من اليمنيين (٣) . وأقام دالبو كبيرك
 في كمران حتى منتصف جمادى الأولى سنة ٨٩١٩ / يوليو ١٥١٣ م (٤) ،
 دون أن يتحرك السلطان اليمنى لمقارمتهم ، والناس يأكل بعضها بعضا من
 الفيض ، يريدون من السلطان المصروف والاذن في قتالهم ، فلم يساعد على
 ذلك ، (٥) .

وعلى الرغم من نجاح الأسطول البرتغالي في التوغل في البحر الأحمر ،
 والوصول إلى كمران واحتلالها بغير مقاومة ، إلا أنه فشل في الوصول إلى
 جدة ، بسبب الديات التي سخرت لتشتيت قطع الأسطول ، وقضت على
 أحلام دالبو كبيرك في العبث بالمقدسات الإسلامية ، وتدمير قبر الرسول (٦) .

(١) ابن الديبع : الفضل المزيدي ص ٥١ أ ، قرّة العيون ص ١٥٢ أ ،
 باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٩٥ ، أحمد دراج : الممالك والفرنج
 ص ١٥٥ .

Kammerer ; Ibid. T. II, p. 192: (٢)

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٤٠ ، زبارة : نفس المرجع
 والمنحة .

(٤) ابن الديبع : قرّة العيون ص ١٥٢ أ ؛

Kammerer ; Ibid, T. II, p. 193,

(٥) باخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٩٥ .

Kammerer ; op. cit., T. II p. 193, Serjeant (٦)

The Portuguese p. 169.

ولهذا توجه إلى مصوع (١) ، وأغارت بعض سفنه على زيلع ، وأحرق ما كان راسيا في مينائها من مراكب (٢) . كما هاجم سواكن (٣) وجزائر دهلك ، واضطر أخيرا إلى العودة إلى عدن حيث فشلت محاولته الثانية في الاستيلاء عليها، فتركها في أول جمادى الآخرة سنة ٨١٩هـ/٤ أغسطس ١٥١٣م إلى الهند (٤) بعد أن قصفها بمدفيعته ، وأحرق رجاله ما كان راسيا في مينائها من المراكب (٥) .

وأحدث دخول الأسطول البرتغالي إلى البحر الأحمر، ومحاولته الوصول إلى جدة رد فعل عنيف ، ففي الحجاز خشي الشريف بركات أمير مكة أن يتمكن البرتغاليون من النزول في جدة، في غيبة حسين الكردي قائد الأسطول المملوكي ، الذي كان موجودا وقتها في مصر، ولذلك أسرع الشريف بركات بالتوجه إلى جدة بمن معه من المجاورين لتعضيد الحامية المملوكية فيها. وكان الشريف قد أرسل إلى السلطان الغوري يبلغه بخطورة الموقف (٦) ، فأصدر

(١) Kammerer ; Ibid T. II pp. 1X, 197.

(٢) ابن الديبع . قرّة العيون ص ١٥٢ أ ، الفضل المزيد ص ٥١ ب ،
بأنخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٩٥ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٤٠ .
(٣) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٣٠٧ ، أحمد دراج : المسالك
والفرنج ص ١٥٥ .

(٤) ابن الديبع : الفضل المزيد ص ٥٢ أ .

(٥) ابن الديبع : قرّة العيون ص ١٥٢ أ - ب ، بأنخرمة : قلادة النحر
ص ١١٩٥ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٤٠ .

Kammerer Ibid. pp. 205.

(٦) ابن اياس : نفس المصدر والصفحة .

السلطان أو امره إلى الأمير حسين الكردي لسرعة العودة إلى جدة ، وأرسل معه أحد الأمراء ليتولى مهمة الكشف عن أخبار البرتغاليين (١) . وفي نفس الوقت تضاقت الجهود من أجل تجهيز السفن الجارية إنشاؤها في السويس ، وتزويد الحملة بالزرد كاشية والجارين والحدادين ورماة البندق والنفطية (٢) وتوجه السلطان إلى السويس في شهر صفر ٩٢٠هـ / مارس ١٥١٤م للإشراف بنفسه على إنزال السفن العشرين التي تم إنشاؤها إلى البحر الأحمر (٣) . وتابع الغوري إرسال الإمدادات ، ففي جمادى الأولى ٩٢٠هـ / يونيو ١٥١٤م جهز تجريدة إلى الأمير حسين الكردي (٤) ، كما أرسل أسطولاً آخر من عشرين سفينة في جمادى الأولى سنة ٩٢١هـ / يونيو ١٥١٥م ، أسند قيادتها إلى الرئيس سلمان الغماني (٥) ، الذي توجه إلى جدة للاضطلاع إلى الأمير حسين الكردي ، والاشتراك معه في قيادة الأسطول المملوكي ضد البرتغاليين (٦) .

(١) ابن اياس : نفس المصدر ص ٣٠٨ .

(٢) ابن اياس : نفس المصدر ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٣) ابن اياس : نفس المصدر ص ٣٦٢ - ٣٦٦ ، عدلي فريد : السلطان

قانسوره الغوري ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٤) ابن اياس : نفس المصدر ص ٢٨١ .

(٥) ابن اياس : نفس المصدر ص ٤٥٨ و ٤٦٠ و ٤٦٦ - ٤٦٧ .

(٦) الطبري : اتحاف فضلاء الزمن ص ٥٨ ب ، ٥٩ أ ،

جاءها - تطور العلاقات اليمنية المصرية حتى سقوط دولة بني طاهر :

١ - موقف السلطات الطاهرية من الجريد المملوكية ضد البرتغاليين:

لم يؤثر نجاح البرتغاليين في السيطرة على الطريق إلى الهند ، على الممالك الهندية أو دولة الممالك والبندقية فحسب ، وإنما شمل بالضرورة بلاد اليمن بحكم موقعها وأهمية عدن . وعلى الرغم من السياسة الانزالية التي اتبعها سلاطين اليمن الطاهريين ، إلا أنها كانت أكثر البلاد تأثراً بما يدور حولها ، فقد تأثرت حركة التجارة في موانئها تأثراً بالغا وخاصة عدن ، وكان نجاح البرتغاليين في السيطرة على موانئ شرق إفريقيا ، وخاصة في المنطقة الواقعة جنوبي رأس جوردفوي (القرن الأفريقي) ، واحتلالهم لسوقطرة ، إلى الجنوب الشرقي من عدن - وسيطرتهم على سواحل عمان وهرمز ، وانتشار أساطيلهم لإغلاق الخليج الفارسي والبحر الأحمر ، كلها مقدمات للهجوم الذي شنّه دالبوكوك سنة ١٥١٣ م على عدن ، في محاولة للاستيلاء عليها ، لموقعها الاستراتيجي الممتاز ، ولكونها من أصلح الموانئ التي يطمح البرتغاليون في استخدامها كقاعدة رئيسية لأسطولهم ، ولعملياتهم الحربية في البحر الأحمر ، مما يساعد على الاتصال بالحبشة ، وتحقيق المطامع الصليبية بضرب مصر والاستيلاء على الحجاز .

وكان موقف السلطات الطاهرية في عدن بادئ ذي بدء مشرفاً عند مرور الأسطول المملوكي بقيادة الأمير حسين الكردي سنة ١١١٣هـ/١٥٠٧م في طريقه إلى الهند ، إذ تبادل الأمير مرجان معه الهدايا ، وأمدّه باحتياجاته وعامه معاملة الخلقاء^(١) . ولكن هذا الموقف لم يلبث أن تغير بعد أن بدأ

(١) انظر ، ابن الديبع : قسرة العيون ص ١٤٨ ب ، باخترمة : قلادة

البرتغاليون حملتهم على عدن والبحر الأحمر في أعقاب انتصارهم على الأسطول المصري في ديو سنة ١٥٠٩م ، فقد وقف حاكم عدن موقفا سليما من الهجوم البرتغالي الأول على عدن سنة ١٥١٣م ، وعمل على مهادنة البرتغاليين وموادعتهم ، وأمدم بالمؤن مما يهدد دليلا على جنوحه إلى مسالمتهم ، ولكنهم أصروا على تسلم المدينة . ونظرا لتخاذل مرجان الظافري حاكم عدن الطاهري فقد تمكنت بعض القوات البرتغالية من تسلق أسوار المدينة والنزول فيها ، ولولا تصدى الأهالي لهم ، واشتباكهم معهم في معركة انتصرت فيها حجارة الأهالي على الأسلحة النارية البرتغالية ، لسقطت عدن في أيدي البرتغاليين (١) .

ولم يكن هذا هو موقف مرجان الظافري وحده ، بل كانت خيضة استنها السلطان الطاهري الظافر عامر الثاني بدليل أنه لم يتصمد للأسطول البرتغالي في البحر الأحمر ، كما سهل للبرتغاليين الاستيلاء على جزيرة كمران اليمنية بغير حرب ، كما أنه لم يحاول استرداد تلك الجزيرة رغم حماس أهل اليمن للجهاد ، بل ترك البرتغاليين يحتلون أكثر من شهرين دون أن يلقوا منه أية مقاومة (٢) . فكان لهذا الموقف أثره في تطلع البرتغاليين للاستيلاء على جدة ، ولولا مقاومة الرياح لهم لأمكنهم تحقيق ذلك ، وما يمكن أن يترتب على ذلك

النحر ج ٣ ص ١١٩٣ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٦٣٦ ،

Kammerer ; op. cit., T 11, p 231

(١) انظر ، ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥١ ، بانخرمة : نفس المصدر والخزء ص ١١٩٤ - ١١٩٥ ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٦٤٠ .

(٢) بانخرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١١٩٥ .

من الاعتناء على المقدسات الاسلامية ، وافتتاح الطريق امامهم لتوجيه ضربتهم
المباشرة لمصر .

لما قام السلطان الغورى بإعداد أسطول آخـر بقيادة الأمير حسين
الكردي والرئيس سلمان العتاني ، وبدأ هذا الأسطول في الإبحار جنوبا في
طريقه إلى الهند ، صدم قادة هذا الأسطول بالموقف العدائى الصارخ الذى
وقنته الساطعات الطاهرية فى اليمن . وكان الأمير حسين حريصا - كما دأب -
على عدم المساس بالسيادة اليمنية ، فما أن وصل إلى جازان - حتى أرسل رسولا
من قبله إلى السلطان الطاهرى الظافر عامر الثانى ، يخبره بأمر الحملة البحرية ،
ويطلب سرعة العمل على تزويده بالمؤن والأموال تنفيذا لما تعهد به فى مكاباته
للسلطان الغورى (١) ، وذلك حتى يمكنه مواصلة الإبحار إلى الهند لمقابلة
البرتغاليين هناك ، ولكن هذا الطلب أزعج السلطان اليمنى ولم يستجبه له (٢) .
وكان الأمير حسين الكردى قد واصل تقدمه فوصل إلى جزيرة كمران فى
السابع من ذى القعدة سنة ٩٢١ هـ (٣) / ديسمبر ١٥١٥ م ، وعندئذ أرسل
رسله بالهدايا إلى والى زيد الأمير عبد الوهاب ابن السلطان الظافر عامر الثانى ،
فكتب عبد الوهاب إلى والده يخبره بوصول الأسطول المصرى إلى كمران ،
ومطالبة قائده بالمؤن والأموال لمعاونتهم على الجهاد (٤) . ويقال ان السلطان

(١) الشبلبى اليمنى : السنا الباهر ص ٢٠١ ، النهروالى : البرق اليماني ص ٢٠ ،

Kaunmerer : Ibid, T. II, p. 231.

(٢) بانخرمة : نفس المصدر والجزء ص ١٩٧ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٥ ، الفضل المزيدي ص ٥٤ أ .

() بانخرمة : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى

كان ميالا لتقديم المساعدات المطلوبة اتقاء لشرم ، ولكن وزيره أقنعه بعدم الاستجابة (١) حتى لا يكون في ذلك التزام بتقديمها سنويا (٢) . ولهذا أعرض السلطان عن رسل الأمير حسين الكردي ، وامتنع عن تزويده بالمعلومات التي كان قد اشتراطها على نفسه ، وكتب إلى ابنه في زبيد يحذره من التعاون معهم ، وأمره بعدم إرسال المؤن المعتادة إلى كمران والحجاز حتى لا يستولوا عليها (٣) .

كان لتخاذل السلطان الظافر عامر وعدم وفائه بما التزم به ، وتحوله إلى هذا المرقف العدائي من الحملة ، أثره في تخويف الأمير حسين الكردي ، الذي كان حريصا على عدم انتهاك حرمة الأراضي اليمنية ، وتأمين سلامتها وحمايتها من الخطر البرتغالي ، مما يفرض على اليمن تقديم المساعدات المطلوبة ، كما كان التعاون اليمني أمرا ضروريا ولازما لإنجاح مهمة الأسطول المملوكي ، وذلك بالساح له باستخدام بعض المواني اليمنية ، مما يساعد على حماية السواحل وتأمين البحر الأحمر ، في وقت عجز فيه السلطان الظافر الطاهري عن مقاومة البرتغاليين لانشغاله في القضاء على الثورات الداخلية ، وهكذا اضطر الأمير حسين الكردي بحكم موقف السلطان اليمني منه إلى قبول التعاون مع بعض القبائل

(١) باخرمة : نفس المصدر ص ١١٩٨ ،

Kammerer : Ibid, T. II, p. 243.

(٢) الشبلي اليمني : السنة الباهرة ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، النهروالي : البرق

اليمني ص ٢٠ .

(٣) ابن الديبع : قررة العيون ص ١٥٥ أ ، الفضل المزيدي ص ٥٤ أ ، باخرمة : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٦٤٤ ، الكبسي : اللطائف السنوية ص ٢٣٣ .

اليمنية التي عرضت عليه استخدام القواعد البحرية اللازمة للأسطول في الأراضي اليمنية ، ولهذا تحولت جهوده للاستيلاء على تهامة والدخول في صراع مع بني طاهر ، مما أدى سقوط دولتهم في نهاية الأمر (١) .

ومها يكن من أمر ، فقد ترك الأمير حسين الكردي مجموعة كبيرة من جنده في تهامة تعاونها القائل اليمنية للاستيلاء على اليمن ، وتوجه هو في أواخر جمادى الآخرة سنة ٩٢٢ هـ / يوليو ١٥١٦ م ومعه الرئيس سليمان العثماني إلى زيلع (٢) لاصلاح ثلثين والتزود بالمؤن والمياه وغيرها (٣) . ثم رحل من هناك إلى عدن فوصلها في رجب ٩٠٢ هـ (٤) / أغسطس ١٥١٦ م ، فلما رأى أهل عدن السفن المملوكية - وكان قد بلغهم غزو الجراكسة لتهامة - صرفوا ما كان في الميناء من مراكب خوفاً من أن يستولي المماليك عليها (٥) ، وقد شغل الرئيس سلمان العثماني بمطاردتها (٦) . أما الأمير حسين الكردي فقد

(١) عن الصراع بين الجراكسة وبني طاهر ، انظر ، ما يلي ص ٥٢٦ وما بعدها .

(٢) الشبلي : السنة الباهر ص ٢٠٣ .

(٣) ابن الديبع : الفضل المزيدي ص ٥٥ أ ، باخرمة : قلادة النحر ص ٣٠ ص ١٢٠٠ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٤٧ .

(٤) النهر والى : البرق اليماني ص ٢٣ ، الكبسي : اللطائف السنوية ص ٢٣٧ .

(٥) باخرمة : قلادة النحر ص ٣٠ ص ١٢٠٠ ،

Kammerer : op. cit., T. II, P. 235.

(٦) ابن الديبع : الفضل المزيدي ص ٥٥ أ ، النهر والى : البرق اليماني

ص ٢٣ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٤٨ .

تحوّل بمقاومة عنيفة ، واضطر إلى قصف المدينة بالدفعية ، وتمكن من انزال
 بعض قوائمه إلى البحر ، حيث دارت معركة حامية بينها وبين عسكر المدينة ،
 قتل فيها جمع من الفريقين وانتهت بانسحاب حسين الكردي من ميناء
 عدن (١) . ولكنه لم يكفد يبتعد عنها كثيراً حتى لحقه زميله سلمان ، الذي لاقاه
 على ترك حصار المدينة ، وأعادته معه إليها في شعبان ٩٢٢ هـ / سبتمبر ١٥١٦ م
 فحاصرتها مرة أخرى . وانفق عند عودة الأسطول ، أن كان القائمون بالحراسة
 على حصن صيرة - المقابل لعدن والمترف على مينائها - قد تركوا مواقعهم
 وتولوا إلى المدينة ، ظناً منهم بزوال الخطر ، مما سهل على القوات المملوكية
 سهولة الاستيلاء على هذا الحصن ، واستخدامه في ضرب المدينة بالدفعية .
 ثم تحول سلمان إلى تصويب مدفعيته إلى سور المدينة ، وتمكن من هدم جانب
 كبير منه . وعاوالت القوات الجركسية اقتحام تلك الثغرة ، ولكن حامية
 المدينة تمكنت - بجمعيد الأهالي - من الصمود (٢) ، ثم قويت عزيمتهم بوصول
 المددات من السلطان الظافر عامر الثاني ، مما اضطر القوات الجركسية على
 الانسحاب إلى سفنها ومغادرة عدن (٣) في رجب سنة ٩٢٢ هـ (٤) / أغسطس
 ١٥١٦ م .

(١) ابن الديبع : نفس المصدر ص ٥٥ ب ، باخرمة : نفس المصدر
 والجزء ص ١٢٠١ ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع والمبفحة ، زيارة : أمة
 الحسين ج ٣ ص ٢٨٢ ، عدلى فريد : السلطان قانصوه الغورى ص ١٣٥ .

(٢) ابن الديبع : الفضل المزيدي ص ٥٥ ب ، باخرمة : قلادة النجر ص ٣٠
 ص ١٢٠١ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٨ أ .
 (٤) ابن الديبع : الفضل المزيدي ، نفس الصنحة ، عيسى بن لطف الله :
 روح الروح ج ١ ص ٦١ ب ، النهر والى : البرق البياني ص ٢٤ .

ومن الجدير بالذكر أن الرئيس سلمان العثماني توجه بسفنه إلى قرية رباك^(١) للزود بالمياه، وكان اليمنيون قد رتبوا حامية فيها لمنع الأسطول المصري من الحصول على الماء، فوقع سلمان ومن توجه إليها معه في كمين^(٢) أعد لهم، واستطاعت حامية القرية محاصرتهم، ولكن ماكادت قواته تطلق بنادقها، ويسقط بعض رجال الحامية اليمنية حتى فر الباقون، وتمكن سلمان من العودة بمن معه إلى سفنه^(٣).

وبدلاً من أن يواصل الأسطول المصري رحلته إلى الهند لانجبار المهمة الرئيسية التي أسندت إليه، عاد إلى البحر الأحمر. وكان قد حدث خلاف بين الأمير سلمان والأمير حسين الكردي فتوجه الأول إلى زيلج للزود بالمؤن، ومنها توجه إلى جدة. في حين عاد الأمير حسين إلى جدة ماراً بالموانئ اليمنية الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر^(٤).

وعلى هذا النحو لم يتمكن الأسطول المصري من مواصلة التقدم من عدن إلى الهند لتنفيذ المهمة الأساسية التي جهز لها، وهي محاربة البرتغاليين في المياه الهندية، وعلى الرغم من أن المصادر لم توضح أسباب عودة الأسطول المفاجئة إلى جدة، إلا أنه يمكن القول بأن هناك عدة أسباب هامة لهذا التصرف منها:

-
- (١) رباك، قرية بالقرب من عدن، تقصدها السفن المتجهة إلى البحر الأحمر للزود بالماء، (باخرمة. تاريخ نجر عدن ج ١ ص ٢٠ - ٢١).
 - (٢) ابن الديبع: الفضل المزيد، نفس الصفحة.
 - (٣) باخرمة: تاريخ نجر عدن ج ١ ص ٢١.
 - (٤) باخرمة: قلادة النجر ج ٣ ص ١٢٠٢.

أولاً - امتناع السلطان الطاهري الظافر عامر الثاني عن الوفاء بعهده
تلفوري بتقديم المساعدات إلى الأسطول المملوكي ، أو السماح باتخاذ قواعد له
في اليمن ، وقيامه باحتجاز السفن الواردة بالمؤن ، ومنعها من الوصول إلى
الأسطول الذي كانت وحداته راسية في جزيرة كمران .

ثانياً - كان تأمين البحر الأحمر من الخطر البرتغالي من بين المهام الرئيسية
للأسطول ، لضمان حماية المقدسات الإسلامية ، وتأمين مصر واليمن ، ومنع
اتصال البرتغاليين بالحبشة . وهي أمور كان البرتغاليون يسعون إلى تحقيقها
لضمان سيطرتهم على التجارة الشرقية . وكان على قادة الأسطول المملوكي إيجاد
تقواعد لهذا الأسطول في موانئ البحر الأحمر ، تلجأ إليها السفن للإصلاح
أو المرابطة والتوين . إلا أن موقف السلطان الطاهري المعادي ، ألزم قادة
الأسطول للعمل على تحقيق ذلك عن طريق القوة وقد استلزم ذلك توجيه
جزء من القوات المعدة أساساً لمحاربة البرتغاليين للقيام بالمرابطة في بعض الموانئ
اليمنية ، ثم تطورت الأمور إلى غزول اليمن لضرب الطاهريين الذين تسببوا
بعوقهم في عرقلة وتعطيل الأسطول المملوكي عن موصلة القيام بمهمته الأساسية
في محاربة البرتغاليين بالمياه الهندية .

ثالثاً - كانت عدن بموقعها الاستراتيجي الهام نقطة ارتكاز أساسية
لتأمين الأسطول المملوكي في المحيط الهندي ، ولم يكن في إمكان قادة الأسطول
التوجه إلى الهند دون ضمان الاعتماد عليها وتحقيق الرسو في مينائها ، حتى
لا يتخلفهم البرتغاليون عليها ، ومن ثم يقطعون خط الرجعة عليهم ويصبح
الأسطول المملوكي فريسة سهلة لهم ، ولهذا كان على حسين الكردي أن يؤمن
بعودته من هذه المغامرة ، خاصة وأن الأمير مرجان حاكم عدن كان يسعى إلى

مهادنة البرتغاليين عند قيامهم بالهجوم على عدن في سنة ١٥١٣ ، ولم يلجأ إلى
مقاومتهم إلا تحت ضغط الأهالي . ولهذا لم يكن مستبعدا أن يتحالف هذه
الأمير مع البرتغاليين ، بحجة تخليص اليمن من أطاع الجراكسة: وهذا ما أكدته
الأحداث بعد ذلك في سنة ١٥١٧ .

ولهذه الأسباب لم يتمكن قادة الأسطول المملوكي من المجازفة بالوجه
لمحاربة البرتغاليين الذين كانوا قد دعموا مراكزم في الهند ومدخل الخليج
وهرمز وسقطرة ، وأحكوا الحصار على الساحل الجنوبي لبلاد العرب ،
وامتدت سيطرتهم ، على الساحل الشرقي لأفريقية ، وأقاموا القلاع والتحصينات
في المناطق التي يسيطرون عليها ، وأصبح لديهم من القوة الحربية والبحرية
ما يجعل الأمير حسين عاجزا عن مواجهتهم ، خاصة إذا لم يكن مسيطرا على عدن
والموانئ اليمنية في البحر الأحمر ، حتى يضمن سلامة وصول الإمدادات ،
وتأمين عودته . وإلا فإن هزيمته ستصبح أمرا محققا . وإذا أخذنا في الاعتبار
الخلاف الناشب بين الأمير حسين الكردي وزميله سلمان العثاني ، لرأينا أنه
عودة الأسطول المصري إلى البحر الأحمر كان تصرفا صائبا ، وذلك إلى أنه
يتم الاستعداد لجولة أخرى متكافئة . ولكن ما لبثت الأوضاع أن تغيرت
فجأة ، واستولى العثمانيون على مصر ، وخلفوا المماليك في تحمل عبء الكفاح
ضد البرتغاليين .

٢ - تعاون حاكم عدن مع البرتغاليين للسيطرة على البحر الأحمر :-

على الرغم من فشل دالبوكيرك في الاستيلاء على عدن سنة ١٥١٣ ، إلا أنه
فكرة السيطرة عليها ظلت تراود البرتغاليين الذين كانوا يعتبرونها ضرورة
ملحة للسيطرة على البحر الأحمر ، وقطع أي اتصال بين مصر والهند ، وتقييده

الوجود البرتغالي بتوجيه ضربة مباشرة لمصالح مصر الاقتصادية، ولأنشك في توصل البرتغاليين إلى معرفة بعض الأخبار المتعلقة بالصراع الناشب بين قوات الأسطول المملوكي وبنى طاهر، واستيلاء حسين الكردي على بعض الموانئ اليمنية في البحر الأحمر، وتوغل قواته لاستكمال غزو اليمن، فاستغل البرتغاليون ذلك الصراع للقيام بحملة أخرى في البحر الأحمر وتحقيق الاتصال بالحبشة، والتعاون معها ضد مصر والحجاز والعبث بالمقدسات الإسلامية (١).

ففي ٨ فبراير ١٥١٧ غادر أسطول برتغالي قوامه أربعون سفينة (٢) ميناء جوا بقيادة لوبوسواريز، وتمكن من الوصول إلى سوقطرة بعد ثلاثة أسابيع، ولم يلبث أن أبحر منها إلى عدن فوصلها في الخامس من مارس (٣). وبدأ على الفور في مراسلة الأمير مرجان حاكم عدن موضحاً له أن هدفه لا يعدو مجرد تقديم العون له ضد المماليك الذين انتهكوا حرمة بلاده، والعمل على طردهم منها (٤)، ومبالغة من لوبوسواريز في التظاهر بحسن نواياه لم يقم بأى عمل عدائي ضد السفن الراسية في الميناء، ويبدو أن حاكم عدن اتخذ بهذا الأسلوب الودي الناعم، أو وجدها فرصة سانحة للقضاء على الأسطول المملوكي والقوات

(١) Kammerer: op. cit., T. II, p. 265, Wilson: The Persian Gulf, p. 120.

(٢) Kammerer : Ibid., p. 265. (وبذكر باخبرمه أن عدة أسطوله ثلاثون سفينة) قلادة النجر ج ٢ ص ١٢٠٥ .

(٣) Kammerer : Ibid., p. 266.

(٤) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٥٨ ، زبارة : أئمة اليمن

ج ١ ص ٣٩١ .

البحر كسبية ، وتخليص بلادة من سيطرتهم ، فاجتمع في موضع من ميناء عدن
بجماعة من البرتغاليين للاتفاق معهم ، ورحب بهم ، و قدم لهم الضيافة العظيمة
إلى مراكبهم ، وطلبوا ربابين تسيرون بهم إلى جدة ، فدفع إليهم الأمير جماعة من
أهل الشام بالكراهة من الربابين لذلك ، بعد أن أخيفوا وتجاوزوا ، فلم يعذرهم
الأمير في ذلك كفاية لشر الفرنج ، (١) . ولم يتردد الأمير مرجان في تلبية جميع
طلبات البرتغاليين ، حتى أنه عرض عليهم مفاتيح المدينة . وقد أرجع لوبو
سواريز موقف حاكم عدن إلى قوة الأسطول البرتغالي وتفوقه على الأسطول
الملوكي في القوة ، مما حدا بالأمير مرجان — خوفاً على تخريب عدن —
إلى الانصياع للبرتغاليين والوقوف موقف المحالف لهم ، وأيا كان الأمر ،
فقد آثر القائد البرتغالي التظاهر بالموافقة على عقد هذا الحلف ، حتى يتمكن من
مواصلة رحلته إلى البحر الأحمر تنفيذاً لمخططه ، وأرجأ التصرف في أمر عدن
إلى حين عودته من تلك المهمة (٢) .

وهكذا لم يقدر مرجان الظافري خطورة ما أقدم عليه ، من الترحيب
بالبرتغاليين والتعاون معهم ، ولم يدمهم بأربعة من أكفأ مرشديه (٣) لمساعدتهم
في الوصول إلى جدة ، وهو أمر لو قدر للبرتغاليين تحقيقه ، لما ترددوا في
تدمير المقدسات الإسلامية ، ولكن الله خذلهم وحمل مقدساته . فقد غادر
لوبو سواريز عدن بمن أجبر على العمل معه من المرشدين ، وعبر باب المنذب

(١) بالخزمية . نفس المصدر والصقحة .

Kammerer : La Mer Ronge, T. II pp. 266 f. (٢)

Kammerer : Ibid, p. 267. (٣)

بأسطوله في السابع عشر من مارس ١٥١٧، وبفضل مساعدة الربابنة المسلمين، نجح لوبو سواريز في الوصول إلى مشارف جدة مع حلول فصل الربيع، حيث تهب الرياح الشمالية، ولكنه لم يستطع الوصول إلى جدة بسبب شدة الرياح^(١) التي عصفت بسفنه، وفشل البرتغاليون للمرة الثانية في الاستيلاء عليها^(٢).

ومن الجدير بالذكر أن تلك الحملة البرتغالية البحرية أقلعت وفقا لمخطيط دقيق يتفق مع ظروف موالية للبرتغاليين، فقد كان العثمانيون قد استولوا على مصر وقضوا على دولة الجراكسة. وكان سامان العثماني قد انفرذ بقيادة الأسطول المرابط في جدة، بعد أن نفذ أوامر السلطان سليم، بالقبض على حسين الكردي وإغراقه في مياه البحر الأحمر أمام جدة^(٣).

وأيا ما كان الأمر فقد أربكت الرياح حركة الأسطول البرتغالي، وأسهمت مع مدفعية سلمان في إحداث بعض الأضرار بالسفن البرتغالية^(٤)، مما شجع سلمان على مطاردتهم، وتمكنت مدفعيته من إصابة سفينتين أو ثلاثة من سفنهم، وبهدف بالخرمة: للوقوف والمعركة بقوله: «ثم أن المدافعي طرح في الباروت شيئا حتى تغير المدفع، وأحرقت النار بعض الغراب الذي فيه سلمان». ويقال أن المدافعي كان نصرانيا، يخدم مع الأمير سلمان فاحتر على أهل

Kammerer : Ibid; pp. 267 - 269. (١)

Macro : Yemen and the Western World, p. 1: (٢)

(٣) النهروالي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٢٨ ، البرق الياني

ص ٢٦ — ٢٧ ، الطبري : اتحاد فضلاء الزمن ص ٥٨ ب — ٥٩ أ .

Kammerer : Ibid; p: 269. (٤)

دينه» (١) وقد أدى هذا العمل الذي قام به المدافعى إلى إصابة المركب واشتعال النيران في جانب منها ، ولكن سلمان تمكن من العودة بها سالماً إلى جدة، وانتقم من هذا الرجل وقتله في حين أخذت بعض سفن سلمن في مطاردة. سفن البرتغاليين ، حتى تمكنت من أسر إحداها بالقرب من ميناء اللحية اليمنى ومادت بها وبمن عليها إلى جدة (٢).

أما القائد البرتغالى لوبو سواريز، فقد نجح في الوصول بمجموعة من سفنه إلى كمران، في حين ضلت مجموعة أخرى طريقها، ولعبت الرياح بها، وحولتها إلى الشاطئ الافريقى عند جزيرة ظنوها سواكن ، فنزل بها بعض البحارة بحثاً عن الماء ، ولكنهم لم يجدوا إلا مياه ملحة ، فأقلعوا منها إلى دهالك ، ووصلوها في حالة من الإعياء والسوء بسبب نفاذ المياه وهلاك عدد كبير منهم عطشا ، ولاضطرارهم إلى شرب الماء الملح ، فكان لما لقوه من أهوال أثره في وقوع حركة تمرد في صفوفهم (٣) ، وأسرت سفنهم إلى مصوع ، فوقت قواتهم في كمان نصبت لهم فيها ، وراح ضحيتها عدد منهم (٤).

أما السفن البرتغالية التي رست في كمران ، فقد هاجم بحريوها الحصن.

(١) باخزمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١٢٠٥ .

(٢) باخزمة : نفس المصدر والصفحة ، يحيى بن الحسين : قباة الأمانى

Serjeant : The portuguese, p. 170.

Kammerer : La Mer Rouge, T. II, p, 269. (٣)

Kammerer : Ibid, T. II, p. 272. (٤)

ودمروا التحصينات التي كان الأمير حسين الكردي قد أنشأها فيها، وأشعلوا النيران في نخيل الجزيرة، ثم غادروها في ١٢ يونيو ١٥١٧ (١). وكان القائد البرتغالي لوبو سواريز حريصا على تحقيق نصر رخيص، فأبحر إلى زيلع ووصلها في يوليو ١٥١٧ وقتل عددا كبيرا من أهلها، ومضى إلى عدن في طريقه إلى المياه الهندية (٢)، بعد أن فشلت حملته فشلا ذريعا، ومنيت قواته بخسائر جسيمة، بفعل الرياح ونقص المياه، مما أدى إلى هلاك عدد كبير من أفراد قواته (٣)، وفشل محاولاته في الاتصال بالحبشة. ومن الجدير بالذكر أن لوبو سواريز، عندما وقف بأسطوله أمام عدن، أقام خمسة أيام مترددا في مهاجمتها، لعظم ما تكبده من خسائر وكثرة من فقدته من قواته، وتفشى المرض فيمن بقي منهم، وندم على ترك عدن عندما عرض عليه حاكمها مفاتيح المدينة.

وهكذا اضطر لوبو سواريز إلى التخلي عن فكرة الهجوم على عدن، وقفل عائدا إلى قواعده مرورا بالساحل الصومالي للوصول إلى بربرة، ثم توجه منها إلى هرمز ومنها إلى الهند (٤). ويذكر المؤرخون اليمنيون أنه أنه لما عاد إلى عدن لم يلبث إلا أياما زوده حاكم عدن خلالها بما يحتاجه (٥).

Kammerer. Ibid, T. II, p. 273. (١)

Kammerer. Ibid, T. II, pp. 273 f. (٢)

Macro: Yemen and the Western World, p 1. (٣)

Kammerer, Ibid, p. 275, Macro : Ibid, p.1 (٤)

(٥) بانخرمة: قلادة النحر ج ٢ ص ١٢٠٥ — ١٢٠٦، يحيى بن الحسين:

غاية الأمانى ص ٦٥٨.

ويبدو أن عمانويل ملك البرتغال قد استبد به الغضب على لوبو سواريز ، وعزا إليه المشل الذي أصاب الحملة والخسائر الفادحة التي منيت بها ، فلم يلبث أن عزله وأرسل بدله دييجو لوبيز دي اسكويرا سنة ١٥١٨ ونصبه حاكما على الهند ، واضطر سواريز إلى مفادرة الهند في ٢٠ ديسمبر ١٥١٨ طائفا إلى بلاده (١) .

ويتبين لنا مما سبق عرضه، أنه في الوقت الذي وقفت فيه السلطات الطاهرية موقفنا معاديا من الأسطول المملوكي، وعرقلت جهوده في حماية السواحل المطلية على البحر الأحمر والتأهب لعهد الخطر البرتغالي ، كانت تلك السلطات تبذل للبعون للبرتغاليين ، وتدفعهم إلى تدمير القنوات المملوكية المرابطة في جدة . ولم تقتصر معونات حاكم عدن للبرتغاليين على مجرد تقديم الضيافات أو إمدادهم بالمؤن والمياه ، وإنما تجاوزت ذلك إلى تقديم مفاتيح المدينة إليهم ، ولحسن طالع الاسلام أنهم لم يقبلوها، أملا في تحقيق انتصارات أعظم، يضاف إلى ذلك أن الحاكم الطاهري لعن أجاب المطالب البرتغالية وأمدم بعدد من المرشدين، فحبرهم — تحت التهديد — على قيادة الأسطول البرتغالي إلى جدة ، وكان ذلك كفيلا — لو تم تحقيقه — لإحداث كارثة محققة للأمم الإسلامية جمعاء ، وهي تدمير المقدسات الإسلامية ، والقضاء على قوة مصر البحرية ، وتحقيق تحالف مع الحبشة، من الممكن أن تنعكس أولي نتائجه على اليمن نفسها ، وهي أمور لا بد أن يكون الأمير مرجان حاكم عدن مدركا مدى خطورتها . وعلى الرغم من اندحار الحملة البرتغالية فإن الأمير مرجان لم يعدل عن سياسته ،

واستمر في كرمه لهم ، وقدم إليهم المؤن والمياه بعد عودتهم وهم في حالة انهيار تام .

ومن الجدير بالذكر أن حاكم عدن أحس بخطورة ما قام به ، ذلك أنه ما أن علم بسقوط دولة المماليك الجراكسة وانتقال السيادة على مصر إلى العثمانيين الذين امتد نفوذهم إلى الحجاز والبحر الأحمر ، والمناطق التي احتلها الجراكسة من اليمن ، حتى خشي عاقبة مساعدته للبرتغاليين ، واحتمل انتقام الساطحات العثمانية منه ، فبادر بالكتابة إلى السلطان سليم على لسان السلطان الطاهري الظافر عامر الثاني ، مع أن هذا السلطان كان قد اتي مصرعه قبل ذلك في إحدى المعارك التي خاضها ضد الجراكسة حول صنعاء ، وضمن كتابه الشكوى من الأمير حسين الكردي وزميله سلمان ، وما قاما به من سفك للدماء ونهب للأموال ، كذلك ضمن كتابه الاعتذار من فعله مع الفرنج من المسألة ، ودفع الربابين إليهم ^(١) . وأخذ على هذا الخطاب توقعات جماعة من أعيان عدن وفقمائها وتجارها ، وأرسله مع رسولين إلى الحجاز وزودها بهدايا لأمره مكة الشريف بركات والسلطان سليم . فقام الشريف مكة بتوجيههما إلى مصر ومنها إلى البلاط العثماني في القسطنطينية ، حيث قاما بتسليم الكتاب والهدايا . ومات أحد رسوليّه هناك ، وعاد الثاني بهدية من السلطان سليم ، ولكن هذا الرسول لم يكد يصل بالقرب من سواكن في طريقه إلى اليمن ، حتى خرج عليه جماعة من جزيرة دهلك ، واستولوا على ما كان معه ^(٢) .

(١) باخرمة : قلادة أنجر ج ٢ ص ١٢٠٦ .

(٢) باخرمة : نفس المصدر والجزء والصنحة .

٣ - غزو الجراكسة لليمن :

رأينا أن غزو الجراكسة لبلاد اليمن جاء كرد فعل لموقف سلاطنتها الطاهري الذي كان قد ألح في طلب حملة مملوكية للقضاء على الخطر البرتغالي المحدق ببلادهم ، بعد أن تعهد بتقديم كافة المساعدات من مؤن وأموال وقواعد للأسطول . وإذا كان السلطان الطاهري قد وفى بالتزاماته حيال الحملة البحرية الأولى ، إلا أن الأمر اختلف بالنسبة للحملة الثانية . إذ لم يكفد الأسطول المملوكي يصل إلى السواحل اليمنية حتى امتنع هذا السلطان عن الوفاء بما ألزم به ، واتخذ موقفا عدائيا سافرا من تلك الحملة التي كانت موجهة لتحقيق عدة أهداف هامة من بينها أمرين هامين ، أحدهما ، تدمير القوة البرتغالية في المياه الهندية ، والثاني ، تدعيم الدواع عن السواحل اليمنية الجنوبية والجنوبية الغربية . ولم تكتف السلطات الطاهرية بمجرد الامتناع عن تقديم ما ألزمته به ، بل تجاوزت ذلك إلى الكف عن ارسال المؤن المعتادة إلى جزيرة كمران والحجاز ، حتى لا تقع في أيدي القوات المملوكية (١) . وما زاد من غضب الأمير حسين الكردي ، لإقدام صاحب الجديدة - تنفيذاً لأوامر سلاطنته - على حجز ثلاثة من السفن كانت قد وصلت من زيلغ مشحونة بالمؤن لإمداد الأسطول المملوكي ، ومنعها من مواصلة التقدم إلى كمران (٢) ، واستولى على

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٥ أ ، باخرمة : قلادة النحر ص ٣٠٢ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٦٢ ، الكبسي : اللطائف السنوية ص ٢٣٣ .

(٢) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٦٤٤ ، زبارة : أمة اليمن ص ٣٨٤

حزبنا، رغم مراسلة الأمير حسين الكردي له، وتهديده بتخريب مدينته إذا أصر على منعها من الوصول (١). واستمرت محاولات الأمير حسين السامية فأرسل في ذي الحجة ٩٢١ هـ / يناير ١٥١٦ م بعض أتباعه في ثلاثة أغربة لمحاولة التوصل إلى حل والحصول على المؤن، ولكن لم يكف هؤلاء يصلون إلى الحديدة حتى خافهم أهلها، وأرسلوا إلى والي زيد يلفونه بالأمر، فأمدهم بتجريدة. ولكن أهل الحديدة أرحمهم تحمل نفقات أفراد التجريدة فتركوا المدينة لهم بحجة الخوف من المماليك، وكان رجال الأمير حسين الكردي في أغربتهم الراسية عند الميناء، فلما علموا بإخلاء المدينة نزلوا إليها واستولوا على أبواب دورها وما وجدوه هناك من أخشاب وعادوا بها إلى كبران (٢).

ولقد كان في إمكان السلطان الطاهري الظافر عامر الثاني تدارك الموقف والقضاء على أسباب الخلاف قبل أن تتعمد الأمور ويستفحل النزاع، ولكنه كان محاطا بمسئتمارين إما خونة لم يخلصوا النصيحة له، أو جهلة لم يكونوا على دراية كافية بخطورة ما يدور حولهم، ذلك أن السلطان كان قد اتخذ مدينة المقرنة - بخلاف رداغ في منطقة الجبال - مقرا له، بعيدا عن مسرح الأحداث ولهذا لم يقدر هؤلاء خطورة الموقف، فكان وزيره سببا في اقناعه بعدم الوفاء بما التزم به. فلما تطورت الأمور وأغارت بعض قوات الأمير

(١) ابن الديبع: الفضل المزيد ص ٥٤ أ.

(٢) ابن الديبع: قرة العميون ص ١٥٥ ب، الفضل المزيد ص ٥٤ أ،
بانجرمة: نفس المصدر ص ١٢٩٨، يحيى بن الحسين: نفس المرجع ص ٦٤٤ -

٦٤٥، زبارة: نفس المرجع ص ٣٨٣.

حسين الكردي على مدينة الحديدة ، أحس السلطان بالخطر ، وبدلاً من أن يعمل على اصلاح الأمور ، عهد إلى أحد كبار خواصه - وهو الفقيه عبدالحق ابن عبد النظاري - بمشدد الرجال ، والاستعداد لمحاربة القوات الجر كسية وهو أمر لم يتحرك السلطان للقيام به ضد البر تغالين ، فنادر الفقيه عبد الحق زيد في آخر ذى الحجة سنة ٩٢١هـ / فبراير ١٥١٦ م متوجهاً إلى منطقة جبال اليمن ، وعاد في منتصف صفر ٩٢٢هـ / مارس ١٥١٦ م إلى زيد يجمع كبير ، معظمهم من الضعفاء وعديسي الخبرة وكبار السن . وبينما قدم بعض القادرين من هؤلاء قدرا من المال نظير إعنائهم من الاشتراك في الحرب . بقي الضعفاء الذين لا خبرة لديهم بالحرب ولا قدرة لهم على القتال (١) .

ولم يكن غريبا في الوقت الذي وقف فيه السلطان الطاهري موقفه العدائي من الجراكسة دون سبب ظاهر ، أن يحظى الأمير حسين الكردي بتأييد كبير من القبائل والعناصر اليمينية الساخطة على بني طاهر ، إذ توافدت جموعهم للانضمام إلى قواته ومساعدته في الانتقام من بني طاهر وإلتهام دليهم ، فقد بدأ صاحب جازان بالترحيب بالأمير حسين الكردي ، وأبداه بابنه الشريف هز الدين بن أحمد بن دريب ، الذي توجه معه في جموع أتباعه إلى كمران (٢) وفي نفس الوقت قام الإمام الزيدي يحيى شرف الدين بمراسمته عندما علم بوصوله إلى كمران ، وطلب معاونته في محاربة السلطان الظافر عامر الثاني ، فأحسن

(١) ابن الدبيع : قرة العيون ص ١٥٥ ب الفضل المزيدي ص ٥٤ ، إنخرمة قلادة النحر ص ٢٠ ، ١١٩٨ ، الكشي : اللطائف السنية ص ٢٢٤ .

(٢) الشبلي اليميني : السنا الباهر ص ٢٠٢ ، النهرواني : البرق اليماني ص ٢١ ،

Kammerer . La Mer Rouge, T. II p 23٤ .

الأمير حسين استقبال رسول الإمام وبالغ في اكرامه ، ولكنه لم يتسرع في الرد وانتظر حتى طادت رسله كاشفة عن موقف السلطان الظفر العدائي ، وعندئذ رد على الإمام « بجواب يشفي الأوام ، وأجاز رسوله وأحسن قفوله » (١).

كذلك كان الفقيه أبو بكر بن المقبول الزيلعي صاحب اللحية — الواقعة إلى الشمال من كمران في نهاية وادي مور — ميالا للاجرا كسه (٢) ، فتوجه إلى كمران وأدمم بالمؤن والأموال (٣) وعرض عليهم أن يتخذوا ميناء اللحية قاعدة لأسطولهم ، ولم يتردد الأمير حسين في تلبية طلبه لمعاونته في محاربة الطاهريين ، وأمدته بغراب ومائة مملوك مسلحين بالبنادق (٤) ، وخاع عليه وأكرمه وطلب منه الخطبة بيلده للسلطان الفوري فوافق (٥) ، وعلى أثر ذلك عاد الفقيه ابن المقبول بمن معه إلى مدينته ، وخرج منها شرقا عبر وادي مور لغزو البلاد الواقعة فيه ، فتصدت له القوات الطاهرية في المنطقة بقيادة الأمير محمد بن جياش السنبلي . ومن الجدير بالذكر أن الأسلحة النارية لم تكن

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٤٢ - ٦٤٣ ، الكبسي : اللطائف

السنية ص ١٢٣ - ٢٣٤ ، زبارة : أئمة اليمن ص ١ ص ٣٨٣ .

(٢) الشبلي اليمني : السنا الباهر ص ٣٠٢ ،

Kammerer : op. cit , p. 234 .

(٣) التهروري : البرق اليماني ص ٢١ ، الكبسي : اللطائف ص ٢٣٥ .

(٤) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٤٤ ، زبارة : أئمة اليمن ص ٣٨٤ .

(٥) ابن الديبع : فرة العيود ص ٥٥ ب ، التفضل المازيد ص ٤٤ أ ، باحرمة

قلادة البحر ، ص ٣ ص ١١٩٨ .

معروفة في اليمن (١) ، أو أنها كانت معروفة بالسماع والوصف ، وكانت لها هدية ورهبة تذهل القلوب (٢) . لذلك لما أن استخدم الممالك بادقهم في المعركة ، وسقط الأمير محمد بن جياش السنبلتي قتيلا في عدد من أتباعه ، حتى انهزمت قواته ، ولم تتمكن من الصمود وولت الأدبار واستولى الزيلعي والقوات المملوكية على منطقة مور (٣) .

وتتابعت العناصر الساخطة على بني طاهر معلنة انضمامها إلى الجراكسة ، ومن بين تلك العناصر قبائل بني حفيص (٤) عرب مدينة الزيدية الواقعة إلى الشرق من جزيرة كمران ، فقد وفد جماعة من رؤسائهم على الأمير حسين الكردي ،

(١) ابن الديبع : قررة العيون نفس الصنفحة ، الفضل المزيدي ص ٥٤ ب زبارة : أئمة اليمن ج ١ ، ص ٣٨٤ .

(٢) الكبسي : اللطائف السنية ص ٢٣٥ . (ويذكر ابن الديبع ، أن البنادق « شيء عجيب ، لا يكاد أحد يقاتل صاحبها إلا غلب . وهو شيء يشبه المدفع إلا أنه أطول منه وأدق ، مجوف يجعل في جوفه قطعة رصاص كحبة البندق وتحشي من البارود ، ويدفع بنار في فتيلة من أسفل البندق . فلا تصيب أحدا إلا هلك . وربما أصابت البندق شخصا وتفتت منه في آخر فقتلتها » . الفضل المزيدي ص ٥٤ ب ، قررة العيون ص ١٤٦ ب .

(٣) ابن الديبع : قررة العيون ص ١٥٦ أ ، الفضل المزيدي ص ٥٤ ب ، باخرمة : فلادة النحر ، ج ٢ ص ١١٩٨ ، يحيى بن الحسين : فاية الأمانى ص ٦٤٤ - ٦٤٥ .

(٤) عن بني حفيص وحملات بني طاهر المتواصلة ضدهم ، انظر ، ماسبق ص ٢٠٧ وما بعدها .

سحقوعين بما ذاقوه من عسف سلاطين بني طاهر ووجد أن الذرصة قد سنحت
 كالأنتقام منهم ، فبايعوا الأمير حسين الكردي على الطاعة والمناصرة ضد بني
 طاهر ، وطلبوا بدورهم إمدادهم بمجموعة من الجنود تكفلوا بجوامعهم ومؤنهم
 مع الالتزام بتسليم خراج بلادهم للأمير حسين الكردي ، فأمدهم بمائتي
 تموك (١) . وتوجهوا بهم لمحاربة القوات الطاهرية المتمركزة عند قرية الضحى
 مقرية من مدينة الزبيدية ، وتمكن بنو حفيص بمساعدة القوات المملوكية
 المسلحة بالبنادق ، من هزيمة جموع القوات الطاهرية ، وإرغامها على الفرار
 بخلفه ورأىها الكثير من القتلى ، ونهب بنو حفيص قرية الضحى ، وأضرموا
 فيها النيران (٢) .

وكان بنو حفيص يحكم تمر كره معظمهم في مدينة الزبيدية التهامية ، قد
 نسبوا للمدينة ، وعرفوا بالزبيدية ، ومع أنهم سنين ، إلا أن بعض المؤرخين
 احتفظ عليهم الأبر و اعتبرهم من أهل الجبال أتباع المذهب الزيدي (٣) ،
 وفسوا همتهم المشتركة مع الجراكسة على أنها تمت بمساعدة أتباع الامام
 الزيدي يحيى شرف الدين ، الذي على الرغم من مكابته للأمير حسين الكردي ،
 إلا أنه لم يثبت اشتراك أتباعه مع الجراكسة ضد بني طاهر .

(١) ابن الديبع : الفضل المزيدي ص ٥٤ ب ، الكبسي : اللطائف السنية
 ص ٢٢٥ .

(٢) ابن الديبع : فرة العيون ص ٢٥٦ أ ، الفضل المزيدي ص ٥٤ ب ،
 بحرمة : فلاة النحر ، ج ٣ ص ١١٩٨ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٤٥ ،
 الكبسي : اللطائف السنية ص ٢٢٥ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٤٣ .

(٣) النهر والي : البرق اليماني ص ٢٠ .

لإزداد قلق السلطان الطاهر عامر الثاني على اثر تخريب مدينة الحديفة مش.
وهزيمة قواته في وادي مور وفي نواحي قرية الضحى ، لهذا أرسل قوّة
عسكرية بقيادة أخيه عبدالملك بن عبدالوهاب إلى زيد ، فلما وصلها في الحادي عشر
من ربيع الأول سنة ٩٢٢ هـ (١) / أبريل ١٥١٦ م ، ونظم أموره بها .
توجه بقواته شمالا في السابع من ربيع الآخر ٩٢٢ هـ / مايو ١٥١٦ م للتصدي
للقوات الحركسية (٢) . فلما علم الأمير حسين الكردي بذلك ، أسرع من كركوك
للملاقاة في ألف من جنده المزودين بالبنادق (٣) ، وانضم إليه الشريف عز الدين
ابن أحمد بن دريب بن صاحب جان (٤) ، والفقير أبو بكر بن المقبول الزيلعي .
صاحب اللحية (٥) بقواتهما ؛ كما انضوت تحت لوائه جموع قبائل المنطقة وعليه
رأسها قبائل المعازبة (٦) . ووقعت بين الجانبين معركة عنيفة ، قاتلت فيها
القوات الطاهرية بقيادة عبدالملك بن عبدالوهاب قتالا عظيما ، استبل فيها وأظهر من

-
- (١) ابن الديبع : الفضل المزيّد ص ٥٤ ب ، باخرمة قلادة النحر ج ٣٣
ص ١١٩٨ - ١١٩٩ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٦٤٥ .
- (٢) ابن لديبع : قرة العيون ص ١٤٦ أ .
- (٣) ابن الديبع : الفضل المزيّد ص ٥٤ ب ، باخرمة - قلادة النحر ج ٣٣
ص ١١٩٩ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٦٤٥ ، زبارة - أئمة النجف
ج ١ ص ٣٨٤ .
- (٤) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٦ ب ، باخرمة . قلادة النحر ج ٣٣
ص ١١٩٩ .
- (د) الكبسي : اللطائف السنية ص ٢٣٥ .
- (هـ) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٦ ب ، باخرمة ج ٣ ص ١١٩٩ .

تلقى شجاعة والإقدام ما جعله يؤخر الهزيمة المحتومة ، ولكنه اضطر إلى
الانسحاب إلى زييد (١) ، فوصلها في العاشر من جمادى الأولى سنة ٩٢٢ هـ / (٢)
يونيو ١٥١٦ م ، بعد أن فقد في المعركة جماعة من شجعان جنده (٣) ، كما قتل
من الجراكسة عدد آخر ، احتز عبد الملك منهم أربعة عشر رأساً عاد بها
للكي زييد (٤) .

وحرص بعض رؤساء القبائل الملازمين للجراكسة على الإجهاد على بنى طاهر ،
فأقنعوا الأمير حسين الكردي بمنا بعة فولهم المنسحبة إلى زييد ، وانتزاعها
منهم ، فتوجه الأمير حسين برا على رأس جيش كبير من الجراكسة ، ومن
تاقضم إليه من عرب تهامة كالمعازبة والتمرشيين وبنى حفيص وأهل جازان
وغيرهم ، تعضده بحرا بعض قطع الأسطول المشحونة بالجند والأثقال بقيادة
الريس سلمان العناني . فلما وصلت تلك القوات إلى زييد في التاسع عشر من
جمادى الأولى سنة ٩٢٢ هـ (٥) / يونيو ١٥١٦ م اشتبكت مع القوات الطاهرية

(١) الكلبسي : اللطائف السنوية ص ٢٣٦ .

(٢) ابن الديبع : الفضل المزيدي ص ٥٤ ب ، ياخرمة : قلادة الزجر ج ٣

ص ١١٩٩

(٣) ياخرمة : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٤) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٦ ب ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان

ص ٦٤٥ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٢٨٤ .

(٥) ابن الديبع : الفضل المزيدي ص ٥٤ ب ، النهر والي : البرق اليمني

ص ٢١ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٣٨٥ .

بقيادة عبد الملك بن عبد الوهاب وابن أخيه - والى زيد - عبد الوهاب .
 ابن الظافر عامر في معركة عنيفة وقعت خارج زيد ، ورغم استبسالها إلا أنه لم
 يتمكن من الصمود ، نتيجة لتخاذه القوات الطاهرية ، واشتداد وطأة
 الجراكسة وحلفائهم مما أدى إلى هزيمة الطاهر بين هزيمة نكراء ، وأمر
 عبد الوهاب بن الظافر عامر بالدخول إلى زيد بعد إصابته برصاصة ، ولحقه
 عمه عبد الملك وأخرجوه من المدينة ، وتوجها بمن تبقى من عسكرهم إلى مدينة
 تعز (١) ، حيث مات عبد الوهاب متأثراً بجراحه (٢) في الرابع عشر من جمادى
 الآخرة سنة ٩٢٢ (٣) / يوليو ١٥١٦ م .

أما الأمير حسين الكردي ، فقد استولى قهراً على زيد وانتهزت القبائل
 والفرصة واعتبرتها دار حرب ، فانتهدت المدينة نهبا شنيعا ، وسفكت فيها الدماء
 وانتهدت المحارم ، واستمر نهب المدينة ثلاثة أيام ، بالرغم من صدور أوامر
 الأمير حسين بالكف عن ذلك (٤) . وليس من شك في أن أعمال العنف لله

(١) ابن الديبع : الفضل المزيدي ص ٥٤ ب ، قررة العيون ص ١٥٧ أ - ح .
 باخرمة : قلادة النحر - ج ٣ ص ١١٩٩ - ١٢٠٠ ، يحيى بن الحسين : غياية
 الأمانى ص ٦٤٦ .

(٢) الكبسى : اللطائف السنية ص ٢٣٦ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٣٨٥ -

(٣) ابن الديبع : قررة العيون ص ١٥٧ ب ، الفضل المزيدي ص ٥٥ أ -

(٤) ابن الديبع : قررة العيون ص ١٥٧ ب ، باخرمة : قلادة النحر ج ٣

ص ١٢٠٠ ، الشبلي اليمني : السنة الباهر ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، يحيى بن الحسين :

غاية الأمانى ص ٦٤٦ - ٦٤٧ زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٣٨٥ .

مارسها المنتصرون ضد أهل زبيد إنما تعزى في حقيقة الأمر إلى القبائل المشتركة مع الأمير حسين الكردي ، والتي كانت ترى في الانتقام من زبيد وأهلها إنتقاما من بنى طاهر لحملاتهم المتواصلة ضدهم من قبل ، هذا بالإضافة إلى ميل القبائل الطبيعي إلى هذه الأساليب .

ولم يبق الأمير حسين الكردي في زبيد طويلا ، وروى عن أسباب إسرائعه في مغادرتها ، أنه كان قد وعد جنده بأن يمنح كل منهم مائة أشرفي إذا ما تحقق له الاستيلاء على زبيد ، فلما سقطت المدينة في يده أخذ يماطهم في منجته ، فثاروا عليه وهموا بقتله ، ولكنه استمهلهم حتى يستحضر لهم الأموال من سفنهم ، وبهذه الحجة استناب عنه الأمير برسبای أحد رجاله من الجراكسة (١) على زبيد ، ودعمه بالشریف عز الدين بن دريب ، وبادر بالرحيل إلى ميناء البقرة اليمنى حيث لقيه هناك الرئيس سلمان العماني (٢) وتوجها معا في أسطولهما إلى زبلع ، ومن هناك أبحرا إلى عدن حيث قوبلا من حاميتها بمقاومة عنيفة ، واضطر إلى العودة إلى جدة بدلا من مواصلة التوجه شرقا إلى الهند لمحاربة البرتغاليين (٣) .

أما برسبای ، فقد أعلن الأمان لأهل زبيد (٤) ، وانتهج سياسة حكيمة

(١) الطبري : اتحاف فضلاء الزمن ص ٥٨ .

(٢) Kammerer : La Mer Rouge, T. II, p 234.

(٣) انظر ما سبق ص ٥١٥ وما بعدها

(٤) ابن الديبع . قرّة العيون ص ١٥٨ أ ، باخرمة قلادة النجر ج ٣ ص ١٢٠٠ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٦٤٧ ، الكيسى : اللطائف السنوية ص ٢٣٦ .

« فأنه لما استقر يزيد قرر أحوال الناس ، وأظهر حسن السياسة والتدبير ، ومشى بالناس مشيا حسنا ، (١) . ثم بدأ يستعد للزحف بقواته برا إلى مدن بلعارة الأمير حسين الكردي أثناء حصاره لها ، غير أنه لم يكـد يصل إلى مدينته حيدس جنوبى زيد ، حتى علم بإقلاع الأمير حسين من عدن ، ووصوله إلى ميناء الخا ، فتقدم برسباى إليه واجتمع به ، ثم زحف إلى مدينة موزع (٢) الواقعة إلى الشرق من ميناء الخا ، فقامت قواته بنهبها ، ثم قفل عائدا إلى زيد ، فوصلها في رمضان سنة ٩٢٢ هـ (٣) / أكتوبر ١٥١٦ م .

وهكذا ازدادت الأمور تأزما بين الجراكسة وبنى طاهر ، وعلى الرغم من عجز السلطان الطاهرى عن مواجهة القوة الجركسية المدعمة بالأسلحة الحديثة ، ومن انضم إليها من العناصر النينية الساخطة على الطاهريين ، مما يهدد بزوال الحكم الطاهرى ، إلا أن السلطان الظافر عامر السنانى لم يحاول تسوية الخلافات لإنهاء حالة الحرب ، والتفرغ لإقرار الأوضاع الداخلية في بلاده . وإذاحة الفرصة للجراكسة لمواصلة القيام بمهمتهم الأساسية في محاربة البرتغاليين ، واستمر يتجدد لهم رغم شعوره بالعجز عن مواجهتهم ، وأصر على الانتقام منهم لغزوم منطقة تهامة ، واستيلائهم على زيد . وتسببهم في قتل ابنه عبد الوهاب ، فخرج على رأس حملة من المقرانة في طريقه إلى زيد لمحاربتهم .

(١) باخمرمة : نفس المصدر والجزء ص ١٢٠٢ .

(٢) ابن الديبع : الفضل المزيـد ص ٥٥ ب ، يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٦٤٨ ، الكبسى : الطائف السنية ص ٢٣٧ .

Kammerer : Ibid, p 235

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٨ ب ، باخمرمة : قلادة النحر ج ٣ ص ١٢٠٢ ، النهر والى : البرق اليمانى ص ٢٢ .

وتذكر المصادر اليمينية أن الجراكسة بادروا - عندما علموا بأمر الحملة - إلى مرسلته ، وعرضوا عليه الصلح (١) ، وتسليم ما بأيديهم من البلاد ، مقابل مبلغ حدديته ، مع تأمين خروجهم بما معهم ، ماعدا الخيل والسلاح . وكانت فرصة موافقة لم يحسن السلطان الظافر الثاني اغتنامها . وعلى الرغم من ميله إلى الموافقة إلا أن بعض كبار حاشيته أفتعوه مرة أخرى برفض هذا العرض ، بحجة أن هذا الصلح قناع زائف يخفي وراءه حقيقة اللطمع الجركسية . فتراجع السلطان عن رأيه ، وأعرض عن الرسل وأعادهم بغير جواب ، (٢) دون أن يعمل شيئاً للنأكد من مدى صدق هذا العرض وجسن نواياهم . وواصل السلطان تقدمه ، إلى أن اصدمت قواته بالجراكسة في معركة طاحنة بالقرب من زبيد في التاسع من شوال سنة ٥٠٤٣ هـ / نوفمبر ١٥٩٦ م ، استمرت يومين . ومن الجدير بالذكر أن الجراكسة عادوا إلى زبيد في نهاية اليوم الأول من المعركة للراحة والاستعداد للقتال في اليوم التالي ، في حين دامسى أصحاب السلطان ما بين جريخ ومن الجوع طريح ، (٣) . ثم استؤنف القتال في اليوم

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٨ ب ، الفضل المزيدي ص ٥٥ ب ،
 باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ٢٠٢ ، الشبلي اليمني : السنا الباهر ص ٢٠٣ ،
 يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٦٤٩ ، الكبسي : اللطائف السنية ص ٢٣٧ ،
 زبارة : أئمة البن ص ٣٨٦ .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٨ ب ، الفضل المزيدي ص ٥٥ ب ،
 باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١٢٠ ، الشبلي اليمني : السنا الباهر ص ٢٠٤ ،
 يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٦٤٩ ، الكبسي : اللطائف السنية ص ٢٣٧ -
 (٣) ذكر باخرمة ، أنه كان صحبة السلطان الظافر كيات كبيرة من

الثاني ، واشتدت هجمات الجراكسة ، وعلى الرغم من ثبات السلطان الظاهر ، فقد تخاذل عنه معظم عسكره ، وانتهت المعركة بانتصار الأمير برسباي ، وفرار السلطان إلى تعز . ولولا انشغال القوات الجركسية في نهب محطة الطاهريين ، لكان في مقدورهم أسر السلطان أو قتله (١) .

عاد برسباي منتصرا إلى زبيد ، وأعلن الأمان لأهلها ولمن كان قد انضم إلى السلطان ضده ، وأقام فيها إلى أواخر المحرم ٨٩٢٢هـ / فبراير ١٥١٧م لإقرار أحوال أهلها ، ثم سار بقواته ومن انضم إليه من اليمين لمحاربة السلطان الظاهر عامه الثاني في تعز . وما أن وصلت طلائع قواته إلى مشارف تعز في السادس عشر من صفر ٩٢٣هـ / مارس ١٥١٧م حتى تفرقت القوات الطاهرية ، وتوجهت كل مجموعة منها إلى مضارب قبائلها ، وأصبح في المعتذر على السلطان العمود أمام الجراكسة بمن تبي معه من الجند ، ولذلك اضطر إلى الانسحاب إلى منبطقه لب الواقعة إلى الشمال الشرقي من تعز ، فاستولى الجراكسة على تعز وقلعتها بغير قتال (٢) ، وأعانته الخطة فيها للسلطان

= الدقيق والزبيب، وقد أشار عليه بعض قاداته بتوزيع ثمنها على الجند ليتقوا بها ، ويتمكنوا من الاستمرار في القتال في اليوم التالي ولكنه فضل عليهم بها . (تلادة النحر ج ٣ ص ١٢٠٢ - ١٢٠٣) .

(١) ابن الديبع : قررة العيون ص ١٥٩ أ ، الفضل المزيد ص ٥٦ أ ، باخرمة : قبلادة النحر ج ٣ ص ١٢٠٣ ، الشبلي اليمني : السنا الباهر ص ٢٠٤ ، يحيى : ابن الحسين : غاية الأمان ص ٦٤٩ ، الكبيسي : اللطائف السنوية ص ٢٣٨ .
(٢) ابن الديبع : الفضل المزيد ص ٥٦ أ قررة العيون ص ١٥٩ أ ، الشبلي اليمني : السنا الباهر ص ٢٠٤ ، النهروالي : البرق اليمني ص ٢٨ ، يحيى بن =

الغورى (١) .

ولم يضيع الأمير برسباى وقته ، فقد تجهز خلال أسبوع من وصوله إلى تعز ، وأتاب فيها الأمير أقبى (٢) ، ثم تقدم بقواته إلى مدينة المقرانة ، عاصمة الطاهريين ، ولكن السلطان الطاهري كان قد أمرع إليها قبله لاستنفاذ ما فيها من أموال وحریم بنى طاهر ، ونجح في منادرتها قبيل وصول برسباى إليها (٣) . وفي المقرانة ، وفد بعض مشايخ آل عمار ويابعوا برسباى على الطاعة ، وعرضوا تسليم بلادهم - الواقعة في نواحي رداح - إليه ، فتوجه برسباى معهم في قلة من أتباعه ، ولكن آل عمار لم يكونوا صادقين في مبايعتهم ، ذلك أنهم كانوا قد أعدوا كيناله في الطريق ووثبوا عليه وقتلوه هو (٤) ومن معه من أتباعه ، ولم ينج منهم إلا المخبر منهم ، (٥) .

= الحسين: غاية الأمانى ص ٦٥٠ ، الكبسى: اللطائف السنية ص ٢٣٨ ، زبارة :
أئمة اليمن ج ١ ص ٢٨٦ ،

Kammerer : La Mer Rouge, T II, p. 235

(١) باخرمة : قلادة النجر ج ٢ ص ١٢٠٣ .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٩ أ ، النور والى : البرق اليماني ص ٢٨ ،
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٥٠ .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٩ أ ، باخرمة قلادة النجر ج ٣
ص ١٠٦٣ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٥٠ .

Kammerer : Ibid. T II, p. 235. (٤)

(٥) ابن الديبع قرة العيون ص ١٥٩ ب ، باخرمة : قلادة النجر ج ٣
ص ١٢٠٣ .

تأثر الجراكسة لمقتل أميرهم برسباى ، وأجمعوا على اختيار اسكندر بن محمد ليخلفه فى الامارة عليهم . فلما تمت مبايعته ، أمر عسكره بتخريب مدينة المنرانة ، ونهب أموالها وذخائرها ، ثم غادرها فى طريقه إلى صنعاء للاستيلاء عليها ، ومن الجدير بالذكر أن بعض القبائل اعترضت طريقه إليها ، وأغارت على قواته ، ولم ينج منهم إلا بصعوبة (١) .

أما السلطان الظافر عامر ، فقد أخذ يحدوه الأمل فى النصر عندما بلغه نبأ مقتل برسباى وإغارة القبائل على قوات الأمير اسكندر واستنها تهم به ، واعتقد أن بمقدوره إيقاع الهزيمة بالجراكسة والانتقام منهم . فخرج على رأس حملة كبيرة للتصدي لهم قبل أن يتمكنوا من الاستيلاء على صنعاء (٢) . ويقال أن أخاه عبد الملك بن عبد الوهاب حذره من التوجه إلى صنعاء ، وقال له : أنت تعرف عداوة الزيدية ، فتقع بين عدوين المصرى والزيدى ، فلم يصغ إلا كلامه ونسبه إلى الجبن والذل (٣) ، ثم وصلت القوات الطاهرية إلى صنعاء أثناء قيام الجراكسة بمحاصرتها . ورأى الأمير اسكندر ألا يدع للسلطان وقواته

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٩ ب ، باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١٢٠٢-١٢٠٤ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٥٠-٦٥١ ، الكبسى : اللطائف ص ٢٣١ ، زبارة : أئمة اليمن ص ٣٨٧ .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٥٩ ب ، الفضل الزيد ص ٥٦ أ ، باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١٢٠٤ ، الشبلى اليمنى : السنا الباهر ص ١٢٠٤ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٥١ .

(٣) باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١٢٠٤ .

فرصة للراحة ، وقام بمهاجمته بمجرد وصوله (١) ، وقبل أن يتمكن من حط أنقاله وترتيب قواته ، ونجح في إحراز نصر سريع وحاسم على الطاهريين في الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ٩٢٣ هـ / مايو ١٥١٧ م ، وقتل في المعركة عدد كبير من القوات الطاهرية على رأسهم عبد الملك بن عبد الوهاب (٢) ، وتم أسر الكثيرين من بينهم أبي بكر بن الظاهر ، وعامر بن عبد الوهاب (٣) . أما السلطان ، فقد أصابته الهزيمة بالذهول ، وهام على وجهه ، وتعقبه بعض الجراكسة حتى أدركوه وهو في حالة مزريه ، لدرجة أنهم لم يتعرفوا عليه ، وحسبوه من جنده العارين وقتلوه ، ثم تحفقا من شخصيته (٤) ، وقيل إنهم رأه أحد اليمنيين فأسره وقدمه إلى الجراكسة فاحتزوا رأسه (٥) . فكان لتلك الهزيمة النكراء التي لحقت بالطاهريين ، وأسقطت دولتهم بمقتل آخر

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٥١ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١

ص ٣٨٧ .

(٢) الطبري : انحاف فضلاء الزمن ٥٨ ،

Kammerer : op. cit. T. II, p. 236.

(٣) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٠٩ - ١٦٠ ، المنضل المزيد ص ٦٤ ،

باخرمة : نفس المصدر والصفحة .

(٤) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٦٠ ، باخرمة : نفس المصدر والصفحة .

الشبلي اليمني : السنا الباهر ص ٤ ، الكپسى : اللطائف ص ٢٣٩ .

(٥) يحيى بن الحسين : غاية الإمامى ص ٦٥١ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١

ص ٣٨٧ .

Kammerer : Ibid. T. II, p, 236.

سلاطينهم^(١)، أُرْها في طلب والى صنعاء الطاهري الأمير علي بن محمد البعداني الأمان من الجراكسة ، قتلوا مدينته وغنموا منها أموالا كثيرة لاتقع تحت حصر ، وكان في المدينة عدد كبير من آل عمار - قتلة برسباي - فاستأصلهم الأمير اسكندر عن آخرهم (٢) .

أصبح الجراكسة باستيلائهم على صنعاء وجها لوجه أمام القوى الزيدية ، وكان الإمام الزيدي يحيى شرف الدين قد عمل على الانصال بالقوات الجركسية عند بدايه وصولهم إلى كمران ، وطلب معاونتهم ضد الطاهريين . وإذا كان الانصال ينهض دليلا على رضا الإمام الزيدي بالوجود الجركسي في اليمن ، إلا أنه ليس لدينا ما يدل على قيام تعارن من جانب الإمام معهم أو قيامه بتقديم المساعدات لهم . ويهمننا أن نشير إلى أن العوى الزيدية بدأت تنشط منذ أن تمكن الجراكسة من الانتصار على الطاهريين ، والقضاء على دولتهم، وقد يكون مرجع ذلك إلى أن تخصصهم من الطاهريين قد بعث الأمل في نفوسهم للاستيلاء على اليمن والاستقلال بحكمه . أو أنهم كانوا ينحشون امتداد النفوذ الجركسي شمالا ، مما يهددهم تهديدا مباشرا . لذلك لم يضيع الإمام وقتا وزحفا بقواته إلى مدينة ثلا الواقعة إلى الشمال الغربي من صنعاء ، وذلك في أواخر ربيع الآخر سنة ٩٢٣ هـ / مايو ١٥١٧ م ، فسلمها له حاكمها الطاهري وتعارن

(١) الطبري : انحاف فضلاء الزمن ص ٥٨ ب .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٦٠ أ ، بانحسرة : قلادة النجر ج ٣ ص ١٢٠٥ ، الشبلي اليمني : السنا الباهر ص ٢٠٤ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٦٥٢ ، الكبسي : اللطائف السنية ص ٢٣٩ .

معهم . وبدأ الامام في الاستعداد لمهاجمة صنعاء ونصرة أهلها (١) . فلما علم الأمر اسكندر بذلك أرسل حملة إلا نالا للقضاء على أحلام الامام ، وتمكنت القوات الجركسية من محاصرة الامام وأتباعه في نالا (٢) وترددت الرسل بين الجانبين في محاولة للصلح ، وعرض الجراكسة موافقتهم على أن تكون نالا للامام ، وأن يحتفظوا هم بصنعاء ، وتعهدوا بعدم التعرض له . وكان الإمام ميالا للموافقة ، إلا أن بعض أتباعه شككه في نواياهم ، فاختار الحرب (٣) . وبدأت الإمدادات الجركسية تنهال على نالا لإحكام الحصار عليها . ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، إذ وردت الأنباء المؤكدة للأمير اسكندر بن محمد بهزيمة السلطان الغوري ومقتله في مرج دابق ، وسقوط دولة الجراكسة ، واستيلاء السلطان سليم على الشام ومصر ، فكتم الأمير هذا الخبر ، وبدأ في فتح باب الصلح مع الامام مرة أخرى . وقد لقي هذا العرض ترحيبا من الإمام حتى يتمكن من التخلص من الحصار الذي أقامه الجراكسة عليه ، فلما تم الاتفاق عاد الجراكسة إلى صنعاء (٤) .

أما الأمير اسكندر فقد خشي أن تتعرض فواته لأخطار من الداخل والخارج ، بعد استيلاء العثمانيين على مصر ، ولذلك وجد أنه من الحكمة أن

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٥٣ .

(٢) Kammerer ; op. cit . T. II, p. 238. (٢)

(٣) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٦٥٤ الكبرى : اللطائف السنية ص ٢٣٩ ، زبارة : أئمة اليمن ص ٣٨٨ .

(٤) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٦٥٤ - ٦٥٦ ، زبارة : أئمة اليمن ج ١ ص ٣٨٩ .

يعلن ولاءه للعثمانيين ويجعل الخطبة في صنعاء باسم السلطان سليم (١) ثم قرر الانتقال إلى زيد حتى يتمكن من متابعة الأحداث ، ولهذا استخاف أحد أتباعه في صنعاء ، وغادرها - في معظم قواته - في الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ١٠٩٢٣هـ / يوليو ١٧١٧م في طريقه إلى زيد (٢) ولكن خيرة سوط دولة الجراكسة أثار استخفاف القبائل اليمنية بالأمير اسكندر وقواته ، فخرجت عليه قبائل بني حيش ومن والاهما عند مروره ببلادهم وتمكنت تلك القبائل من التغلب عليه ، وفتكت بعدد كبير من أتباعه ، واستولت على كثير مما كان قد حصل عليه من أموال بني طاهر وذخائرهم (٣) ، وخاص الأمير اسكندر ببقية أصحابه بصعوبة (٤) . وتمكن من الوصول إلى زيد

(١) عيسى بن لطف الله : روح الروح ج ١ ص ٩٣ ، زيارة : أئمة نفس الصنعة .

Inaluk : The Ottoman Empire, p 34

(٢) يحيى بن الحسين : نفس المرجع ص ٦١٦ ؛ زيارة : أئمة اليمن نفس الصنعة .

(٣) يقال أن قبائل بني حيش قد استولت على ثمانية آلاف جبل محملة بالذخائر والجزائر والقود والذهب والفضة وأنواع المصاغ والقماش والعدد والسلاح وغير ذلك (ابن الديبع : فرة العيون ص ١٦٠ أ فضل المزيد ص ٥٦ ، باخرمة : ملادة النجر ج ٣ ص ١٢٠٥ ، النهر والى : السبرق اليابى ص ٣٢) .

(٤) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٥٦ ، والكهني : اللطائف السنوية ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، زيارة : أئمة اليز ج ص ٣١٩ .

ليلة التامع من جمادى الآخرة ٩١٣هـ^(١) / يوليو ١٥١٧ م .

وهكذا يتضح أن موقف اليمن كان مؤثرا ومعاثرا بمجريات الأحداث الدولية وقتئذ ، فقد أدى موقف السلطان الظافر حاصر للمعادى للعميلة المملوكية إلى تحويلها عن هدفها الأساسى إلى غزو اليمن ، وقيام الأمير مرجان الظافرى والى عدن بالتعاون مع البرتغاليين ، وهو أمر لا يمكن حدوثه دون موافقة السلطان نفسه ، ولكن القوات الطاهرية لم تتمكن من الصمود أمام أسلحة الجراكسة النارية ، وانتهى الأمر بمقتل السلطان الطاهرى الظافر حاصر الثانى وسقوط دولته ، ولولا سقوط دولة الجراكسة فى الوقت نفسه لأمكن لتلك القوات استكمال السيطرة على اليمن .

والحقيقة أن الفتح العثمانى لمصر قلب الأوضاع رأسا على عقب ، ففى الحجاز ، أسرع الشريف بركات بإعلان الخطبة للسلطان سليم ، وأرسل ابنه أبانمى إلى الفاتح العثمانى بالقاهرة لإعلان ولائه ، فاحتفى السلطان بمقدمه ، وأقر أباه على ولايته^(٢) . وفى اليمن أعلنت القوات الجركسية كما ذكرنا اعترافها بالسيادة العثمانية ، وأصبحت المناطق الخاضعة لتفوذهم فى اليمن ،

(١) ابن الديبع : قرة العيون ص ١٦٠ أ ، الفضل المزيذ ص ٥٦ أ ، باخرمة : قلادة النجر ج ٣ ص ١٢٠٠ ، الشبلى اليمنى : السنا الباهر ص ٢٠٥ ، للكبسى : اللطائف السنية ص ٢٤١ .

(٢) النهروالى : البرق اليمانى ص ٢٤ - ٢٥ و ٢٦ ، ابن داعر : الفتوحات المرادية فى الجهات اليمانية - مخطوط مصور رقم ٢٦٤٢١ بمكتبة جامعة القاهرة - ج ١ ص ١٠٥ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٦٥٥ ،

تابعة تلقائيا للعثمانيين ، وأصدر السلطان العثماني أوامره بإقرار الأمير اسكندر ابن محمد - الذي عرف بالخنزرم لمعاصرته لمهدين - نيابة عنه في حكم اليمن^(١) . وهكذا استكمل العثمانيون - بعد استيلائهم على مصر - السيطرة على المناطق التي كانت تابعة للمماليك بغير عناء . وأغنام ذلك عن القيام بالحملات لتحقيق السيطرة على الحجاز واليمن ، إلا أن انشغال العثمانيين في إقرار الأوضاع في إمبراطوريتهم الكبيرة ، وتحولهم إلى غزو أوروبا الشرقية ، وتجدد النزاع بينهم وبين الفرس ، ساعد على تدهور الأوضاع في اليمن وانتشار الفوضى والاضطرابات هناك ، ونشوب القتال الدامي بين بقايا الطاهريين والقبليين والزيدية والقوى الجركسية ، كل يريد السيطرة على البلاد . ولكن الزيدية الذين كانوا قد ادخروا قوتهم ، تجمعوا حول الإمام يحيى شرف الدين ، واستطاعوا السيطرة على صنعاء^(٢) ، وامتد نفوذهم على معظم المناطق اليمنية .

وليس من شك في أن شهرة العثمانيين على مصر قد ألقى على ماتمهم مسئولية التصدي للقوى البرتغالية ، إلا أنهم ادخروا قوتهم لفتوحات جديدة ، واكتفوا بالأسطول المملوكي الموجود في جدة - والذي انقرد

(١) للنهروالي : البرق الثاني ص ٧٣ ، ابن داهر : الفتوحات المرادية ج ١

Kammerer : op. cit., T. II, p. 238

ص ١٦٩ أ ،

(٢) العصامي : سمط النجوم العوالي ج ٤ ص ٤٢٨ ، يحيى بن الحسين : غاية

الأمان ص ٦٥٧ ، الكبسي : اللطائف ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، زيارة : أئمة اليمن

Kammerer : p. 232

ج ١ ص ٣٩٠ ،

بقيادة سليمان العثماني بعد أن أعلن ولاءه للعثمانيين - للتصدي للبرتغاليين الذين
 هاجموا جدة سنة ١٥١٧ (١) . وعلى الرغم من مشول هذا الخطر ، إلا أن
 السلطات العثمانية لم تحرك لمهاجمة البرتغاليين في الهند ، مما شجعهم على مواصلة
 حملاتهم وتركيزها على جدة ، ففي عام ١٥٢٠ توجه الأسطول البرتغالي بقيادة
 ديينو لوبيز دي سكويرا لمهاجمة جدة ، ولكن الرياح تصدت لهم للمرة
 الثالثة ، وكانت كريمة وحدها لإعاقة تقدم البرتغاليين ونشيت شملهم وفشل
 الحملة (٢) ، ومع استمرار الحملات البرتغالية على البحر الأحمر كانت أساطيلهم تلقى
 كالتعاون معاونة ومساعدة حاكم عدن (٣) . واستمر الوضع كذلك إلى أن
 تمكن العثمانيون من إمداد أسطول ضخم في سنة ١٥٣٨/١٥٤٥ بقيادة سليمان
 باشا لشناد لمحاربة البرتغاليين في المياه الهندية (٤) . وما أن وصل إلى عدن
 حتى خرج إليه حاكمها مامر بن داود آخر الظاهريين لاستقباله والترحيب
 به ، وانتهز سليمان باشا تلك الفرصة وأمر بالقبض عليه وشنقه ، واستولى
 على عدن في ربيع الأول سنة ١٥٤٥ / أغسطس ١٥٣٨ م (٥) . فكان لغدر

(١) انظر ما سبق ص ٥١٥ وما بعدها .

(٢) Serjeant The Portuguese, pp. 170F., Macro : Yemen and the Western World, P.2.

(٣) باخمرة : قلادة النحر ج ٢ ص ١٢٠٩ - ١٢١٠ ،

Kammerer , pp. 283-88.

(٤) الظبوي : أبحاث فضلاء الزمن ص ٧٦ ب ، لوريمر : دليل الخليج

ص ١٠ .

(٥) النهر والي : اليرق اليباني ص ٨٠ ، زيارة : أمة اليمن ص ٤١٧ ،

Serjeant; op. cit., p. 9٨; Macro; op. cit., B. ٤.-

سليمان باشا بالحاكم الطاهري أثره الكبير في فشل حملته ، إذ تخوف سلاطين الهند من التعامل معه ، وامتنعوا عن معاونته أو تمويله ، مما اضطره للعودة إلى بلاد اليمن لاستكمال السيطرة العثمانية عليها (١) .

وأيا ما كان الأمر فإنه إذا كان استيلاء العثمانيين على مصر قد أدى إلى تعطيل المشروعات المملوكية ضد البرتغاليين في البحر الأحمر ، فإن العثمانيين قد فشلوا فيما كان المماليك يستعدون له ، وانحصرت جهودهم - تقريبا - في الدفاع عن البحر الأحمر .

(١) عن العثمانيين في اليمن ، انظر . السيد مصطفي سالم . الفتح العثماني في الأول لليمن - معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٩ .

الخاتمة

تهبأت الظروف لنور الدين عمر بن علي بن رسول لإعلان استقلاله بملك اليمن . ولما كان حريصا على حماية دولته من انتقام الأيوبيين فقد عمد إلى إرسال الحملات إلى بلاد الحجاز للتصدي لما قد يجزه الأيوبيون من قسوات للاستفادة السيطرة على اليمن . وبهذا تحول الأمر إلى منافسة الأيوبيين نفوذهم في بلاد الحجاز ، وجعلها خط دطاع أمامي لإعانة تقدم الحملات الأيوبية ، ووقف تقدمها جنوبا لتهديد دولته الناشئة . وقد أدى تدفق الحملات بين الجانبين إلى الاسهام في زيادة ضعف الدولة الأيوبية ، والتمهيد بالتالي لاستيلاء المماليك على دولتهم في مصر والشام .

ومن الجدير بالذكر أنه على الرغم من انسلاخ اليمن عن الدولة الأيوبية فقد واصل بنو رسول السير على نفس السياسة ، واستمروا يحكمون اليمن . وقالوا ورثوه من نظمها ، بل واعتمدوا في تطوير تلك النظم على مصر ، عينتصون أخبارها في موسم الحج ، ومن التجار المصريين الذين يصلون إلى عدن . أما في حالة تحسن العلاقات ، فقد كانت رسلهم يحيطونهم عاملا يحطوراتها . ولهذا انفقت تلك النظم في معظمها - بين مصر واليمن - في كثير من الأحيان . وفي اطار العلاقات ، كان الخبراء العسكريون يصلون من مصر إلى اليمن ، لإعادة تنظيم الجيش اليمني ، كما تدفقت العناصر المملوكية على اليمن ، عن طريق الشراء أو ضمن الهدايا التي كان يرسلها سلاطين المماليك لتدعيم القوات اليمنية . ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى ارسال الأطباء لمواجهة الأوبئة والطوابع ، أو عمال طراز لصناعة البسيج ، أو

تدرجياً على مسرح الأحداث اليمنية إلى أن وابت نور الدين القصرصة ،
واستقل بملك اليمن .

كما تعرضت الدراسة لما ذكره المؤرخون عن انتساب بنى طاهر الأحمويين
وتطور ظهورهم في خدمة بنى رسول واستغلالهم الفرص لاقامة دولتهم على
انقاض دولة بنى رسول .

وبالنسبة لأحوال اليمن الداخلية ، فقد كان الاضطراب وعدم الاستقرار
والفلاقل الداخلية المناهضة للسلطة المركزية تمثل السمات المميزة لها في كثير من
الأحيان . ولم يكن ذلك كله وليد ظروف طارئة ، وإنما يرجع في معظمه
إلى جذور تاريخية تتمثل في الصراع حول الخلافة الاسلامية ، وفرار كثير
من المضطهدين كالشيعة ، والتجأؤهم إلى بلاد اليمن للاحتباء بها . ذلك أن
تلك البلاد بطبيعتها الجبلية وحصونها الشائخة المنيعه وصعوبة مسالكها وبعدها
عن عاصمة الخلافة ، كانت من أنسب المناطق التي يتوفر فيها الأمن والطمأنينة
لتلك المجموعات المضطهدة . ومع مرور الزمن نجحت تلك العناصر ، من
إسماعيلية وزيدية في دعوتها ، وظهرت كل منها على مسرح الأحداث اليمنية
ولم يقتصر دورها على مناوأة القوى السنية الحاكمة فحسب ، وإنما اتخذ الموقف
شكل صراع عسكري ثلاثى متشابك يسعى كل جانب منه إلى تقويض الآخر
وتحقيق الهدف السياسي بالسيطرة على البلاد والافراد بحكمها . فكان لهذا
الصراع أثره في اختلال الأوضاع الداخلية ، وتفتيت البلاد إلى أشلاء ممزقة
وفقدان الوحدة السياسية في كثير من الأحيان . ولما يذكر أن الأوضاع
كانت أكثر استقراراً في عهد الأيوبيين لاستمرار الإمدادات من مصر ،
مما حقق وحدة اليمن السياسي خلال فترة طويلة من حكمهم .

أما بالنسبة للفترة موضوع هذه الدراسة ، فإن الدارس قد يتوه في دوامات الحروب الداخلية التي لا تكاد تنتهى حتى تعود أشد ضراوة ، لعدة أسباب منها ، ضعف السلطات الحاكمة أو انشغال السلطان القوائم وقتئذ بالدفاع عن عرشه ضد الطامعين فيه من أمراء البيت المالك ، وما يستتبع ذلك من انقسام الجند بين المعسكرات المتناحرة ، وهي ظاهرة نفشت خلال حكم هاتين الدولتين - الرسولية والطاهرية - مما كان دافعا للقوى الزيدية للعمل على تحقيق سيطرتها على المناطق التي تنتشر فيها جموعهم فيما بين صعدة شمالا وصنعاء ودمار جنوبا . وقد أدى الصراع الدائر بين السلطة الحاكمة والقوى الزيدية إلى إتاحة الفرصة لكثير من القبائل لإعلان تمردها . وهكذا كان لكل تلك الحركات أثرها في صرف جهد الدولة لتجهيز الحملات ، ودفعها لخوض سلسلة من الحروب الداخلية المستمرة ، التي استنزفت جانبها كبيرا من الدخل ، وكان من الممكن توجيه تلك الجهود لما هو أجدى وأنتفع للشعب اليمني . والخلاصة فقد أثرت تلك الصراعات في الكيان الداخلى لدولتي بنى رسول وبنى طاهر ، وانعكس أثر ذلك على المجال الخارجى ، وكانت من أهم أسباب سقوط هاتين الدولتين .

وفما يتعلق بالعلاقات الخارجية ، فإن انفصال اليمن عن الدولة الأيوبية ؛ واستقلال نور الدين عمر بن رسول بحكمها ، مؤسسا دولة بنى رسول ، حدد مسار العلاقات اليمنية بمصر الأيوبية ، ولم يكن متوقعا من الملك الكامل أن يسلم بالأمر الواقع ، فكان لابد من اتخاذ الاجراءات الكفيلة بإعادة اليمن إلى حظيرة الدولة الأيوبية . وفي نفس الوقت ، كان نور الدين يعلم ذلك جيدا ويتوقع سرعه تحرك الملك الكامل للمحافظة على الدولة ككيان دولته ، ومن أجل الحفاظ على الدولة الناشئة ، بادء نور الدين بالاستعداد لذلك للصراع المرير ، وتفاديا للمخاطر التي قد تترتب على وصول

الحمالات الأيوبية إلى اليمن ، فقد استقر رأيه على نقل مسرح المعارك إلى بلاد الحجاز - التي كانت لاتزال تابعة للأيوبيين - وجعلها بمثابة خط دفاع أمامي لليمن ضد القوات الأيوبية ، وتوالى الحملات من الجانبين - الرسولي والأيوبي - كل يعمل على تثبيت سيطرته على الحجاز ، حتى تمكن نور الدين في نهاية الأمر - نتيجة لضعف الدولة الأيوبية - من تحقيق بعبتها لليمن ، وهو ما كان يسعى جاهدا لتحقيقه من أجل اكتساب احترام العالم الإسلامي وتقديره له باعتباره حامى حمى الحرمين الشريفين .

وقد سار المظفر يوسف على سياسة أبيه ، فعمل بعد تثبيت قواعد حكمه على تثبيت النفوذ اليمني في الحجاز . ولكن ما كادت الدولة الأيوبية تسقط ويتمكن المماليك من توطيد دعائم دولتهم ، وتتوالى انتصاراتهم ، ويشرعون في تحقيق السيطرة على البحر الأحمر ، حتى تغيرت السياسة اليمنية وتحول المظفر إلى مسالمة دولة المماليك البحرية بمصر والشام ، وتبادل مع سلاطينها السفارات والهدايا درها لشهرهم . ومن ثم بدأ دور جديد مشرق من التعاون مع اليمن من وراء الكمبر ، وذلك لقيام المماليك بتأمين البحر الأحمر ، وانصراف السفن اليمنية من جانب آخر للقضاء على القرصنة في المحيط الهندي ، مما أدى إلى زيادة نشاط تجارة العبور عن طريق البحر الأحمر ، وتدفع السفن التجاربه على عدن لاعادة تعمير ما تحمله من بضائع إلى الموانئ الهندية أو المصرية .

وقد بلغ من ارتفاع مكانة سلطان اليمن - في تلك المرحلة - لدى السلطان المملوكي أن لجأ ملك الحبشه « يكو نو أملاك » إلى إرسال رسله إلى السلطان المظفر يوسف ليضطلع ذات البين بينه وبين السلطان المملوكي الظاهر بيبرس -

ولم يكتف البحث بدراسة العلاقات اليمنية مع بلدان حوض البحر الأحمر كـمصر
والحجاز والحشة ودول الطراز الاسلامى هناك . وانما تعرض لدراسة
العلاقات الاقتصادية والسياسية مع آسيا . فقد توافد سفراء بعض الدول
الآسيوية بالهدايا على البلاط اليمنى لطلب ود سلطانها من بنى رسول ، وتسهيل
تجارتهم ، والإحسان إلى تجارهم ، وقد بولغ في كسب قلوب سلاطين اليمن
إلى حد قيام سلطان قاليقوت بالمطبة لسلطان اليمن فى بلاده ، فقد كان لموقع
اليمن الإهام على الطريق التجارى الرئيسى أثره فى أن تحتل ميناء عدن مكانة
عالمية وقتئذ ، وقامت بدور بارز فى التجارة العالمية التى كانت مصر تمتلك
ناصرتها . وهكذا فقد كان لرعاية اليمن للتجارة أثرها فى زيادة نشاطها . كما
أخذت مصر على عاتقها مهمة التصدى للمحاولات الموجهة إليها أو إلى اليمن
حتى لو لم تتحرك السلطات اليمنية للدفاع عن مصالحها . فمع قيام الدولة
الإيلخانية المعادية لمصر وتحول البابوية إلى فرض الحصار الاقتصادى على
دولة المماليك وتحريم العبادل التجارى فى موانئها . فقد انفتحت المصالح
الإيلخانية فى عهد الخان أرغون مع الصليبيين ، فتعاضد معهم ضد مصر
المنلوكية ، وعملوا على توجيه ضربة إلى تجارة مصر بتحويل النشاط التجارى
إلى الخليج الفارسى ، والحيلولة دون وصول السفن المحملة بتجارة الشرق إلى
عدن ، وذلك بانزال بعض السفن إلى مياه الخليج لتتولى نقل البضائع من
مصادرهما ، وفرض حصار بحرى على عدن . وهكذا كانت عدن ، وبالتالى
اليمن تشكل هدفا صليبيا لمكائنها التجارية بين الشرق والبحر الأحمر ، ولما
تقدمه من معونات لجماعى الطراز ضد الحشة المسيحية . ومهما كان الأمر ،
فقد فشلت هذه المحاولات لتصدى مصر لها ، بتوجيه للضربات للدولة
الإيلخانية . واجتذاب التجار الفرنج للتعامل مع الموانئ المملوكية .

أما ما يتعلق بتعسف سلاطين اليمن مع التجار في عدن ، فلم يكن في إمكان مصر الملكية أن تقف مكتوفة الأيدي دون الدفاع عن مصالحها التجارية والعمل على وضع حد للمظالم التي كان يتعرض لها التجار من سلاطين اليمن وعمالمهم . وكم نتيجة لتعنت هؤلاء السلاطين مع التجار ، وتكرار شكوى دولهم لسلاطين المماليك ، فقد تحمات اليمن أضرارا كثيرة أثرت على اقتصادها ، خاصة بعد أن رحب السلطان برسباي بمحاولة السفن الهندية في الوصول رأسا إلى جدة ، مما أدى إلى احتلالها المكثفة التجارية الأولى كميناء هام ، واضمحلال ميناء عدن نتيجة لهجرة السفن التجارية له ، وللحظر الذي فرضه برسباي على التجار ومنعهم من التعامل مع ميناء عدن .

وإذا كانت الأحداث التاريخية قد أثبتت أنه كان في مقدور مصر وحدها القيام دائما بدور طبيعي متحملة - بإمكاناتها الذاتية - المسئولية كاملة في التعهدى للأخطار الخارجية وحماية العالم العربي ، فقد كان من الطبيعي أن يكون لتعاون بعض الأنظار العربية الأخرى وتحمل نصيبها في الجهاد أثره البالغ في زيادة فاعلية هذا الدور . غير أن تلك الأحداث تبين أيضا أن الضغط الذي قد يعيب مصر كان ينعكس أثره على العالم العربي ، فمع نهاية القرن التاسع وبداية للماشر الهجريين (الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين) وخاصة بعد عهد السلطان المملوكي قايتباي ، برزت عوامل متعددة أثرت على قوة مصر ، منها انتشار الأوبئة والقحط وماترتب عليها من غلاء فاحش ، ومبالغة في الضرائب والمظالم ، وعدم استقرار الأوضاع نتيجة الخلافات والمنازعات المستمرة بين طوائف المماليك ، وتولى خمسة من السلاطين خلال السنوات الخمس التي أعقبت وفاة قايتباي ، مما جعل فترة حكم سادسهم

وهو السلطان الغورى فتره تنذر بنهاية محققة ، ليس فقط نتيجة للأحوال الداخلية السيئة ، وإنما لتضافر الظروف الدولية على ازدياد ضعف دولة المماليك ، وجعلها لقمة سائنة في نهاية الأمر للعثمانيين . فقد نجحت الحركة الصليبية في تصفية آخر المعاقل الإسلامية في الأندلس والقضاء على العناصر الإسلامية فيها ، كما نشطت حركة الفرصنة الصليبية الموجهة للموانئ والسفن المملوكية ، وفي نفس الوقت استمر الصراع في المشرق بين العثمانيين والصفويين مؤكدا قيام المنتصر بمهاجمة الحدود الشرقية لدولة المماليك .

وفي تلك الظروف المعقدة كانت الجهود البرتغالية قد أثمرت اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح والوصول إلى الهند سنة ١٤٩٨ . ولا شك أن الجهود البرتغالية كانت حلقة من حلقات الصراع الصليبي وامتدادا لها ، وكانت أشد خطرا على الإسلام والمسلمين من سابقتها ، كما كانت نتيجة طبيعية للجهود الصليبية السابقة ، بعد فشل المحاولات المستمرة لاستعادة السيطرة على الممالك الصليبية التي كانوا قد أسسوها في بلاد الشام . وعدم جدوى القرارات البابوية بتحريم التعامل التجاري مع الموانئ المملوكية .

ومن الجدير بالذكر أن المصادر العربية لم تشر إلى المراحل التي أسفرت عن كشف البرتغاليين لرأس الرجاء الصالح ، أو وصولهم إلى الهند عند نجاحهم في ذلك ، وإنما اكتفى بالإشارة في حوليات متأخرة إلى الوجود البرتغالي في المياه الهندية وليس ذلك بالتأكيد اغفالا من المؤرخين لتلك الأحداث ، وإنما قد يكون ذلك لتأخر علمهم بها ، أو أن الأحوال الداخلية بمصر كانت من السوء بحيث طغت على ماعداها ، ولم يكن متوقعا أن يزداد خطر البرتغاليين إلى هذا الحد الذي هدد

البلاد تهديدا مباشرا من الخلف. وقد يؤيد ذلك أن الأساطيل البرتغالية لم تلجأ في بداية الأمر إلى استعمال العنف ، ولكنها انتهجت أسلوب المسالمة تفاديا للتصادم ، في وقت كانت حريصة فيه على تثبيت مراكزها ، ولم تتمكن من القيام بأعمال يكون من شأنها التعرض لمقاومة جماهيرية . ولكن ما أن انضحت حقيقة المطامع البرتغالية الصليبية - التي تعرض البحث لها - وزاد الخطأ و البرتغالي في المياه الهندية حتى أسرع سلاطين الهند والبنين إلى الاستنجاد بالسلطان الفوري ، الذي قام رغم ظروفه الداخلية والخارجية الصعبة بإعداد أسطول لمحاربة البرتغاليين والعمل على القضاء عليهم .

وبالنسبة لليمن ، فقد تميزت فترة ما قبل ديو بتعاون الساطات الطاهرية ووفائها بما التزمت به . ولكن المواقف لم يلبث - بعد هزيمة الأسطول المملوكي في ديو - أن تحول إلى عداة سافر للقوى المملوكية . في حين تعاون الطاهريون مع البرتغاليين إلى حد التحالف معهم من أجل ابة ساع المزيمة بالماليك وتحقيق الأهداف البرتغالية الصليبية في البحر الأحمر . وهكذا يتضح أن موقف سلطان اليمن كان مؤثرا ومتأثرا بمجريات الأحداث الدولية وتذاك ، ذلك أن تغير موقف السلطان الطاهري ، وامتناعه عن الوفاء بتعهداته الخاصه بتقديم مساعدات للحملة البحرية المملوكية الثانية ، أدى إلى تخوف الأمير حسين الكردي قائد الأسطول المصري خاصة وأن السلطات اليمنية لم تسمح له باستخدام قواعد لأسطوله بالموانئ اليمنية ، ومن ثم يصبح خروج هذا الأسطول من البحر الأحمر أو العودة إليه محفوفا بالكثير من المخاطر . وهكذا ، اضطر الأمير حسين الكردي بعد أن أختقت محاولاته لاقتناع السلطان الطاهري الظافر عامر الثاني ، إلى استخدام اقوة للسيطرة على بعض المناطق الساحلية لتأمين أسطوله وضمان سلامة وصول الامدادات إليه . ولاستكمال المهمة الأساسية التي جهز

الأسطول للقيام بها ، ترك الأمير حسين الكردي بعض قواته لحماية مائمه للسيطرة عليه من المناطق ، وتوجه في بعض قطعه البحرية إلى عدن ، وله يستطيع أن يتخذ منها قاعدة لتأمين سلامة البحر الأحمر ، وضمان عدم التعرض للاخطار عند عودته من الهند . إلا أن فشل حسين الكردي في الاستيلاء على عدن لحصانتها الطبيعية ومقاومة حاكمها له ، اضطره إلى تفضيل العودة إلى البحر الأحمر ، وتركيز قوته فيه والاكتفاء بالعمل على تأمينه . وهكذا تحول هدف الحملة - نتيجة لموقف السلطات الطاهرية - من التوجه لمحاربة البرتغاليين في المياه الهنديه ، إلى مجرد الدفاع عن البحر الأحمر .

وعلى الرغم من الاضرار التي تعرضت لها بلاد اليمن نتيجة لسيطرة البرتغاليين على التجارة ومحاولتهم للاستيلاء على عدن ، إلا أن السلطان الطاهري الظافر عامر الثاني لم يكتف بها اتخذ من مواقف معادية للجزراكسة ، الذين كان من بين أهدافهم حماية اليمن نفسها من الخطر البرتغالي ، إذ تعاون نائبه على عدن - الامير مرجان - مع البرتغاليين ، وأمدهم بالمرشدين لتسهيل وصولهم إلى جدة لضرب الأسطول المملوكي فيها ، وهو أمر لا بد وأن يكون قد تم بموافقة السلطان الظافر الثاني شخصيا ، رغم النتائج الخطيرة التي كانت سوف تترتب على نجاح البرتغاليين في تخطيم الأسطول المملوكي في جدة . من الاستيلاء على الحجاز ، وتعرض المقدسات الاسلامية للدمار ، وتحقيق الاتصال بالحيشة والتعاون معها لتوجيه ضربة مباشرة ضد مصر ، باعتبارها مصدر القوة في العالم الاسلامي ، وما قد يجمع ذلك من تسهيل مهمة البرتغاليين في تنفيذ كافة الأهداف التي قامت بحركة الكشوف الجغرافية من أجلها .

والحقيقة لقد كان لموقف السلطان الطاهري أثره في إعاقة الأسطول

المملوكي من مهمته ، ما أدى إلى تحول قوات ذلك الأسطول إلى مقابلة تحديات السلطان الطاهري والتفرغ لغزو اليمن . ومن العجيب أن السلطان الظافر لم يترشح عن موقفه رغم هجز قواته من الصمود أمام الأسلحة النارية الحديثة التي كانت تستعملها القوات الجراكسية ، مما أدى في النهاية إلى مقتل هذا السلطان ، وسقوط دولته واسيلاء الجراكسة عليها . ولولا استيلاء العثمانيين على مصر والشام وسقوط دولة الجراكسة لاستمرت قوات المماليك في العمل على استكمال السيطرة على بقية المناطق الأخرى من اليمن ، كقائمة للتفرغ لمواجهة البرتغاليين .

ويمكن القول بأنه إذا كان السلطان الطاهري قد أسهم بموقفه هذا في نفس الجهود التي بذلها الغوري ضد البرتغاليين ، وساعد الأسطول البرتغالي على اقتحام البحر الأحمر ، وتعاون حاكم عدن معهم لتنفيذ أهدافهم ، فقد أسهم العثمانيون بتقاصمهم ، في ترسيخ الوجود البرتغالي في المياه الهندية . وذلك لانشغالهم بالفتوحات في مناطق أخرى ، مما ساعد البرتغاليين على إحكام السيطرة على تجارة الشرق ، وتوطيد نفوذهم وتهاقم خطرهم في المنطقة .

المصادر والمراجع

أولا - مصادر مخطوطة

- أدریس عماد الدین بن الحسن القرشی (ت ۸۷۲ھ / ۱۴۶۷م) .
— نزہة الأفكار وروضۃ الأخبار فی ذکر من قام بالین الیمون من الملوك
الکبار والدعاة الأخیار ، (جزءان) مخطوط بمکتبة أجد علماء
حراز الیمن .
الأهدل ، أبو عبد الرحمن الحسین بن عبد الرحمن بن محمد الحسینی (ت ۸۸۵ھ /
۱۴۸۰م) .
— تحفة الزمن فی تاریخ سادات الیمن ، مخطوط بمکتبة خدابخش بته
رقم ۲۴۸۵ مصور بالمیکروفیلم بمعهد المخطوطات العربیة برقم ۳۰۸۸ .
ابن ایك الدواداری ، أبو بكر بن عبد الله (ت ۷۳۲ھ / ۱۳۳۱م) .
— درر التیجان وغرر تواریخ الأزمان ، (۴ مجلدات) مخطوط بمکتبة
أحمد خان بالآستانة ، مصور بدار الکتب برقم ۴۴۰۹ تاریخ .
— كنز الدور وجامع الغرر ، (۹ أجزاء) مخطوط بدار الکتب رقم
۲۵۷۸ تاریخ .
یبرس الدوادار ، ركن الدین المنصوری (ت ۷۲۵ھ / ۱۳۲۵م) .
— زیدة الفكرة فی تاریخ الهجرة ، (ج ۹) مخطوط بالمتحف الیرطانی
رقم ۲۳۳۲۵ إضافات ، مصور بالفوتوستات بمکتبة جامعة القاهرة
برقم ۲۴۰۶۸ .
ابن تغری بردی ، جمال الدین أبو المحاسن یوسف (ت ۸۷۴ھ / ۱۴۶۹م) .

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، (٥ مجلدات) مخطوط بدار
الكتب رقم ١٢٠٩ تاريخ تيمور .
- الدليل الشافي على المنهل الصافي ، مخطوط بدار الكتب رقم ١١٨٨٩ ح .
الجزيري ، زين الدين عبد القادر بن عبد الحنبلي (ت ٨٩٦ / ١٥٥٤ م) .
- درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة ، مخطوط
بدار الكتب رقم ٣٧ م .
- الجندي ، صفي الدين أحمد بن عبد الله (ت ١٣٣٧ / ١٩١٨ م) .
- الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولى التبريز ، مخطوط بمكتبة الجامع
الكبير بصنعاء .
- الجندي ، أبو عبد الله بهاء الدين يوسف بن يعقوب (ت ٥٧٣٢ / ١٣٣١ م) .
- السنوك في طبقات العلماء والملوك ، (٣ مجلدات) مخطوط بمكتبة
كوزيلي رقم ١١٠٧ مهور بدار الكتب برقم ٩٩٦ تاريخ .
- ابن حاتم ، بدر الدين محمد (كان موجودا سنة ٥٧٠٢ هـ) .
- السنمط العالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ، مخطوط بالمتحف
البريطاني رقم ٢٧٥٤١ إضافات .
- ابن حبيب ، الحسن بن عمر (ت ٥٧٧٩ / ١٣٧٧ م) .
- درة الأسلاك في دولة الأراك ، (٤ ج) مخطوط مهور بدار الكتب
رقم ٦١٧٠ ح .
- ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٣ / ١٤٤٩ م) .
- إنباء الغمر بأبناء العمر ، (جزءان) مخطوط بدار الكتب رقم
٢٤٧٦ تاريخ .
- الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم بن نصر الله (ت ٨٧٦ / ١٤٧١ م) .

- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، مخطوط بالمتحف البريطاني رقم ٧٣١١ إضافات مضمون بالميكرو فيلم بالجامعة العربية رقم ٣ .
- «تاريخي» أبو الحسن علي بن الحسن (ت ٨١٢ / ١٤٠٩ م) .
- طراز الزمن في طبقات أعيان اليمن ، (جزءان) مخطوط بدار الكتب رقم ١٢٦٥٧ تاريخ .
- المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ، مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١٢٦٥ ب .
- العقد الفاخر الحسن في طبقات أعيان اليمن ، مخطوط بالمتحف البريطاني 72 Kings Collage مصور بالميكرو فيلم بالجامعة العربية رقم ٣٣٩ .
- «لبن داعر» عبد الله بن صلاح الدين بن داود بن علي (كان موجودا سنة ١٠١٠ هـ) .
- الفتوحات المرادية في الجهات اليمنية ، نسخة المؤلف ومخطه ، بمكتبة واغب باشا باستانبول ، وتوجد نسخة منها مصورة بالفوتونات بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٧٦٤٢١ ، وأخرى بالميكرو فيلم بالجامعة العربية برقم ٩٣٣ تاريخ .
- «لبن دقاق» صادم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدهم العلاني (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) .
- الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٤٩٢ تاريخ تيمور .
- «لبن الديبع» أبو عبد الله عبد الرحمن بن علي الشيباني الشافعي (ت ٨٩٤ هـ / ١٥٣٧ م) .
- بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد ، مخطوط بدار الكتب رقم ٦٠٧-٦٠٦ تاريخ تيمور ، وأخرى رقم ١١ م تاريخ .

- الفضل للزيد على بغية المستفيد ، مخطوط مصور بدار الكتب رقم
٩٠٨٧ ح تاريخ عن الدار رقم ١١ م تاريخ .
- قرّة العيون في أخبار اليمن اليمون ، مخطوط بدار الكتب رقم
١٣٥٥ تاريخ .
- الذهبي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قباذ (ت ٧٤٨ هـ)
١٣٤٧ م) .
- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، (٣٢ مجلد) مخطوط
بدار الكتب رقم ٣٩٦ تاريخ .
- سير أعلام النبلاء ، (١٣ جزء) مخطوط بدار الكتب رقم ٤٤٩٥
تاريخ .
- الرازي ، أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الصنعائي (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م)
— تاريخ صنعاء ، مخطوط بالمتحف البريطاني رقم ٢٩٠٣ ، مصور
بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٦٠٥٧ .
- الرسولي ، السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس (ت ٤٠٣ هـ)
١٤٠٠ م) .
- فاكهة الزمن ومفاخرة الآداب والفتن في أخبار من ملك اليمن
مخطوط بدار الكتب رقم ١٤٠٩ تاريخ تيمور .
- الرسولي ، السلطان الملك الأفضل عباس بن المجاهد علي بن داود (ت ٧٧٨ هـ)
١٣٧٦ م) .
- العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية ، مخطوط يدوي
الكتب برقم ٢٥١ تاريخ .
- نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون ، مخطوط بدار الكتب رقم
٣٥١ تاريخ .

الرشيدى ، أحمد .

— حسن العنفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج ، مخطوط بدار

الكتب رقم ٤٨٧ تاريخ .

الشبلى اليمنى ، جمال الدين محمد بن أبى بكر الحسنى (ت ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م) .

— السنن الباهر بتكميل النور السافر فى أخبار القرن العاشر ، مخطوط

بدار الكتب رقم ٢٠٣٢ تاريخ تيمور .

الشترقى ، أحمد بن محمد بن صلاح (ت ١٠٥٥ هـ / ١٦٠٥ م) .

— اللالى المضبية فى أخبار أئمة الزيدية ، (٣ أجزاء) مخطوط بمكتبة

الجامع الكبير برقم ١٠٧ - ١٠٩ .

المصطفى ، صلاح الدين خليل بن أيبك (٥٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) .

— الواقى بالوفيات ، (٧٠ أجزاء فى ١٧ مجلد) مخطوط بدار الكتب رقم

١٢١٩ تاريخ .

المصطفى ، بهر الدين محمد بن يوسف (ق ١٠ هـ) .

— مآثر الأبرار فى تفصيل مجلات جواهر الأخبار ، مخطوط ملك الباحث .

الطبرى ، محمد بن على بن فضل (ق ١٢ هـ) .

— إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن ، مخطوط بالجمعية

الآسيوية فى كلكتا رقم ١٢٨١ ، منه نسخة بالميكروفيلم بالجامعة

العربية برقم ٣١٤٣ .

الطبرى ، على بن محيى الدين عبد القادر (ت ١٠٧ هـ / ١٦٦٠ م) .

— كتاب الأرج المسكى فى التاريخ المكى ، مخطوط بدار الكتب رقم

٢٢٠٥ تاريخ تيمور .

الناصرى ، أبو زكريا يحيى بن أبى بكر الحرصى (١٨٩٣ هـ / ١٤٨٨ م) .

- نرباك الزمان في وفيات الأعيان ، مخطوط بمكتبة الجامع الكبير بمصنعة -
 ابن عبد المجيد ، تاج الدين عبد الباقي القرشي (٥٧٤٣ / ١٣٤٢ م) .
- بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس رقم
 ٥١٧٧ عربي .
- العيصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت ١١١١ / ١٦٩٩ م) .
- معط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، (٥ أجزاء) ،
 مخطوط بدار الكتب رقم ٥٦٦٤ تاريخ .
- هبسي بن لطف الله بن المطهر (١٠٤٨ / ١٦٣٨ م) .
- روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح ، مخطوط
 بدار الكتب رقم ١١ تاريخ م .
- العيني ، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥ / ١٤٥١ م) .
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، (٢٣ جزءاً في ٦٩ مجلد) -
 مخطوط مصور بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ من نسخة الآسمانة -
- القاسمي ، تقي الدين أبي الطيب محمد بن أحمد بن علي الحسني (٨٣٢ / ١٤٢٩ م) -
- تحفة الكرام ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٢٨١٣ ح مصور عن
 نسخة الدار رقم ١٦٤٦ تاريخ .
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، (٤ مجلدات) مخطوط بدار الكتب
 رقم ٨٤٩ تاريخ تيمور .
- ابن القرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي (ت ٨٠٧ / ١٤٠٤ م) -
- تاريخ الدول والملوك ، (١٨ مجلداً) مخطوط بدار الكتب رقم
 ٣١٩٧ تاريخ مصور عن نسخة فيينا .

ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى (ت ٥٧٤٩ / م ١٣٤٨) .

— مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، (الجزء الخامس) مخطوط بدار الكتب رقم ٨ معارف عامة م .

النبيومي ، أحمد بن محمد بن علي المقرئ (ت ٥٧٧٥ / م ١٣٧٤) .
— نثر الجنان في تراجم الأعيان ، (٢ مجلدات) مخطوط بدار الكتب رقم ١٧٤٦ تاريخ .

ابن القاسم ، صارم الدين إبراهيم بن القاسم بن المؤيد (النصف الأول من ق ٥١٢) .
— طبقات العلماء الزيدية ، مخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

الكبسي ، محمد بن اسماعيل بن محمد بن يحيى (ت ١٢٠٨ / م ١٨٩٠) .
— اللطائف السنوية في أخبار الممالك اليمنية ، مخطوط بدار الكتب رقم ٧٢٤ تاريخ تيمور ونسخة أخرى رقم ٤١٦٣ تاريخ .

المحلي ، حسام الدين أبي عبد الله حميد بن أحمد (ت ٦٥٢ / م ١٢٥٤) .
— الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية ، مخطوط بدار الكتب رقم ٤٨٧٥ تاريخ .

ياخزمية ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله (ت ٩٤٧ / م ١٥٤٠) .
— قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، (٣ أجزاء) مخطوط بمكتبة بني جامع بالآستانه رقم ٨٨ مصور بدار الكتب برقم ١٦٧ تاريخ .

ابن مظفر ، محمد بن أحمد بن يحيى (ت حوالي ٩٢٥ / م ١٥١٩) .
— كتاب التزجمان المفتوح لترات كاتم البستان ، مخطوط بمكتبة القاضي حسين بن أحمد السياغي من علماء صنعاء .

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ / م ١٣٣٢) .

— نهاية الأرب في فنون الأدب ، (٣١ جزءاً) مخطوط بمكتبة كوبريلى
بآستانة ، مصور بدار الكتب برقم ٥٤٩ معارف عامة ، وأخرى
برقم ٥٥١ معارف عامة .

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (ت ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م) .
— أبناء الزمن في تاريخ اليمن ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٣١٧ تاريخ -

ثانيا - مصادر مطبوعة

- ١٠ ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن الكرم (ت ٥٦٣٠ / ١١٢٣ م) .
— الكامل في التاريخ ، القاهرة ١٢٠١ هـ .
الأهدل ، محمد بن طلي .
- ١١ — نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون ، القاهرة ١٩٣١ .
١٢ ابن إياس ، أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي (ت ٥٩٣٠ / ١١٥٢ م) .
— بدائع الزهور في وقائع الدهور ، الأجزاء ٣ - ٥ تحقيق محمد مصطفى
١٩٦٠ - ١٩٦٣ .
- ١٣ ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن الله بن محمد اللواتي الطنجي (ت ٥٧٧٩ /
١٣٧٧ م) .
— تحفة النظار في غرائب الأمصار ومجائب الأسفار (جزءان) القاهرة
١٩٣٨ .
- ١٤ ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٥٨٧٤ / ١٤٦٩ م) .
— النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (١٦ جزءا) القاهرة
١٩٣٠ - ١٩٧٢ .
- ١٥ — المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، (الجزء الأول) تحقيق أحمد
يوسف نجاتي ، القاهرة ١٩٧٦ .
— منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور .
Ed. William Forpper, California, 19٤0 - 1981.
- ١٦ ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد الكتامي (ت ٥٩١٤ / ١٢١٧ م) .
— رحلة ابن جبير ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٥ .
١٧ الجندبي ، أبو عبد الله بهاء الدين يوسف بن يعقوب (٥٧٣٢ / ١٦٥٦ م) .

- أخبار القرامطة باليمن ، منقول من كتاب السلوك في طبقات العلماء
والملوك) ، نشره هنري كاي ، ضمن كتاب تاريخ اليمن لعارة ،
لندن ١٨٩٢ .
- حاجي خليفه ، مصطفي كاتب شابي (ت ١٠٦٧ / هـ ١٦٥٦ م) .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، والآستانة ١٩٤١ .
- ابن حجر ، شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٣ / هـ ١٤٤٩ م) .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، (٤ أجزاء) حيدر آباد ، الهند
(١٣٤٨ - ١٣٥٠ هـ) .
- الحمادي ، محمد بن مالك بن أبي الفضائل الجاني (أواسط القرن الخامس
الهجري) .
- كشف أمرار الباطنية وأخبار القرامطة ، القاهرة ١٩٣٩ .
- حمزة بن الحسن الأصفهاني (٨٣٦٠ / هـ ٨٩٧٠ م) .
- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، برلين ١٩٣٤٠ .
- الخزرجي ، أبو الحسن علي بن الحسن (ت ٨١٢ / هـ ١٤٠٩ م) .
- العقود الثلوية في تاريخ الدولة الرسولية ، (جزءان) تحقيق محمد
بسيوني عسل ، من مطبوعات Gibb Memorial Series القاهرة ١٩١١ .
- ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ / هـ ١٤٠٥ م) .
- العبر وديوان المتبدأ والخبر ، بولاق ١٢٨٤ هـ .
- تاريخ اليمن ، منقول من كتاب العبر ، نشره كاي ملحقاً بكتاب تاريخ
اليمن لعارة ، لندن ١٨٩٢ .
- ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر الشافعي (ت ٦٨١ / هـ
١٢٨٢ م) .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، (٦ أجزاء) نشر محمد محيي الدين .
عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٨ .
- الدمشقي ، محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٨ م) .
- كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ليزج ١٩٢٢ .
- الذهبي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عثمان بن قتيبة (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) .
- دول الإسلام ، (أجزاء) ، حيدر آباد ، الهند ١٣٣٣ هـ - ١٣٣٧ هـ .
- الرسولي ، السلطان الملك الأشرف عمر بن مظفر يوسف (ت ٩٩٦ هـ / ١٢٩٦ م) .
- طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، تحقيق سترستين ، نشر المجمع
العلمي العربي بدمشق ١٩٤٩ .
- زين الدين المعبري الملباري (٩٨٥ هـ ١٥٧٩ م) .
- تحفة المجاهدين في أحوال البرتكاليين ، لشبونة ١٨٩٨ .
- سيط ابن الجوزي ، شمس الدين أبي مظفر يوسف بن قز أوغلي (ت ٦٥٤ هـ /
١٢٥٧ م) .
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، (ج ٨) حيدر آباد ، الهند ١٩٥١ .
- السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١ هـ /
١٣٧٠ م) .
- طبقات الشافعية الكبرى ، (٦ أجزاء) القاهرة ١٣٢٤ هـ .
- السخاوي ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م) .
- التبر المسبوك في ذيل السلوك ، نشر أحمد ركي ، القاهرة ١٨٩٦ .
- الضوء اللامع لأهبل القرن التاسع ، (١٢ جزءاً) القاهرة ١٣٥٣ -
١٣٥٥ هـ .
- ابن ميمونة ، أبو حمص بن علي (ق ٦ هـ) .

- طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ١٠٥٧ .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٨٩١١ / ١٥٠٥ م) .
- غزوات قبرص ورودس ، فيينا ١٨٨٤ .
- ابن شاكر الكتبي ، صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٨٧٦٤ / ١٣٩٣ م) .
- فوات الوفيات ؛ (جزءان) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ؛ ١٩٥١ .
- أبو شامة ، شهاب الدين أبي محمد بن عبد الرحمن الرحمن ابن اسماعيل المقدسي .
- (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) .
- الروضتين في أخبار الدولتين . (جزءان) القاهرة ١٢٧٨ - ١٢٨٨ هـ .
- الذيل على الروضتين . نشره السيد عزت الطاهر . القاهرة ١٩٤٧ .
- ابن شاهين الظاهري ؛ غرس الدين خليل (ت ٨١٣ هـ / ١٤٦٨ م) .
- كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ؛ تحقيق بولس راويس Paul Ravaisse باريس ١٨٩٤ .
- ابن الشحنة ، محب الدين أبي الوليد محمد بن كمال الدين الحلبي (ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م) .
- روض المناظر في أخبار الأوائل والأواخر ، مطبوع على هامش الجزء التاسع من كتاب (الكامل) لابن الأثير . القاهرة ١٢٩٠ هـ .
- الشرجي ، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف (ت ٨٩٣ هـ / ١٤٨٨ م) .
- طبقات الخوارج أهل الصدق والايخلاص ، مصر ١٣٢١ هـ .
- ابن طباطبا ، محمد بن علي (ت بعد ٨٧٠١ / ١٣٠١ م) .
- — الفخرى في الآداب السلطانية ، القاهرة ١٣١٧ هـ .
- ابن طولون الصالحى ، شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن محمد (٨٩٥٣ / ١٥٤٦ م) .

- مفاكحة الخلان في حوادث الزمان ، (جزءان) تحقيق محمد مصطفى .
القاهرة ١٩٦٢ .
- ابن ظهيرة ، جمال الدين محمد جار الله بن محمد بن أبي بكر (١٥٥٢/١٩٦٠م) .
— الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، الطبعة
الثانية ١٩٣٨ .
- ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن (ت ٥٧٣٩ / ١٣٣٨م) .
— مرصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبلد ، القاهرة ١٩٥٤ .
- ابن عبد الظاهر ، محيي الدين أبي الفضل عبد الله (ت ٥٩٩٢ / ١٢٩٢م) .
— تشریف الأيام والعصور في سيرة السلطان الملك المنصور ، تحقيق .
د. مراد كامل ، القاهرة ١٩٦١ .
- العلوي ، دلي بن محمد بن عبد الله العباسي (من علماء الزيدية في أواخر القرن
الثالث الهجري) .
- سيرة الامام المهدي إلى الحق يحيى بن الحسين ، تحقيق د. سهيل زكار .
بيروت ١٩٧٢ .
- ابن العباد الحنبلي ، أبو النلاح عبد الحمى (ت ١٠٨٩ / ١٦٧٨م) .
— شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، (٨ أجزاء) القاهرة ١٣٥١ هـ .
همارة اليمنى ، أبو محمد نجم الدين بن أبي الحسن علي بن زيدان الحكيم
(ت ٥٦٩ / ١١٧٤م) .
— تاريخ اليمن ، تحقيق هنري كاي ، لندن ١٨١٢ .
— النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية .
- Ed. Hartwig Derenbourg, Paris, 1897-1902.
- البيدروسي ، محيي الدين عبد القادر بن عبد الله العلوي (ت ١٠٣٨ / ١٦٢٨م) .
— النور السافر في أخبار القرن العاشر ، بغداد ١٩٣٤ .

- النمامي ، تقى الدين أبي الطيب محمد بن احمد الحسني (٨٣٢هـ / ١٤٢٩ م) .
 — شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، (جزءان) القاهرة ١٩٥٦ .
 أبو الفدا ، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ /
 ١٣٣١ م) .
 — كتاب تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠ .
 — المختصر في أخبار البشر ، (٤ أجزاء) الآستانة ١٢٨٦ هـ .
 ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ /
 ١٣٤٨ م) .
 — التعريف بالمصطلح الشريف . القاهرة ١٣١٢ هـ .
 ابن الفوطى ، كمال الدين أبي الفضل عبد الرازق البغدادي (ت ٧٢٢هـ / ١٣٣٢ م) .
 — الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، نشره د. مصطفى
 جواد بغداد ١٣٥١ .
 الفيروز آبادى ، محمد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازى (ت ٨٠٧هـ /
 ١٤١٤ م) .
 — القاموس المحيط ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٤٤ هـ .
 القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨ م) .
 — صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، (١٤ جزءا) ، القاهرة ١٩١٣-١٩١٩ .
 — قلائد الجنان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، نشره ابراهيم الاياري
 ١٩٦٣ م .
 ابن كثير ، عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ /
 ١٣٧٣ م) .
 — البداية والنهاية ، (١٤ جزءا) ، القاهرة ١٣٤٨ / ١٣٥٨ هـ .

ابن المجرار ، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد الدمشقي
(ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) .

— ضفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، ويسمى تاريخ المستبصر ،

Ed., O. Loefgren, 2 vol. Leiden, 1951-1954.

مجمع اللغة العربية .

— المعجم الوسيط ، قام بإخراجه نخبة من العلماء ، القاهرة ١٩٦٠ .

بإخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله (ت ٩٤٧ هـ / ١٥٤٠ م) .

— تاريخ نجر عدن ، (جزءان)

Ed., O. Loefgren Leiden, 1936 - 1950.

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الشافعي (ت ٣٤٦ هـ / ١٩٥٦ م) .

— مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (٤ أجزاء) تحقيق محمد محي الدين

عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٨ .

المقدسي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر البشاري (ت ٣٨٨ هـ /

٩٩٧ م) .

— أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،

Ed., De Goeje, Leiden, 1906.

المقري ، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ /

١٦٣١ م) .

— فتح الطيب في غصن الأندلس الزطبيب وذكر وزيرها لسان الدين

ابن الخطيب ، (١٠ أجزاء) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،

القاهرة ١٩٤٩ .

ملقريزي ، نبي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ /

١٤٤١ م) .

— الإلام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام ، Patavia, 1890 .

— البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق فستنفيلد ،

جوتنجن ١٨٧٤ .

— الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، نشر

الشيال ١٩٥٥ .

— السلوك لمعرفة دول الملوك .

١٠ ، ٢ تحقيق د. زيادة ، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٥٨ .

٣ ، ٤ تحقيق د. سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٢ .

— المواعظ والاعتبار في ذكر المخطوط والآثار ، (٤ أجزاء) القاهرة .

١٣٢٤ - ١٣٢٦ هـ .

مؤلف مجهول .

— أخبار مجموع في فتح الأندلس وذكر أمرائها ، نشره دون لافونتي .

الكنترا ، مدريد ١٨٦٧ .

نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٢ هـ / ١١٧٧ م) .

— الحور العين ، تحقيق كمال مصطفى ، القاهرة ١٩٤٨ .

— منتخبات من أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ، تحقيق عظيم

الدين أحمد . لندن ١٩١٦ .

النهر والى ، قطب الدين محمد بن أحمد المسكني (ت ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م) .

سد البرق اليماني في الفتح العثماني ، أشرف على طبعه حمد الجاسر ،

الرياض ١٩٦٧ .

- الاعلام باعلام بيت الله الحرام ، تحقيق بروك هوس ، ليزج ١٨٥٧ .
- للنويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ / ١٣٣٢ م) .
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، (١٨ جزءا) طبعة دار الكتب ١٩٢٣ -
- ١٩٥٦
- الهمداني ، أبو عبد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف (ت ٥٣٢٤ /
- (٩٤٥ م) .
- الأصيل ، (ج ١٠) تحقيق عبد الدين الخطيب . القاهرة
- ١٣٦٨ هـ .
- صفة جزيرة العرب ، لندن سنة ١٨٩١ .
- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ١٢٩٧ م) .
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب .
- (الأجزاء من ١ - ٣) تحقيق د. الشيال ، القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٦١ .
- (ج ٤ - ٥) تحقيق د. حسنين محمد ربيع ، القاهرة ١٩٧٢ .
- ابن الوردي ، زين الدين أبو حفص عمر بن منظور (ت ٧٤٩ هـ /
- (١٣٤٨ م) .
- تاريخ ابن الوردي (جزآن) ، القاهرة ١٢٨٥ هـ .
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، القاهرة ١٣٠٩ هـ .
- ياقوت ، شهاب الدين أبي عبد الله الحموي الرومي (٦٢٦ / ١٢٢٩ م) .
- معجم البلدان ، (١٢ جزءا) ، للقاهرة ١٩٠٦ .
- يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (ت ١١٠٥ / ١٦٩٣ م) .
- أبناء الزن في أخبار اليمن ، القسم الأول من ٢٨٠ إلى ٣٢٢ هـ ،

- تحقيق د . محمد عبد الله ماضي ، برلين ١٩٣٦ .
- غاية الأمان في أخبار القطر اليمني ، تحقيق د. سعيد ماحور ،
القاهرة ١٩٦٨ .
- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٢ هـ /
٨٩٥ م) .
- تاريخ اليعقوبي ، (جزءان) نشر هوتسما ، ١٨٨٣ .

ثالثاً - مراجع عربية حديثة

إبراهيم على طرخان (الدكتور) .

— مصر في عصر المماليك الجراكسة ، القاهرة ١٩٥٩ .

أحمد حسين شرف الدين .

— اليمن عبر التاريخ ، القاهرة ١٩٦٣ .

أحمد دراج (الدكتور) .

— المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري ، القاهرة ١٩٦١ .

— ايضاحات جديدة عن العهول في تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن

التاسع الهجري ، محاضرات الجمعية التاريخية المصرية : ١٩٦٨ .

أحمد مختار العبادي (الدكتور) .

— دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ١٩٦٨ .

— قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، بيروت ١٩٦٩ .

— تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام . القسم الثاني ، بيروت ١٩٧٢ .

— في لتاريخ العباسي والأندلسي ، بيروت ١٩٧٢ .

باتيكار ، ك.م .

— آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، القاهرة ١٩٦٢ .

يروكلمان ، كارل .

— تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ،

بيروت ١٩٥٣ .

الجرافي ، عبد الله بن عبد الكريم .

— المقتطف من تاريخ اليمن ، القاهرة ١٩٥١ .

- جمال الدين الشيبال (الدكتور) .
- تاريخ مصر الإسلامية ، (جزءان) ١٩٦٧ .
- حسن ابراهيم حسن (الدكتور) .
- تاريخ الإسلام السيامي والديني والثقافي والاجتماعي ، الطبعة الخامسة ١٩٦٠ .
- حسن ابراهيم حسن وطه شرف .
- عيد الله المهدى لإمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، القاهرة ١٩٤٧ .
- حسن أحمد محمود (الدكتور) .
- الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، (الجزء الأول) القاهرة ١٩٥٨ .
- دور العرب في نشر الحضارة في غرب افريقية - المجلة التاريخية - ١٩٦٨ .
- قيام دولة المرابطين ، القاهرة ١٩٥٧ .
- حسن سليمان محمود (الدكتور) .
- تاريخ اليمن السيامي في العصر الاسلامي ، بغداد ١٩٦٩ .
- الصليحيون وعلاقتهم بالفاطميين ، رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة .
- علاقات الفاطميين بالدول الإسلامية ، القاهرة بدون تاريخ .
- الملكة أروى سيدة ملوك اليمن ، القاهرة بدون تاريخ .
- حسنين الممداني وحسن سايجان محمود (الدكتوران) .
- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، القاهرة ١٩٥٥ .
- حزه على ابراهيم لقمان .
- تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، القاهرة ١٩٦٠ .

مختارة المعارف الإسلامية ، (الترجمة العربية) .
 مدار الكتب المصرية .

- فهرس الكتب العربية ، (٨ أجزاء) القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٤٢ .
- فهرست المخطوطات ، (٣ أقسام) تصنيف فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦١ .
- قائمة بالكتب والمراجع عن الجزيرة العربية .
- قائمة المخطوطات العربية المصورة بالميكروفيلم من الجمهورية العربية
 اليمنية ١٩٦٧ .
- تعديل ، شارل .

— البندقية جمهورية ارسقراطية، ترجمة الدكتور أحمد عزت عبدالكريم
 وتوفيق اسكندر ، القاهرة ١٩٤٧ .

• ترامباور .

— معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامي ، ترجمة
 الدكتور زكى محمد حسن والدكتور نحسن أحمد محمود وآخرين ،
 القاهرة ١٩٥١ - ١٩٥٢ .

• تقيادة ، محمد بن محمد بن يحيى الحسنى الصنعانى .

— أئمة اليمن ، (الجزء الأول) تعز ١٣٧٢ هـ .

— إتحاف المهتمين بذكر الأئمة المجتدين ، ومن قام باليمن اليمون من
 قراء الكتاب المبين وأبناء سيد الأنبياء والمرسلين ، صنعاء ١٣٤٣ هـ .

• تقياستين .

— تاريخ سلاطين الماليك ، (من ٦٩٠ إلى ٧٤١ هـ) ، لندن ١٩١٩ .

• تقينى دحلان (ت ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م) .

— خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام ، ١٣٠٥ هـ .

- سر كيس ، يوسف اليان .
- معجم المطبوعات العربية وانجليزية ، (مجلدان) القاهرة ١٩٢٨-١٩٣٠ .
- سنعذ زغلول عبد الحميد (الدكتور) .
- الترك والمجتمعات التركيه عند العرب وغيرهم ، مجلة كلية آداب
اسكندرية ، ١٩٥٦ .
- في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ١٩٧٥ .
- سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) .
- الإمبراطور فزديك الثاني والشرق العربي، المجلة التاريخية سنة ١٩٦٣ .
- أوربا في العصور الوسطى ، (جزءان) ، القاهرة ١٩٥٤ .
- الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، القاهرة ١٩٧٠ .
- بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور
الوسطى ، المجلة التاريخية سنة ١٩٦٨ .
- الحركة الصليبية ، (جزءان) القاهرة ١٩٦٣ .
- قبرص والحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٥٧ .
- مصر في عصر المماليك البحرية ، للقاهرة ١٩٥٩ .
- سعيد عوض باوزير .
- صفحات من التاريخ الحضرمي ، القاهرة ١٣٧٨ هـ .
- السلوى ، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت ١٢١٥/٨١٩٧ م) .
- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، (٩ أجزاء) الدار البيضاوية .
- ١٩٥٦ .
- السيد الباز العريفي (الدكتور) .
- مصر في عصر الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٠ .

السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) .

— تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، الاسكندرية

١٩٦١ .

— تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام - القسم الأول - بيروت

١٩٧٢ .

— تاريخ العرب في العصر الجاهلي ، بيروت ١٩٧٠ .

— تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، بيروت ١٩٦٢ .

— دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي ، بيروت ١٩٧٠ .

— طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، الإسكندرية ١٩٦٧ .

السيد مصطفى سالم (الدكتور) .

— الفتح العثماني الأول لليمن، مطبوعات معهد الدراسات العربية، ١٩٦٩ .

الشوكاني ، محمد بن علي (ت ١١٧٥٠هـ / ١٨٣٤م) .

— البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، (جزءان) القاهرة

١٣٤٨ هـ .

صلاح البكري .

— تاريخ حضرموت السيامي ، (جزءان) القاهرة ١٩٥٦ .

— في جنوب الجزيرة العربية ، القاهرة ١٩٤٩ .

عبد الرحمن زكي (الدكتور) .

— قلعة صلاح الدين وما حولها من الآثار ، القاهرة ١٩٧١ .

العبدلي ، أحمد فضل بن علي بن محسن .

— هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، القاهرة ١٣٥١ هـ .

- هبد المجيد عابدين (الدكتور) .
- بين الحبشة والعرب ، مصر ١٩٤٧ .
- عبد المنعم ماجد (الدكتور) .
- التاريخ السياسى للدولة العربية ، (جزءان) ١٩٦٥ .
- عدلى أحمد فريد (الدكتور) .
- السلطان قانصوه الغورى وعصره ، رسالة ماجستير بكلية الآداب
بالاسكندرية ، ١٩٧٠ .
- العرشى ، حسين بن أحمد الزيدى (ت ١٩١١/٨١٣٢٩ م) .
- بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تسولى ملك اليمن من
ملك وامام ، تحقيق الكرملى ، ١٩٣٩ .
- العقيلي ، محمد بن أحمد عيسى .
- تاريخ الخلف الساباني ، أو الجنوب العربى فى التاريخ ، (جزءان) ،
الرياض ١٣٧٨ ، والقاهرة ١٣٨٠ .
- عمر رضا كحالة .
- معجم المؤلفين ، دمشق ١٩٥٧ .
- فييت ، جاستون .
- المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى ، نشرها محمد وهبى مترجمة
فى كتاب (فى مصر الإسلامية) ١٩٣٧ .
- لوريمر .
- دليل الخليج - القمم التاريخى ، ٧ أجزاء - ترجم وطبع على نفقة
حاكم قطر ، الدوحة ١٩٦٧ .
- الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ؛
- المجلة التاريخية .

- محمد جمال الدين سرور (الدكتور) .
 — دولة بني قلاوون في مصر ، الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها
 بوجه خاص ، القاهرة ١٩٤٧ .
 — قيام الدولة العربية ، القاهرة ١٩٦٤ .
 — النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، القاهرة ١٩٦٤ .
 محمد حسن .
 — قلب اليمن ، بغداد ١٩٤٧ .
 محمد حسين هيكل (الدكتور) .
 — في منزل الوحي ، القاهرة ١٩٧٠ .
 محمد عبد العال أحمد .
 — دولة بني أيوب في اليمن، رسالة ماجستير بكلية الآداب بالاسكندرية،
 ١٩٦٨ .
 محمد عبد الله ماضي (الدكتور) .
 — دولة اليمن الزيدية ، المجلة التاريخية ، مايو ١٩٥٠ .
 محمد مختار .
 — التوفيقات الإلهامية في مقارنة التاريخ الهجرية بالسنين الأفرنجية
 والقبطية ، بولاق ١٣١١ هـ .
 محمد مصطفى زيادة (الدكتور) .
 — بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك ، مجلة كلية آداب
 القاهرة ، ١٩٣٦ .
 — المحاولات الحربية للاستيلاء على جزيرة رودس زمن سلاطين
 المماليك في القرن ١٥ م ، مجلة الجيش ١٩٤٩ .

- نهاية سلاطين المماليك في مصر ، المجلة التاريخية ١٩٥١ .
- محمد بن هاشم العلوي .
- تاريخ الدولة الكنيزية ، القاهرة ١٩٠٨ .
- معهد المخطوطات العربية بالجامعة العربية .
- فهرس المخطوطات المصورة ، (الجزء الثاني - التاريخ - ، أقسام)
- القاهرة ١٩٥٦ .
- مجلة معهد المخطوطات .
- مكتبة البلدية بالاسكندرية .
- فهرس التاريخ ، تصنيف أحمد أبو طلي ، ١٩٢٥ .
- نظير حسان سعداوى (الدكتور) .
- التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين ، القاهرة ١٩٥٧ .
- نعيم زكي فهمي (الدكتور)
- طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ،
- القاهرة ١٩٧٣ .
- نلدكه ، نيودور .
- أمراء غسان ، ترجمة د. بندلي جـ - وزي ، ود. سلطانين زريق ،
- بيروت ١٩٣٣ .
- هاو ، سونيا . س .
- في طاب التوابل ، ترجمة محمد عزيز رنعت ، ومراجعة د. محمود
- النحاس ، القاهرة ١٩٥٧ :
- الواسعي ، عبد الواسع بن يحيى اليماني :
- تاريخ اليمن المسمى فرجة المهوم والمزن ، في حوادث وتاريخ

اليمن ، القاهرة ١٩٤٧ :

— البدر المزيل للحزن في فضائل اليمن ومحاسن صنعاء ، القاهرة

١٣٤٥ هـ

الويسى ، حسين بن علي

— اليمن الكبرى ، القاهرة ١٩٦٢ .

رابعاً : مراجع أجنبية

Alastros (D.) :

— Cyprus in History. London; 1955.

Allen (J.) :

The Cambridge Shorter History of India, Cambridge, 1924.

Arnold (T. W.) :

— The Caliphate, Oxford, 1924.

Barthold (W.) :

— Art. « Hulagu » in ENC. of Islam.

Bratiani (G. I.) :

— Recherches sur le Commerce Génois dans la Mer Noire
au 13^{eme}. Siecle; Paris 1929.

Brockelmann (C.) :

— Geschichte de Arabischen Litteratur.

2 Vols. Leiden, 1943 - 1949.

3 Supplementbande, Leiden, 1937

— History of Islamic peoples, London, 142. - 1949,

نقله إلى العربية د. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي بعنوان « تاريخ
الشعوب الإسلامية » .

Browné (E. G.) :

— A literary History of Persia, Cambridge 1909:

Budge (E. A. W.) :

— A History of Ethiopia, Nubia & Abyssinia. 2 vols.
London, 1928.

Burckhardt (J. L.) :

- Travels in Arabia, 2 vols: London, 1819.

Cambridge :

- The Cambridge History of Islam, 2 Vols. Cambridge, 1970.

Darrag (A.)

- L' Egypte sous le Regne de Barsbay, Damas, 1961.

De Gaury (G.) :

- Rulers of Mecca. London, 1951.

De la Ronciere (ch.) : †

- Le Découverte de L' Afrique au Moyen Age, 3 Tomes, Le Gaire, 1925 - 27.

Derenbourg (H.) :

- Omara du Yémen, sa vie et son Oeuvre, 2 tomes, Paris, 1897 - 1902.

Depping (G. B.) :

- Histoire du Commerce entre le Levant et l' Europe, Depuis les Croisades Jusqu' a la Fondation des Colonies d' Amérique, 2 Tomes, Paris 1800.

Diehl (Charles) :

- Une République Patricienne Venise, (Bibliothèque de Philosophie Scientifique) 1928.

هذه الى العربية د. أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر بعنوان

« البندقية جمهورية ارسطراطية ». القاهرة ١٩٤٧ .

D' Ohsson (Le Baron C.) :

- Histoire des Mongols depuis Tchinguiz Khan, jusqu' à Timour Bey ou Temelan, 4 Tomes, (Les Freres Van Cheef.) La Haye & Amsterdam, 1834 - 1835.

Dozy (R.) :

- Supplément aux Dictionnaires Arabes, 2 Tomes, Leiden - Paris, 1927.

ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM.

- 4 vols. Leyden, 1913 - 1934.

Ferraud (G.) :

- Une Navigation Eurppéene dans l' Océen Indien au 14 eme siecle, J. Asiat. 1922, T. 20.

Fuller (J. F. C.) ;

- Decisive Battles; Their influence upon history & civilization, London, 1950,

Grousset (R.) :

- Histoire des Croissdes et du Royaume Franc de Jerusalem, 3 Tomes, Paris 1934 - 1936.

Heyd (W.) :

- Histoire du Commerce du Lavant au Moyen Age, 2 Tomes, Leipzig; 1925:

Hill (G.) :

- A History of Cyprus. Camb. 1948.

Hogarth (D. G.) :

- A History of Arabia, Oxford, 1922.

Howe (Sonia E.) :

- In Queste of Spices, London, 1946.

نقله الى العربية محمد عزيز رفعت بعنوان «في طلب التوابل» ، وراجعه

د. مجود النحاس . القاهرة ١٩٥٧ .

Howorth (Sir Henry) :

- A History of Mongols, 4 vols. London 1876 - 1883:

Huart (C.):

- Histoire des Arabes, 2 Tomes, Paris, 1912 - 1913.

Hunter :

- An account of the British settlement of Aden in Arabia; London, 1877.

Inalcik (Halil) :

- The Ottoman Empire, (The Classical age, 1300 - 1600), translated by Norman Itzkowitz and Colin Imber, London, 1973.

Jomier :

- Le Mahmal et la Caravane Egyptienne de Pelgrime de la Mecque, Le Caire, 1935.

Kammerer (A.)

- Le Mer Rouge, l' Abyssinie et l' Arabie depuis l' antiquité, (Mémoires de la société Royale de Géographie d' Egypte), 2 Tomes 1920 - 1925.

Kantarowicy :

- Fredric The Second.

Kay (H. C.) :

- Yemen, Its early Mediaeval History, London, 1892

Khalil Ed - Dahiry :

- Zoubdat Kachf El-Mamalik, Publie Par Poul Raveisse, Paris, 1894.

EL - Khazrejjiyy :

- The Pearl - Strings, A History of the Resuliyy Dynasty of Yemen. Ed by E. G. Browne, Gibb Memorial Series, 3 vols, London, 1906.

Lamb (H.) :

- The Crusades; The Flame of Islam, London, 1931:

Lane - Pools (St.) :

- A History of Egypt in the Middle Ages, London, 1933.
- Mediaeval India Under Mohammadan Rule, London 1925.
- The mohammadan Dynasties; Paris, 1925,
- Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem, London, 1898.

Lewis (Bernard) :

- Egypt and Syria, (The Cambridge History of Islam,) 2 vols. Cambridge, 1970.

Lorimer (J G.) :

- Gazetter of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia.

ترجم بعنوان « دایمل الخلیج » ونشر علی نفقة حاکم قطر ،
الدوحة ١٩٦٧ .

Marco (Eric) :

- Yemen and Western World Since 1571, London, 1963.

Marin (M.) :

- Histoire De Saladin; Sulthan D' Egypte et Syrie. 2 Tomes

IBNAL MUGAWIR :

- Desciptis Arabiae Meridionalis Preamissis Capitibus de Mecca et parte regionis Higaz qui liber inscribitur Tar'ih al - Mustabsir, Ed. Oscar Lofgren, 1951.

Moreland (W. H.) :

- A Short History of India, London, 194٤

Murray :

- Aidhab (J. R. A. S.) Sept. 1926.

Neibuhr (C.) :

- Voyage en Arabie et en d' autres Pays, Amesterdam, 1776.

Panikkar (K. M.) :

- Asia and western Dominance, London, 1935.
- ترجمه عبد العزيز توفيق جاويد بعنوان « آسيا والسيطرة الغربية » .

Piloti (E.) :

- L' Egypte au Commencement du Quinzième Siecle, Le Caire 1960.

Playfair (Sir Robert Lambert) :

- A History of Arabia Felix or Yemen. Selection from the records of Bombay Govenment, Bombay. 1850.

Rene Basset :

- Art, « Dahlak » in ENC. of Islam.

Reinaud (M.) :

- Extraits des Historiens Arabes Relatifs aux Guerres de croisades, Paris 1829.

Runciman (S.) :

- A History of the Crusades. 3 Vols. Cambridge, 1951 - 1954.

Scott (Hugh.) :

- In the High Yemen, London, 1947.

Serjeant (R. B) :

- The Portuguese off the South Arabian Coast, Oxford, 1933.

Stevenson (W. B.) :

- The Crusaders in the East, Cambridge, 1907.

Streck (M.) :

- Art. « Baghdad » in ENC. of Islam.

Thenaud (J.) :

- Le Voyage d'Outre Mer de Jean Thenaud, Paris, 1884.

Trimingham (J. S.) :

- Islam in Ethiopia, Oxford, 1952.

Wensinck (A. J.)

- Art « Mecca » & « Kitada » in ENC. of Islam.

Wiet (G.) :

- Histoire de la Nation Egyptienne, T. IV. (L' Egypte Arabe) Paris, 1937.
- Le Communication en Egypte au Moyen Age, L' Egypte Contemporaine, 1933.

ترجمها محمد وهي بعنوان « المواصلات في مصر » ونشرها في كتاب « في مصر
الاسلامية » القاهرة ١٩٣٧ .

Wilson (A. T.) :

- The Persian Gulf, London, 1945.

Zetterstéen (K. W.) :

- Beitrage Zur Geschichte der Mamlu'ken Sultane, Leiden, 1919.

فهرس لمحتويات

مقدمة ، ص ٥ - ١١ .

الباب الأول

التاريخ السياسي ، ص ١٣ - ٢٣٠ .

تمهيد : أحوال اليمن الداخلية حتى نهاية الحكم الأيوبي ، ص ١٥ - ٣٧ .

الفصل الأول

قيام دولة بني رسول على عهد نور الدين عمر بن رسول ، ص ٣٩ - ١١٦ .

أولاً : محاولات اسباغ المصنفة الشرعية على حكم بني رسول ، ص ٣٩ ،

(١) مشكلة انتحال بني رسول للنسب اليمني ، ص ٤٠ ، مناقشة

نفس بني رسول ، ص ٤٥ ، (٢) التنبؤ بقيام دولة بني رسول ،

ص ٥٢ ، مناقشة الروايات الخاصة بالتنبؤ والتبشير بقيام دولة بني رسول ،

ص ٥٥ ، (٣) ادعاء تنازل المسعود لنور الدين عمر ، ص ٥٧ ،

(٤) اعتراف الخليفة العباسي باستقلال نور الدين بملك اليمن ، ص ٥٩ .

ثانياً : ظهور بني رسول على مسرح الأحداث اليمنية قبيل قيام دولتهم ،

ص ٦٣ ، (١) أولوية بني رسول في اليمن ، ص ٦٣ ، (٢) نكبة أولاد

رسول في أواخر عهد المسعود ، ص ٨٣ ، (٣) دور نور الدين

عمر بن رسول في التمهيد لقيام دولة بني رسول ، ص ٨٨ ، (٤) تحالف

باليدي مع نور الدين ودخولهم في طاعته ، ص ٩٤ .

ثالثا : قيام دولة بني رسول في اليمن على يد نور الدين ، ص ٩٧ ، (١) اعلان سقوط الدولة الأيوبية في اليمن ، ص ٩٧ ، (٢) استكمال مظاهر الاستقلال وتأمين الدولة الناشئة ، ص ٩٩ ، (٣) الزيدية ونقض الصلح مع نور الدين ، ص ١٠٣ ، (٤) تثبيت سيطرة نور الدين على اليمن ، ص ١٠٦ ، (٥) استغلال الشريف الزيدى أحمد بن الحسين الخلاف القائم بين بني رسول للدعوة للإمامة ، ص ١٠٩ ، (٦) مقتل السلطان نور الدين ، ص ١١٥ .

الفصل الثاني

بنو رسول بعد نور الدين ، ص ١١٧ - ٢١٣ .

أولا : عصر المظفر يوسف ، (١) الوضع المتفجر بعد وفاة نور الدين ، وموقف المظفر يوسف من الطامعين في السلطنة من بني رسول ، ص ١١٧ ، (أ) صراع المظفر ضد أبناء عمه ، ص ١١٩ ، (ب) صراع المظفر ضد أخيه المفضل قطب الدين ، ص ١٢٢ ، (٢) موقف المظفر من الزيدية ، (أ) تدخل الزيدية في الصراع القائم بين بني رسول ، ص ١٢٨ ، (ب) مصرع الامام الزيدى وأثره في تطور الأحداث ، ص ١٣٧ ، (ج) استمرار الخلافات بين الزيدية ، ص ١٤٦ .

ثانيا : الصراع على السلطنة بين أبناء المظفر وأحفاده ، (١) عهد الأشرف عمر بن المظفر ، ص ١٦٢ ، (٢) سلطنة المؤيد داود ، وتطور الأحداث الداخلية في عهده ، ص ١٦٦ ، (أ) صراعه مع أخيه المسعود ، ص ١٦٩ ، (ب) مواجهته لحركات الزيدية وقبائل الجحافل والمجمام ،

ض ١٧١ ، (ج) تحالف الزيدية والأكراد ضد السلطان وموقفه منهم ،
ص ١٨٠ ، (د) حركة الناصر بن الأشرف ، ص ١٨٣ .

مثالنا : سلطنة المجاهد واضطراب اليمن في عمدة ، ص ١٨٥ ، (١) الصراع
على العرش بين المجاهد وبين الظاهر ونتائجه ، ص ١٨١ ، (٢) أساليب
المجاهد الانتقامية مع خصومه ونتائجها ، ص ١٩٩ ، (٣) نهاية المجاهد ،
ص ٢٠٤ .

وإيضا : اليمن بعد المجاهد حتى نهاية دولة بني رسول ، (١) المشكلات التي
واجهت الأفضل عباس بن المجاهد ، وموقفه منها ، ص ٢٠٨ ،
(٢) جهود الأشرف الثاني اسماعيل بن الأفضل عباس في اقرار الأوضاع ،
ص ٢١٧ ، (٣) عهد السلاطين الضعاف ونهاية الدولة ، (أ) عهد
الناصر أحمد بن الأشرف اسماعيل ، ص ٢٢٧ ، (ب) عهد المنصور
عبد الله بن الناصر أحمد وأخوه الأشرف الثالث اسماعيل ، ص ٢٣٢ ،
(ج) عهد الظاهر يحيى بن الأشرف اسماعيل بن العباس ، ص ٢٣٣ ،
(د) عهد الأشرف الرابع اسماعيل بن الظاهر يحيى ، ص ٢٣٥ ،
(هـ) سلطنة المظفر الثاني ، ص ٢٣٧ ، (و) المسعود صلاح الدين
أبو القاسم بن الأشرف وسقوط دولة بني رسول ، ص ٢٤٠ .

الفصل الثالث

دولة بني طاهر ، ص ٢٤٥ - ٣٣٠

أولا : الأوضاع السياسية عند قيام دولة بني طاهر ، (١) نسب بني طاهر ،
ص ٢٤٥ ، (٢) ظهور بني طاهر ودورهم في الصراعات بين سلاطين
بني رسول ، ص ٢٧٠ ، (٣) سقوط دولة بني رسول ، ص ٢٥٢ .

ثانيا : قيام الدولة الطاهرية ، (١) سلطنة الظافر عامر الأول وأخيه المجاهد علي بن طاهر ، ص ٢٥٧ ، (٢) الأصول الداخلية عند قيام دولة بني طاهر ، ص ٢٥٩ ، (٣) موقف صاحب الشجر من قيام دولة بني طاهر ، ص ٢٦٢ ، (٤) مقتل السلطان الظافر عامر وانفراد أخوه المجاهد علي بالسلطنة ، ص ٢٦٦ .

ثالثا : الدولة الطاهرية بعد المجاهد ، (١) سلطنة المنصور عبد الوهاب بن داود ابن طاهر ، ص ٢٦٨ ، (٢) التنافس على عرش السلطنة ، ص ٢٦٩ ، (٣) عهد الظافر عامر الثاني ، ص ٢١٤ ، (٤) الموقف بعد مقتل السلطان الظافر عامر الثاني ، ص ٢٨٢ .

رابعا : الفتن والثورات الداخلية في عهد بني طاهر ، (١) موقف قبائل يافع من بني طاهر ، ص ٢٨٧ ، (٢) ثورات قبائل القرشية ، ص ٢٩١ ، (٣) ثورات قبائل المعازبة ، ص ٢٩٣ ، (٤) ثورات بني حنفيص الزيدية ، ص ٣٠٠ ، (٥) ثورات الحبيشي ، ص ٣١٠ ، (٦) الصراع الزيدى التقليدى في عهد بني طاهر ، ص ٣١٣ .

الباب الثاني

العلاقات الخارجية ، ص ٣٣١ - ٥٤٨

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية في عصر بني رسول ، ص ٣٣٣ - ٤٦٠

أولا : في عصر نور الدين عمر بن رسول ، ص ٣٢٣ ، (١) موقف الأيوبيين

من محاولات بنى رسول السيطرة على الحجاز ، ص ٣٣٤ ، (٢) علاقة نور الدين بن رسول بالخلافة العباسية ، ص ٣٤٤ ، (٣) استمرار الصراع بين بنى رسول والأيوبيين حول الحجاز ، وما أسفر عنه من نتائج ، ص ٣٤٦ ، (٤) أعمال نور الدين عمـر بن علي بن رسول في مكة ، ص ٣٥٥ .

ثانيا : العلاقات اليمنية مع مصر والحجاز في عهد المنظر يوسف ، (١) استئلال بنى قتادة بحكم مكة ، ص ٢٥٩ ، (٢) تطور العلاقات اليمنية المصرية بين المنظر يوسف والظاهر بيبرس ، ص ٣٦٦ ، (٣) سياسة المهالك في البحر الأحمر وأثر ذلك على العلاقات مع اليمن ، ص ٣٧٦ ، (٤) دور اليمن في ازدهار طريق البحر الأحمر ، ص ٣٨٣ ، (٥) العلاقات اليمنية المصرية بعد إحياء الخلافة العباسية في مصر ، ص ٣٩٣ .

ثالثا : العلاقات اليمنية لمصرية بين سلاطين بنى رسول بعد المنظر وبين سلاطين دولتى المهالك البحرية والجزراكسة ، (١) في عهد المؤيد داود الرسولى ، ص ٤٠٠ ، (٢) في عهد المجاهد الرسولى ، ص ٤٠٦ ، (٣) العلاقات اليمنية المصرية بين بنى رسول وسلاطين المهالك الجزراكسة ، ص ٤٣٠ .

رابعا : العلاقات اليمنية مع الدول التجارية الآسيوية وساحل افريقية اشرقى ، وأثرها في انتماش تجارة عدن والبحر الأحمر ، ص ٤٣٤ ، (١) مُع الدول الآسيوية ، (أ) مع الصين ، ص ٤٣٥ ، (ب) مع الهند ، ص ٤٣٦ ، (ج) مع قاليقوط ، ص ٤٣٧ ، (٢) مع سواحل العدو الافريقية ، ٤٣٨ ، (٣) مظاهر اهتمام سلاطين بنى رسول بثغر عدن والتجارة البحرية مع الهند ، ص ٤٤٣ .

خامسا : تجارة العبور وموقف مصر واليمن منها . (١) جهود مصر في المحافظة على تجارة قلمح البحر الأحمر ، ص ٤٤٦ ، (٢) تدهور ميناء عدن واحتلال ميناء بجدة مكانته في حركة التجارة العالمية ، ص ٤٥٤ .

الفصل الخامس

العلاقات الخارجية في عصر بني طاهر ، ص ٤٦١ - ٥٤٨

أولا : العلاقات بين اليمن والحجاز ، ص ٤٦١ .

ثانيا : العلاقات مع الحبشة ، ٤٦٨ .

ثالثا : الكشوف البرتغالية : أهدافها الصليبية وأثرها على الاقتصاد اليمني المصري ، (١) دور الكشوف البرتغالية في تحقيق المطامع الصليبية ، ص ٧٢ ، (٢) أثر الكشوف البرتغالية على حركة التجارة اليمنية ، ص ٤٩٠ ، (٣) موقف مصر من الخطر البرتغالي ، ص ٤٩٢ ، (٤) محاولة البوكيرك الاستيلاء على عدن والسيطرة على البحر الأحمر ، ص ٥٠٣ .

رابعا : تطور العلاقات اليمنية المصرية حتى سقوط دولة بني طاهر ، (١) موقف السلطات الطاهرية من الجهود المملوكية ضد البرتغاليين ، ص ٥١٠ ، (٢) تعاون حاكم عدن مع البرتغاليين للسيطرة على البحر الأحمر ، ص ٥١٨ ، (٣) غزو الجراكسة لليمن ، ص ٥٢٦ .

الخاتمة ، ص ٥٤٩ - ٥٥١ .

المصادر والمراجع ، ص ٦١ - ٥٩٤ .

الخريطة ، ص ٥٦٠ .

فهرس المحتويات ، ص ٥٩٥ - ٦٠٠ .

رقم الابداع بدار الكتب

٧٩ / ٤٩١٠

٩٧٧ - ٢٠١ - ٧٨٢ - ٢

مطابع دار الناشر الجامعي

ت: ٨٠٣٧١٤

P R E F A C E

This work deals with the history of yemen and its foreign relations during the reign of the Rasulites and Tahirides dynasties .

It covers a period of three centuries of the political history of yemen . That political history is marked by uprisings, internal struggle, disorder and instability whose outcome was the loss of the political unity of yemen and the engagement of the rulers in almost continuous wars .

The work, furthermore; endeavours to clarify the significant role that yemen played in the Red Sea area, and explains most of the aspects of the Egyptian and yemeni policy in that area during the reign of the Mamlukes dynasty.

The history of yemen, compared to that of many other countries, is both difficult and complicated for its lack, mainly, of resources, or rather, their availability due to various reasons.

Yet every available Source has been consulted and every possible datum has been used in this work .